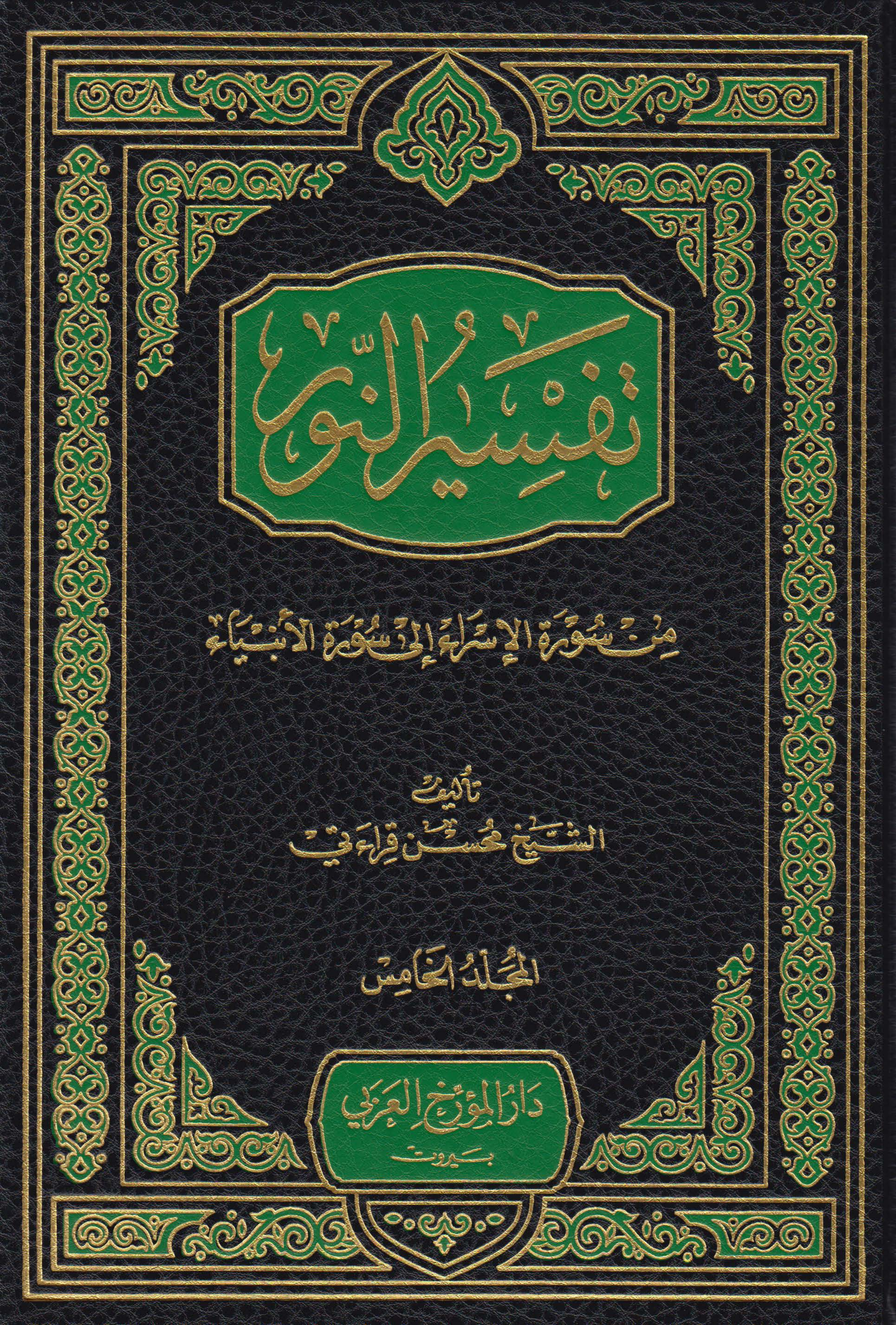

تفسير النور
من سورة الإسراء إلى سورة الأنبياء
تأليف
الشيخ محسن قراءتي
المجلد الخامس
دار المؤرخ العربي
بيروت


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com



تفسير النور

من سورة الإسراء إلى سورة الأنبياء

تأليف

الشيخ محسن قراءتي

ترجمة

محمد أيوب

مراجعة الترجمة

محمد حسن زراقط

المجلد الخامس

دار المؤرخ العربي

بيروت - لبنان

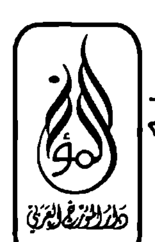
الطّبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م



طبع هذا الكتاب بالتعاون مع
المركز الثقافي للدروس القرآنية





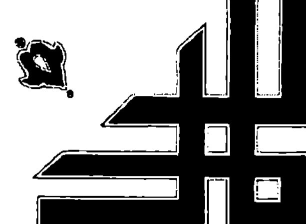
بيروت - حارة حريك - قرب جامع الحسنين - فوق صيدلية دياب - ط ٢
تلفاكس: ٥٤١٤٣١ - ٠١ - هاتف: ٥٤٤٨٠٥ - ٠١ - ص.ب: ١٢٤/٢٤
البريد الإلكتروني al_mouarekh@hotmail.com
www.al-mouarekh.com



سُورَةُ الإِسْرَاءِ

السورة: ١٧ الجزء: ١٥

عدد الآيات: ١١١

ملامح سورة الإسراء

سورة «الإسراء»، عدد آياتها مئة وإحدى عشرة آية وهي مكية على الأشهر، وذهب بعض المفسرين إلى أن الآيات (٢٦، ٣٢، ٣٣، ٥٧، ٧٨) مدنية.

ولهذه السورة ثلاثة أسماء، فباعتبار الكلمة الأولى الواردة في أولها تسمّى سورة «سبحان» وباعتبار قضيّة الإسراء والمعراج تسمّى سورة «الإسراء»، وبسبب حكايتها لقصة بني إسرائيل تسمّى أيضاً سورة «بني إسرائيل».

وتشتمل هذه السورة، كسائر السور المكية، على العديد من الموضوعات من قبيل: التوحيد، والمعاد، والنصائح النافعة، والمبارزة مع كل أنواع الشرك والظلم والانحراف، والسنن والقوانين الفردية والاجتماعيّة في التاريخ، وقضيّة آدم وإبليس، ونبي الإسلام ﷺ ومكانته في مكة، ومعراج رسول الله ﷺ، وهذه الأخيرة من أهم مسائلها الجديرة بالاهتمام.

ابتدأت السورة بـ«التسبيح» وانتهت بالحمد لله وتعظيمه.

ورد في الروايات الدعوة إلى تلاوة هذه السورة في ليالي الجمعة، ومن جملة فوائدها ملاقاة إمام الزمان (عجل الله فرجه)[1].

(١) عن الإمام الصادق عليه السلام: «من قرأ سورة بني إسرائيل في كل ليلة جمعة لم يمت حتى يدرك القائم ويكون من أصحابه» (تفسير الأمثل).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١﴾

إشارات:

- الإسراء والمعراج أقدس سفر في التاريخ، فالمسافر هو نبي الإسلام محمد ﷺ، ونقطة الانطلاق هي المسجد الحرام، والعبور عبر المسجد الأقصى، والمستضيف هو الله تعالى، والهدف منه رؤية آيات الله، وهداياه أخبار السماوات والملكوت وارتقاء مستوى الفهم البشريّ لهذه الدنيا المادّية[١].

- استناداً إلى ما ورد في الروايات، فإن النبي ﷺ، قبل سنة واحدة من الهجرة وبعد صلاة المغرب، أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ومن هناك عرج إلى السماء بواسطة «البراق»[٢]، وأثناء رجوعه صلى الصبح في المسجد الحرام[٣].

- إن معراج النبي ﷺ كان جسمانياً ولم يكن روحياً فقط، وكان في اليقظة لا في النوم، وأصل وقوعه من ضروريات الدين ومورد اتفاق كل الفرق الإسلامية[٤]، وقد تواترت[٥] الروايات بذلك، ووردت الإشارة إلى هذه القضيّة في الأدعية والزيارات أيضاً، بل ورد في بعض الأحاديث أن منكره كافر.

---

(١) ذُكر في تفسير الفرقان أن ليالي: ميلاد النبي ﷺ، المعراج، البعثة، الهجرة، الورود إلى المدينة، ارتحال النبي ﷺ، كلها كانت ليلة الاثنين.

(٢) تفسير نور الثقلين. (٣) بحار الأنوار، ج١٨، ص ٣٨٩.

(٤) هذه الآية والآيات ٨ إلى ١٨ من سورة النجم تدل على هذا المطلب.

(٥) المتواتر: يطلق على الخبر أو الرواية التي نقلت عبر الكثير من الرواة ما يبعث على اليقين بمضمونها.

□ إن الله سبحانه وتعالى أهبط آدم عليه السلام من السماء إلى الأرض، وأما رسول الله صلى الله عليه وآله فقد عُرج به من الأرض إلى السماء[١]. وفي تلك الليلة، رأى النبي صلى الله عليه وآله العوالم العليا وملكوت السماوات وما فيها من عجائب صنع الله وبدائع خلقه[٢]، والتقى بالأنبياء عليهم السلام[٣]، وفي هذا السفر نزلت عليه الأحاديث القدسية وأُخبر هناك بخلافة الإمام علي عليه السلام وولايته.

وفي هذا السفر أيضاً رأى رسول الله صلى الله عليه وآله الجنّة والنار، وشاهد من جملة ما شاهده أهل الجنّة ونعيمهم وأهل النار وعذابهم.

وعندما رجع النبي صلى الله عليه وآله من المعراج وأخبر الناس به ارتد بعض البسطاء عن دينهم[٤].

إشكال وجواب

□ أثار بعضهم عدداً من الأسئلة أو الشبهات حول معراج النبي صلى الله عليه وآله وسفره السماوي، ومن ذلك: عدم وجود الهواء في الفضاء الخارجي، الحرارة المحرقة والبرودة القاتلة، انعدام الوزن، الإشعاعات الخطيرة، عدم كفاية ليلة واحدة للسفر إلى السماء وبالتالي إذا أراد أحدٌ ما السفر في الفضاء، فلا بد من أن تكون سرعته موازية لسرعة الضوء أو أكثر من ذلك، وللفرار من الجاذبية لا بد من أن تكون السرعة معادلة لـ٤٠٠٠٠ كلم في الساعة، وأمثال هذه الشبهات.

والجواب الإجمالي عن هذه الشبهات: أن أصل قضيّة المعراج ثابتة بالقرآن والروايات المتواترة[٥]، وما يهمنا هو الإيمان بأصل وقوعها وليس من الضروري الإيمان بجزئياتها[٦]، ومن جهة أخرى فإن المعجزة لا بد من أن تكون، عقلاً،

---

(١) تفسير كشف الأسرار.
(٢) تفسير نور الثقلين.
(٣) الكافي، ج٨، ص ١٢١.
(٤) تفسير الطبري.
(٥) بحار الأنوار، ج١٨، ص ٢٨٢ ـ ٤١٠.
(٦) رغم وجود الجعل في بعض هذه الروايات، من قبيل المشاهدة الجسمية لله تعالى، وبعض هذه الروايات يمكن القبول بها بعد التوجيه والتأويل من قبيل: لقاء أهل الجنّة وأهل جهنم، وبعضها الآخر مقبول دون تأويل.

غير مستحيلة، وحيث إن المعراج من معجزات نبي الإسلام ﷺ فسيُشمل حينئذٍ بالقواعد الكلية كل المعجزات.

وأما سائر الإشكالات والشبهات فيمكن حلّها أيضاً بالنظر إلى قدرة الله تعالى. ومضافاً إلى ذلك، فإنه من السهل القبول بالمعراج في عصرنا الحاضر، عصر الفضاء وإرسال الإنسان بالطائرات، والأقمار الصناعية، والسفن الفضائية إلى الكواكب الأخرى.

كما إن القرآن الكريم ذكر قضيّة انتقال عرش بلقيس من بلد إلى بلد آخر في أقل من طرفة عين، وهذا يحل إشكال طي المسافة أيضاً.

التعاليم

١ ـ المعراج، ليس لغواً بل يشتمل على أسرار يجدر الالتفات إليها، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ﴾.

٢ ـ المعراج، كان رحلة خاصة بالنبي ﷺ، ولقاءً علمياً له خصوصاً ﷺ، وإلا فإن الله تعالى لا مكان له، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ﴾.

٣ ـ العبودية هي مقدمة الطيران والسفر، والعروج غير ممكن قبل الخروج من الصفات الرذيلة، ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾.

٤ ـ إن الإنسان حتى ولو عُرج به، إلا أنه يبقى «عبدٌ»؛ لذا ينبغي علينا أن لا نغالي في أولياء الله، ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾.

٥ ـ العبودية، كانت من جملة ما يفتخر به النبي ﷺ، وكانت مقدمة لتلقي إفاضات الله عليه، ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾.

٦ ـ إن النبي ﷺ الذي ستكون أمته من أهل الفضاء في المستقبل، لا بد من أن يكون هو نفسه قد عرج إلى السماء وسائر الأسفار السماوية من قبل، ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾.

٧ ـ الليل هو أفضل الأوقات للقرب من الله[1]، ﴿أَسْرَىٰ... لَيْلًا﴾.

---

(١) «سرى» السري بمعنى السير ليلاً.

٨ ـ ليلة المعراج ليلة بالغة الأهميّة؛ (﴿لَيۡلٗا﴾ التنكير يدل على التعظيم أحياناً).

٩ ـ إذا كان الاستعداد والقابلية موجودين، فسوف يتم العروج في ليلة واحدة، ﴿أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾.

١٠ ـ المسجد هو أفضل قاعدة لعروج المؤمن معنويا، ﴿مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ﴾.

١١ ـ لا بد من أن يكون المسجد محور كل أعمالنا، ﴿مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾.

١٢ ـ الانطلاقات المقدّسة لا بد من أن تكون عبر طرق مقدّسة، ﴿أَسۡرَىٰ... مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ﴾.

١٣ ـ الإفاضات والبركات، يجب أن تكون حول محور المسجد، ﴿ٱلۡمَسۡجِدِ... بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾.

١٤ ـ بيت المقدس وما حوله، كان على مرّ التاريخ محلاً لنزول بركات السماء، ومقراً للأنبياء عليهم السلام، ومهبطاً للملائكة، ﴿بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾.

١٥ ـ السعة العلمية للإنسان أكبر بكثير من المعلومات الأرضية، كما إن آيات السماء وعجائبها أكثر أيضاً مما هو في الأرض، ﴿أَسۡرَىٰ... لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ﴾.

١٦ ـ الهدف من المعراج هو اكتساب المعارف والرشد المعنوي، ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ﴾.

١٧ ـ إن آيات الله كبيرة ولا نهاية لها إلى حد أن رسول الله ﷺ نفسه لم يكن بمقدوره الوصول إليها كلها، ﴿مِنۡ ءَايَٰتِنَا﴾[1].

١٨ ـ الله تعالى يحذر المخالفين والمعاندين بأنه يراهم ويسمع كلامهم، ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾.

---

(١) وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ [سورة النجم: الآية ١٨].

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾﴾

إشارات:

- أُوصي في القرآن الكريم، مراراً وتكراراً، بالتوكل على الله واجتناب التوكل على غيره، وإلى جانب الأمر بالتوكل بُين الدليل على ذلك، فمثلاً يقول الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾[١].

وفي سورة يوسف: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[٢].

ويقول أيضاً في سورة النساء: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾[٣].

- رسالة النبي موسى ﷺ كانت رسالة عامة وعالميّة، وعلى الرغم من أنه في هذه الآية قد ذكر أنه كان هادياً لبني إسرائيل، إلّا أن الله تعالى ذكر في مواضع أخرى من القرآن أنه اصطفاه وأرسله هادياً إلى الناس جميعاً: ﴿نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾[٤] ﴿ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[٥].

التعاليم

١ - في بعض الحالات قد يكون الاشتراك في البلد أو القومية بين الداعي والمدعوّ مؤثراً، ﴿هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

٢ - أهم هدف لدعوة كل الأنبياء ﷺ هو التوحيد، ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ... أَلَّا تَتَّخِذُوا۟﴾.

٣ - الإنسان بحاجة إلى مستند يستند إليه ويتكل عليه؛ ولذا فإن الأنبياء ﷺ عرفوا أن الله تعالى هو المستند والوكيل الواقعي والحقيقي، ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٨٩.
(٢) سورة يوسف: الآية ٦٧.
(٣) سورة النساء: الآية ١٣٢.
(٤) سورة الأنعام: الآية ٩١.
(٥) سورة الأعراف: الآية ١٤٤.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾

إشارات:

- قيل إن النبي نوح عليه السلام هو «الأب الثاني» للبشرية؛ إذ إنه في أثناء الطوفان الذي جرى في عهده عليه السلام غرق كل الناس باستثناء الذين كانوا معه في السفينة ومن هذه الناحية فإن معنى ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا﴾ كقوله ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾.
- إن النبي نوح عليه السلام كان أطول الأنبياء عمراً، وقد تحمل في هذه المدّة المديدة أذى الكافرين والمعاندين وعذابهم له، ورغم كل ذلك كان عبداً شكوراً[١]، ولهذا فإن الله خصّه عليه السلام بالذكر والسلام فقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٢].

التعاليم:

١ ـ كون الإنسان في محضر الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم توجب نجاة الإنسان وبقائه، ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾.

٢ ـ تاريخ الماضين عامل تربية وإنذار للأجيال القادمة، ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا﴾.

٣ ـ التفات الأبناء إلى منزلة الآباء وإيمانهم عامل عاطفي لتربيتهم وقبولهم الدعوة وتحمل المسؤولية، ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا﴾.

٤ ـ العبودية لله مقدمة للنجاة من الحوادث والمهالك، ﴿حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾.

٥ ـ إجلال الرجال العظماء والأسوة هو من عوامل التربية، ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾.

٦ ـ من بركات الشكر لله تعالى استمرار الذرّية وبقاؤها، ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ... عَبْدًا شَكُورًا﴾.

---

(١) ورد في تفسيري مجمع البيان وأطيب البيان نماذج من أدعية النبي نوح عليه السلام وشكره لله.

(٢) سورة الصافات: الآية ٧٩.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤﴾

إشارات:

- من الممكن أن يكون إفساد بني إسرائيل مرتين مرتبطاً بهاتين الحادثتين: أُولاهما هي قتل شعيا ومخالفة أرميا.

وثانيتهما: قتل زكريا ويحيى عليهما السلام.

ومن المحتمل أيضاً ارتباط ذلك بحوادث أخرى سوف نشير إليها في آيات أخرى.

- الجنّة مخصوصة بأولئك الذين اجتنبوا العلو والاستكبار في الأرض، ولم تُجعل لمن عدّ نفسه أعلى وأكبر من الآخرين: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾[1].

التعاليم:

١ ـ الكتب السماوية تخبر عن المستقبل أيضاً، ﴿وَقَضَيْنَآ﴾.

٢ ـ سوابق اليهود مذكورة في التوراة كذلك، ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾.

٣ ـ الفساد، يشمل أنواع الفساد النفسي (قتل الآخرين)، والثقافي، والاقتصادي، والعسكري، والسياسيّ؛ إذ إن قوله، ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ ورد بنحو الإطلاق.

٤ ـ العلو والفساد في الأرض من خصال أهل الدنيا وطلابها، ﴿...لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ﴾.

٥ ـ الفساد الأخطر هو الفساد ذي الجذور الاستكبارية والمتكرر، ﴿لَتُفْسِدُنَّ...﴾.

٦ ـ ربما يكون المستضعفون مستكبرين أحياناً، ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾.

---

(١) سورة القصص: الآية ٨٣.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ۝٥﴾

إشارات:

- لم يذكر القرآن الكريم مصداقاً لأولئك العباد الذين سيقمعون المفسدين من بني إسرائيل، ولكن ورد في بعض التفاسير تطبيق ذلك على بخت نصر، طالوت ملك الروم، هتلر و...؛ إلّا أن أيًّا من هؤلاء لا ينسجم مع التعبير المقدّس «بعثنا» الوارد في حق قيام الأنبياء وبعثتهم، ولا مع قوله «عباداً لنا» المنطبق على أولئك الذين هم كالأنبياء عليهم السلام.

وبناء على ذلك ربما يكون المراد من الآية المستقبل الذي لم يحن أوانه بعد.

التعاليم:

١ ـ من السنن الإلٰهيّة القضاءُ على المستكبرين الطغاة، ﴿بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ﴾.

٢ ـ تحقق الوعد الإلٰهيّ لا يعني تنحي الإنسان عن تكليفه بالجهاد، ﴿بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا﴾.

٣ ـ جهاد المستكبرين ومواجهتهم لا يختص بالإسلام، ﴿بَعَثۡنَا... أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾.

٤ ـ يد فوق يد تولد الكثرة، لقد طغى بنو إسرائيل فسلط الله عليهم من هو أقوى منهم، ﴿بَعَثۡنَا...﴾.

٥ ـ إعداد القوة لقمع أهل الفتنة وسلب أمنهم عمل حسنٌ حتى ولو كان عبر تفتيش البيوت بيتاً بيتاً، ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾.

٦ ـ الإخبار الغيبي السماوي لا بد من أن يقع حتماً، ﴿وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا﴾.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾﴾

□ يفيد ظاهر الآية أنه بعد إفساد بني إسرائيل ومن ثم انكسارهم وهزيمتهم؛ فإن الله تعالى سوف يمنّ عليهم مرة أخرى بأموال وبنين؛ ولكن يحتمل أن يكون المخاطب بقوله تعالى ﴿رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾ هم العباد المذكورون في الآية السابقة نفسهم: ﴿عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾؛ أي أننا سوف نلطف مرتين بعبادنا المجاهدين المقاتلين: أولاهما: القضاء على المعتدين من بني إسرائيل، والثانية: إيصالهم إلى السلطة والحكومة.

التعاليم:

١ ـ الأموال والقوة الإنسانيّة وسيلتان للسلطة والحكومة، ﴿...وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾.

٢ ـ إن لطف الله يشمل الإنسان المذنب التائب إليه، ويشمل أيضاً الأمة المذنبة التي سُيْطِر عليها، ﴿رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾.

٣ ـ كثرة النفير والعدد من نعم الله تعالى، ﴿...وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾

إشارات:

□ إن ما له الأهميّة في الحوادث التاريخية والموجب للتطوّر والتقدم هو العبر والدروس المستفادة منها وليس جزئيات الحوادث وتفاصيلها؛ ولذا فإن القضاء على المستكبرين اليهود بيد عباد الله المؤمنين، كما تقدم في الآيتين السابقتين، يستفاد منه أنّ الكفر والاستكبار لن يبقيا دون رد.

وحيث إن هذا الهدف الكلّيّ والتربوي كان مقصوداً في حد ذاته، لذا فإن الآية لم تتعرض لذكر تفاصيل القتال والمقاتلين والسلاح وغير ذلك، وهذا هو الحال أيضاً في قصة يوسف عليه السلام إذ إنها، وباعتبار هدفها التربوي ودروس العفاف

والحياء المستفادة منها، لم تتعرض أيضاً للكثير من التفاصيل بما في ذلك اسم «زليخا» نفسها.

□ على الرغم من أن بعض التفاسير قد نسبت ما جرى من استكبار اليهود، وفسادهم، وقمعهم، واقتلاعهم على يد عباد الله إلى أزمنة بعيدة أو قريبة، وعلى الرغم من أن المسجد الأقصى شهد حوادث مريرة وأليمة طيلة آلاف السنين؛ إلا أنه ربما يمكن القول، وبالاستناد إلى الآيات والروايات، إنه يجب علينا انتظار حصول الاستكبار والتعدي من قبل إسرائيل، وبالتالي اقتلاعهم من جذورهم على يد عباد الله الصالحين، وكما يستفاد من ظاهر الآيتين ٥ و٦ أنه إلى الآن لم يتحقق مثل هذا الإفساد الكبير في الأرض من قبل بني إسرائيل ولم يتحقق إلى الآن، أيضاً، قمعهم واقتلاعهم على يد رجال الله![1].

□ ذكر في العديد من التفاسير روايات عدّة تفسر الآية الشريفة، وقد ورد في بعضها أن القضاء على اليهود المعتدين سوف يكون قبل قيام الإمام المهدي (عجل الله فرجه) على يد المجاهدين المؤمنين الذين يحملون سيوفهم في أيديهم، ويتقدمون نحو الشهادة، ويمهدون لقيام الحكومة العالميّة للإمام المهدي عليه السلام.

ورود في بعض الروايات أن ذلك سيقع في زمن ظهور صاحب العصر والزمان عليه السلام وآنذاك سيتم قمعهم واقتلاعهم من جذورهم[2].

---

(١) في مثل هذه الأيام نشهد التعديات الإسرائيلية المتكررة ومخطّطاتهم التوسيعة من النيل إلى الفرات، وتهجير المسلمين من وطنهم، وإيجاد الشبكات التجسسية في كل أنحاء العالم، وامتلاك الأبواق الإعلامية، وجمع عديدهم من الشرق والغرب والكثير الكثير من أعمالهم الموجبة للفساد في الأرض.

ومن جهة أخرى نشهد حصول الثورة الإسلاميّة، وظهور حزب الله في لبنان، والهجوم على إسرائيل لاسترجاع المسجد الأقصى؛ ولهذا ربما تكون في الآية الشريفة إشارة إلى هذه الأمور والله العالم.

(٢) انظر: تفسير نور الثقلين، وتفسير الفرقان، وتفسير الأمثل.

التعاليم:

١ ـ إن خيرنا وشرنا لا يضر الله ولا ينفعه بل نتيجة ذلك ستعود إلينا، ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾.

٢ ـ لا بد أولاً من ذكر الحسنات ومن ثم السيئات، ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ... وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾.

٣ ـ الإنسان حر مختار في ما يعمله ويقوم به، ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ... وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾.

٤ ـ الصعود والهبوط في التاريخ وكذلك القضاء على اليهود بعد علوهم واستكبارهم إنما هو وفق القوانين والسنن الإلهيّة، ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ﴾.

٥ ـ المساجد كانت على الدوام قاعدة لقوة الأديان ورمز قدرتها وعزتها، ولذا فإن تحرير المساجد من سلطة الكفار يعد أهم تكليف للمؤمنين، وبناءً عليه سيدخل رجال الله بيت المقدس لطرد اليهود المحتلين وقمعهم كما دخل المسلمون إلى المسجد الحرام يوم فتح مكة، ﴿...وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾.

٦ ـ من أجل تقوية الحق لا بد من قمع المستكبرين واقتلاعهم من جذورهم، ﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (٨)﴾

إشارات:

□ «حصيراً» مشتقة من «حصر» بمعنى الضيق والوقوع في الحصار (السجن والحبس)، ويقال للوطاء الذي يوضع على الأرض «حصيرة» و«حُصر» من جهة أن أنسجتها محصورة في بعضها البعض.

التعاليم:

١ ـ من غير الجائز اليأس والقنوط من رحمة الله؛ لذا فإن الله تعالى ترك الباب مفتوحاً أمام المفسدين للرجوع إليه، ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾.

٢ ـ لا بد من أن يكون محور عمل المربي هو الرحمة والمحبة، ﴿رَبُّكُمْ... يَرْحَمَكُمْ﴾.

٣ ـ من أساليب الهداية أن نتكلم أولاً عن الرحمة والمحبة ومن ثم استخدام التحذير والتهديد، ﴿يَرْحَمَكُمْ... عُدْنَا﴾.

٤ ـ إن قهر الله وغضبه يرتبط بأعمالنا وما نقدم عليه، ﴿...وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾.

٥ ـ الفساد الذي لا تعقبه التوبة سيؤدي إلى الكفر، ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾.

٦ ـ إن أهل النار ليس لهم أي طريق للفرار منه سبحانه، ﴿حَصِيرًا﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٠)﴾

إشارات:

□ يمكن تفسير قوله تعالى: ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ على نحوين:

أ ـ إن هذا القرآن يهدي إلى أكثر الطرق استقامة.

ب ـ القرآن يهدي أكثر الأمم والملل إلى الاستقامة.

التعاليم:

١ ـ لا محل للخرافات والأوهام في منطق القرآن الكريم، ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.

٢ ـ القرآن هو الكتاب الوحيد المشتمل على قوانين أبدية وثابتة، ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.

٣ ـ لا بد من الإيمان والعمل لنيل الأجر والثواب، ﴿الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾، وأما العذاب والدخول في أهل النار فيكفي فيه الكفر وحده، ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ... لَهُمْ عَذَابًا﴾.

٤ ـ العذاب الإلٰهيّ مهيأ منذ الآن، ﴿أَعْتَدْنَا﴾.

٥ ـ لا بد من وجود الخوف والرجاء إلى جانب بعضهما، ﴿أَجْرًا كَبِيرًا... عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ۝١١﴾

إشارات:

❑ تحدث القرآن مراراً وتكراراً عن العجلة وطلب الشر، ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾[١].

❑ ويتحدث في آية أخرى عن لسان الكافرين، إذ يقولون: ﴿...فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[٢]. ومن الواضح أن منبع هذه العجلة والاستعجال هو الجهل والتعصب والعناد.

❑ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنما أهلك الناس العجلة**»[٣]، لذا فأكثر الشرور التي يجنيها الإنسان على نفسه وأولاده سببها العجلة.

التعاليم:

١ ـ العجلة والتسرع من آفات فكر الإنسان وعمله، ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ... عَجُولًا﴾.

٢ ـ الإنسان ميال إلى الخير بفطرته، ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ وتشبيه دعاء الإنسان بالشر دعاءه بالخير يشير إلى ذلك.

٣ ـ إن كل الذين لم يهتدوا بهداية القرآن القويمة، ﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾؛ سيذهبون سراعاً نحو الشر، ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾.

٤ ـ العجلة موجودة في كل إنسان بذاته، لكن لا بد من أن نعرف موقع الاستفادة الصحيح منها، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾.

---

(١) سورة الرعد: الآية ٦.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٣٢.

(٣) بحار الأنوار، ج١٧، ص ٣٤٠.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾

إشارات:

□ ربما يكون السبب في تقديم القرآن غالباً الليل على النهار أن ظلمة الأرض من ذاتها وأما نورها فمن الشمس.

التعاليم:

١ ـ إن دوران الأرض حول نفسها، وحصول الليل والنهار، وكل تغيير فيهما، إنما هو طبق إرادة الله الحكيم وليس صدفة، ﴿جَعَلْنَا... فَمَحَوْنَآ... لِتَبْتَغُوا۟﴾.

٢ ـ النهار للعمل والليل للاستراحة والسكن، ﴿ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟﴾.

٣ ـ على الرغم من أن الفضل والرحمة من الله، إلا أنه يجب علينا السعي من أجل ذلك، ﴿لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

٤ ـ إن تهيئة مقدمات كسب الرزق من شؤون الربوبيّة الإلٰهيّة، ﴿لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

٥ ـ الرزق من الله، فلا نغتر بحيلتنا وذكائنا، ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

٦ ـ إن تدبير نظام الخلق ليس بلا أهداف، وفي هذا التدبير فإن محور الأهداف هو الإنسان، ﴿لِّتَبْتَغُوا۟... وَلِتَعْلَمُوا۟﴾.

٧ ـ الليل والنهار، تقويم طبيعي، دائم، عام، بسيط، وقابل للفهم والإدراك، ووسيلة لنظم أمورنا ومعاشنا، ﴿وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾.

٨ ـ كل شيء في نظام الخلق والوجود منظم وفق قوانين محددة لكل شيء على حدة، لئلا يلزم التصادم والتداخل فيما بينها، وكذلك لئلا يلزم الخلل والفساد فيها، ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾.

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «طائر» في هذه الآية كناية عن عمل الإنسان إذ إن أعمال الإنسان كالطائر الذي يطير ليصل إلى صاحبه، وبالتالي فإن كتاب كل إنسان بخيره وشره معلق برقبة الإنسان.

□ ذكر القرآن الكريم مراراً موضوع صحيفة أعمال الإنسان في آيات متعدّدة، منها:

١ ـ لكل إنسان صحيفة أعماله، ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾.

٢ ـ لم تترك هذه الصحيفة شيئاً إلا وذكرته، ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾[١].

٣ ـ المجرمون يخافون مما في صفائحهم وكتبهم، ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾[٢].

٤ ـ عندما يقرأ الإنسان ما في كتابه فإنه بنفسه يحاكم نفسه ويحاسبها، ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[٣].

٥ ـ المؤمنون الصالحون يُعطَون كتبهم بيمينهم وأما أهل النار فيؤتون كتبهم بشمالهم، ﴿أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ... بِشِمَالِهِۦ﴾[٤].

التعاليم:

١ ـ الحساب والكتاب لكل الناس بلا استثناء، ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ﴾.

٢ ـ كل الناس يحشرون ومعهم صفائح أعمالهم، ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾.

٣ ـ عمل الإنسان يلازمه، ﴿أَلْزَمْنَٰهُ... فِى عُنُقِهِۦ﴾.

---

(١) سورة الكهف: الآية ٤٩.

(٢) سورة الكهف: الآية ٤٩.

(٣) سورة الإسراء: الآية ١٤.

(٤) سورة الحاقة: الآية ١٩.

٤ ـ سعادة الإنسان وشقاؤه يرتبطان بعمله فقط، ولا يرتبطان بالصدف والحظوظ، ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾.

٥ ـ إن الله تعالى عالمٌ بكل أعمالنا، وإلزام كل إنسان كتابه في عنقه إنما هو لإفهام الإنسان نفسه، ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ﴾.

٦ ـ إن كل أعمال الإنسان وما يقوم به مكتوب، وعلى الرغم من عدم إحساس الإنسان في الدنيا بكتابة أعماله، إلا أنه في يوم القيامة سوف يفتح صحيفة أعماله ويعلن ما فيها، ﴿كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾.

﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾

إشارات:

□ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**يذكر العبد جميع ما عمل وما كتب عليه، حتى كأنه فعله تلك الساعة...**»[١].

□ قال الفخر الرازي: المراد من الكتاب هو روح الإنسان التي أثرت فيها أعماله، والمراد من القراءة هو الإدراك والفهم[٢]. وفي تفسير الميزان فسر الكتاب على أنه أعمال الإنسان نفسها.

□ ورد في الكثير من الروايات توصية الإنسان بمحاسبة نفسه قبل أن يحاسب يوم القيامة: «**حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا**»[٣]، ومن ثم فإن مثل هذه المحاسبة مقدمة ليقظة الإنسان، وعدم وجودها يشير إلى غفلته.

ورد في الحديث الشريف: «**من حاسب نفسه في الدنيا هان حسابه في الآخرة**»؛ ولذا يجب علينا في هذه الدنيا أن نقرأ بأنفسنا كتاب حياتنا وصحيفة أعمالنا لنغير ما فيها من نقص، ولنتوب إلى الله من سيئاتنا، ولنزيد فيها من أعمالنا الحسنة والصالحة[٤].

---

(١) تفسير نور الثقلين. (٢) التفسير الكبير.

(٣) بحار الأنوار، ج٧٠، ص ٧٣.

(٤) طلب أحد الآباء من ابنه أن يكتب كل ما يقوم به في يومه، ففعل الولد ذلك، وفي اليوم الثاني طلب =

التعاليم:

١ ـ في يوم القيامة، يقدر كل الناس على قراءة كتاب أعمالهم، ﴿ٱقْرَأْ﴾.

٢ ـ في يوم القيامة، سوف تستيقظ الأنفس، ﴿بِنَفْسِكَ﴾.

٣ ـ القيامة، هي المحكمة الوحيدة التي يحاكم فيها المجرم نفسه، ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾.

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾

إشارات:

☐ استناداً إلى الآية (٢٥) من سورة الأنعام، والآية (١٣) من سورة العنكبوت، وكذلك إلى الروايات الشريفة فإن أئمة الكفر والضلالة يحملون أوزارهم وذنوبهم، وأوزار أتباعهم وذنوبهم، دون أن يمحى أو يرفع أي شيء من ذنوب هؤلاء الأتباع؛ لأنهم هم الذين هيأوا أسباب ضلالة هؤلاء الأتباع ومقدماتها.

التعاليم:

١ ـ الإنسان حر في اختيار طريقه، ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ... وَمَن ضَلَّ﴾.

٢ ـ من اهتدى فالنفع يعود له ومن كفر وأعرض فالضرر يعود إليه أيضاً، ولن ينال الله أي نفع أو ضر، ﴿يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ... يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾.

٣ ـ كل إنسان سيُبتلى بما عمل وقدم، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

٤ ـ لا بد من الكلام أولاً عن الأمور الحسنة (الإيجابية)، ومن ثم عن الأمور السيئة (السلبية)، فقد وردت عبارة ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ قبل قوله ﴿وَمَن ضَلَّ﴾.

= منه أن يكرر ما قام به، فجزع الولد لذلك واستصعب الأمر، فطلب من والده أن يعفيه فقال له أبوه: يا ولدي العزيز هكذا تكتب كل أعمالك، بيد أن يوم القيامة سوف يكشف لك عن ذلك فتندم على ما فعلت (تفسير كشف الأسرار).

٥ ـ من سنن الله أن لا يعذب أي أحد أو أي أمة قبل البيان وإتمام الحجة، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾؛ ولذا فإن الله تعالى أرسل الأنبياء لهداية البشر منذ بدء الخلق.

٦ ـ لا يُكتفى بالعقل وحده لإسعاد البشرية، بل لا بد من هداية الأنبياء، ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.

٧ ـ من لوازم الآخرة إرسال الأنبياء وبعثهم؛ لأن استجواب الإنسان وسؤاله لا بد من أن يُسبق بأخذه التكاليف من الأنبياء المرسلين إليه، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾.

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾

إشارات:

- ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ أي أمرنا أكابر القوم وأشرافهم بالطاعة. الله تعالى لا يأمر بالفسق والمعصية، بل يأمر بالعدل والإحسان، وأما أسلوب إهلاكهم من قبل الله فبهذا النحو: إن الله يأمرهم بالطاعة فيخالف المرفهون المنعمون ما أمرهم الله به ويتبعهم سائر الناس في ذلك، وحينئذٍ يتحتم عليهم جميعاً قهر الله وإرادته ويحين نزول العذاب والغضب الإلٰهيّ.
- غضب الله الحكيم مرتبط بما قدمنا نحن من الذنوب والخصال السيئة، وإلا فإن الإله الرحيم لا يهلك قوماً عبثاً ودون سبب.

التعاليم:

١ ـ من جملة أساليب قهر الله وجزائه الإتراف والإغراق في النعم، ﴿أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾.

٢ ـ وجود الترف في المجتمع مقدمة لغضب الله تعالى، ﴿فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ...﴾.

٣ ـ السقوط الأخلاقي والاجتماعي في المجتمع إنما هو بيد رؤسائه المترفين، ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟﴾.

٤ ـ المرفهون المنعمون هم الذين يقفون أولاً في وجه دعوة الأنبياء؛ إذ إن الرفاه

يبعث على الفساد غالباً، ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا﴾.

٥ ـ إعطاء المهلة ـ إلى مدة ما ـ للعصاة هو من سنن الله، ﴿أَمَرْنَا، فَفَسَقُوا، فَحَقَّ﴾.

٦ ـ يجب علينا أن نأخذ تهديد الله على محمل الجد، فنسعى لإصلاح أنفسنا؛ إذ إن تحقق التهديد الإلٰهيّ وتنفيذه معلول لأعمالنا، ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾.

٧ ـ قبل إتمام الحجة لا يُنزّل عذاب الله، ﴿أَمَرْنَا... فَفَسَقُوا... فَحَقَّ... فَدَمَّرْنَاهَا﴾.

٨ ـ إن قهر الله وعذابه لشديد، ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾.

٩ ـ كل شيء وكل أمر إنما يتم وفق إرادة الله وقدرته، ﴿أَرَدْنَا، نُهْلِكَ، أَمَرْنَا، فَدَمَّرْنَاهَا﴾.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾

إشارات:

- تتكلم هذه الآية على انقراض نسل البشر وإهلاكهم وابتداء نظام جديد في حياتهم، وتشير إلى أن زمن نوح عليه السلام كان نقطة تحوّل في تاريخ البشرية، فالحياة قبل نوح عليه السلام كانت حياة بسيطة جداً وذات جمع محدود ولم يكن لها تاريخ مفعم بالأحداث، وبالتالي فإن دوام النسل البشريّ تم عبر بعض المؤمنين الذين حملهم نوح عليه السلام في سفينته.
- إن هذه الآية، ومضافاً إلى كونها تحذيراً للغافلين وعبرة للناس، فإنها كانت سبباً لتسكين رسول الله ﷺ وطمأنته إلى الكافرين إن لم يكفوا أيديهم عن الأذى فإن الله سيبتليهم بقهره وغضبه.
- من بعد قوم نوح ابتلى الله بقهره قوم عاد، ثمود، لوط، أصحاب مدين، فرعون، هامان، قارون، وأصحاب الفيل، ﴿مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾.

التعاليم:

١ ـ على مرّ التاريخ كثيرة هي الأمم والملل التي ابتليت بقهر الله وغضبه لعصيانها أوامره، ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾.

٢ ـ القهر الإلٰهيّ لا يختص بيوم القيامة، بل إن الله ينزل الهلاك في الدنيا أيضاً، ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾.

٣ ـ التاريخ منبع العبر والدروس، ﴿مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾.

٤ ـ يكفينا فقط في مقام تربية نفوسنا أن نلتفت إلى أن الله عالم بذنوبنا ومطلع عليها، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾.

٥ ـ لتعذيب المجرمين ومعاقبتهم يكفي علم الله فقط ولا حاجة إلى الشهود والبينة، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾.

٦ ـ الإنسان المذنب عبدٌ لله فقد قال تعالى: ﴿بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ﴾؛ ولم يقل: «بذنوب الناس».

٧ ـ الله تعالى: خبيرٌ بباطننا وبصيرٌ بظاهرنا، ﴿خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾

إشارات:

□ في المنظور القرآني طلبُ الدنيا وحبها والميل إليها مذموم؛ إذ يسبب الغفلة عن الآخرة وانحصار الأمنيات في الدنيا فقط، وقد أشير إلى هذا المطلب في الكثير من الآيات ومنها: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾[١]، و﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾[٢].

□ في عالم الماديّات يكثر النزاع والاختلاف ولن يصل كل إنسان إلى كل ما يريد ويتمنى، ولذا فإن هذا العالم محدود ومقدر بقدر ما يرتبط بماهيّة الشخص وماهيّة قدره ومقداره ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾. وأما في عالم المعنويات وحيث إنه لا تزاحم ولا محدودية فيه؛ فبإمكان كل واحد أن يصل إلى مقصوده، والطريق مفتوح أمام الجميع أيضاً: ﴿كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾[٣].

(١) سورة الروم: الآية ٧.
(٢) سورة النجم: الآية ٢٩.
(٣) سورة الإسراء: الآية ١٩.

التعاليم:

١ ـ الدنيا سريعٌ زوالها، ﴿ٱلْعَاجِلَةَ﴾.

٢ ـ خَلَقَ الله الإنسان وأعطاه الإرادة وحرّية الاختيار، إلّا أن إرادة الله هي الأصل والأساس، ﴿يُرِيدُ... لِمَن نُّرِيدُ﴾.

٣ ـ القبيح إنما هو طلب الدنيا وليس الدنيا في حد ذاتها، ﴿كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾.

٤ ـ إرادة الإنسان لا حد ولا حصر لها؛ ولكن لا بد من أن تُحَدَّ ضمن إرادة الله تعالى، ﴿مَا نَشَآءُ﴾.

٥ ـ إن كل طلاب الدنيا لم ولن يصلوا إلى دنياهم كما يريدون، ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾.

٦ ـ طلاب الدنيا على قسمين: قسم خسر الدنيا والآخرة، ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ﴾، والقسم الآخر يصل إلى بعض ما يريده منها، ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾.

٧ ـ قد يصل بعض طلاب الدنيا وأصحاب الأهداف المادّية إلى جاهٍ ومقام، إلا أنهم في الآخرة خاسرون، ﴿جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾.

٨ ـ مآل طلب الدنيا الندم والنار، ﴿جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾.

٩ ـ إن طلاب الدنيا، مضافاً إلى إحراقهم بالنار (العذاب الجسمي)، فإنهم يهانون أيضاً (العذاب الروحي)، ﴿يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾.

﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾

التعاليم:

١ ـ الإنسان حرٌ مختار وذو إرادة، ﴿مَنْ أَرَادَ﴾.

٢ ـ لا يمكن التحضير للآخرة دون سعي، ﴿وَسَعَىٰ لَهَا﴾.

٣ ـ لتحصيل السعادة الأخروية لا بد من سعي خاص لها، ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾.

٤ ـ الإيمان شرط لتحصيل النتائج من السعي الدنيوي، ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾.

٥ ـ من شروط السعادة الأخروية: الإيمان والسعي، ﴿كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾.

٦ ـ سعي المؤمنين ممدوح ومشكور سواء أدى إلى نتيجة أم لم يؤدِّ، ﴿كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾.

٧ ـ تحصيل الدنيا لطلاب الدنيا محتمل، ﴿عَجَّلْنَا... لِمَن نُّرِيدُ﴾، ولكن تحصيل الثواب للمؤمنين، طلاب الآخرة، قطعي، ﴿كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾.

٨ ـ إرادة الإنسان وسعيه لهما دور كبير في سعادته، ﴿أَرَادَ... سَعَىٰ... كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾.

٩ ـ شكر الآخرين على سعيهم عمل إلهي، ﴿كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾.

١٠ ـ شكر الله تعالى للمؤمنين أكبر من بساتين الجنّة؛ لأن شكر كل موجود إنما يكون بمقدار سعته الوجودية، ﴿كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾.

١١ ـ كل سعي وجهد مورد تقدير وشكر من الله تعالى، ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا... كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾.

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾

إشارات:

□ خلق الله الإنسان، ووضع تحت اختياره الإمكانات اللازمة، وابتلاه ليرى أعماله وحسن اختياره وليميز المتقربون إليه عن غيرهم، ومثالاً على ذلك مؤسّسة الكهرباء ومؤسسة الماء، فهما تضعا هاتين النعمتين بتصرف كل البيوت دون استثناء، ومن ثم فإن كل واحد من الناس إما أن يحسن أو يسيء الاستفادة منهما.

التعاليم:

١ ـ سنّة الله تعالى قائمة على وضع العطاء والنعم الإلٰهيّة بتصرف كل الناس، ونتيجة تعاملهم معها تظهر صفاتهم الحسنة أو القبيحة، ﴿كُلًّا نُّمِدُّ﴾.

٢ ـ لا يتنافى الإيمان بالله وطلب الآخرة مع الاستمتاع بالإمكانات المادّية الدنيوية، ﴿كُلًّا نُّمِدُّ﴾.

٣ ـ الألطاف الإلٰهيّة من شؤون الربوبيّة الإلٰهيّة والتفضل الإلٰهيّ، وإلا فلا استحقاق لنا عليه بشيء، ﴿عَطَآءِ رَبِّكَۚ﴾.

٤ ـ عطاء الله تعالى دائم ومستمر، ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾

إشارات:

❑ تفضيل بعض الناس على بعض على نحوين:

فتارة يستمد الإنسان عطاء الله بسبب الاستعداد والقابليات الذهنيّة والفكرية والظروف العائلية والجغرافية وأمثال ذلك، وكل هذا من لطف الله، ويلازمه تحمل المسؤولية والابتلاء والامتحان، وفي هذه الآية إشارة إلى هذا النحو من التفضيل.

وتارة أخرى يتم التفاضل على أساس الظلم، والاستثمار، وهذا النحو من التفضيل له حسابه الخاص به.

❑ قال النبي محمد ﷺ: **«وإنما يرتفع العباد غداً في الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم»**[١].

التعاليم:

١ ـ إن الالتفات والتنبيه إلى حكمة الاختلاف والتفاوت في الخلقة وبين الخلق يحتاج إلى التأمّل والتدقيق، ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا﴾.

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾

إشارات:

❑ رغم أن المخاطب بهذه الآية هو النبي الأكرم ﷺ، إلّا أن المقصود منها هو

---

(١) تفسير نور الثقلين.

عامة الناس، ومثل هذا الخطاب كثير في آيات القرآن الكريم، ومن جملته ما يرد في الآية اللاحقة إذ يقول تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾، فمع أن المخاطب بها هو النبي ﷺ إلّا أن المقصود منها عامة الناس، والدليل على ذلك أن النبي ﷺ فقد والديه منذ طفولته.

كذلك فإن المراد من قوله في هذه الآية «لا تجعل» هم عامّة الناس، وقد خوطب النبي ﷺ بهذا الخطاب باعتباره قائدهم.

التعاليم:

١ ـ في ظل التوحيد يكتسب الإنسان العزة، والعظمة، والمهابة. وأما الشرك بالله وعبادة غيره فإنه يجعل الإنسان وضيعاً وذليلاً، ﴿مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾.

٢ ـ اتّباع المذاهب غير الإلٰهيّة يجر الإنسان إلى الحسرة والخيبة والضياع، ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾.

٣ ـ المشرك ملوم ومذموم من قبل الله، والملائكة، والمؤمنين، والنفوس الواعية، وعقلاء العالم، ﴿مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾، فاللوم لم ينسب إلى أحد.

﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾

إشارات:

□ أوصت الأحاديث الشريفة بالإحسان إلى الوالدين وذمت الإساءة إليهما وأذيتهما، ومن جملة مضامين هذه الروايات ما يلي:

نظرة الرحمة إلى الوالدين ثوابها ثواب حجة مقبولة، رضاهما من رضا الله وغضبهما من غضب الله، إحسانُنا إلى الوالدين يطيل عمرنا ويورث إحسان أبنائنا إلينا أيضاً، وورد في الروايات أيضاً: إن ضرباك فلا تقل لهما أف، وأن لا يحد النظر إليهما، وأن لا يرفع اليد فوق أيديهما، وأن لا يمشي قدامهما،

وأن لا يسميهما باسمهما، وأن لا يفعل شيئاً يسبب السبّ لهما، وأن لا يجلس قبلهما، وأن يعطيهما قبل أن يسألاه[١].

- رُوي أن رجلاً كان في الطواف حاملاً أمه يطوف بها فرأى النبي ﷺ فسأله: هل أديتُ حقها؟ فأجابه ﷺ: **لا، ولا بزفرة واحدة**. ويقصد بالزفرة الواحدة الوجعة الواحدة أو الطلقة الواحدة التي تغشى الأم حين الولادة والوضع[٢].

- جاء رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله ﷺ، هل بقي من برّ أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟

قال: نعم. الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما[٣].

- شكا رجل إلى رسول الله ﷺ أباه وأنه يأخذ ماله، فدعا به، فإذا شيخ يتوكأ على عصا، فسأله فقال: إنه كان ضعيفاً وأنا قوي، وفقيراً وأنا غني، فكنت لا أمنعه شيئاً من مالي، واليوم أنا ضعيف وهو قوي، وأنا فقير وهو غني، وهو يبخل علي بماله، فبكى عليه الصلاة والسلام وقال: **ما من حجر ولا مدر يسمع هذا إلا بكى ثم قال للولد: أنت ومالك لأبيك**[٤].

- ورد في الحديث الشريف عن قوله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾، **قال: إن ضرباك فقل لهما: غفر الله لكما، فذلك منك قول كريم»**[٥].

- الإحسان إلى الوالدين من صفات الأنبياء ﷺ، قال الله تعالى في توصيف النبي عيسى ﷺ: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾[٦]، وقال عن النبي يحيى ﷺ: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾[٧].

- الوالدان لا ينحصران فقط في الأبوين الطبيعيين بل ورد في بعض الأحاديث أن النبي الأكرم ﷺ وأمير المؤمنين ﷺ أبوا الأمة[٨]، وكذلك ورد أن النبي

---

(١) تفسير نور الثقلين.
(٢) تفسير الأمثل.
(٣) تفسير مجمع البيان.
(٤) تفسير الفرقان.
(٥) الكافي، ج٢، ص ١٥٧.
(٦) سورة مريم: الآية ٣٩.
(٧) سورة مريم: الآية ١٤.
(٨) «**أنا وعلي أبوا هذه الأمة**» (بحار الأنوار، ج١٦، ص ٩٥).

إبراهيم عليه السلام أبو العرب[١] ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾[٢].

□ إذا التفت الوالدان إلى أنهما ذُكرا بعد التوحيد فسوف يحيا فيهما الباعث لدعوة أولادهما إلى التوحيد، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾.

التعاليم:

١ ـ التوحيد رأس كل التوصيات الإلٰهيّة، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾.

٢ ـ خدمة الأبوين والإحسان إليها من أوصاف الموحد الواقعي، ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾.

٣ ـ الأمر بالإحسان إلى الوالدين، كالأمر بالتوحيد، قطعي وثابت ولن ينسخ، ﴿وَقَضَىٰ﴾.

٤ ـ ورد الإحسان إلى الوالدين إلى جانب التوحيد وطاعة الله، ليشير إلى أن ذلك واجب عقلي ووظيفة إنسانيّة كما هو واجب شرعي أيضاً، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾.

٥ ـ لا بد للنسل اللّاحق من أن يرتبط ارتباطاً محكماً وقوياً تحت ظل الإيمان مع النسل السابق، ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾.

٦ ـ في مورد الإحسان إلى الوالدين لم يشترط كونهما مسلمين، ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾.

٧ ـ في أصل الإحسان إلى الوالدين لا يوجد أي فرق بين الأب والأم، ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾.

٨ ـ لا بد من الإحسان إلى الوالدين بأنفسنا ودون أي واسطة، ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾.

٩ ـ الإحسان أوسع من الإنفاق ويشمل: المحبة، الأدب، التعليم، المشورة، الطاعة، الشكر، والاعتناء بهما وأمثال ذلك، ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) سورة الحج: الآية ٧٨.

١٠ ـ الإحسان إلى الوالدين لا حدّ له، ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾؛ (وليس حاله كحال الفقير إلى أن يشبع، والجهاد حتى ترفع الفتنة، والصوم حتى الإفطار).

١١ ـ توصية القرآن بالإحسان موجّهة إلى الأبناء لا الوالدين، ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾؛ لأن الوالدين لا يحتاجان إلى أي توصية؛ لأنهما، وبشكل طبيعي، يحسنان إلى أولادهما.

١٢ ـ كلما اشتد احتياج الوالدين، جسدياً وروحياً، فإن الإحسان إليهما يصبح أكثر ضرورة، ﴿يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ﴾.

١٣ ـ لا ينبغي علينا أن نأخذ والدينا العاجزين إلى دار العجزة، بل ينبغي أن نحفظهما عندنا، ﴿عِندَكَ﴾.

١٤ ـ عندما ينهانا القرآن الكريم عن نهر السائل الغريب، ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾؛ يتضح حال الأب والأم حينئذٍ، ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾.

١٥ ـ مضافاً إلى لزوم الإحسان، لا بد أيضاً من القول الحسن والجميل، ﴿إِحْسَٰنًا... وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾. (بعد الإحسان إلى الوالدين فإن القول الكريم يعد من أهم الأساليب للتعامل معهما).

١٦ ـ في مورد الإحسان إلى الوالدين والقول الكريم لهما، لم يرد اشتراط المعاملة بالمثل منهما. وبعبارة أخرى: فإنه إذا لم يقولا لك قولاً كريماً فمع ذلك قل أنت لهما قولاً كريماً، ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾.

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

التعاليم:

١ ـ لا بد للولد، مهما علا شأنه، من أن يكون متواضعاً مع والديه وأن لا يفرض حاله وواقعه عليهما ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾.

٢ ـ التواضع أمام الوالدين لا بد من أن يكون قائماً على العطف والمحبة، وليس ظاهرياً ومصطنعاً أو بغرض أخذ أموالهما، ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا... مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾.

٣ ـ مضافاً إلى تواضع الولد أمام أبيه وأمه، لا بد من أن يسأل الله الرحمة لهما، ﴿وَٱخْفِضْ... وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا...﴾.

٤ ـ دعاء الولد مستجاب في حق أبويه وإلا لم يكن الله ليأمر بالدعاء لهما، ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾.

٥ ـ الدعاء للأبوين أمر من الله ومظهر لشكرهما، ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾.

٦ ـ لا نغفل عن كلمة «رب» في الدعاء، ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾.

٧ ـ الرحمة الإلٰهيّة جبران لعناء التربية من قبل الوالدين، ﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى﴾، وكأن الله تعالى يقول للولد: لا تفرط بالترحم عليهما، واطلب المدد والعون من الله تعالى لتأدية حقهما.

٨ ـ لا تنسب ماضيك والمرارات والمشاكل التي تحملتها إلى والديك في طفولتك وشبابك، ﴿كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾.

٩ ـ لا بد للوالدين أيضاً من أن يربيا أولادهما على أساس المحبة والرحمة، ﴿ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى﴾.

١٠ ـ يجب على الإنسان أن يعظم ويشكر كل من قام بتربيته، ﴿ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى﴾.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾

التعاليم:

١ ـ من شؤون ربوبيّة الله، علمه تعالى، ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ﴾.

٢ ـ الله تعالى مطلع على نياتنا في كل أعمالنا، ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ﴾.

٣ ـ الصلاح مرتبط بالنفس والنية، ﴿فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ﴾.

٤ ـ إذا صفا وصلح القلب والباطن فإن باب التوبة سيفتح، ﴿تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ... لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾.

٥ ـ لا بد من أن نكرر التوبة مع الإنابة تلو الإنابة، ﴿لِلْأَوَّٰبِينَ﴾.

٦ ـ الله رحمان رحيم، إلّا أن التوبة شرط لاستمداد المغفرة الإلٰهيّة، ﴿إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ... لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾.

٧ ـ لو بدر منا، جهلاً، أي تصرف غير لائق مع الوالدين فبإمكاننا من خلال التوبة استمداد الرحمة من الله، ﴿صَٰلِحِينَ... غَفُورًا﴾، مع لحاظ الآية السابقة.

٨ ـ العفو والرحمة من شؤون الربوبيّة الإلٰهيّة، ﴿رَّبُّكُمْ... غَفُورًا﴾.

٩ ـ التوبة علامة من علامات صلاح الإنسان، ﴿إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ... لِلْأَوَّٰبِينَ﴾.

١٠ ـ ربما يصدر أحياناً زلل ما من قبل الصالحين، بيد أن هذا التقصير يمكن جبرانه بالتوبة، ﴿إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ... لِلْأَوَّٰبِينَ﴾.

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾

إشارات:

- «التبذير» مشتق من «بذر» بمعنى تفريق المال والإسراف فيه كأن يستضيف شخصين فيضع طعاماً لعشرة مثلاً.
- عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**من أنفق شيئاً في غير طاعة الله فهو مبذر...**»[1].

  وأجاب سلام الله عليه من سأله: أيكون تبذير في حلال؟

  قال: «**نعم، حيث إن من يصرف ماله فلا يبقى له أي مال فقد بذر ماله في حلال**»[2].

- بعد نزول هذه الآية لم يدر النبي محمد صلى الله عليه وآله من هم فقال: يا جبرائيل سل ربك من هم؟ فقال فاطمة ذو القربى فأعطها فدكاً[3]، فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وآله إياها،

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٥، ص ٣٠٢. (٢) تفسير نور الثقلين.

(٣) «فدك»، وهي مزرعة كبيرة جداً أخذها النبي صلى الله عليه وآله بغير حرب ولا قتال فكانت لرسول الله صلى الله عليه وآله، ونظراً إلى محبة أهل البيت عليهم السلام وزهدهم وأمانتهم، ودعماً اقتصادياً ومالياً لهم لتبليغ خطهم ورسالتهم، ومحواً للفقر بين الأمة، قام رسول الله صلى الله عليه وآله بإعطائها لهم. إلا أنه بعد ارتحال رسول الله صلى الله عليه وآله انتزعها أبو بكر منهم، ومن ثم أرجعت إليهم في عهد عمر بن عبد العزيز، ومن ثم اغتصبت منهم، وبعد ذلك أرجعت إليهم في عهد المأمون، ومن ثم كذلك أعيد اغتصابها منهم. هذا وقد ذكرت التفاسير في ذيل هذه الآية بحوثاً تاريخية وحقوقية وسياسيّة متعدّدة حول فدك، إلا أننا ها هنا سوف نصرف النظر عنها جميعاً.

ولكن بعد ارتحال رسول الله ﷺ أخذت «فدك» بغير حق من أهل البيت عليهم السلام، وعندما طالب أهل البيت عليهم السلام بحقهم كانوا دائماً يستندون إلى هذه الآية الشريفة.

- ذكر المفسرون الشيعة والسنة أيضاً كالطبري مستلهمين من الروايات ما يلي: أن الإمام السجاد عليه السلام أثناء رحلة الأسر وعندما وصلت قافلة الأسارى إلى الشام وفي مقام الاحتجاج مع القوم الذين اعتبروا أسارى أهل البيت عليهم السلام من الخوارج وأنّ لا دين لهم، استند الإمام عليه السلام إلى هذه الآية وقال لهم: المراد من «ذا القربى» نحن أولئك الذين أمر الله نبيه أن يؤتيهم حقهم[١].
- ذكرت بعض الروايات أن الآية ترتبط بموضوع الخمس، وبعضٌ آخر ذكَر أن موضوع الآية أرقى بكثير من الأمور المادّية وقال إن الآية تأمر رسول الله ﷺ بأداء حق علي بن أبي طالب بالوصية له بالخلافة[٢].

وقيل إنّ موضوعها هو التبذير المنهي عنه فيها هو «العلو»[٣].

التعاليم:

١ ـ الأحكام الدينيّة تنسجم مع الفطرة، فالإنسان له تعلق فطري أولاً بالوالدين ومن ثم بالأقربين إليه.

فبالالتفات إلى ما ورد في الآيات السابقة وكذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ نرى أنّ الأمر بأداء الحق في الإسلام قائم على هذا الأساس أيضاً.

٢ ـ لا بد من مراعاة الأولويات في الإنفاق فنبدأ أولاً بالوالدين، ومن ثم الأرحام، ومن بعد ذلك الفقراء وابن السبيل، ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾.

---

(١) الاحتجاج للطبرسي، ج٢، ص ٣٣؛ تفسير نور الثقلين.

(٢) قال الإمام الصادق عليه السلام: **«وآت ذا القربى حقه فكان علي عليه السلام وكان حقه الوصية التي جعلت له، والاسم الأكبر ميراث العلم وآثار علم النبوة»** (الكافي، ج١، ص ٢٩٤).

(٣) تفسير الفرقان.

٣ ـ للأقرباء حق في رقابنا وبالتالي لا منة لنا عليهم، ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾.

٤ ـ القربى والفقراء وأبناء السبيل لهم حقوق خاصة، ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

٥ ـ لا يشترط الفقر في أداء حق ذي القربى، ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

٦ ـ لا بد من رعاية حد الاعتدال في الإنفاق وعدم تجاوزه، ﴿وَءَاتِ... وَلَا تُبَذِّرْ﴾.

٧ ـ الإسراف والتبذير في إنفاق المال وصرفه دون أي مبرر محرم، ﴿وَلَا تُبَذِّرْ﴾.

٨ ـ الإنسان ليس حرّاً في إنفاق ماله وثروته بأي نحو كان، ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾

إشارات:

- كلمة «الأخ»، مضافاً إلى معناها المتعارف، تطلق أيضاً بمعنى الملازم والصاحب، فيقال مثلاً «أخو السفر» لمن يسافر بشكل دائم، و«أخو الكرم» للإنسان الكريم. والأخ تارة أخ بالنسب وتارة أخرى بالسلوك والأفعال، فالمسرفون إخوان الشياطين من الناحية المسلكية، ﴿إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ أي الذين اتبعوا مسير الشيطان وكانوا معه.

- تكرَّر الكلام مراراً في القرآن الكريم عن وسوسة الشيطان وولايته على أتباعه، إلّا أن المورد الوحيد الذي عبر فيه بـ«إخوان الشياطين» ورد في هذه الآية الشريفة، أي أن المسرفين أعوان الشياطين يفعلون أفعالهم نفسها لا أنهم تحت إمرة الشيطان: وبعبارة أخرى: فإنهم تجاوزوا مرحلة الوسوسة وأصبحوا في مرحلة التعاون مع الشيطان وكما ورد في آية أخرى: ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[1].

- رغم استعمال «التبذير» غالباً في مورد المسائل المالية إلا أنه يصدق أيضاً في

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٣٦.

مورد النعم الأخرى من قبيل: هدر العمر والشباب، واستخدام الفكر، والعين، والأذن، واللسان في طريق الباطل، وإيكال المسؤوليات إلى الأفراد الفاسدين، وقبول المسؤولية دون لياقة تحمّلها وممن ليس أهلاً لها، وتعليم المسائل غير الضرورية وغير المفيدة وتعلّمها، وأمثال ذلك[١].

التعاليم:

١ ـ صرف الأموال والأملاك في غير موردها عمل شيطاني ونوع من عدم الشكر والتقدير لهذه النعم، ﴿ٱلْمُبَذِّرِينَ... إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾.

٢ ـ لا بد من تحقير المبذّرين وأهل الإسراف ولا ينبغي تقديرهم واحترامهم، ﴿إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾.

٣ ـ المؤمن أخو المؤمن: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٢] والمسرف أخو الشيطان: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ... إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾.

٤ ـ التبذير دليل على الكفر وعدم الشكر وليس دليلاً على الكرم والعطاء، ﴿ٱلْمُبَذِّرِينَ... لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾

إشارات:

□ تتكلم هذه الآية على كيفية التعامل المناسب مع الناس، ولذا فإن النبي ﷺ ـ وحتى في وقت الضيق وانتظاره السعة والرحمة الإلٰهيّة ـ كان إذا ما طلب منه أحد ما شيئاً ولم يكن عنده ما يعطيه كان يدعو له ويقول: **يرزقنا الله وإياكم من فضله**[٣].

□ لما طلبت فاطمة الزهراء عليها السلام من أبيها جارية لتعينها في أمور المنزل قال لها

---

(١) تفسير أطيب البيان.
(٢) سورة الحجرات: الآية ١٠.
(٣) تفسير اللاهيجي.

رسول الله ﷺ: «**يا فاطمة والذي بعثني بالحق إن في المسجد أربعمائة رجل ما لهم طعام ولا ثياب، ولولا خشيتي خصلة لأعطيتك ما سألت يا فاطمة...**» ثم علمها صلاة التسبيح[١] المعروفة بـ«تسبيحات الزهراء».

□ للقرآن توصيات في كيفية التكلم مع الناس ومن ذلك: ﴿قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ ﴿قَوْلًا لَّيِّنًا﴾[٢] ﴿قَوْلًا كَرِيمًا﴾[٣] ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾[٤] ﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[٥] ﴿قَوْلًا بَلِيغًا﴾[٦].

التعاليم:

١ ـ كان الأنبياء أيضاً لا يجدون أحياناً في أيديهم أي شيء يعينون به الآخرين ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾.

٢ ـ لا بد لنا من رجاء رحمة الله، ﴿رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾.

٣ ـ لا استحقاق لنا على الله، وما يعطيه لنا فبرحمته وفضله، ﴿رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾.

٤ ـ لا بد إلى جانب الرجاء من السعي أيضاً ولا يكفي أحدهما فقط، ﴿ٱبْتِغَآءَ... تَرْجُوهَا﴾.

٥ ـ المؤمن يبحث عن السعة والمقدرة لإعانة المحرومين، ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ﴾.

٦ ـ لا بد من أن نعتبر القدرات المالية من رحمة الله، ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾.

٧ ـ الإمكانات المادّية إنما هُيِّئت لتربية الإنسان وتكامله، ﴿رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾.

٨ ـ فاقد الشيء عذره مقبول في ترك الإنفاق وعدم إعانة الآخرين مادّياً، ﴿تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ...﴾.

٩ ـ إذا لم نقدر على قضاء حوائج الشخص المالية فعلى الأقل لا بد من اجتذاب قلبه والتخفيف عنه بالكلام الجميل واللائق به، ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.
(٢) سورة طه: الآية ٤٤.
(٣) سورة الإسراء: الآية ٢٣.
(٤) سورة النساء: الآية ٩.
(٥) سورة النساء: الآية ٨.
(٦) سورة النساء: الآية ٦٣.

١٠ ـ إذا وعدتم الفقراء فعدوهم بما تقدرون على الوفاء به لئلا تتعقّد الأمور بشكل أكبر، ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾

إشارات:

- عن الإمام الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿...فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾، قال: «**الإحسار الفاقة**»[1].
- ذكر بعضهم أن قوله «ملوماً» يرتبط بأول الآية أي البخل وأن قوله «محسوراً» يرتبط بآخرها أي الإسراف.
- روي أن امرأة أرسلت ابنها إلى النبي ﷺ وطلبت منه أن يعطيها قميصه للتبرك به فأعطاها النبي ﷺ قميصه ولم يكن عنده غيره فلم يخرج إلى الصلاة لذلك، فنزلت هذه الآية لتقول له: ليس السخاء أن تعطي قميصك الأوحد الذي ليس لك غيره.

وفي رواية أخرى أنه جيء إلى رسول الله ﷺ بمقدار من الذهب فأنفقه جميعاً في وقته، وفي اليوم التالي جاءه فقير فسأله أن يعطيه شيئاً مما عنده فلم يكن عنده ما يعطيه، فلامه السائل، واغتم هو، إذ لم يكن عنده ما يعطيه، فأنزل الله تعالى هذه الآية يعلم رسوله ﷺ كيفية الإنفاق[2].

التعاليم:

١ ـ لا بد للمؤمن من أن يبتعد عن البخل وأن يساعد الآخرين، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾.

٢ ـ الإسلام دين الاعتدال والوسط حتى في الإنفاق، ﴿وَلَا تَجْعَلْ... وَلَا تَبْسُطْهَا﴾.

٣ ـ الإفراط والتفريط مذمومان، والاعتدال وحده الحسن الممدوح: ﴿وَلَا تَجْعَلْ... وَلَا تَبْسُطْهَا﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين. (٢) تفسير نور الثقلين.

٤ ـ نتيجة الإسراف والإفراط في الإنفاق القعود في البيت مع الملامة والحسرة، ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾.

٥ ـ الإسلام لا يرضى أبداً بذلّة المسلمين؛ ولذا فإنه نهى عن كل ما يوجب إذلالهم، ﴿وَلَا تَجْعَلْ... وَلَا تَبْسُطْهَا... فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾.

٦ ـ التنبه إلى العواقب السيئة لأي عمل يسبب الابتعاد عنه، ﴿وَلَا تَجْعَلْ... فَتَقْعُدَ...﴾.

٧ ـ النظرة المستقبلية من أهم أصول الإدارة، ﴿وَلَا تَجْعَلْ... فَتَقْعُدَ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

إشارات:

□ بحث في القرآن الكريم بشكل واسع عن الرزق، وسوف نشير هاهنا إلى بعض مضامين هذه الآيات على النحو التالي:

أ ـ رزق كل دابة في عهدة الله ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[(١)].

ب ـ منبع الرزق في السماء ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾[(٢)]

ج ـ لو بُسط الرزق لكل الناس لانتشر الفساد في الأرض، ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[(٣)].

د ـ لا بد للناس من السعي والبحث عن الرزق، ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾[(٤)].

هـ ـ التقوى من أهم أسباب السعة والفرج وتوجب الزيادة في الرزق، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[(٥)].

□ قال الإمام علي عليه السلام: «**قدَّرَ الأرزاقَ فكثَّرَها أو قلَّلَها، وقسَّمَها على الضيق**

(١) سورة هود: الآية ٦.
(٢) سورة الذاريات: الآية ٢٢.
(٣) سورة الشورى: الآية ٢٧.
(٤) سورة العنكبوت: ١٧.
(٥) سورة الطلاق: الآية ٢.

والسعة، فعدّل فيها ليبتليَ من أراد بميسورها ومعسورها، وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيها وفقيرها»[١].

التعاليم:

١ ـ قلة الرزق والزيادة فيه بيد الله تعالى، ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾.

٢ ـ السعة في الرزق أو قلة الرزق من شؤون الربوبيّة الإلٰهيّة ومن أجل رشد الإنسان وتربيته، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ... وَيَقْدِرُ﴾.

٣ ـ إرادة الله قائمة على أساس بصيرته وعلمه، ﴿لِمَن يَشَآءُ... خَبِيرًا بَصِيرًا﴾.

٤ ـ لا تبخلوا في الإنفاق خوفاً من الفقر. ولا تنفقوا كل أموالكم دفعة واحدة لرفع فقر الآخرين، فالرزق بيد الله وفقر بعض الناس إنما هو لحكمة اقتضت ذلك، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ... إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾

إشارات:

□ «الإملاق» هو الافتقار والاحتياج.

□ تحكي هذه الآية صورة الوضع الاقتصادي التعيس في الجاهلية. وفي هذه الأيام بما أن بعض الدول تجيز إسقاط الجنين خوفاً من تكاثر عدد السكان والأوضاع الاقتصاديّة فهي تعيش نوعاً من الجاهلية أيضاً.

□ في الآية (١٥١) من سورة الأنعام يربط الله تعالى قتل الأولاد بالفقر ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ﴾، وأما في هذه الآية فإنه يربطه بالخوف من الفقر ﴿خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ﴾.

ويقول في الآية الأولى عن الفقر: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾، وأما في هذه الآية فإنه يقول في الخوف من الفقر: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾؛ وحيث إن الخوف

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٩١.

من الفقر أكثر قلقاً وتأثيراً، تكفل الله تعالى أولاً برزق الأولاد ومن ثم الآباء ليقلل من القلق والخوف[١].

وربما يكون السر في هذا التفاوت بين الآيتين أن الجوع حاصل الآن وأما خوف الفقر فإنه في المستقبل ولذا فإنه قال في الآية الأولى: نحن الآن نرزقكم أنتم ونرزق أبناءكم؛ وأما في الآية الثانية الحاكية عن خوف الفقر فإنه قال: لا تقلقوا نحن سنرزق أبناءكم وسنرزقكم أنتم أيضاً.

التعاليم:

١ ـ للولد حق في الحياة، ولذا لا يحق للوالدين أن يسلباه هذا الحق، ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ﴾.

٢ ـ الفقر وقلة ذات اليد يؤثران حتى على أقوى الناس عاطفة، ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾.

٣ ـ الخوف من ضرر الفقر وآثاره لا يجوّز ارتكاب المعصية وتجاهل حقوق الآخرين، ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾.

٤ ـ إذا لم يكن الأمن النفسي والإيمان موجودين عند الإنسان، فلن يؤدّي الفقر فقط إلى قتل الأولاد بل الخوف من الفقر أيضاً سوف يؤدّي إلى ذلك، ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ... خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾.

٥ ـ التنبه والالتفات إلى الضمانات الإلٰهيّة سوف يمنعان من الوقوع في المعاصي، ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ... نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ﴾.

٦ ـ لا تغفلوا عن الإيمان والتوكل، ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ﴾.

٧ ـ الله أرحم من الآباء والأمهات لذا لا تسيؤوا الظن به، ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ﴾.

٨ ـ الرزق بيد الله، ومن ثم فإن كثرة عدد السكان لا أثر له، ولذا فإن الولد ليس من أسباب الفقر، ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾.

---

(١) تفسير في ظلال القرآن؛ وتفسير الفرقان.

٩ ـ أحياناً يكون رزقنا في ظل رزق الأولاد، ﴿نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾.

١٠ ـ قتل الأولاد وإسقاط الجنين معصية وجريمة سواء أكانوا ذكوراً أم إناثاً، ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم... خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾.

١١ ـ الذنوب ليست على حد سواء؛ إذ توجد ذنوب صغيرة وذنوب كبيرة أيضاً، ﴿خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾

إشارات:

❑ العلاقات الجنسيّة غير الشرعيّة، أي الزنا، ذات مفاسد وأضرار فردية واجتماعيّة وعائلية كبيرة؛ ولذا فإن الزنى محرم في الإسلام. وقد ذُكر في القرآن الكريم إلى جانب الشرك والقتل[١] والسرقة[٢]، ومن مفاسد الزنا ما يأتي:

١ ـ الزنا مصدر للكثير من النزاعات والاختلافات، وكذلك سبب للانتحار، والفرار من البيوت، والأولاد غير الشرعيين، والأمراض الناجمة عن العلاقة الجنسية، والقلق والاضطراب عند العائلات الشريفة والمحترمة.

٢ ـ الزاني والزانية إنما يقصد أحدهما الآخر من أجل شهوته فقط، ولذا لن تجد الألفة والمحبة والأنس والسكن بينهما.

٣ ـ الزاني أو الزانية لن ينظر أحدهما إلى الآخر على أساس أنه شريك في الحياة بل على أنه وسيلة لإطفاء الشهوة فقط.

٤ ـ الزنا سبب هام لقلة تشكيل العائلة عن طريق الزواج، ويوجب عدم تحقق الروابط العائلية، وكذلك يوجب قطع صلة الأرحام. وبعبارة أخرى: فإن فتح باب الزنا سوف يؤدي إلى عدم الرغبة في الزواج.

٥ ـ مع الزنا لن يبقى أي إحساس بتحمل المسؤولية والتكليف والالتزام ببقاء

---

(١) ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾.

(٢) ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ﴾ (سورة الممتحنة: الآية ١٢).

النسل وتربية الأطفال، وبالتالي سوف يزول من البيت حسّ الأبوة والأمومة.

٦ ـ يؤدي الزنا إلى الهرج والخلل في نظام الإرث، ولن يُعلم الوارث الواقعي حينئذ.

٧ ـ الزنا: **«يذهب بالبهاء ويعجل الفناء»**[1].

٨ ـ حيث إن ارتكاب الزنا يحتاج أحياناً إلى بذل الجهد والإنفاق؛ لذا فإن الزاني، ومن أجل إرضاء هوسه وهواه، يرتكب في سبيل ذلك الكثير من الذنوب والمعاصي، ولذلك فإنه أحياناً، ومن أجل وصوله إلى مبتغاه، قد يقوم بالتهمة والتخويف والسرقة بل قد يرتكب القتل أحياناً.

٩ ـ ظهور الأولاد غير الشرعيين والفاقدين للهويّة والنسب في المجتمع، وهؤلاء يشكلون أرضية مناسبة للفساد والجرائم ومصاديق واضحة وبينة للفحشاء في المجتمع.

❑ قدم الإسلام العديد من البرامج للوقاية من الزنا ومنها:

١ ـ منع الاختلاط بين الرجال والنساء في بعض الأماكن.

٢ ـ منع الخلوة بين الرجل والمرأة الأجنبية (أي المرأة التي ليست من محارمه).

٣ ـ حرمة تزين المرأة لغير محارمها من الرجال.

٤ ـ حرمة النظر إلى غير المحارم، والمصافحة بين الرجل والمرأة من غير المحارم، واجتناب التفكير بالزنا، ومشاهدة الصور والمشاهد المثيرة للشهوة.

٥ ـ العقوبة الشديدة للزاني والزانية.

٦ ـ التوصية بتعجيل الزواج وتقليل المهور.

٧ ـ ذم التأخر في الزواج.

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٧، ص ٥٨.

٨ ـ اعتبار التزويج والسعي من أجل العائلة عبادة.

٩ ـ الترغيب في الزواج المؤقت.

التعاليم:

١ ـ بعض الذنوب لها جاذبية إلى حدٍّ حُذر معه من خطر الاقتراب منها، ﴿لَا تَقۡرَبُواْ﴾.

٢ ـ لا ينبغي الابتعاد عن الزنا فحسب، بل عن مقدماته أيضاً (فأحياناً ربما نظرة واحدة فقط، أو اتصال هاتفي، أو مجرد رسالة، أو لقاء يساهم في تهيئة الأرضية اللازمة للارتباط غير المشروع)، ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ﴾.

٣ ـ إن الزنا، وعلى مر التاريخ، عمل قبيح ومذموم ومحرم في الأديان الأخرى أيضاً، ﴿كَانَ فَٰحِشَةٗ﴾.

٤ ـ في مقام النهي عن المنكر لا بد من بيان مساوئ الذنوب، ﴿لَا تَقۡرَبُواْ... وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾.

٥ ـ الزنا معصية في حد نفسه ومضافاً إلى ذلك فإنه طريق لارتكاب المعاصي الأخرى، وكذلك فإنه سبب لسوء العاقبة، ﴿وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾.

﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴿٣٣﴾﴾

إشارات:

- ﴿فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ﴾ أي لا تقتلوا في القصاص أكثر من القاتل أو لا تمثلوا بجثة المقتول، وهذا ما كان متعارفاً في الجاهلية.
- قتل النفس من الذنوب الكبيرة: ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾[١].

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣٢.

❑ ورد في الروايات أن الإمام المهدي ﷺ مصداق من مصاديق «لوليه»، إذ سيقوم ﷺ بالانتقام والثأر لمقتل جده العزيز الإمام الحسين ﷺ[1]، ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾.

❑ دفاع الله تعالى عن المظلوم وإيكال حق القصاص إلى ولي الدم من العوامل الرادعة عن القتل، وكذلك عن الإسراف في القصاص، ﴿جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾.

التعاليم:

١ ـ لكل إنسان الحق في الحياة بما في ذلك غير المسلم إذا لم يكن في حالة حرب مع المسلمين فهو مصون النفس والمال، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ﴾.

٢ ـ القانون الإلٰهيّ محور القيم والحرمات، ﴿حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾.

٣ ـ الانتحار حرام، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾.

٤ ـ في نظر الإسلام من الجائز قتل بعض الناس أحياناً بالحق، كما في القصاص، الدفاع، الارتداد، اللواط، أو الزنا مع الإحصان، ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾.

٥ ـ لا بد من حماية المظلوم ونصرته أياً يكن، ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا... مَنصُورًا﴾.

٦ ـ جعل حق القصاص إنما هو لنصرة المظلوم، ﴿جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾.

٧ ـ لأولياء المقتول الحق في القصاص وقتل القاتل، ﴿جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾.

٨ ـ لا بد في القصاص من إطفاء ثائرة الغضب ورعاية العدالة، ﴿فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ﴾، لذا فإن الإسلام اشترط العدالة في مورد المعتدين على أنفس الناس والقاتلين، وعليه لا يحق لأولياء المقتول أن يقتلوا أكثر من القاتل بعنوان القصاص ولا يحق لهم سوء الاستفادة من هذا القانون.

٩ ـ إياكم والمثلة في القتيل، ولا بد لكم من مراعاة المروءة في نوع القصاص وكيفيته، ﴿فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ﴾.

١٠ ـ نصرة المظلوم من السنن الإلٰهيّة، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾﴾

إشارات:

- «الأشد» من «شد» يطلق على العقدة القوية المستحكمة. والمراد منه هنا وصول اليتيم إلى مرحلة الرشد، واستحكام قوته الجسمية والروحية، وقدرته على حفظ ماله.
- أوصى القرآن مراراً بحفظ حق اليتيم ومراعاة حاله، وتكفل اليتامى وإدارة أمورهم، ولكن إذ يحتمل جداً وسوسة المال، وبالتالي سوء الاستفادة من أموال الأيتام؛ لذا شدد الله على التحذير من ذلك، بل نهى حتى عن الاقتراب من ماله، وذكر أن من يأكل مالهم ظلماً إنما هو يأكل في بطنه ناراً[(١)].
- روي أنه عندما نزلت هذه الآية انطلق المسلمون فعزلوا طعامهم عن طعام الأيتام وشرابهم عن شرابهم بل واعتزلوهم، فاشتد ذلك عليهم، فنزلت آية أخرى تبين لهم أن المراد من الاقتراب هو سوء الاستفادة من مال اليتيم، وإلا فلا ينبغي للصالحين أن يتركوا الأيتام لحالهم بحجة التقوى: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾[(٢)].
- نقرأ في حديث شريف أن المراد بالعهد الذي سيسأل الله تعالى عنه هو محبة الإمام علي عليه السلام وطاعته [(٣)].

التعاليم:

١ ـ الإسلام سند المحرومين والضعفاء واليتامى، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾.

٢ ـ لا بد من التحذير بشكل أكبر[(٤)] في كل موضع يحتمل فيه سوء الاستفادة،

---

(١) سورة النساء: الآية ١٠. (٢) سورة البقرة: الآية ٢٢٠.

(٣) بحار الأنوار، ج٢٤، ص ١٨٧.

(٤) ولهذا السبب فإن أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة أكثر الوصية في رعاية حق الأجير، والمزارع، =

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾.

٣ ـ إن وسوسة المال كبيرة إلى حد ذكر معه أن مجرد الاقتراب منه معصية ومحرم، ﴿لَا تَقْرَبُوا﴾.

٤ ـ الأطفال لهم حق التملك، ﴿مَالَ الْيَتِيمِ﴾.

٥ ـ الإرث أحد أسباب التملك، ﴿مَالَ الْيَتِيمِ﴾.

٦ ـ التصرف في مال الأيتام مشروط برعاية أفضل الطرق وأكثرها نفعاً له، (إذا كانت منفعة اليتيم تقوم على تشغيل ماله فلا بد من القيام بذلك وعدم الإهمال فيه)، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا... إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

٧ ـ وضع مال اليتيم في غير موضعه ممنوع، ولا يجوز أكل ماله ظلماً وامتلاكه عدواناً، ﴿لَا تَقْرَبُوا... إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

٨ ـ الزمان المناسب لدفع مال اليتيم إليه إنما هو عند بلوغه القوة الفكرية والاقتصادية والجسمية، ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾.

٩ ـ أوفوا بالعهود مهما كانت ولأي شخص أعطيت، ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾.

١٠ ـ التفات الإنسان إلى أنه مسؤول يردعه عن الذنب والمعصية، ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾.

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾

إشارات:

- «القسطاس» أي الميزان[١]. ورد في الحديث الشريف أن الإمام المعصوم عليه السلام هو مثال ومصداق «القسطاس المستقيم» في المجتمع الإسلامي[٢].
- إن مسائل البيع والشراء والتجارة ورعاية حقوق الناس في المعاملات مهمة إلى

= والمرأة، واليتيم، وكمثال على ذلك قال في حق الأيتام: «**الله الله في الأيتام**» (نهج البلاغة، الكتاب ٤٧).

(١) تفسير الميزان.

(٢) بحار الأنوار، ج٢٤، ص ١٨٧.

حد أن القرآن الكريم تعرض لها مراراً وأكد عليها، بل إن أطول آية[١] في القرآن ترتبط بذلك، وفي القرآن سورة كاملة باسم «المطففين». كذلك فإن أول ما دعى به بعض الأنبياء ﷺ، كالنبي شعيب عليه السلام، كان ترك التطفيف[٢].

التعاليم:

١ ـ لا بد من الابتعاد عن الغش والتطفيف في سوق المسلمين، ولا بد للبائع المسلم من أن يكون أميناً ووفياً ومخلصاً وعادلاً في التعامل مع الناس، ﴿أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾.

٢ ـ الوفاء بالكيل والميزان من المصاديق البارزة للوفاء بالعهد الذي ورد في الآية السابقة؛ لأن المعاملة نوع من التعهد، ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ... وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾.

٣ ـ لا بد من أن يكون الميزان وغيره من وسائل التوزين والتقييم والمحاسبات التجارية دقيق لا عيب فيه، ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾.

٤ ـ الدقة في الميزان والوزن والمحاسبات من أسباب الخير والبركة، أما التطفيف فإنه ينزع الخير والبركة، ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾.

٥ ـ فلسفة القوانين الإلٰهيّة هي الخير لبني الإنسان، ﴿أَوْفُوا۟... وَزِنُوا۟... ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾.

٦ ـ السلامة الاقتصاديّة أفضل من التملك وكسب المال عبر التطفيف؛ إذ إن التعامل السليم والصحيح ورعاية حقوق الناس ينفع الإنسان نفسه؛ لأن ذلك موجب للأطمئنان والثقة. وأما التطفيف والخداع في الميزان والحساب فسوف يجر المجتمع إلى الفساد المالي وسلب الثقة بين أفراده، ولذا فإن النتائج والعواقب الحسنة تقوم على الصدق والسلامة في التعاطي الاقتصادي ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾.

٧ ـ الكسب الصحيح والسليم يوجب حسن العاقبة ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، فالتطفيف وإن أدى إلى النفع والربح الموقت، إلا أنه سبب لسلب الاعتبار الدنيوي ومقدمة للعذاب الأخروي وسوء العاقبة.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.
(٢) سورة الشعراء: الآيات ١٨١ ـ ١٨٣.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾

إشارات:

- إن ذكر العين والأذن والقلب في هذه الآية ربما يكون من باب المثال والمصداق؛ لأنه في يوم القيامة، ومضافاً إلى الإنسان نفسه، فإن يده ورجله وسائر أعضائه سوف تسأل أيضاً[١]، وسوف تنطق كلها وتشهد وتعترف[٢].
- إن الكثير من الفتن والنزاعات التي حصلت على مر التاريخ كان سببها التسرع في الحكم، أو الكلام الكاذب الذي لا دليل عليه، أو النظريات الباطلة غير القائمة على التحقيق والعلم؛ ولذا فإن العمل بهذه الآية الشريفة سوف يحصّن الفرد والمجتمع من الوقوع في الخداع والأباطيل والأخطاء؛ لأن التسرع في حسن الظن في غير موضعه والتسرع في التصديق والأخذ بالشائعات سوف يؤدّي بالمجتمع إلى الذلة والاستسلام للأعداء.
- التقليد الأعمى والباطل، واتّباع العادات والخيالات والأوهام، واتّباع الأسلاف، والتصديق بالتوقعات والتنبوءات والمنامات والحدس والظن، والحكم دون علم، والشهادة دون علم (الكاذبة والباطلة)، والانحياز وأخذ المواقف، والمدح أو الانتقاد دون علم، والتفسير والتحليل والكتابة والإفتاء دون علم، ونقل المسموعات التي لا أساس لها والشائعات، ونسبة أي شيء إلى الله والدين دون علم، والتسرع في اتخاذ القرارات دون دليل أو برهان عند اضطراب الأوضاع والأزمات، والاستناد إلى الحلف الكاذب، والدموع الكاذبة عند بعض الناس... كل ذلك يعد من مصاديق: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ ويمنع القيام بها.
- بمقتضى الروايات المتواترة والمعتبرة فإن اتّباع الأصول القطعيّة الشرعيّة (نظير

---

(١) سورة النور: الآية ٢٤؛ سورة يس: الآية ٦٥؛ سورة فصلت: الآية ٢٠.

(٢) ربما يكون قوله تعالى: «كل أولئك» إشارة إلى كون هذه الأعضاء الثلاثة من باب المثال، وإلا فمن دون قوله «كل أولئك» يتم معنى الآية أيضاً.

فتوى المجتهد أو العلم الاطمئناني القريب من اليقين) اتّباعٌ للعلم. فكما يحصل للناس العلم بوصفة الطبيب المتخصص، كذلك فإن فتوى المجتهد الجامع للشرائط والتقي يحصل منها العلم بحكم الله، وبناء على ذلك فإن هذا المستوى من العلم كافٍ رغم أن للعلم درجات ومستويات أعمق وهي: علم اليقين، حق اليقين، وعين اليقين.

❑ إن الأئمة المعصومين عليهم السلام كانوا يردعون أصحابهم عن سماع أي كلام كان أو قوله، وكانوا يوصونهم أن يكونوا حراساً على قلوبهم وأسماعهم، وكانوا يستندون في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾.

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال منبهاً ذلك الرجل الذي كان يطيل القعود في المرحاض ليسمع غناء بعض الجيران: **«يا حسن:** ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ ثم قال: **السمع ما وعى، والبصر ما رأى، والفؤاد ما عقد عليه»**.

وعن الإمام السجاد عليه السلام: **«ليس لك أن تتكلم بما شئت»**[1].

التعاليم:

١ ـ لا بد من أن تكون حياتنا على أساس العلم والمعلومات الصحيحة والمنطق والبصيرة، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾.

٢ ـ ينبغي علينا ألا نساهم في إشعال سوق الشائعات، وألا نذهب بماء وجه الآخرين وندوس على حقوقهم، ﴿وَلَا تَقْفُ﴾.

٣ ـ القرآن الكريم يحذر من السحرة، والكهنة، والمتنبئين الذين يجمعون الناس البسطاء من حولهم، ويسحب البساط من تحت أرجلهم، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

٤ ـ المعرفة لا تنحصر بالحواس بل القلب أيضاً واحد من طرق المعرفة، ﴿ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ﴾.

٥ ـ في يوم القيامة يسأل الإنسان عما في باطنه ونواياه، ﴿وَٱلۡفُؤَادَ﴾.

٦ ـ الإيمان بالقيامة ومحاسبة الله لنا باعثان على التقوى، ﴿كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾.

٧ ـ سوف نسأل عن سوء استفادتنا من أجسامنا وما وضعه الله من إمكانات في خدمتنا، ﴿كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾.

﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ﴿٣٨﴾﴾

إشارات:

□ مضافاً إلى المسائل العقدية، السياسية، العسكرية، والاقتصادية فإن للأمة الإسلاميّة مسائل وأحكاماً حتى في الأمور الجزئية، كالذهاب والإياب من وإلى البيت، ومن جملة ذلك:

أ ـ ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ﴾[١] أي كن معتدلاً في مشيك.

ب ـ ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ﴾ أي بطراً متكبراً مغروراً بنفسك.

ج ـ ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾[٢] أي يمشون بالدعة والرفق غير متكبرين في مشيهم.

د ـ ذم القرآن الكريم قارون الذي كان يخرج على قومه في الشوارع والطرقات والأسواق بكل تكبر وزينة وجبروت[٣].

---

(١) سورة لقمان: الآية ٦١.

(٢) سورة لقمان: الآية ٦٣.

(٣) سورة القصص: الآية ٧٩.

❑ نقرأ في سيرة نبي الإسلام أنه كان حتى في يوم فتح مكة راكباً على حمار دون سرج.

وكان الإمام الحسن المجتبى عليه السلام رغم امتلاكه للعديد من المراكب يمشي راجلاً إلى مكة.

وهذا دليل على تواضع أولياء الدين سلام الله عليهم. ويذكر الإمام علي عليه السلام في صفة المتقين أن **«مشيهم التواضع»**[1].

التعاليم:

١ ـ التكبر بحسب القرآن مذموم حتى أثناء المشي، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾.

٢ ـ لعلاج التكبر، لا بد من الالتفات إلى العجز والضعف، ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ﴾.

٣ ـ خصال الإنسان الباطنية تؤثر على سلوكه، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾.

٤ ـ قبح الأعمال السيّئة ثابت في كل الأديان الإلٰهيّة، ﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ... مَكْرُوهًا﴾.

٥ ـ أوامر الله ونواهيه إنما هي لتربية الإنسان ورشده وتكامله، ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾

إشارات:

❑ ذكر بعض المفسرين أن المراد من «الحكمة» هي الأحكام الثابتة التي ذكرت في الآيات السابقة والتي كانت موجودة أيضاً في الأديان السابقة ولم تنسخ.

ففي الآية (٢٢) كان الأمر بالنهي عن الشرك أول الحكمة ومبدأها، وفي هذه الآية أيضاً فإن النهي عن الشرك هو آخر الحكمة.

❑ عندما يخاطب الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله بالشدة أحياناً فإنه في الواقع يحذر الكفار

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة، ١٩٣.

بأن يقطعوا رجاءهم وأملهم بالنبي ﷺ، ومن ذلك قوله ها هنا للنبي ﷺ: إذا لجأت إلى غير الله فسوف تلقى في جهنم.

التعاليم:

١ ـ إن أوامر الله ونواهيه تقوم على الحكمة والعلم بحاجات البشر التربوية وهي مطابقة للعقل أيضاً، ﴿أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾.

٢ ـ العقل والفطرة لا يغنيان الإنسان عن الوحي بل هو محتاج إليه دائماً، ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾.

٣ ـ يكفي في معرفة قبح الشرك أن النبي ﷺ نفسه لو سلك مسلكه لألقي في جهنم، ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ﴾.

٤ ـ باستثناء طريق الوحي والقانون الإلٰهيّ فإن كل الطرق والمذاهب الأخرى تؤدي إلى الضلال والخسران والملامة ودخول النار، ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ... فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ﴾.

٥ ـ عاقبة الشرك دخول النار والطرد من رحمة الله والبعد عنها، ﴿فَتُلْقَىٰ﴾.

٦ ـ إن للمشركين، مضافاً إلى الإحراق بالنار (العذاب المادّي)، عذاباً روحياً أيضاً، ﴿مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾.

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

إشارات:

□ من عقائد المشركين المنحرفة قولهم إن الملائكة بنات الله، وقد تصدى القرآن لذلك مراراً مؤكداً كون هذا القول كذباً وافتراء عظيماً، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾[1] ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾[2].

---

(١) سورة الطور: الآية ٣٩. (٢) سورة النجم: الآية ٢١.

التعاليم:

١ ـ تفضيل الذكور على الإناث توهم لا أساس له، ﴿أَفَأَصْفَٰكُمْ... بِٱلْبَنِينَ﴾.

٢ ـ ربوبيّة الله تشمل المشركين أيضاً، ﴿رَبُّكُم﴾.

٣ ـ الاعتقاد بأن لله ولد اعتقاد باطل لا أساس له ومُدان، ﴿لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾.

٤ ـ لا ينبغي للإنسان أن ينسب ويرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه، فكيف إذا كانت النسبة إلى الله تعالى، ﴿لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾

إشارات:

❑ «صرّفنا» أي بيّنا بشكل متعدد ومتنوع وكررنا الأقوال والدلائل ليتضح موضوع البحث والكلام.

❑ الإنسان بفطرته يطلب التنوع سواء في الطبيعة أم في كتاب الله، وهذا هو السر في تكرار البيان وتنوعه في القرآن الكريم.

❑ كما تزداد الميتة المتعفنة تعفناً ونفوراً عند نزول المطر، فإن القلوب تزداد تعفناً بالتكبر واللجاجة والعناد ولا يزيدها ذلك إلا نفوراً، ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾.

التعاليم:

١ ـ لا بد عند تكرار الدلائل من أن تكون متنوعة وجذابة، ﴿صَرَّفْنَا﴾؛ إذ إن وحدة التكرار ورتابته تورث الملل غالباً.

٢ ـ الإنسان بحاجة إلى التذكير دائماً فكيف إذا كان كل تكرار (أي في كل مرة يذكر الناس فيها) موجباً لجذب بعض الناس إلى الله، ﴿صَرَّفْنَا﴾.

٣ ـ التكرار في آيات القرآن إنما هو للتذكير ورفع الأغلال والقيود، ﴿صَرَّفْنَا... لِيَذَّكَّرُوا۟﴾.

٤ ـ التكرار للمحبين نافع وجذاب للقلوب. وأما للمعاندين فإنه لا يزيدهم إلا نفوراً، ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾.

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾

إشارات:

□ المشركون يعتقدون بوجود الله وأنه خالق الوجود، إلا أنهم اتخذوا الأصنام شفعاء لهم أو اتخذوا شريكاً مع الله. وهذه الآية الشريفة تنفي وجود أي رابطة وعلاقة بين الله وبين الأصنام؛ لأن مثل هذه الأصنام لا يمكنها أن تسلب الله قدرته وسلطانه وبالتالي لا سبيل لها إلى تقوية أنفسها.

التعاليم:

١ ـ نظام الوجود أفضل دليل على وحدانية الله (لو كان مع الله آلهة أخرى لوقع الخلاف بينهم ولو وقع الخلاف فسيؤدّي ذلك إلى الفساد والهرج والمرج في النظام)، ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾.

٢ ـ كلما ينسب إلى الله ما لا يجوز فلا بد من التبرئة والتنزيه عن ذلك، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾.

٣ ـ الله تعالى منزه عن كل شريك، وذاته المقدّسة متعالية جداً عما يقولونه من خرافات، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾.

٤ ـ مهما قيل في الله، وكائناً من كان القائل، فإن الله أكبر وأعلى من ذلك، ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾

إشارات:

□ توضح هذه الآية الشريفة أن كل ما في الوجود يسبح ويسجد ويقنت لله تعالى.

وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالتسبيح هنا هو التسبيح التكويني، أي أن

الهيئة الوجودية لكل ذرة في هذا العالم تشير إلى إرادة الله وحكمته وعلمه وعدله.

وذهب بعض آخر إلى الاعتقاد بأن الوجود ذو شعور وعلم، وأن كل ما فيه يسبح لله تعالى، إلّا أن آذاننا لا تسمع ذلك. وهذا الرأي أكثر انسجاماً مع ظاهر الآية. ثم إن نطق كل شيء ليس محالاً لأن ذلك سيتحقق في يوم القيامة ﴿أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[١]، بل إن الحجارة أيضاً لها علم وخشية من الله، ولذا فإنها تهبط خوفاً منه ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[٢]. كذلك فإن النبي سليمان عليه السلام فهم كلام النملة وكان يعلم منطق الطير أيضاً، فالهدهد عندما علم وشخص انحراف قوم بلقيس جاء إلى النبي سليمان عليه السلام وأخبره بذلك.

وتكلم الله تعالى مع الجبال مخاطباً إياها ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾[٣]، أي يا جبال اذكري وسبحي مع داوود. ومضافاً إلى ذلك فإن القرآن ذكر تسبيح سائر الموجودات.

وعلى حد قول الشاعر الإيراني:

إن كل ذرات العالم في الخفاء تخاطبك ليلاً نهاراً

نحن نسمع ونبصر ونعقل لكن نحن معكم أيها الغرباء صامتون

❑ ورد في الروايات الشريفة أيضاً أن الحيوانات والموجودات تسبح لله ومن ذلك ما يلي:

أ ـ لا تضربوا البهائم على وجوهها لأنها تسبح لله[٤].

ب ـ كلما ترك الحيوان التسبيح فإنه يُصاد[٥].

ج ـ لا تُقطع شجرة إلا حين تترك التسبيح[٦].

---

(١) سورة فصلت: الآية ٢١.
(٢) سورة البقرة: الآية ٧٤.
(٣) سورة سبأ: الآية ١٠.
(٤) تفسير نور الثقلين
(٥) تفسير نور الثقلين.
(٦) تفسير روح الجنان.

د ـ شهدت الحصى، وهي في يد النبي الأكرم ﷺ، بنبوته[(١)].

هـ ـ النحل يسبّح الله[(٢)].

و ـ صوت العصافير تسبيحها[(٣)].

وهذه الروايات أجمع عندما تحكي عن تسبيح الحيوانات فإنها تحكي تسبيحها الواقعي وليس لسان حالها.

كل موجود بلسانه يسبح بحمدك
فالبلبل يغني غزلاً، والقمري ينشد أنغاماً

التعاليم:

١ ـ كل ما في الوجود يسبح لله فلماذا إذاً يتخلف الإنسان عن هذه القافلة، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾.

٢ ـ في السماوات أيضاً موجودات ذات حياة وشعور، ﴿وَمَن فِيهِنَّۚ﴾.

٣ ـ تسبيح الموجودات يصاحب الحمد والتعظيم لله، ﴿يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾.

٤ ـ ربما نسمع أحياناً صوت بعض الموجودات إلا أننا لا نفقه تسبيحها، ﴿لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۚ﴾.

٥ ـ كل ما في الوجود ذو شعور، إلّا أن علم الإنسان بها في الوجود ناقص وغير كامل، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ... لَّا تَفْقَهُونَ﴾.

٦ ـ حقائق الأشياء محجوبة عن غير أهلها، ﴿لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۚ﴾.

٧ ـ صبر الله على عقائدنا الخرافية وأقوالنا غير الجائزة إنما هو لحلمه ومغفرته، ﴿عَمَّا يَقُولُونَ... حَلِيمًا غَفُورًا﴾، وإذا رجعنا إليه فإنه حتماً سيغفر لنا.

---

(١) تفسير الميزان.
(٢) بحار الأنوار، ج٩٥، ص ٣٧٢.
(٣) بحار الأنوار، ج٦٤، ص ٢٧.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾

إشارات:

□ القرآن الكريم وسيلة لهداية المتقين ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1]؛ ومن علامات المتقين اليقين بالآخرة ﴿وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[2]. ولذا فالقرآن لن يكون هادياً لأولئك الذين لا يؤمنون بالآخرة والقيامة، وهذا معنى الحجاب المستور الذي يمنع الإنسان من فهم الوحي ويحرمه من لذة درك المعارف الإلٰهيّة، حتى ولو استمع الوحي مباشرة من لسان النبي ﷺ.

التعاليم:

١ ـ إذا لم يكن للإنسان قابلية الهداية، فإن تلاوة القرآن عليه من قبل رسول الله ﷺ لن يكون لها أي أثر، ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ... حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾.

٢ ـ الغضب الإلٰهيّ يتأتى بعد لجاجة الإنسان وكفره، ﴿جَعَلْنَا... لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ... حِجَابًا﴾.

٣ ـ تلاوة القرآن تحصن الإنسان من شر الكفر، ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ... جَعَلْنَا... حِجَابًا﴾.

٤ ـ تلاوة القرآن تقوي في الإنسان روح التبري من المشركين، ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ... جَعَلْنَا... حِجَابًا﴾.

٥ ـ الحرمان من درك الوحي يعد نوعاً من العذاب والغضب الإلٰهيّ، ﴿جَعَلْنَا... حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾، وكما يقال في المثل فإن سياط الله لا صوت لها.

٦ ـ الإيمان بالمعاد سبب لقبول دعوة الأنبياء ﷺ، وفي المقابل فإن الكفر بالمعاد سبب لعدم القبول بالنبوة والمعارف الإلٰهيّة، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ... حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾.

٧ ـ إن الله تعالى يحجب الحقائق والمعارف عن غير أهلها، ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢. (٢) سورة البقرة: الآية ٤.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا (٤٦)﴾

إشارات:

- «أكنة» جمع «كنان» أو «كنّ» وتعني «أغطية». «وقر» ثقل في الأذن، وقد ورد شبيه هذه الآية في سور أخرى(١).
- يوجد في القرآن الكريم ما يقرب من (٢٥٠) آية ترتبط بالتوحيد، ومنه ما يقرب من (١٥٠٠) آية ترتبط بالشرك، وعبادة الأصنام، أي أن ربع القرآن تقريباً يرتبط بالتوحيد والشرك ولكن للأسف فإن أصحاب القلوب العمياء حرموا أنفسهم من سماع آيات التوحيد، بل وتنفروا من سماعها واشمأزوا منها، وفي المقابل فإنهم يستبشرون بسماع كلام الشرك والباطل ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾(٢). وفي يومنا هذا أيضاً عندما يُتكلَّم عن التوحيد يستنفر البعض من ذلك، وأما كلام أهل الفسق فإنه جذاب لهم. وقد شبه القرآن الكريم هؤلاء الناس بالحمر الوحشية الفارّة من الأسود، ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾(٣).

التعاليم:

١ ـ الروح المحجوبة والقلوب الميتة لن تفقه حقائق معارف القرآن الأصيلة، ﴿أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾.

٢ ـ الاستماع والفهم البسيط يفرق جداً عن الفهم العميق والتلذذ به، ﴿يَفْقَهُوهُ﴾.

٣ ـ ذكر غير الله كفر، ذكر الله وغير الله شرك، وذكر الله وحده توحيد، ﴿ذَكَرْتَ... وَحْدَهُ﴾.

---

(١) سورة فصلت: الآية ٤٤؛ سورة الأنعام: الآية ٢٥؛ سورة الكهف: الآية ٥٧.

(٢) سورة الزمر: الآية ٤٥.

(٣) سورة المدثر: الآية ٥٠.

٤ ـ الحرمان من درك المعنويات يعد نوعاً من القهر الإلٰهيّ، ﴿جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾.

٥ ـ التوحيد في الربوبيّة هو أصعب الأشياء على المشركين، ﴿ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا...﴾.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا (٤٧)﴾

إشارات:

- ورد في التفاسير أن كل واحد من رؤوس أهل الكفر كان يأتي خفية في ظلمة الليل إلى خلف منزل رسول الله ﷺ ودون أن يطلع بعضهم بعضاً على ذلك ليستمعوا تلاوته للقرآن ومن ثم تحليل ما يقول، وكانوا أحياناً يصطدمون ببعضهم في عتمة الليل فإذا ما عرفوا بعضهم كانوا يتلاومون فيما بينهم قائلين: لقد سلب محمد ﷺ عقولنا وقلوبنا بصوته فكيف سائر الناس؟!
- هذه الآية تدعو رسول الله ﷺ إلى أن لا يتأثر من فرار المشركين وسوء أدبهم فالله أعلم بما يفعلون.

التعاليم:

١ ـ الله تعالى عليم بأهداف الناس ونواياهم، ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾.

٢ ـ ليس كل المستمعين لديهم نية حسنة، ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ...﴾.

٣ ـ لا ينبغي للمبلغ الرسالي التقهقر والتراجع إذا ما فر الناس منه أو اتهموه، بل لا بد له من أن يعلم بأنه محاط بنظر الله فيطمئن بذلك، ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ﴾.

٤ ـ عندما يرى أعداء الله التفاف الناس حول القادة الإلٰهيّين فإنهم يحاولون الإساءة إليهم بالتهم والكذب والافتراء، ﴿رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾.

﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ۝٤٨﴾

التعاليم:

١ ـ لا بد للنبي ﷺ والقادة الدينيين والمؤمنين من أن يكونوا متيقظين وعارفين بأساليب إعلام الأعداء، ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ﴾.

٢ ـ يمكن الاستفادة من ضرب الأمثال سواء لإثبات الحق أم لتشويه الحقائق، ﴿كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾.

٣ ـ إن هؤلاء لما لم يكن لديهم أي منطق سليم لمواجهة الدين، فأخذوا يضربون الأمثال في محاولة للإساءة إلى النبي ﷺ، ﴿ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾.

٤ ـ توهين أولياء الله وقادته سبب للضلالة، ﴿ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ﴾.

٥ ـ ضلالة الإنسان تحصل تدريجياً، إذ إنه يبتلى ابتداءً بالتوهين وضرب الأمثال في غير موقعها، ومن ثم يصل إلى الانحراف، وأخيراً إلى الطريق المسدود، ﴿ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا﴾.

٦ ـ الكفر لا غاية له، فالكفار وإن استفادوا من شتى أنواع التهم والأمثال لتوجيه الضربات إلى الإسلام، إلا أنهم لن يوفقوا أبداً، ﴿ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا﴾.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ۝٤٩﴾

إشارات:

- «الرفات» بمعنى ما تكسَّر وتفرَّق من التبن ونحوه[١].

- لم يرد في آيات القرآن الكريم أي دليل من قبل منكري المعاد، وكل ما ورد من قبلهم إنما هو تعجب وسؤال واستبعاد، وقد سعوا من خلال طرح الأسئلة إلى إيجاد الشبهات، وكذلك تصدى القرآن للإجابة عنها بالاستناد إلى علم الله

(١) مفردات الراغب الأصفهاني.

وقدرته وحكمته في الخلق والإيجاد، فذَكَرَ أمثلة موجودة في الطبيعة والتاريخ ووجود الإنسان نفسه الذي لم يكن موجوداً ابتداء ثم وجد؛ ولذا فإن الله قادرٌ مرة أخرى على إحياء الموجودات بعد موتها.

﴿۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾

إشارات:

- على الرغم من أن الإنسان يتلاشى بعد الموت ويصير تراباً، إلّا أن هذا التراب منبع الحياة والمدخل إليها فالنباتات تنمو من التراب، وفي التراب تترعرع الموجودات الحية، لذا فإن إحياء الأموات من التراب لن يكون عسيراً على الله تعالى، وحتى لو أصبحتم حجارة أو حديداً أو أقسى من ذلك ـ مما لا حياة فيه، فإن الله سيحييكم مرة أخرى.
- ليس لمنكري المعاد أي دليل وإنما يتساءلون فقط: من الذي سيحيينا؟ وفي أي زمان؟ وكيف سيكون ذلك؟

وجواب القرآن عن ذلك أن ذلك: الإله نفسه الذي خلقكم أول مرة قادر على أن يخلقكم مرة أخرى، وأما موعد ذلك فليس ببعيد فلربما يكون قريباً، ﴿من يُعِيدُنَا، مَتَىٰ هُوَ، عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

التعاليم:

١ ـ النبي ﷺ مأمور بالإجابة عن التساؤلات والشبهات والإشكالات، ﴿قُلْ﴾.

٢ ـ إن إحياء الأموات مجدداً، حتى ولو كانوا حجارة أو حديداً، سهل على الله تعالى، ﴿حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا﴾.

٣ ـ المعاد جسماني، ﴿كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾.

٤ ـ إن كثيراً من الأشياء إنما يكبر في أذهاننا وقلوبنا؛ ولكنه في الواقع ليس كبيراً، ﴿يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾.

٥ ـ الغفلة عن قدرة الله سبب لإنكار المعاد، ﴿من يُعِيدُنَا... ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ﴾.

٦ ـ إن المعاندين عندما يسمعون الأدلة يهزون رؤوسهم استهزاءً وإنكاراً واستبعاداً لذلك، ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾.

٧ ـ إن عمر الدنيا قليل وقصير بالنسبة إلى الآخرة، ولا بد لكل إنسان من أن يدرك قرب الموت والقيامة، ﴿أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۝٥٢﴾

التعاليم:

١ ـ لا تنسوا الآخرة ﴿يَوْمَ﴾؛ كلمة «اذكروا» مقدرة قبل كلمة «يوم».

٢ ـ القيامة هي يوم الدعوة العامة لكل الناس، ﴿يَدْعُوكُمْ﴾.

٣ ـ أثناء القيامة كل الأموات يُسبّحون بحمد الله تعالى، «إلا أنه لا ينفع الكافرين»، ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾.

٤ ـ مدة الدنيا والبرزخ قليلة جداً بالنسبة إلى القيامة، ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ۝٥٣﴾

إشارات:

□ الله، الخالق لأحسن الأشياء ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾[(١)]، ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[(٢)]، ﴿لَّحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[(٣)]، ويطلب منا أيضاً أحسن الأعمال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[(٤)]، وأحسن الأقوال: ﴿يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، واتّباع أحسن الأقوال ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾[(٥)].

---

(١) سورة السجدة: الآية ٧.
(٢) سورة غافر: الآية ٦٤.
(٣) سورة التين: الآية ٤.
(٤) سورة هود: الآية ٧.
(٥) سورة الزمر: الآية ١٨.

□ الظاهر أنه كان للمسلمين تساؤلات حول كيفية مواجهة الكافرين واستهزائهم وكيفية مقابلتهم بالمثل؛ لذا فإن الآية الشريفة أجابت بـ«قل»؛ إذ إن سب أصنام الكفار سوف يستنفر هؤلاء الكافرين ويدفعهم إلى سب الله تعالى.

□ «الكلام الأحسن» يشمل كل كلام لائق وحسن كمثل: السلام، الدعاء، الإرشاد، إظهار المحبة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ذكر الله، التوبة والاستغفار، وأمثال ذلك...

التعاليم:

١ ـ في الدعوة إلى الكلام الحسن لا بد من أن تكون دعوتنا بنحو حسن أيضاً، ﴿يَقُولُوا ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾.

٢ ـ الكلام والقول الحسن مقدمة للمحبة، وأما الكلام غير اللائق فإنه مقدمة لأنواع الوساوس الشيطانية؛ نعم، إن الكلام الحسن يمنع وسوسة الشيطان ويدفعها، ﴿يَقُولُوا ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ...﴾.

٣ ـ من لوازم العبودية، القول الحسن مع الآخرين، ﴿لِّعِبَادِي يَقُولُوا ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾.

٤ ـ إلقاء العداوة بين الناس من عمل الشيطان، ومن يفعل ذلك أيضاً فإنه من أنصار الشيطان وأعوانه، ﴿يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾.

٥ ـ الشيطان كان وما زال عدواً للإنسان ولم يتخل لحظة واحدة عن عداوته لنا، ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا﴾.

٦ ـ الشيطان جادٌّ جداً في افتتان الإنسان والعداوة معه، ﴿إِنَّ...﴾.

﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴿٥٤﴾﴾

إشارات:

□ في الآية السابقة أُكِّدَ على حسن القول، وفي هذه الآية بُيِّنَ بعض النماذج لذلك: لا بد للإنسان من أن لا يرى نفسه أعلى وأفضل من الآخرين، ولا بد له من أن لا يقوم بتوبيخهم، بل وأن لا يقول للكافرين بأنكم أهل النار ونحن

أهل الجنّة، والسبب في ذلك أن مثل هذا الكلام سوف يؤدّي إلى الفتنة، ومضافاً إلى ذلك: من أين لنا العلم بالعاقبة الحسنة؟ فالله هو العالم بذلك إذا شاء يرحم وإذا شاء يعذب.

التعاليم:

١ ـ لا بد من أن لا نغتر بإيماننا، ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾.

٢ ـ الأفعال الإلٰهيّة مبتنية على علم الله، ﴿أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ، يُعَذِّبْكُمْ﴾.

٣ ـ إن علم الله ورحمته وغضبه من شؤون ربوبيته الله تعالى، ﴿رَّبُّكُمْ... يَرْحَمْكُمْ... يُعَذِّبْكُمْ﴾.

٤ ـ الكلام عن الرحمة والعطف يسبق الكلام عن القهر والعذاب، ﴿يَرْحَمْكُمْ... يُعَذِّبْكُمْ﴾.

٥ ـ لا بد للإنسان من أن يكون بين حالتي الرجاء والخوف، ﴿يَرْحَمْكُمْ... يُعَذِّبْكُمْ﴾.

٦ ـ الناس أحرارٌ في اختيار عقيدتهم، بل إن الأنبياء مأمورون بعدم إجبار الناس على الإيمان، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾.

٧ ـ ينبغي للمبلغ الدينيّ أن لا يعتبر نفسه وكيلاً على الناس ورباً لهم، ﴿وَكِيلًا﴾.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾

إشارات:

- بُيِّن في الآية السابقة علم الله بالنسبة إلى الإنسان، وأما هنا فقد بُيِّن علمه بالنسبة إلى كل الموجودات السماوية والأرضية.
- ورد في الروايات الشريفة أن عدد الأنبياء كان مئة وأربعة وعشرين ألفاً، بُعث بعضهم إلى كل الناس وكان لهم كتب سماوية، وبُعث الآخرون إلى منطقة ما أو قوم ما بخصوصهم وكانوا مأمورين باتّباع النبي الأعلى منهم.

التعاليم:

١ ـ كل الأنبياء محاطون برعاية خاصة من الله تعالى، ﴿وَرَبُّكَ﴾.

٢ ـ العالم محضر الله، والله تعالى مطّلعٌ على كل شيء، ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ﴾.

٣ ـ في السموات أيضاً موجودات عاقلة ذات شعور، ﴿بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

٤ ـ توجد سلسلة مراتب وتفضيل بين الأنبياء أنفسهم، بل إن أفضل الأفراد والمتقين ليسوا على حد سواء، ﴿فَضَّلْنَا﴾.

٥ ـ إن وجود التفاوت والتفاضل الإلٰهيّ في العطاء قائم على أساس علمه المحيط بكل شيء وبكل إنسان، ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ... فَضَّلْنَا﴾.

٦ ـ الكتاب السماوي إحدى علامات التفضيل لأحد الأنبياء، ﴿فَضَّلْنَا... وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾.

٧ ـ التفضيل الثقافيّ (العلمي) أهم أساس في التفضيل وليس المال أو المقام أو طول العمر، ﴿فَضَّلْنَا... زَبُورًا﴾.

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾

التعاليم:

١ ـ التوجه لغير الله وتعليق الأمل عليه ليس إلا خيال ووهم، ﴿زَعَمْتُم﴾.

٢ ـ من وسائل التبليغ، مضافاً إلى بيان الحقائق للناس، إعطاء الحرّية لهم في اختيار القبول أو الرفض، ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم... فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ﴾.

٣ ـ من بواعث العبادة اللّجوء إلى من له القدرة والقوة، والأصنام لا يملكون هذا الأمر، ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ﴾.

٤ ـ غير الله لا يملك كشف الخطر ودفعه ولا يملك أيضاً تحويله إلى غيره أو تبديله أو التخفيف منه، ﴿كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾، (الاعتقاد بشفاعة أولياء الله لرفع المشكلات والعذاب إنما هو بإذن من الله تعالى وله كلام آخر).

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧)﴾

إشارات:

- تفسير هذه الآية على النحو التالي: إن الأنبياء الذين يدعون الناس إلى الحق هم أنفسهم (في الحركة المعنوية) يبتغون الوسيلة إلى الله، وهذه الوسيلة تقرّب وتسرّع سيَرهم إليه سبحانه. أو ربما يكون المراد أن كل نبي مقرَّب هو أسرع سيراً نحو الله تعالى.
- ورد في العديد من الروايات الواردة في خصوص هذه الآية أن الإنسان لا بد له من أن يوازي بين كفتي الرجاء والخوف وإلا سوف يُصاب باليأس أو الغرور.

التعاليم:

١ ـ الخوف والرجاء يدلان على الارتباط والضعف، ولذا فإن من يبغي هو نفسه الوسيلة كيف يمكن ابتغاؤه وسيلة؟ ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾.

٢ ـ من أجل التقرب من الله توجد طرق ووسائل إلى ذلك، ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾.

٣ ـ ابتغاء الوسيلة وطلب الشفاعة لا بد من أن يتزامن مع عدم الغفلة عن العذاب، ﴿يَبْتَغُونَ... وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾.

٤ ـ أفضل وسيلة هي أن يتقرب الإنسان من الله، ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾.

٥ ـ في التقرب إلى الله تعالى، السبق له قيمة خاصة، ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾؛ (كل من هو أقرب إلى الله فإن سعيه أكبر في التوسل إليه).

٦ ـ رحمة الله سابقة على غضبه (ورد الرجاء برحمته قبل الخوف والعذاب)، ﴿يَرْجُونَ... يَخَافُونَ﴾.

٧ ـ العذاب من شؤون الربوبيّة الإلٰهيّة؛ لذا لا بد لنا من أن لا نستخف به، ﴿عَذَابَ رَبِّكَ... مَحْذُورًا﴾.

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾﴾

إشارات:

▫ «القرية» هي مكان اجتماع الناس والعمران سواء أكانت مدينة أم ضيعة. والمراد من «الكتاب» إما اللوح المحفوظ وإما القرآن الكريم والذي بُيِّنَت فيه علل سقوط الأمم وهلاكها.

التعاليم:

١ ـ لن تدوم الحياة ولن تبقى لأحد من الناس، ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ﴾.

٢ ـ إن طي بساط الحياة فوق هذه الأرض ليس مجرد صدفة، بل طبق قوانين معيّنة وثابتة من قبل الله، ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾.

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾

إشارات:

▫ لقد كان كفار مكة المعاندون والباحثون عن الأعذار يطلبون من رسول الله ﷺ العديد من المعاجز، ومن جملة ذلك أن يجعل لهم بعض جبال مكة (جبل الصفا) ذهباً أو أن ينقل بعض الجبال من مكان إلى آخر حتى تتهيأ لهم الأرض للزراعة.

وهنا يُخبرنا تعالى: في ما مضى من تجارب في التاريخ فإن الكفار المعاندين لم يؤمنوا حتى مع رؤيتهم مثل هذه الآيات والعلامات، وبالتالي فإن نظام الخلق والإيجاد لن يقوم طبقاً لهوى هؤلاء المعاندين، وبالتالي لو قدمت المعجزة على أساس طلب هؤلاء الناس فكفروا بها فإن العقاب الدنيوي لهم حتمي.

□ إن الناقة حيوان ولكن الله تعالى يعبر عن ناقة صالح أنها ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾، لأن كل ما هو منسوب إلى الله له قداسة، حتى إن اسم «أبي لهب» الموجود في القرآن له قداسة بسبب هذه النسبة؛ لذا يمكن لمسه دون وضوء.

التعاليم:

١ ـ إن الأنبياء عليهم السلام ورغم معاجزهم المتعدّدة ابتلوا دائماً بالمعاندين والمكذبين لهم، ﴿كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾.

٢ ـ إن الله قادر على كل شيء، إلّا أن فعله يقوم على أساس الحكمة وليس وفق أهواء الناس ومذاقهم، ﴿وَمَا مَنَعَنَآ﴾.

٣ ـ إن توهين المقدّسات وتكذيب المعجزات يستتبع حتماً غضب الله والعذاب الإلٰهيّ، ﴿ءَاتَيْنَا... فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾.

٤ ـ ما هو منسوب إلى الله وله صبغة إلٰهيّة له حساب مستقل عن الأمور العادية، ﴿ءَاتَيْنَا...﴾.

٥ ـ المعجزات وسيلة لإعلام الناس وزيادة معرفتهم وتحذيرهم، ﴿مُبْصِرَةً... تَخْوِيفًا﴾.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾

إشارات:

□ كان الكلام في الآية السابقة حول قتل ناقة صالح وأما هذه الآية فتتكلم عن الشجرة الملعونة التي تقتل أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

إننا نقرأ في الروايات أن أهل البيت عليهم السلام قالوا: نحن لسنا أقل من ناقة صالح ولذا فإن الجرأة علينا تستتبع الهلاك[1].

---

(١) بحار الأنوار، ج٢٨، ص ٢٠٦؛ وج٥٠، ص ١٩٢.

□ ورد في القرآن الكريم أن النبي ﷺ قد رأى رؤى عدة من جملتها: رؤيا رآها قبيل معركة بدر وفيها يُري الله العدو قليلاً في أعين النبي ﷺ لئلا يضعف المسلمون ويهنوا[١].

ومن جملتها الرؤيا التي رأى فيها الدخول إلى المسجد الحرام فاتحاً[٢].

ومن جملتها الرؤيا الواردة في هذه الآية. والرؤيتان السابقتان وقعتا بعد الهجرة وفي المدينة المنورة وأما هذه الرؤيا فكانت في مكة المكرمة.

نعم ذهب بعضهم إلى أنّ الرؤيا مرتبطة بقضية المعراج مع أن المعراج كان في حال اليقظة وأمّا الرؤيا فتحدث في حال النوم.

ومن ثم فإن تلك الرؤيا والشجرة الملعونة هما أمر واحد؛ إذ إن نتيجتهما واحدة أي كونهما فتنة للناس، إن الله تعالى أظهر لنبيه في النوم هذه الشجرة الملعونة وما تقوم به من أعمال، وقال له إن هذا سبب الفتنة في أمتك، ولكنه تعالى خفّف عن نبيه ﷺ بقوله له: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ﴾.

□ «الشجرة» وكما تطلق على الشجرة المعروفة فإنها تطلق أيضاً على كل أصل له فروع متعدّدة؛ ولذا يطلق على القبيلة مثلاً «الشجرة»، وقد قال رسول الله ﷺ أيضاً: **«أنا وعلي من شجرة واحدة»**[٣].

وتطلق الشجرة أيضاً على سلسلة النسب فيقال «شجرة النسب».

وبناء عليه فإن الشجرة الملعونة هي قوم لهم فروع ملعونة.

□ ورد في ذيل هذه الآية أن التخويف الإلٰهيّ لهذه الشجرة الملعونة لم يزدها إلا طغياناً كبيراً فوق طغيانها، وهذه الجملة «طغياناً كبيراً» لم ترد في القرآن إلا مرة واحدة؛ ولذا يجب البحث في القرآن على هذه الشجرة الملعونة وعن هؤلاء القوم الذين هم مسلمون في الظاهر ولكنهم منافقون في الباطن وسبب للفتنة بين الناس.

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٤٣.

(٢) سورة الفتح: الآية ٢٧.

(٣) بحار الأنوار، ج٣٨، ص ٣٠٩.

هذا وقد ورد في القرآن الكريم اللعن على موارد متعدّدة مثل: إبليس، اليهود، المنافقون، المشركون، العلماء الذين يكتمون الحق، من يؤذون النبي ﷺ.

إلا أنه ومن بين هؤلاء فإن المنافقين الذين يعيشون بين المسلمين هم الذين يسببون الفتنة بينهم؛ إذ إن إبليس، وأهل الكتاب، والمشركين معروفون في الظاهر، وأما المنافقون فإنهم مسلمون ظاهراً وهم أهل الفتنة دائماً[(١)].

- ظن بعضهم أن المراد من الشجرة الملعونة هو «شجرة الزقوم» والتي تعد إحدى وسائل العذاب الإلٰهيّ، إلّا أنّه يوجد العديد من الوسائل التي استخدمت كوسيلة للعذاب الإلٰهيّ ولكن كونها وسيلة للعذاب لا يبرّر لعنها، لأن الله لم يعلن مثل هذه الوسائل، ومن أمثلة ذلك نهر النيل الذي أغرق فيه فرعون، أو الملائكة الذين أنزلوا العذاب على العديد من الأمم والأقوام، أو المؤمنون الذين كانوا يد الله في إنزال العذاب على الكفار وهلاكهم، ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾[(٢)].

- ضمن البحث الروائي لسورة القدر ينقل العلامة الطباطبائي في تفسيره عن كبار علماء أهل السنة كالخطيب البغدادي، والترمذي، وابن جرير، والطبراني، والبيهقي، وابن مردويه، وعن علماء الشيعة كالكليني ـ صاحب كتاب الكافي ـ أن النبي ﷺ رأى في نومه أن القردة تصعد على منبره فشق عليه ذلك واغتم كثيراً ولما نزل عليه جبرائيل قصّ النبي ﷺ عليه ما رأى فصعد جبرائيل إلى السماء ولما هبط عليه مرة أخرى جاء ومعه هذه الآيات: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾[(٣)].

وكانت هذه الرؤيا أيضاً سبباً لنزول سورة القدر؛ إذ سلّى الله نبيه بإعطاءه ليلة القدر وجعلها خيراً من ألف شهر وهي مدة ملك بني أمية.

هذا وقد رويت مسألة رؤية القردة الذين يستلمون أمر الحكومة ويصعدون على منبر رسول الله ﷺ عن الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام[(٤)]، وذهب مفسّرو

---

(١) ورد في تفسير الميزان أكثر الآراء عمقاً ودقة حول هذه الآية مستشهداً بالروايات الشريفة.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٤.

(٣) سورة الشعراء: الآيات ٢٠٥ ـ ٢٠٧.

(٤) تفسير البيان.

الشيعة والسنّة إلى أن المراد من الشجرة الملعونة هم «بنو أمية»، وعن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال: **«فسر جبرائيل القردة ببني أمية»**، وسأل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله جبرائيل قائلاً له: **«يا جبرائيل أعلى عهدي يكونون وفي زمني؟ فأجابه جبرائيل بأن ذلك بعد أربعين سنة تقريباً من هجرتك»**[1].

ومن بني أمية أيضاً كان ذلك الرجل الذي كان أكثرهم طغياناً والذي سبب واقعة كربلاء وهو يزيد، وهذه الفاجعة كانت أكبر طغيان على مرّ التاريخ.

التعاليم:

١ ـ إن الله تعالى عبر طريق الرؤيا يلهم نبيه وغيره بعض الحقائق، ﴿أَرَيْنَٰكَ﴾.

٢ ـ إن كل حادثة، بما في ذلك تفسير الرؤيا، ربما تكون وسيلة لاختبار الناس، ﴿ٱلرُّءْيَا...﴾.

٣ ـ إن القبائل والجماعات المسببة للانحراف شجر ملعونون، ﴿فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ﴾.

٤ ـ إن تحذير الناس بما في ذلك الأقوام والفروع الملعونة يعد من السنن الإلٰهيّة، ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾.

٥ ـ لا أثر للتحذير والتخويف على القلب اللجوج المتعصب (لا يلج مسمار الحديد في الصوان)، ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾

إشارات:

❑ أشير في القرآن الكريم مراراً إلى قضيّة سجود الملائكة وعصيان إبليس.

---

(١) تفسير اللاهيجي.

□ إن إبليس من الجن ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾[١]، وله جنود ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾[٢]، وجيشه رجال وركبان ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾[٣]، وكان السبب في انحرافه وعدم سجوده هو قياسه النار على الطين ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[٤].

التعاليم:

١ ـ السجود لغير الله، إذا كان بأمر من الله فلا مانع منه: ﴿قُلْنَا... ٱسْجُدُوا لِءَادَمَ﴾.

٢ ـ الإنسان وردة سلة الموجودات؛ إذ إن الملائكة المعصومين قد أمروا بالسجود له، ﴿ٱسْجُدُوا لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا﴾.

٣ ـ الملائكة مسلمون لأمر الله، ﴿ٱسْجُدُوا... فَسَجَدُوٓا﴾.

٤ ـ الاعتقاد بالأفضلية الموهومة أمر شيطاني؛ إذ إن الشيطان كان يظن بأفضلية نوعه، ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾.

٥ ـ الاعتراض على حكمة الله وعدله وأمره أسوأ من عدم السجود، ﴿ءَأَسْجُدُ﴾.

٦ ـ إن إبليس موجود مقياس وذو اختيار، ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ... ءَأَسْجُدُ﴾.

٧ ـ الاجتهاد مقابل النص ممنوع ، (إبليس اجتهد في مقابل نص الله تعالى)، ﴿قُلْنَا... ٱسْجُدُوا... ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾.

٨ ـ سبب المعصية أحياناً ينبع من الأنا والاعتداد بالنفس، ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾.

٩ ـ إن حسد إبليس أعمى بصيرته فرأى كون آدم من طين ولم ير روحه الإلٰهيّة، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾[٥]، ﴿ءَأَسْجُدُ... طِينًا﴾.

١٠ ـ ظن إبليس أن ملاك التقويم هو العناصر المادّية، ﴿طِينًا﴾.

---

(١) سورة الكهف: الآية ٥٠.
(٢) سورة الشعراء: الآية ٩٥.
(٣) سورة الإسراء: الآية ٦٤.
(٤) سورة الأعراف: الآية ١٢.
(٥) سورة الحجر: الآية ٢٩.

﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾

إشارات:

- «أرأيت» بمعنى «أخبرني»، و«احتنكت» مشتقة من «حنك» و«الحنك» هو «اللجام»، يربط به عنق الحيوان فيجرّ به. و«الاحتناك» بمعنى التسلط الكامل والاستيلاء[١].

التعاليم:

١ ـ عبادة النفس (الأنا) تجر الإنسان إلى الطغيان في مقابل الله تعالى، ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾.

٢ ـ يُعد سلخ القلب عن أي جاه ومقام من أصعب الامتحانات، ﴿كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾[٢].

٣ ـ الحسد يؤدي تدريجياً إلى الحقد والاعتداء على الآخرين، ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ... لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾.

٤ ـ أحياناً يصيب الحسد والأحقاد الذرّية اللّاحقة أيضاً، ﴿ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾.

٥ ـ إن إبليس كان عارفاً بيوم القيامة ومؤمناً به أيضاً، ﴿أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

٦ ـ الإنسان في مقابل وساوس الشيطان حر وله حق الإرادة والاختيار، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾.

٧ ـ بعض الناس في أمان من خطر تسلط إبليس، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾.

---

(١) مفردات الراغب.

(٢) ورد في كلام العظماء: «آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرئاسة».

﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾﴾

التعاليم:

١ ـ استجاب الله تعالى لطلب إبليس المهلة منه، ﴿ٱذْهَبْ﴾.

٢ ـ الإنسان حر في سلوك سبيل الله أو اتّباع الشيطان، ﴿فَمَن تَبِعَكَ﴾.

٣ ـ نهاية إبليس وأتباعه في النار، ﴿جَزَآؤُكُمْ جَهَنَّمَ﴾.

٤ ـ العقاب الإلٰهيّ كامل؛ فالمذنبون يذوقون جزاء ذنوبهم ويذوقون أيضاً جزاء من أضلّوهم على أكمل وجه، ﴿مَّوْفُورًا﴾.

﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾

إشارات:

- «الاستفزاز» بمعنى الاستزلال مع الخفة والسرعة والإيقاع.
- إن إبليس ومن أجل خداع الإنسان لا يرد من طريق واحد بل من طرق متعدّدة كالوعود والأمنيات، والوسوسة، والمصاحبة، والمشاركة، ومحاصرة بني الإنسان، وسوقهم ركباناً ورجالاً، وبالتالي التسلط عليهم ليصبحوا من أعوانه.
- نقرأ في الروايات: من لم يبال ما قال ولا ما قيل فيه فهو شرك شيطان، ومن لم يبال أن يراه الناس مسيئاً فهو شرك شيطان، ومن اغتاب أخاه المؤمن من غير ترة بينهما فهو شرك شيطان[1].

وكذلك ورد أيضاً: ما كان من مال حرام فهو شرك شيطان. قال: ويكون مع الرجل حيث يجامع فيكون الولد من نطفته، ونطفة الرجل إذا كان حراماً[2].

---

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) بحار الأنوار، ج١٠١، ص ١٣٦.

وكذلك ورد أن الشيطان شريكٌ في نطفة المبغض لأهل بيت النبيّ ﷺ ونسله[١].

□ إن الإنتاج والاستهلاك غير المشروع، وكذلك كنز الأموال، وإعطاء الاستثمار للشركات والمصانع الأجنبية، وكذلك الترويج لإيجاد المراكز العلمية والثقافيّة والفنية الاستعمارية، وإقامة المسابقات الدولية في هذا السياق، كل ذلك يعد من شرك الشيطان.

التعاليم:

١ ـ قدرة إبليس محدودة، ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتَ﴾.

٢ ـ الإعلام الفاسد له دور مؤثّر في انحراف الناس، ﴿بِصَوْتِكَ﴾.

٣ ـ الغزو الإعلامي والثقافيّ من قبل العدو مقدم على الغزو العسكري، فقد ورد في الآية «الصوت» قبل «الخيل»، ﴿بِصَوْتِكَ... وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ﴾.

والشيطان ابتداءً من خلال الإعلام يسلب من الإنسان الدافع التوحيدي ومن ثم يقوم بمهاجمته بالسلاح والجنود.

٤ ـ إبليس في حد نفسه باعثٌ على الضلال، ﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾؛ وكذلك جنوده وأعوانه، ﴿بِخَيْلِكَ﴾.

٥ ـ أسلوب الشيطان الكمين ومن ثم الأخذ والجلب والخطف، ﴿وَأَجْلِبْ﴾.

٦ ـ مشاركة إبليس في أموال الإنسان وأبنائه يبدأ من النطفة ويستمر مع الطعام الحرام والمشتبه والزنا، ﴿وَشَارِكْهُمْ﴾.

٧ ـ ليس كل حرّية واختيار لطف من الله، بل إن القدرة على المناورة أحياناً تعد نوعاً من القهر والغضب الإلهيّ، ﴿وَٱسْتَفْزِزْ، وَأَجْلِبْ، وَشَارِكْهُمْ، وَعِدْهُمْ﴾.

٨ ـ نطاق نفوذ الشيطان هو أماني الإنسان ومن ثم يقوى بالوعود الخيالية الشيطانية، ﴿وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

---

(١) الكافي، ج٥، ص ٥٠٢.

٩ ـ إن الشيطان، ومضافاً إلى الخداع الذي يقوم به، فإنه يوجه ويعلل الذنوب ويعطي وعداً كاذباً بالشفاعة ويدفع الإنسان إلى تأخير التوبة، ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾

إشارات:

- على الرغم من أن كل الناس هم عباد الله إلّا أن الله تعالى، ومن باب الاحترام والتكريم، نسب بعضهم إلى نفسه ﴿عِبَادِى﴾، وكذلك الأمر في بعض الأشياء والجمادات التي نسبها إليه أيضاً، ﴿بَيْتِىَ﴾.
- عُرِف عباد الله، في آية أخرى، بخصائص أخرى كالإيمان والتوكل وأنه لا يتسلط الشيطان عليهم: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[١]، نعم إن الشيطان يوسوس لهم ويمسهم إلا أنهم يتذكرون فيقاومونه، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟﴾[٢].

وقد ورد في الحديث الشريف أن الأذان والصلاة يطردان الشيطان[٣].

التعاليم:

١ ـ عباد الله الحقيقيون قلة، ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾. وقد مر معنا في الآية ٦٢ على لسان إبليس أنه قال: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

٢ ـ العبودية لله تحصن الإنسان في مقابل وساوس إبليس وإعلامه وجنوده، ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾. نعم، إن المتصل بالقدرة اللامتناهية لا يمكن اختراقه أبداً.

---

(١) سورة النحل: الآية ٩٩. (٢) سورة الأعراف، الآية ٢٠١.

(٣) بحار الأنوار، ج٦٣، ص ٢٦٨، وج٥٣، ص ١٨٢.

٣ ـ الإنسان حر وبإمكانه مقاومة هجوم إبليس عليه من خلال التحصن بالإيمان والعبودية، ﴿عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾.

٤ ـ من أصبح عبداً لله فإن الله وكيله وحافظ له ومسدده، ﴿عِبَادِى... وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾.

٥ ـ النبي ﷺ محفوظ بحفظ خاص من الله وبالتالي فهو مأمون من تسلط الشيطان ونفوذه، ﴿إِنَّ عِبَادِى... وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾.

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾﴾

إشارات:

□ للطرق البحريّة، من حيث كلفتها الرخيصة ودوامها وعموميتها، دور مؤثّر في نقل البضائع والناس وانتقالهما، وبالتالي فإن بركات الملاحة البحرّية في حمل المسافرين والأمتعة والصيد البحري ونقلهم جمّة. كذلك فإن للبحار سهماً كبيراً في إنتاج الأوكسجين والبخار، وتَشَكُّل الغيوم والأمطار، وتربية الأسماك، وتوفير الغذاء. وعجائب البحار كثيرة سواء من حيث الجمادات، أم النباتات، أم الحيوانات، ونقرأ في دعاء الجوشن: «**يَا مَنْ فِي الْبِحَارِ عَجَائِبُه**»[1].

التعاليم:

١ ـ تأمين الحاجات المادّية للإنسان يعد من دلائل قدرة الله على كفاية الإنسان، ﴿...وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى﴾.

٢ ـ الإمكانيات والفضل بيد الله، وأما نحن فعلينا السعي والعمل لتحصيلها، ﴿يُزْجِى... لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾.

٣ ـ كل ما نحصل عليه من نعم البحر إنما هو بفضل الله، ﴿مِن فَضْلِهِۦٓ﴾.

٤ ـ ربوبيّة الله مصاحبة لرحمته الدائمة، ﴿رَّبُّكُمُ﴾.

---

(١) بحار الأنوار، ج٩١، ص ٣٩١.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾

إشارات:

□ إحدى الدلائل الفطرية على التوحيد مفادها أن الإنسان في حالة العجز، واليأس، وعدم الأمل بكل الوسائل المادّية يتوجه إلى قوة غيبية يأمل بها نجاته.

□ قَالَ رَجُلٌ لِلصَّادِقِ عليه السلام يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى اللَّهِ مَا هُوَ فَقَدْ أَكْثَرَ عَلَيَّ الْمُجَادِلُونَ وَحَيَّرُونِي. فَقَالَ لَهُ: «**يَا عَبْدَ اللَّهِ هَلْ رَكِبْتَ سَفِينَةً قَطُّ**؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: **فَهَلْ كُسِرَ بِكَ حَيْثُ لَا سَفِينَةَ تُنْجِيكَ وَلَا سِبَاحَةَ تُغْنِيكَ**؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: **فَهَلْ تَعَلَّقَ قَلْبُكَ هُنَالِكَ أَنَّ شَيْئاً مِنَ الْأَشْيَاءِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ وَرْطَتِكَ**؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام **فَذَلِكَ الشَّيْءُ هُوَ اللَّهُ الْقَادِرُ عَلَى الْإِنْجَاءِ حَيْثُ لَا مُنْجِيَ وَعَلَى الْإِغَاثَةِ حَيْثُ لَا مُغِيثَ**»[1]..

التعاليم:

١ ـ الإيمان والتوبة الموسمية والموضعيّة (الذوقية) لا قيمة لها، ﴿مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ...﴾.

٢ ـ في مستنقع الخطر يصبح الإنسان موحداً عابداً لله، ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾؛ ويتضح له عجز الأسباب الظاهرية والتمسك بالظن، ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ﴾.

٣ ـ الابتعاد عن الوسائل المادّية سبب هام لدرك الحقائق بنحو أفضل، ﴿مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾.

٤ ـ كل معبود سوى الله فانٍ وهالك، ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾.

٥ ـ الدعاء الخالص لله مستجاب، ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ﴾.

٧ ـ الراحة والدعة سبب للغفلة، ﴿نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾.

٧ ـ متاع الدنيا خداع لقلب الإنسان إلى حد أنه، وبعد ساعات فقط من نجاته من الهلاك، ينسى كل شيء، ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ...﴾.

٨ ـ نسيان الله بعد النجاة من أوضح مظاهر الكفر، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾.

---

(١) بحار الأنوار (ط ـ بيروت)، ج٣، ص ٤١.

﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾﴾

إشارات:

- هلاك الأمم السابقة كان على أنحاء عدَّة: فبعض من هؤلاء المتجاوزين والمعتدين ضيق الله بهم الأرض، وبعض أغرق في البحر، ومنهم من رجم بالحجارة والصواعق السماوية فدمروا تدميراً. وبناء عليه فإن يد الله قادرة على إهلاك الكافرين؛ ولذا إذا قمنا اليوم بنجاتكم وإيصالكم إلى الساحل سالمين فلا تظنوا أنه لا سبيل إلى تحذيركم وتأديبكم، وأنه لن ينزل العذاب مجدداً بكم.

التعاليم:

١ ـ علينا أن لا نغتر بالنعم الإلٰهيّة، ﴿نَجَّىٰكُمْ... أَفَأَمِنتُمْ﴾. فالنجاة من حادثة ما لا يدل على النجاة الأبدي؛ إذ ربما في وقت ما أو مكان ما نتعرض لمصيبة أخرى.

٢ ـ الإحساس بالأمن من العقوبة يبعث على الغفلة والتعدي، ﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾.

٣ ـ الإنسان في كل زمان وفي كل مكان تحت ظل قدرة الله؛ لذا لا فرق بين البر والبحر عند حلول قهر الله وعذابه، ﴿يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾.

٤ ـ أمام قهر الله وغضبه لا يمكن الاستناد إلى أي قوة وقدرة، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا﴾.

﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾

إشارات:

- «حاصب» يطلق على الريح المهلكة في البر وأما «قاصف» فتطلق على الريح المهلكة في البحر.

□ «تبيع» مشتقة من «تبع» والمراد منها هنا من يتبع إهلاككم للمطالبة بدمائكم وأخذ ثأركم.

التعاليم:

١ ـ ينبغي علينا ألا نغتر بالسكون المؤقت فالخطر دائماً يكمن لنا، ﴿أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾؛ ومع النجاة من الهلكة فإن الخطر لن يرتفع أبداً.

٢ ـ عقوبة عدم شكر بعض النعم تعجل في هذه الدنيا، ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾.

٣ ـ الغفلة عن الله بعد النجاة من الهلكة من مصاديق الكفر والكفران، ﴿بِمَا كَفَرْتُمْ﴾.

٤ ـ من أسباب هلاك الإنسان وسوء عاقبته ميله إلى الكفر وذلك بما كسبت يداه، ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾.

٥ ـ لا يمكن لأي قوة وقدرة أن تقف في وجه الله كذلك فإن الله تعالى غير مسؤول تجاه أحد، ﴿لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾.

﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾

إشارات:

□ التكريم تارة يكون تكريماً معنوياً واكتسابياً ومن عند الله تعالى كالتكريم الخاص بأهل التقوى، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1]. وتارة يكون في الخَلْقِ نظير قوله تعالى: ﴿أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[2] الوارد في مورد خلق الإنسان. والمراد احتمالاً من «كرمنا» في هذه الآية هو الوجه الثاني.

ومن ثم فإن تكريم الإنسان مضافاً، إلى أصل الخلقة والنطفة والإدراك والعقل، كذلك فإنه من ناحية تخصيصه بقوانين السماء، ووجود القادة المعصومين، وكونه مسجود الملائكة.

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.
(٢) سورة التين: الآية ٤.

❑ الإنسان أفضل من الملاك لما يأتي:

أ ـ فقد سجدت الملائكة للإنسان.

ب ـ الملاك ذو عقل محض ولا شهوة له ومن هذه الناحية فإن كماله ليس في مستوى كمال الإنسان وقيمته، وبناء عليه فإن كل من غلب عقله شهوته فهو أفضل من الملائكة.

ج ـ في ليلة المعراج قال جبرائيل عليه السلام للنبي ﷺ: تقدم يا محمد ﷺ لأقتدي بك، إن الله تبارك وتعالى فضلك علينا[1].

❑ مع أن الله تعالى قد فضل البشر على كل الموجودات بما في ذلك الملائكة أيضاً: ﴿...وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾، إلّا أن سوء اختيار الإنسان وعمله الطالح يهوي به إلى أسفل الدرجات: ﴿أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾[2] ويصبح كالحيوانات بل وأدنى من ذلك: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ﴾[3]، ﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾[4]، ﴿كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[5]، ﴿كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ...﴾[6].

❑ ذكر في الآية الشريفة التكريم للإنسان وكذلك التفضيل ﴿كَرَّمْنَا... فَضَّلْنَا﴾، وربما يكون التفاوت بينهما بما يلي:

أ ـ التكريم هو امتياز لا يوجد في غيره، وأما التفضيل فهو امتياز يشاركه فيه الآخرون.

ب ـ التكريم إشارة إلى النعم الإلٰهيّة في وجود الإنسان والتي تحصل دون سعي واكتساب، وأما التفضيل فهو إشارة إلى النعم الإلٰهيّة التي ينالها الإنسان من خلال سعيه بتوفيق من الله تعالى.

ج ـ التكريم يرتبط بالنعم المادّية وأما التفضيل فيرتبط بالنعم المعنوية.

❑ يعد السفر من لوازم الحياة البشرية والغرض منه رفع الحاجات واكتساب

---

(١) تفسير نور الثقلين.
(٢) سورة التين: الآية ٥.
(٣) سورة الجمعة: الآية ٥.
(٤) سورة الأعراف: الآية ١٧٦.
(٥) سورة الأعراف: الآية ١٧٩.
(٦) سورة البقرة: الآية ٧٤.

التجارب، وقد هيأ الله أسبابه في البر والبحر، وجعلها في خدمة الإنسان والبشر، وعد ذلك من نعمه عليهم.

- ذكر بعض المفسرين أن قوله تعالى في ما يرتبط بـ«الحمل في البر والبحر» فيه إشارة إلى تسخير تمام القوى البرية والبحريّة وجعلها تحت يد الإنسان، ولا يراد منه فقط الحمل في السفينة وركوب الحمار وأمثال ذلك.
- «الطيبات» على أقسام: الحياة الطيبة، الذرّية الطيبة والرزق الطيب. وعن الإمام الباقر عليه السلام أنّ: **«الرزق الطيب هو العلم النافع»**[1].

التعاليم:

١ ـ إن توجه الإنسان والتفاته إلى مقامه وكرامته يعد سبباً للشكر والابتعاد عن الكفر، ﴿بِمَا كَفَرْتُمْ... وَلَقَدْ كَرَّمْنَا﴾.

٢ ـ لم يكرم آدم فحسب، بل إن نسل الإنسان مكرم ومفضل على غيره، ﴿كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾.

٣ ـ إن تفاوت الإنسان عن بقيّة المخلوقات وتفضيله عليها كبير جداً، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا... وَفَضَّلْنَٰهُمْ... تَفْضِيلًا﴾.

٤ ـ مجالات رشد الإنسان وكماله إنما هي من قبل الله تعالى، ﴿كَرَّمْنَا، حَمَلْنَا، وَرَزَقْنَٰهُم، فَضَّلْنَا، خَلَقْنَآ﴾.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾

إشارات:

- «الفتيل» هو الشعرة الدقيقة في شق نواة التمر، وهو كناية عن الشيء الصغير جداً والقليل والحقير.

---

(١) تفسير كنز الدقائق.

□ ذكر القرآن الكريم نوعين من الأئمة: أحدهما: إمام النور والهداية: ﴿أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[(١)]، والآخر هو إمام النار والضلالة: ﴿أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾[(٢)]، وهذا القسم الثاني يدعو الناس إلى إطاعته واتباعه بالقوة والتهديد والتطميع والتحقير.

□ روي أن أبا بصير قال للإمام الصادق عليه السلام: «**أشهد أنك إمامي، فقال: أما أنه سيدعى كل أناس بإمامهم، أصحاب الشمس بالشمس، وأصحاب القمر بالقمر، وأصحاب النار بالنار، وأصحاب الحجارة بالحجارة**»[(٣)].

التعاليم:

١ ـ علينا ألا ننسى الآخرة والقيامة، ﴿يَوْمَ نَدْعُوا﴾.

٢ ـ إن تقسيم الناس يوم القيامة سيكون على أساس قادتهم وأئمتهم، ﴿كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾.

٣ ـ لا مفر للإنسان من اختيار أسوته وإمامه، ﴿كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾.

٤ ـ على المسلم ألا يبتعد عن مسألة الإمامة أو يقلل من أهميتها، ﴿نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾؛ لأنه في يوم القيامة سيحشر مع أئمته.

٥ ـ إن آثار مسألة اختيار الإمام وإطاعته دائمة إلى يوم القيامة، ﴿نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾.

٦ ـ القيامة ليست مجرد محكمة للأفراد فقط، بل هي محكمة كبيرة أيضاً لكل الأمم، والأقوام، والأحزاب، والمذاهب، والحكومات، ﴿نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾.

٧ ـ الإمامة والولاية هما من صميم الحياة وواقعها وليستا مجرد موضوع عقدي نظري وعلى هامش الحياة، كذلك فإن الإمام والقائد هو الذي يهيئ أسباب سعادة الناس أو شقائها، ﴿كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٧٣.

(٢) سورة القصص: الآية ٤١.

(٣) تفسير نور الثقلين.

٨ ـ في يوم القيامة يُسر الصالحون بقراءة كتب أعمالهم، ﴿يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ﴾. وينادي بعضهم بعضاً: هلموا اقرأوا كتبنا، ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَـٰبِيَهْ﴾[1].

٩ ـ يأخذ الإنسان نتيجة أعماله في صورة مكتوبة، ﴿كِتَـٰبَهُۥ﴾.

١٠ ـ يُحاكَم بني الإنسان في يوم القيامة استناداً إلى الوثائق والمستندات المكتوبة، ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾.

١١ ـ الجزاء والعقاب في يوم القيامة عادلان تماماً، ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾.

﴿وَمَن كَانَ فِي هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾

إشارات:

- في يوم القيامة، ومضافاً إلى بعض المشاهد التي يختم فيها على أفواه الناس ويصبحون كالبكم لا يتكلمون، فإن بعض الناس يحشرون عمياً، والعمى هناك نابع من عمى قلوبهم في الدنيا.
- ورد في الروايات الشريفة أن من وجب عليه الحج فلم يحج ومن قرأ القرآن ولم يعمل به فإنه يحشر يوم القيامة أعمى[2].
- عمى القلب أسوأ من عمى البصر كما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**شَرّ الْعَمَى عَمَى الْقَلْب**»[3]. وكذلك قال أيضاً: «**أشدّ العمى من عُمِيَ عن فضلنا**»[4].
- وردت آيات أخرى في القرآن الكريم تتحدث عن العمى في يوم القيامة منها قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا﴾. كذلك ورد في الآية (١٢٥) من سورة طه أن الإنسان إنما يحشر أعمى في يوم القيامة بسبب عمى قلبه في الدنيا وإعراضه عن ذكر الله ونسيانه لآياته تعالى.
- **سؤال**: ورد في الآيات الشريفة أنه يقال للمذنب يوم القيامة إقرأ كتابك، أي صحيفة أعمالك ﴿ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ﴾، وبناء عليه كيف يمكن الجمع بين هذه الآيات

---

(١) سورة الحاقة: الآية ١٩.

(٢) تفسير كنز الدقائق.

(٣) من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص ٤٠٣.

(٤) تفسير كنز الدقائق.

والآيات التي تتحدث عن حشره أعمى يوم القيامة.

الجواب: العمى إنما يكون في إحدى مواقف يوم القيامة وفي مواقف أخرى يكون الإنسان بصيراً يرى ويبصر الحقائق التي لم يبصرها في الدنيا.

❑ عن الإمام الباقر عليه السلام: «**فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ قَالَ: مَنْ لَمْ يَدُلَّهُ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَدَوَرَانُ الْفَلَكِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْآيَاتُ الْعَجِيبَاتُ عَلَى أَنَّ وَرَاءَ ذَلِكَ أَمْراً أَعْظَمَ مِنْهُ؛ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمى وَ أَضَلُّ سَبِيلًا. قَالَ فَهُوَ عَمَّا لَمْ يُعَايِنْ أَعْمَى وَأَضَلُّ**»[١].

التعاليم:

١ ـ الشخصيّة الأخروية للإنسان صدى لشخصيته الدنيوية، ﴿فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾. والبصيرة ها هنا تستتبع البصيرة هناك، وعمى القلب ها هنا يستتبع العمى هناك.

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾

إشارات:

❑ نقرأ في الروايات أن المشركين طلبوا من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أن يحترم أصنامهم أو أن يعطيهم المهلة لسنة واحدة ويقرّهم على عبادة الأصنام، وكاد النبي صلى الله عليه وآله أن يقبل بذلك إلّا أن الله تعالى حفظه!! إلّا أن هذه الروايات مردودة ولا تتلاءم مع أصل عصمة النبي صلى الله عليه وآله وثباته، كما ورد في آيات أخرى من القرآن وسيرة الرسول صلى الله عليه وآله[٢].

❑ قال صاحب تفسير «أطيب البيان»: إن التعبير في الآية بقوله ﴿عَنِ ٱلَّذِىٓ

---

(١) توحيد الصدوق، ص ٤٥٥. (٢) تفسير الميزان.

أَوْحَيْنَآ﴾ وليس «عما أوحينا» يشير إلى سعي الكفار إلى صرف نظر النبي ﷺ وعنايته الخاصة بشخص ما وليس عن مطالب الوحي، إلا أنه من هو هذا الشخص الذي أنزل الله تعالى الوصية فيه؟

ونقل حديثاً عن الإمام الباقر والإمام الكاظم عليهما السلام حول ولاية الإمام علي عليه السلام؛ إذ أخبر الله تعالى نبيه عبر الوحي وأوصاه ببعض التوصيات، ولئلا يلتفت النبي ﷺ إلى حسد الناس وعدم قبولهم وعدم عملهم لذلك أنزل الله تعالى هذه الآية، وبالتالي لم تثمر جهود الكفار في عدول النبي ﷺ عن مواقفه وتغييرها.

وحتماً فإن هذا الكلام، وبالالتفات إلى كلمة «الذي» وكذلك الحديث المذكور، يمكن قبوله شرط أن يكون المراد التعريف بالإمام علي عليه السلام في مكة لأن السورة مكية.

التعاليم:

١ ـ للكفار أيضاً مخطّطاتهم وبرامجهم لأجل جذب الأنبياء والقادة، ﴿كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾.

٢ ـ يجب على القادة الدينيين أن يكونوا واعين لمؤامرات الأعداء التي تسعى إلى إضعافهم ووهنهم وتغيير مواقفهم المذهبية والدينيّة، ﴿كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾.

٣ ـ إذ كان ثمن الصداقة والارتباط بالأفراد والدول الغضّ عن الدين والمقدّسات فلا قيمة لها حينئذٍ، ﴿وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾.

٤ ـ ما لم يرفع المسلمون يدهم عن دينهم ومقدّساتهم فإن الكفار والأعداء لن يكونوا أصدقاء واقعيين لهم، فالعدو لا يرضى بأقل من ذلك، فهو يريد منكم أن تنفصلوا عن مذهبكم ودينكم، ﴿وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾.

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾

إشارات:

□ لا تتعارض هذه الآية مع عصمة النبي ﷺ بأي وجه إذ إن قولنا «كدت أن

تذنب» لا يعني «أنك أذنبت»، ومضافاً إلى ذلك، فإن قوله «لولا أن ثبتناك» فيه حالة شرطية ومعناها لولا أن حميناك لربما ملت إليهم؛ ولكن مع تحفيزنا وحمايتنا لك لم يحصل ميلك إليهم.

كذلك وفي موارد أخرى لم يرد الشرط بمعنى القيام القطعي بمضمونه نظير ما ورد في هذه الآية: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ... لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾[1]، وكذلك الحال في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[2] أي أنه لم يتقوَّلْ ولم يشرك، وبالتالي التعبير المشروط لا يدل على القيام بمثل هذه الأعمال.

وقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام قوله إن هذه الآية من باب «**إياك أعني واسمعي يا جاره**»[3]، وفي الواقع فإن الخطاب في الآية هو للمسلمين وليس لشخص النبي صلى الله عليه وآله.

التعاليم:

١ ـ لولا وجود اللطف الإلٰهيّ والحفظ من الله فلا ضمان لثبات الأنبياء عليهم السلام وعصمتهم أيضاً، ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾.

٢ ـ الثبات وعدم التضعضع والوهن أمام الكفار والأعداء يعد من خصائص الأنبياء عليهم السلام، ﴿ثَبَّتْنَٰكَ﴾.

٣ ـ إن الله تعالى يثبت الأنبياء المعصومين عليهم السلام، ﴿ثَبَّتْنَٰكَ﴾.

٤ ـ التراجع عن المسائل العقدية وأصول الدين والمذهب، والتمايل والركون إلى الظالمين يعد من جملة الأخطار التي ربما تواجه القادة الدينيين، ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾.

٥ ـ الانحراف حتى ولو كان قليلاً جداً فإنه إذا ما صدر من شخص مثل النبي صلى الله عليه وآله يكون كبيراً جداً، ﴿شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾.

---

(١) سورة الحاقة: الآيات ٤٤ ـ ٤٦.

(٢) سورة الزمر: الآية ٦٥.

(٣) تفسير نور الثقلين.

٦ ـ إن أقل تقهقر وتراجع عن الأصول والقيم ممنوع بتاتاً؛ لأن ذلك سيعد إنجازاً للأعداء ونصراً لهم، ﴿شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾.

﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾

إشارات:

□ بعد نزول هذه الآية كان رسول الله ﷺ يكرر هذا الدعاء: «**اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين**»[1].

التعاليم:

١ ـ الله تعالى، مضافاً إلى لطفه، فإنه يغضب أيضاً ﴿ثَبَّتْنَٰكَ، لَّأَذَقْنَٰكَ﴾.

٢ ـ الركون إلى الكافرين (بمعنى الميل إليهم والاعتماد عليهم) هو من الذنوب الكبيرة؛ إذ ورد الوعيد بالعذاب في مورده، ﴿تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ... لَّأَذَقْنَٰكَ﴾.

٣ ـ عقاب أقل زلل من القادة يضاعف مرتين بالنسبة إلى الآخرين، وكلما كبر مقام الإنسان العلمي ومكانته الاجتماعيّة والمعنوية سيكبر بالتالي حجم المسؤولية والأخطار التي ستواجهه، ﴿شَيْـًٔا قَلِيلًا... ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾.

٤ ـ لو سُنّ في القوانين الجزائية عقاب مضاعف على جرائم المسؤولين فلن يكون ذلك خلاف العدل والعدالة، ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾.

٥ ـ أمام غضب الله لن يكون حتى لمثل النبي ﷺ أن يتوسل بأي قدرة وسلطة تمنع غضبه، ﴿لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾.

٦ ـ الركون إلى الكفار يسبب عزلة الإنسان وحرمانه من نصرة الله، ﴿تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ... لَا تَجِدُ... نَصِيرًا﴾.

---

(١) تفسير مجمع البيان.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾

إشارات:

❑ تشير هذه الآية إلى الآية (٣٠) من سورة الأنفال إذ يقول تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾.

التعاليم:

١ ـ كان النبي ﷺ معرّضاً للأخطار والدسائس والاغتيال والإبعاد والتهجير، ﴿كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾.

٢ ـ كان هدف أعداء الدين قمع الدين وقلعه من أساسه وأصله، وفي هذا السبيل لم يرحموا أحداً حتى النبي الأكرم ﷺ، ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾.

٣ ـ يسعى الكفار في المرحلة الأولى من مؤامرتهم إلى إيجاد الوهن والتزلزل في فكر القائد وعقيدته، ﴿لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ...﴾. وفي المرحلة اللّاحقة يسعون إلى التشدد في المواجهة عملياً، والعمل على الإبعاد والإخراج والنفي ﴿لِيُخْرِجُوكَ﴾.

٤ ـ إن حضور النبي ﷺ بين الناس كان مانعاً من نزول العذاب الإلٰهيّ عليهم، ولذا لو أن رسول الله قد أخرج وأبعد عنهم فإنهم سيهلكون عما قريب، ﴿لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

٥ ـ القرآن الكريم، ومضافاً إلى إخباره بالغيب، فإنه، ومن خلال بيان فشل مؤامرة الأعداء، يقوم بتسلية النبي الأكرم ﷺ، ﴿كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ... لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾

إشارات:

❑ الدفاع عن الأنبياء ونصرتهم وكذلك إهلاك الكافرين والظالمين من السنن

الإلٰهيّة. ويشهد لهذا ما ورد في الآية ١٣ من سورة إبراهيم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

التعاليم:

١ ـ لما كانت السنن الإلٰهيّة على أساس حكمة الله تعالى فإنها تتصف بالثبات والدوام ولا تتغير على مرّ التاريخ، ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا﴾.

٢ ـ تآمر الكافرين والمدد الغيبي من الله للأنبياء عليهم السلام لهما سابقة في التاريخ، ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا﴾.

٣ ـ التحوّلات التاريخية تقوم على أساس السنن الإلٰهيّة الثابتة، ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾.

٤ ـ الله تعالى عادلٌ ولذا يقسم رحمته وغضبه بالعدل في الحالات المتشابهة، ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾.

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾

إشارات:

□ «دلوك» دلوك الشمس زوالها أي توسطها في وسط السماء وميلها نحو الغروب، وعندئذٍ يحل وقت صلاة الظهر والعصر، و«غسق الليل» هو حلول وقت صلاة المغرب والعشاء بحلول الظلام، و«الفجر» وقت صلاة الصبح[١].

□ عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إن أول صلاة افترضها الله على نبيه صلى الله عليه وآله الظهر وهو قول الله عز وجل**» وتلا الآية[٢].

(١) تفسير أطيب البيان.
(٢) الكافي، ج٣، ص ٢٧٥.

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: «**إذا صلى العبد الصبح مع طلوع الفجر أثبتت له مرتين، أثبتها ملائكة الليل وملائكة النهار**»[١].

وقد احتمل السيد الطباطبائي هذا المعنى في وصف صلاة الصبح وقال أنه هو المشهورة[٢].

التعاليم:

١ ـ المعيار في معرفة الوقت في الإسلام أمر طبيعي وقابل للفهم والإدراك عند كل أحد، وفي كل مكان، وبشكل دائم، ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ، غَسَقِ ٱلَّيۡلِ، ٱلۡفَجۡرِ﴾.

٢ ـ الشعائر الدينيّة في الغالب مبرمجة زمانياً، ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾.

٣ ـ الصلاة هي العبادة الوحيدة التي وصفت باسم «القرآن»، ﴿قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ﴾.

٤ ـ القرآن الكريم وتلاوته في الصلاة هو المحور الأساس، ﴿قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ﴾[٣].

٥ ـ من بين كل الصلوات فإن لصلاة الصبح مكانة خاصة، ﴿إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾﴾

إشارات:

□ «الهجود» بمعنى النوم و«التهجد» التيقظ من النوم للعبادة.

□ صلاة الليل من الصلوات التي لها فضل عظيم وقد وردت في سورتي المدثر والمزمل: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾، وقد ورد في الروايات الشريفة أكثر من ثلاثين فضيلة لصلاة الليل، وسنشير ها هنا إلى بعض هذه الفضائل:

ـ كل الأنبياء عليهم السلام كانوا يصلون صلاة الليل.

ـ صلاة الليل سلامة للبدن وضياء في القبر.

---

(١) الكافي، ج٣، ص ٢٨٣. (٢) تفسير الميزان.

(٣) عن النبي صلى الله عليه وآله: «لا صلاة إلا بقرآن». (كنز العمال، ح ١٩٦٩٨).

- صلاة الليل تؤثر في الرزق والأخلاق. وترفع الهم والغم وتساعد في أداء الدَّيْن وتنوّر البصر[١].
- صلاة الليل تمحو ذنوب النهار، ونور في القيامة[٢].
- عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: **«ما من حسنة إلا ولها ثواب مبين في القرآن إلا صلاة الليل فإن الله عز اسمه لم يبين ثوابها لعظم خطرها قال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾»**[٣][٤].
- عن الإمام الصادق عليه السلام: **«تشرف المؤمن صلاته بالليل، وعزه كف الأذى عن الناس»**.
- وقف أبو ذر (رحمه الله) عند حلقة باب الكعبة فوعظ الناس ثم قال: وصل ركعتين في سواد الليل لوحشة القبر.
- المغبون من حرم قيام الليل.
- خيركم من أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى والناس نيام.

□ صلاة الليل واجبة على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ومستحبة لسائر الناس[٥].

□ كلمة «مقاماً» تستبطن العظمة (لوجود التنوين فيها) وورد في الروايات أن «المقام المحمود» هو الشفاعة[٦].

□ عن الإمام علي عليه السلام أنه قال لرجل قال له: إني حرمت صلاة الليل قال: **«أنت رجل قيدتك ذنوبك»**[٧].

□ أقسم الله تعالى بتمام أقسام الزمان فقال: ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾[٨]، ﴿وَٱلصُّبْحِ﴾[٩]، ﴿وَٱلنَّهَارِ﴾[١٠]، ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾؛ إلا أنه أقسم بالليل ثلاث مرات فقط، فقال: ﴿وَٱلَّيْلِ

---

(١) سفينة البحار.
(٢) بحار الأنوار، ج٨٤، ص ١٤٠.
(٣) سورة السجدة: الآية ١٧.
(٤) تفسير مجمع البيان.
(٥) تفسير الفرقان.
(٦) تفسير نور الثقلين.
(٧) بحار الأنوار، ج ٨٧، ص ١٤٥.
(٨) سورة الفجر: الآية ١.
(٩) سورة المدثر: الآية ٣٤.
(١٠) سورة الشمس: الآية ٣.

إِذَا يَسْرِ﴾[١]، ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾[٢]، ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾[٣].

وذكر تعالى آيتين حول الاستغفار في السحر فقال: ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾[٤] ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾[٥].

التعاليم:

١ ـ كانت صلاة الليل واجبة على النبي محمد ﷺ، ﴿فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ﴾. نعم إن مقام القيادة يستلزم تكاليف عظيمة وثقيلة.

٢ ـ جوف الليل أفضل زمان للعبادة، ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ﴾.

٣ ـ المقامات المعنوية المرضية والمحمودة تتحصل في ظل العبادة والعبودية، ﴿فَتَهَجَّدۡ. . . مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾.

٤ ـ إننا بعبادتنا التي نقوم بها لا نستوجب حقاً على الله حتى نطلبه وجُلّ ما نستحق طلبه هو: الرجاء وفضل الله، ﴿عَسَىٰٓ﴾.

٥ ـ صلاة الليل وحدها لا تكفي، بل لا بد من وجود كمالات أخرى، ﴿عَسَىٰٓ﴾.

٦ ـ ما لم يخطُ الإنسان نفسه نحو الكمال فإن الله لن يوصله إلى أي مقام، ﴿فَتَهَجَّدۡ... يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ﴾.

٧ ـ المقام المحمود والمرضي ما كان مرضياً عند الله تعالى، وإلا فإن الشهرة الكاذبة والفارغة لا قيمة لها وهي زائلة، نعم يرتفع الدخان في الهواء ولكن الوجوه تبقى سوداء، ﴿يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ﴾.

٨ ـ الله تعالى هو الذي ارتضى الشفاعة وأعطاها لأوليائه لا أن أولياء الله أرحم بعباد الله من الله تعالى نفسه، ﴿يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾.

---

(١) سورة الفجر: الآية ٤.
(٢) سورة التكوير: الآية ١٧.
(٣) سورة المدثر: الآية ٣٣.
(٤) سورة الذاريات: الآية ١٨.
(٥) سورة آل عمران: الآية ١٧.

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾

إشارات:

- الصدق أفضل وصف وحال للعمل أو للشخص من حين الشروع في العمل وأثناء القيام به حتى الانتهاء منه، فكيف ببعض الأعمال التي يشرع بها على غير وجه الصدق بل يقصد الرياء، والسمعة، والخداع، وكسب الشهرة، وأمثال هذه الأمور. أو قد يشرع بالعمل على نحو الصدق إلّا أن خاتمته تختلط بالغرور، والعجب، والمنة. إنّ مثل هذه الأعمال تحبط وتختم سوء العاقبة وتزول بركاتها، بل إن السر في انكسار الكثير من الحركات والأفراد يكمن في عدم تحليهم بالصدق وانقطاع المدد الإلٰهيّ عنهم.
- عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إذا دخلت مدخلاً تخافه فاقرأ هذه الآية:** ﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ...﴾، **فإذا عاينت الذي تخافه فاقرأ آية الكرسي**»[1].
- يصل الإنسان إلى مقام يصبح فيه من «الصدّيقين»؛ يقول ما يفعل، ويفعل ما يقول، ولا يقول ولا يفعل إلا ما يراه ويعتقد به[2]..
- «سلطاناً نصيراً» من مصاديقه مثلاً الخليفة المناسب واللائق بالمقام، المعين الوفي، والوزير الناصح، والرحيم، والخبير.

التعاليم:

١ ـ اسألوا الله بألسنتكم ما تريدون منه، ﴿وَقُل رَّبِّ﴾.

٢ ـ الدعاء في الصلاة وما بعدها (التعقيب) أثره أكبر من غيره، ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ... فَتَهَجَّدْ... وَقُل رَّبِّ﴾.

٣ ـ لا بد لنا من أن نتعلم الدعاء أيضاً من الله تعالى، أي كيف ندعو وماذا نطلب منه، ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين. (٢) تفسير الميزان.

٤ ـ من أصول الإدارة امتلاك بُعد النظر والتفكير بالمستقبل، ﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾.

٥ ـ البداية الحسنة مهمة؛ ولكن الأهم الختام الحسن والعاقبة، ﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾.

٦ ـ القيادة نهضة عالميّة بدايتها وختامها يقوم على الصدق وعدم الانحراف، ولا يمكن أن تتم من دون الدعاء، وطلب المدد من الله، والأخذ بالإمدادات الإلٰهيّة، ﴿رَبِّ... أَخْرِجْنِي﴾.

٧ ـ إن كل الأمور بيد الله تعالى؛ لذا لا بد من أن نطلب منه المدد والتأييد، ﴿أَدْخِلْنِي، أَخْرِجْنِي، اجْعَلْ﴾.

٨ ـ كسب القدرة والسلطة له قيمة لتحقيق الأهداف المقدّسة، ﴿وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا﴾.

٩ ـ المؤمن لا يطلب النصر والمدد إلا من الله تعالى، ﴿مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾.

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾

إشارات:

- «الحق» بمعنى الثابت والباقي؛ لذا فإن الله تعالى هو الحق وما كان منه فهو الحق. «الحق» أحد أسماء الله تعالى. وكلمة «زهوقاً» تعني أنه ذاهب هالك لا ثبات له ويقال «زهق نفسه» أي خرجت روحه من بدنه.

- قيل في هذه الآية إنها تصدق على مصاديق عدة كظهور الإسلام، والدخول إلى المدينة، وفتح مكة وتكسير الأصنام، باعتبار أن الباطل فيها أجمع قد انكسر وهزم، إلّا أن الآية لها مفهوم أشمل وأوسع يفيد فناء الباطل وبقاء الحق.

- بقاء الحق وهلاك الباطل سنّة إلٰهيّة وقانون إلهي؛ وليس مجرد ظن وصدفة

بالرغم من قلة أتباع الحق وكثرة أنصار الباطل، إذ إن الحق كالماء ثابت ويبقى: ويدوم وأما الباطل فهو كالزبد يذهب ويفنى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[1].

□ قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ﴾[2] أي نهلكه، وفي هذه الحالة فإن الباطل زائل، وبناء عليه لا بد للحق من أن يهجم على الباطل بكل قوة وقدرة ليزيله.

التعاليم:

١ ـ لا بد للنبي ﷺ من أن يعلن للناس بشكل حاسم النصر النهائي للحق، ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾.

٢ ـ لا بد من إحضار الحق إلى الميدان حتى يزهق الباطل من البين، ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾.

٣ ـ الباطل زائل وهالك وأما الحق فباق وثابت، ﴿جَآءَ...﴾ (يشير الفعل الماضي إلى كونه قد تحقق قطعاً).

٤ ـ علينا ألا نخاف من ألاعيب الباطل ومظاهره لأنه لا دوام له، ﴿كَانَ زَهُوقًا﴾.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «من» الواردة في قوله ﴿مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ ليست تبعيضية بمعنى بعض؛ لتدل على أن بعض القرآن شفاء؛ بل هي بيانية تدلّ على أن كل ما ينزل من القرآن هو شفاء.

□ رغم أن القرآن كتاب هداية لكل الناس، ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾[3]، إلّا أن

---

(١) سورة الرعد: الآية ١٧.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٨.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

المستفيد من هذا النور؛ هم فقط أولئك الذين فتحوا له نوافذ أرواحهم، وتخلوا عن اللجاج والعناد، وتوجهوا نحو القرآن بروح سالمة نقية: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[١]؛ ولذا لا يزيد أصحاب اللجاج ومرضى القلوب إلا خساراً؛ فهو كالمطر عندما ينزل على مستنقع آسن، فإن الروائح العفنة تفوح منه بالرغم من أن المطر ماء زلال وطاهر.

- استدلال القرآن فيه شفاء من الركود الفكري. مواعظ القرآن شفاء من القسوة. ما ورد في القرآن من مسائل تاريخية يرفع كل حيرة. جمال إيقاعه وفصاحته تجذب الأرواح المنهزمة. قوانين القرآن وأحكامه تستأصل العادات الخرافية. تلاوة القرآن والتدبر فيه تشفي مرض الغفلة. التبرك بالقرآن يشفي أمراض الجسم. وإرشادات القرآن تنير الظلمات.

- الشفاء بالقرآن يختلف عن الشفاء بالأدوية المادّية؛ فدواء القرآن لا يلازمه أي ضرر، ولا يبلى، ولا ينتهي تاريخ صلاحيته. ومن يُشفى بالقرآن فإنه سبب لشفاء غيره أيضاً، كذلك فإن وصفة الشفاء بالقرآن لا اشتباه فيها ومتوفرة للجميع في كل وقت.

ومن ثم فإن طبيب هذا الدواء مضافاً إلى معرفته بنا فإنه يحبنا أيضاً، ونتيجة وصفته أبدية، وبالتالي لا يوجد أي وصفة مشابهة لوصفته ولا أي دواء مشابه لدوائه.

يقول الإمام علي عليه السلام: «**فإن القرآن شفاء من أكبر الداء وهو الكفر، والنفاق، والغي، والضلال**»[٢].

- أوجب الله تعالى على نفسه الرحمة: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[٣]، وجعل نبيه ﷺ رحمة للعالمين: ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[٤]، وكذلك أمته يرحم بعضها

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٢.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

بعضاً: ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾[1]، وجعل كتابه رحمة أيضاً: ﴿شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ﴾.

التعاليم:

١ ـ لمّا كان القرآن الكريم من جانب الله خالق الإنسان وفاطره؛ فإن قوانين هذا القرآن مطابقة للفطرة وسبب لنجاة هؤلاء البشر، ﴿شِفَآءٞ﴾.

٢ ـ كل صادر من الإله الرحمن الرحيم هو رحمة، ﴿وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

٣ ـ لمّا لم يعمل الكفار بأوامر القرآن ونواهيه؛ فإنهم ومع نزول كل أمر كان جرمهم يكبر ولم يزدادوا إلى خساراً، ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾.

﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ﴿٨٣﴾﴾

إشارات:

□ «نأى بجانبه» أي التفّ على نفسه ومال إليها وتبختر.

التعاليم:

١ ـ الرفاه والراحة من أسباب الوقوع في الغفلة، ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا... أَعۡرَضَ﴾.

٢ ـ إن الإنسان وبدل أن يعتقد أن النعم من الله فيلتجئ إليه، فإنه يظن أنها ناتجة عن عقله واستعداده ونبوغه وعمله، فيُعرض عن الله تعالى، ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ﴾.

٣ ـ النعم من الله وأما الشر والسوء فبما كسبت أيدينا، ﴿أَنۡعَمۡنَا... مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾.

٤ ـ إن الإنسان ضعيفٌ إلى حدّ أنه وبمجرد نعمةٍ ما فإنه يُبتلى بالغفلة، وبمجرد بلاء ما وشدة وحادثة صغيرة يصبح يؤوساً، ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا... أَعۡرَضَ... وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا﴾.

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢٩.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾

إشارات:

- يُروى أن الإمام الصادق عليه السلام تلا هذه الآية عند كلامه عن النية وأن النية أفضل من العمل[١].
- «الشاكلة» بمعنى البناء والنسيج الروحي للإنسان والذي يتكون من خلال الوراثة والتربية والثقافة الاجتماعية، وذهب بعضهم إلى القول إنّ «الشاكلة» بمعنى الفطرة مع أن الفطرة واحدة وثابتة، وأما ما هو عند الإنسان فمتفاوت إذ إن الدوافع، والأخلاق، والطبائع، والعادات، والمزاج والفكر، والأعمال مختلفة بين إنسان وآخر[٢].

التعاليم:

١ ـ سلوك كل إنسان نابع من شخصيته الفكرية والروحية والأخلاقيّة (كل إناء ينضح بما فيه).

٢ ـ حيث إن السلوك يؤثر في حالات الإنسان وعاداته؛ لذا ينبغي أن نبتعد عن الدوافع والطبائع غير الملائمة لئلا تتحول الأعمال غير الملائمة إلى ملكة ثابتة فينا، ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾.

٣ ـ إن طرق الهداية على درجات أيضاً، وفيها سلسلة من المراتب المتفاوتة، ﴿أَهْدَىٰ﴾.

٤ ـ كل من حسنت نيته أكثر من غيره فإنه سيكون أقرب إلى الهداية، ﴿أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين. (٢) تفسير الفرقان.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾

إشارات:

□ وردت كلمة «روح» إحدى وعشرين مرة في القرآن الكريم واستعملت في الموارد التالية:

أ ـ الروح التي أودعت في قالب الإنسان: ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾[1].

ب ـ الوحي: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[2].

ج ـ القرآن: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[3].

د ـ الروح القدس: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾[4].

هـ ـ كبير الملائكة: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾[5].

وعلى أي حال، فإن الروح البشرية أمر معقد وغير معروف، وهي نفخة إلٰهيّة ولها بعدٌ سماوي ولا يعرفها إلا الله سبحانه وتعالى.

□ عن الإمام الباقر عليه السلام أنه لم يُرجع «قليلاً» إلى العلم، أي «علماً قليلاً»، بل أرجعها إلى أفراد الإنسان[6]، والمعنى حينئذٍ أن العلم الكامل قد أعطي لقلة قليلة من أفراد الإنسان وهؤلاء هم فقط يَعرفون أمرَ الروح.

التعاليم:

١ ـ الأنبياء عليهم السلام كانوا هم المرجع لتساؤلات الناس، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾.

٢ ـ حقيقة الروح فوق فهم البشر وعلومهم وهي سر من الأسرار الإلٰهيّة، ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾.

٣ ـ كافة العلوم البشرية هدية إلٰهيّة، ﴿أُوتِيتُم﴾.

٤ ـ علم الإنسان محدود وقليل جداً، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

---

(١) سورة السجدة: الآية ٩.
(٢) سورة غافر: الآية ١٥.
(٣) سورة الشورى: الآية ٥٢.
(٤) سورة البقرة: الآية ٨٧.
(٥) سورة القدر: الآية ٤.
(٦) تفسير الفرقان.

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾

إشارات:

❑ الآية (٨٦) فيها حالة تهديد للنبي ﷺ مفادها أن الله تعالى كما إنه أعطى الوحي كذلك إذا شاء فإنه يأخذه[1]، وأما الآية (٨٧) فإن في لحنها شيء من التشجيع.

❑ القرآن، الوحي، النبوة، الخاتمية، والشفاعة تُعدُّ كلها من فضائل الله على النبي ﷺ، وهي نابعة من مقام الربوبيّة الإلٰهيّة، وعطاء الله له لا يسترجعه منه، إلا أنه ورغم عطائه اللامحدود، فإن قدرته تامة ومطلقة وبإمكانه أن يسترجع جميع ذلك.

التعاليم:

١ ـ لا بد من أن نعلم ونعتقد أن النعم من الله، وعلينا ألا نصاب بالغرور لأن بقاء النعم وزوالها إنما هو بإرادة الله تعالى، ﴿لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا﴾.

٢ ـ لا يمكن لأحد أن يؤثّر أو يقف في وجه قدرة الله وقهره، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ﴾.

٣ ـ نزول الكتب السماوية والوحي الإلٰهيّ يُعدَّان من شؤون الربوبيّة الإلٰهيّة ويقعان في مسير تربية الإنسان وكماله، ﴿الَّذِي أَوْحَيْنَا... إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾.

٤ ـ القرآن فضلٌ كبير من الله تعالى، ﴿أَوْحَيْنَا... إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾؛ وبما أنّ الله كبير وعظيم فإن لطفه كبير أيضاً وفضله الكبير مخصوص بالنبي محمد ﷺ.

---

(١) والأمر كذلك في موارد أخرى كما في «خلقكم ـ يذهبكم»، وكذلك «يعز ـ يذل»، و«يهدي ـ يضل»، و«أحياكم ـ يميتكم»، وأيضاً «ينصركم ـ يخذلكم». نعم من المحتوم أن الخلق والفناء، والعزة والذلة، والهداية والضلالة، والحياة والموت، والنصرة والخذلان كلها بيد الله تعالى.

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾

إشارات:

- «ظهير» من «ظهر» بمعنى السند والحامي.
- هذه الآية جواب على كلام الكفار الذين قالوا: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾[1].

وهذه الدعوة من القرآن إلى التحدي والإتيان بمثل هذا القرآن، ما زالت دون جواب منذ قرون وإلى اليوم، فإن الأعداء العارفين باللغة العربيّة من أهل الكتاب والمذاهب الإلحادية، وعلى الرغم من كل جهودهم وعداوتهم للإسلام وحماية القوى المتعدّدة لهم، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن.

- من الخصائص الفريدة للقرآن الفريد: أنه معجزة وأنه سلس متنوع، ويخبر عن المستقبل، وفيه أحسن القصص، ويشتمل على أفضل أسلوب للدعوة، ومضافاً إلى ذلك، فإن فيه بيان كل المسائل والاحتياجات الفردية والاجتماعية، الدنيوية والأخروية، في كل المجالات وفي تمام الأزمات.

التعاليم:

١ ـ الجن مكلفون كبني الإنسان، والقرآن أيضاً كتاب لهم، ﴿ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾.

٢ ـ العجز عن الإتيان بمثل هذا القرآن دليل على إعجاز هذا الكتاب أيضاً، ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾

التعاليم:

١ ـ التنوع والتعدد في البيان القرآني يعد من أبعاد الإعجاز في القرآن، ﴿صَرَّفْنَا﴾.

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٣١.

٢ ـ قد أتم الله تعالى الحجة على كل الناس بآيات القرآن الكريم، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾.

٣ ـ النسق الواحد يبعث على الملل؛ لذا فإن خطاب الدعوة يجب أن يكون متنوعاً، ﴿صَرَّفْنَا﴾.

٤ ـ كتاب الهداية ينبغي أن يكون في متناول كل الناس، ﴿هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾.

٥ ـ ضرب المثل والبيان التمثيلي من أهم أساليب التعليم والتربية، ﴿صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ... مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾.

٦ ـ الناس متفاوتون والأمثلة متنوّعة؛ لذا فإن كل واحد منها بإمكانه أن يكون بياناً وهادياً لقسم من هؤلاء الناس، ﴿صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ... مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾.

٧ ـ السبب في إنكار الناس إنما هو لجاجهم وعنادهم؛ لا أن الحجة لم تأت إليهم، ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ...﴾.

٨ ـ الأكثريّة لا تدل على الحقانية، ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾﴾

إشارات:

□ «ينبوع» يطلق على النبع الفوار دائماً والذي لا يجف.

□ إن المشركين المنكرين لإعجاز القرآن اشترطوا لإيمانهم الوصول إلى المادّيات وتحقيق بعض التوقعات التافهة من النبي ﷺ، وهم غافلون عن أن النبي ﷺ إنما يأتي بالمعجزة لإثبات نبوته وليس من أجل إشباع هوى الناس المعاندين وهوسهم، أو من أجل اللعب واللهو، أو من أجل الفرار من العمل والسعي.

□ في الواقع؛ إن التوقعات التافهة، والقساوة، واللجاج والعناد، والمعاذير، وعدم المعرفة بالأهداف وقلة الأدب تتكاتف جميعاً وتؤدي إلى أن يُطلب من النبي ﷺ أمثال هذه الأمور اللامنطقية من قبيل: الينبوع، البستان (الجنّة)،

النهر، سقوط السماء، إحضار الله والملائكة، بيت من الذهب، الطيران في السماء، كتاب مُدَوَّن من عند الله.

التعاليم:

١ ـ كل إنسان إنما يطلب على قدر عقله، فقد كان ملاك النبوة في نظر هؤلاء المشركين البستان والينبوع والمادّيات، ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ...﴾.

٢ ـ كان هدف الأنبياء عليهم السلام إرشاد الناس إلى التوحيد؛ إلّا أن بعضاً منهم كان يفكر بالبساتين والذهب والفضة، ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا...﴾.

٣ ـ ليس كل طلب وتوقع منطقي، وكثيرة هي التوقعات التافهة التي تطلب من الأنبياء ومبلغي الدين، ﴿حَتَّىٰ تَفْجُرَ...﴾.

﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾

إشارات:

- تعبير «كما زعمت» يشير إلى التهديد والوعيد بالعذاب من قبل النبي صلى الله عليه وآله الوارد في الآية (٩) من سورة «سبأ»؛ إذ ورد فيها: ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

- المعجزة من شؤون الربوبيّة الإلٰهيّة وتنبع من إرادة الله تعالى وحكمته، وبالتالي من شرائط المعجزة أن لا تكون دون هدف وأن لا تكون عبثاً أو محالاً، وبناء عليه فإن ما طلبه الكفار من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في هذه الآية كان عبثاً ولغواً، إذ إن إسقاط الكسف من السماء سيؤدّي إلى هلاك كل الناس ولن يبقى أحد حينئذٍ ليؤمن مع تحققها وكذلك فإن إحضار الله والملائكة أمر محال لأنهم ليسوا أجساماً يمكن إحضارها حتى نشاهدها.

التعاليم:

١ ـ الكفار لجوجون معاندون غير مؤدبين، ففي قولهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ﴾ و﴿كَمَا زَعَمْتَ﴾ نوع من قلة الأدب.

٢ ـ الكفار لم يصدقوا ولم يؤمنوا بتهديدات الأنبياء، ﴿كَمَا زَعَمْتَ﴾.

٣ ـ المطالب المحالة والعبثية لا يمكن أن تقبل، ﴿تَأْتِيَ بِاللَّهِ﴾.

٤ ـ ميل المشركين إلى الحسّيّة كان السبب في طلباتهم وتوقعاتهم التافهة، ﴿تُسْقِطَ... تَأْتِيَ﴾.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا (٩٤)﴾

إشارات:

- إن الذين لا يمتلكون منطقاً سليماً وصحيحاً يتوهمون نقاط القوة نقاطَ ضعف. ولذا فإن كون النبي ﷺ إنساناً، نقطة قوة وليست نقطة ضعف فيه؛ إذ إنه كالبشر يمتلك الغرائز والميول وتصيبه المشكلات من الأمور، وهذا ما يجعله يدرك ويشعر بآلام الناس، وبإمكانه حينئذٍ أن يكون أسوة عمليّة لهم وأن يقدم لهم حلولاً مفيدة.
- طبقاً لآيات القرآن الكريم فإن أعذار الكفار في عدم الإيمان كانت على النحو الآتي:

أ ـ لماذا كان الأنبياء بشراً أمثالنا؟

الجواب: إن أفضل أنواع التبليغ ما اشتمل على النموذج العملي وتقديم الأسوة والقدوة للناس.

ب ـ إذا كان البناء على أن يكون النبي إنساناً فلماذا لم يكن فلاناً؟ ولماذا لم يكن من العائلة الفلانية أو من المنطقة الفلانية؟

الجواب: إن تقسيمات الناس تقوم على أساس الخيال والمعايير المادّية وأما نزول الوحي واستقباله فيحتاج إلى وجود الشخص اللائق والمستعد.

ج ـ لماذا لا نكون نحن أنبياء أيضاً؟

الجواب: النبوة مقام رفيع جداً بل هو أفضل من مقام الملائكة وليس كل إنسان، مهما كان تاريخه، جديراً ولائقاً لمقام النبوة.

د ـ لماذا لا تتنزل الملائكة علينا؟

الجواب: الملائكة تتنزل على أولئك الذين لم ينحرفوا ولم يذنبوا؛ ولو نزلت على أمثال هؤلاء، فإنهم سيأتون الناس كل يوم بالأكاذيب والأباطيل باسم الوحي.

التعاليم:

١ ـ الكفار طلاب معاذير ولا منطق لهم، فقد تعذّر الكافرون بأنّ النبيّ لم يكن بشراً مثلهم، ﴿وَمَا مَنَعَ﴾.

٢ ـ إنما جاء الأنبياء إلى الناس من أجل هدايتهم وتربيتهم، ﴿جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾.

٣ ـ لمّا كانت شخصيّة الإنسان وكرامته ومقامه مجهولة عند الإنسان الجاهل فإنه يظن أن الإنسان لا يليق بمقام النبوة ﴿بَشَرًا رَّسُولًا﴾.

﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ
لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾

إشارات:

□ الآية الشريفة وردت في مقام الرد على رؤية الكافرين المعترضين على كون النبي بشراً ويفيد مضمونها ما يأتي: إن إرسال الأنبياء سنّة إلٰهيّة وضرورة دينيّة، وحتى لو كان كل أهل الأرض ملائكة ولم يكن بينهم أي نزاع وخلاف، بل ويعيشون بكل سكينة واطمئنان ورفاه، لأرسل الله إليهم أيضاً رسولاً من جنسهم والسبب في ذلك أن وظيفة الأنبياء هي التكامل والرشد المعنوي وكونهم أسوة وقدوة للآخرين وليس الغرض فقط من إرسالهم إلى الناس هو رفع الخصومة والعداوة بينهم.

التعاليم:

١ ـ اتحاد جنس القائد مع الناس ضروري لتربيتهم ولتأسيهم به لذا فالإنسان للإنسان والملائكة للملائكة، ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ، مَلَكًا﴾.

٢ ـ الرسالة والنبوة من جانب الله وليستا بالانتخاب، ﴿لَنَزَّلْنَا... رَسُولًا﴾.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾

التعاليم:

١ ـ أمام هذا التصرف اللامنطقي من الكفار فإن الله تعالى سلّى نبيه ﷺ بأنه شاهد وعالم بما يقولون ويعملون، ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾.

٢ ـ مستند الأنبياء عليهم السلام هو الله تعالى ولذا فإنهم ثابتون راسخون ولا يتقهقرون، ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾.

٣ ـ إن الله تعالى قد أتمّ الحجة على الكافرين، وبناء عليه لا بد من التوقف عن الجدال معهم، ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا﴾.

٤ ـ الإيمان بعلم الله وشهادته سبب للابتعاد عن الانحراف وطلب المعاذير، ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا﴾.

٥ ـ لا بد للشاهد من أن يكون عالماً خبيراً وبصيراً، ﴿شَهِيدًۢا... خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾.

٦ ـ إن الله تعالى، ومضافاً إلى أنه شاهد على أن النبي ﷺ قد عمل بتكليفه وأدى وظيفته، هو شاهد أيضاً على عباده من حيث لجاجهم وعنادهم أو إيمانهم وتسليمهم، ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا... إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾

إشارات:

- «خبت» هو سكون النار عن الالتهاب، و«سعير» بمعنى ازدياد اشتعال النار وهو اسم من أسماء جهنم.

□ **سؤال:** إذا كان أهل الضلالة في يوم القيامة صماً بكماً عمياً فلماذا وكيف ذكر في آيات أخرى أنهم يرون النار: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾[١]، أو يسمعون صوتها: ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾[٢]، أو يصرخون وينوحون: ﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾[٣]؟

الجواب: إن مراحل يوم القيامة ومواقفهامتفاوتة ومتعدّدة؛ لذا من الممكن أن يكون لكل موقف حالة خاصة به لا توجد في غيره من المواقف اللّاحقة[٤].

التعاليم:

١ ـ الهداية لا تتحقق بالعلم والعقل والاستدلال فقط، بل تتطلب أيضاً توفيقاً إلهياً ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾.

٢ ـ لا منجي لأهل الضلالة سوى الله تعالى، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ﴾.

٣ ـ كل من لم يستفد من أُذُنه وعينه ولسانه في مسيرة تحصيل الحق، وقوله ورؤيته؛ فإنه سيحشر يوم القيامة أصم أبكم أعمى ومكبوباً على وجهه، وفي الواقع فإن هذا نوع من تجسم عمل الإنسان! ﴿نَحْشُرُهُمْ... عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾.

٤ ـ نار جهنم تتقد على الكفار وتزداد اشتعالاً على الدوام، ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾

إشارات:

□ «رفات»: ما تكسر وتفرق من التبن ونحوه[٥]، وهو صغير إلى حد لا يقبل الكسر مجدداً.

---

(١) سورة الكهف: الآية ٥٣.
(٢) سورة الفرقان: الآية ١٢.
(٣) سورة الفرقان: الآية ١٣.
(٤) تفسير التبيان.
(٥) مفردات الراغب.

التعاليم:

١ ـ إن قهر الله وعذابه للكافرين ليس عبثاً ودون دليل، بل هو نتيجة أعمالهم، ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ﴾.

٢ ـ لا دليل عند الكافرين على إنكار المعاد، وما يقولونه فإما من ناحية الاستهزاء أو التعجب أو الاستبعاد، ﴿أَءِنَّا﴾.

٣ ـ المعاد جسماني، ﴿عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا... خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

﴿۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾

إشارات:

- قوله «لا ريب فيه» أي أنه لا مجال للتشكيك في القرآن، وليس المعنى أنه لا يوجد أي أحد يشك فيه.

- قد أشار القرآن الكريم مراراً وتكراراً، وفي مقام رفع أي شك في المعاد، إلى خلق السموات والأرض وعظمة جهاز الخلق، وقدرة الله على الخلق، ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾[1]. إن أفضل دليل على إمكان وجود شيء، هو وقوعه وكينونته (الوقوع أدل دليل على الإمكان).

- في يوم القيامة، العظام البالية هي العظام الدنيوية نفسها وكذلك فإن الروح الملحقة بها هي الروح الأولى نفسها، إلا أن القرآن يقول في موردها «مثلها» ولم يقل عينها وهذا نظير جدار الطين إذا ما انقض ودق فأصبح تراباً وعجن مرة أخرى وصنع منه جدار آخر من الطين، فإن الناس تقول هذا مثل الأول وليس عينه مع أن مادته عين المادة الأولى[2]، ﴿مِثْلَهُمْ﴾.

---

(١) سورة النازعات: الآية ٢٧.
(٢) تفسير نور الثقلين.

التعاليم:

١ ـ أفضل دليل على إمكان المعاد هو التأمل في قدرة الله في الطبيعة، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾.

٢ ـ الحياة الدنيا ليست إلا أياماً معدودات، لذا أيها الكفار لا تعاندوا كل هذا العناد فإما أن يأتي أجلكم وإما أن تأتي القيامة، ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا﴾.

٣ ـ إن عدم الالتفات إلى قدرة الله، واستبعاد القيامة وإنكارها عمل ظالم، ﴿فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ والظلم مهد الكفر ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾.

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾

إشارات:

❑ «قتور» من «قتر» بمعنى البخل والإمساك عن العطاء والبذل.

التعاليم:

١ ـ كثرة المال لا أثر لها في سخاء الحريص والبخيل، فبعض الناس لا يشبعون أبداً ومهما جمعوا من شيء فإنهم يخشون نقصانه، ﴿لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ... لَّأَمْسَكْتُمْ﴾.

٢ ـ الخوف من الفاقة والعوز أحد أسباب البخل، ﴿لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾.

٣ ـ روحية الإنسان وخصاله النفسية هي منشأ سلوكه، ﴿لَّأَمْسَكْتُمْ... وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾

إشارات:

❑ المعجزات التسعة للنبي موسى عليه السلام هي:

١ ـ تحول العصا إلى أفعى.

٢ ـ اليد البيضاء.

٣ ـ فلق البحر بضربة العصا.

٤ ـ الطوفان.

٥ ـ هجوم الجراد.

٦ ـ هجوم القمل.

٧ ـ هجوم الضفادع.

٨ ـ صيرورة الماء دماً.

٩ ـ انفجار اثنتي عشرة عينٍ من الحجر بضربة العصا.

ومن الممكن أن يقال إن معجزات النبي موسى عليه السلام كانت ثمانية عشرة معجزة، لأنّ رجوع كل معجزة إلى حالتها الأولى كانت معجزة أخرى في حد نفسها.

□ **سؤال**: مضافاً إلى هذه المعجزات التسع فإن القرآن الكريم ذكر معجزات أخرى للنبي موسى عليه السلام نظير: اقتلاع الجبل ونتقه فوق رؤوس اليهود، نزول المن والسلوى، إحياء المقتول بالبقرة المذبوحة، فلماذا ذكر فقط تسع معجزات.

الجواب: إن عدد المعجزات التسع يرتبط بفرعون والذي رغم رؤيته لها لم يؤمن بالله، وأما سائر المعجزات فلا ربط لها بفرعون[1].

التعاليم:

١ ـ إن الله تعالى يساند أنبياءه عليهم السلام، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾.

٢ ـ يتم الله تعالى الحجة على الناس خلال إعطاء المعجزات للأنبياء عليهم السلام، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾.

٣ ـ أولئك الأكثر عناداً بحاجة إلى مزيد من الاستدلال والمعجزات، ﴿تِسْعَ ءَايَٰتٍ﴾.

---

(١) تفسير الميزان، تفسير الفرقان.

٤ ـ لا بد للمعجزة من أن تكون واضحة بينة لا ترديد فيها، ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾.

٥ ـ الأنبياء عليهم السلام هم أطباء توجهوا نحو الناس[1]، ﴿جَآءَهُمْ﴾.

٦ ـ يقوم المستكبرون في مقابل المعجزات والبراهين بالتحقير، والاستهزاء، والتوهين، ﴿لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾

إشارات:

❑ **سؤال:** رغم أن النبي موسى عليه السلام كان على يقين من هلاك فرعون فلماذا قال له: «لأظنك»!.

الجواب: أولاً: الظن لا يستعمل بهذا المعنى فحسب، بل يطلق على العلم واليقين أيضاً.

ثانياً: عندما لا يكون العدو وقحاً في التخاطب فإن أدب المناظرة والحوار يقضي علينا أن نحافظ نحن أيضاً على الاحترام ففرعون قال لموسى عليه السلام: ﴿لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ فقال النبي موسى عليه السلام في جوابه أيضاً: ﴿لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾.

التعاليم:

١ ـ أحياناً يتظاهر الإنسان بالجهالة، رغم معرفته بالحق، ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ...﴾.

٢ ـ العلم وحده لا يكفي لهداية الإنسان، بل لا بد أيضاً من الإيمان والتسليم، وإلا فإن فرعون كان لديه علم أيضاً، ﴿عَلِمْتَ﴾.

٣ ـ لقد كانت معجزات النبي موسى عليه السلام واضحة وبينة إلى حد أن فرعون كان عالماً بها أيضاً ﴿عَلِمْتَ﴾.

---

(١) يصف الإمام علي عليه السلام النبي صلى الله عليه وآله بقوله: «طبيب دوارٌ بطبه»، (نهج البلاغة، الخطبة ١٠٨).

٤ ـ المعجزات إنما هي بصائر للناس وأما السحر فلا بصيرة فيه، ﴿بَصَآئِرَ﴾.

٥ ـ في نظام الحكومات الفاسدة، ومن أجل هداية الناس، لا بد من الذهاب إلى رؤساء هذه الحكومات، ﴿يَٰفِرۡعَوۡنُ﴾.

٦ ـ إن أنبياء الله تعالى كانوا واثقين من مسيرتهم، ولهذا السبب فإنهم يحذرون الطواغيت بصراحة، ﴿لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾.

٧ ـ بإمكان كل واحد أن يدرك الحق إلّا أن العناد والتكبر يؤديان إلى الهلاك، ﴿عَلِمۡتَ... مَثۡبُورٗا﴾.

﴿فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا ﴿١٠٣﴾ وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ﴿١٠٤﴾﴾

إشارات:

❑ «الاستفزاز» بمعنى الإخراج بالقوة. وقد أشار القرآن مراراً إلى هذا الأسلوب الذي يقوم به الظالمون بحق أولياء الله وفشلهم في ذلك:

ـ أُلقي النبي إبراهيم عليه السلام في النار، فجعل الله النار برداً وسلاماً.

ـ أُلقي النبي يوسف عليه السلام في الجب، فجعله الله عزيز مصر.

ـ أُخرج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من مكة، فأعطاه الله حكومة عالم الإسلام.

وهذه سنّة الله وقانونه تقضي بوجود التدبير المناسب في مقابل مكر أهل الباطل.

❑ «لفيف» بمعنى جماعات كثيرة ملتف بعضها على بعضها الآخر.

التعاليم:

١ ـ منطق الطاغوت: القسوة، والإبعاد، وعدم تحمل أهل الحق، ﴿فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم...﴾.

٢ ـ في مقابل إرادة الطاغوت توجد إرادة الله وقهره، ﴿فَأَرَادَ... فَأَغۡرَقۡنَٰهُ﴾.

٣ ـ القدرة الزائفة للطواغيت محدودة وهي الأرض فقط، ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾.

٤ ـ العذاب الإلٰهيّ، بعد إتمام الحجة، فبعد ورود المعجزات وعدم إيمان الناس بها فإن الهلاك حتميُّ الوقوع، ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ﴾.

٥ ـ عاقبة الطواغيت وأعوانهم، الهلاك والعناء، ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾.

٦ ـ إعانة الظالمين في ظلمهم سبب للمشاركة في هلاكهم، ﴿وَمَن مَّعَهُۥ﴾.

٧ ـ القادة الفاسدون لهم دورٌ في هلاك قومهم، ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ﴾.

٨ ـ الحكام الذين حكموا منطقة ما لأيام معدودات مسؤولون أمام الله يوم القيامة، ﴿ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ... جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾.

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾

التعاليم:

١ ـ سلامة القرآن مضمونة، فمضافاً إلى أن الله تعالى أنزل القرآن بالحق، فإنه أيضاً أوصل الوحي بكل سلامة إلى مقصده ولم يتمكن الشياطين من الإضرار به، ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾.

٢ ـ محور عمل الأنبياء، البشارة والإنذار، ولا حق لهم في الزيادة على الوحي أو النقيصة منه، ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾.

٣ ـ لا يقع على عاتق النبي ﷺ مسؤولية قبول الناس (للوحي) أو عدم قبولهم، ولا يحق لأي إنسان أن يفرض عقيدته على الآخرين، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

٤ ـ البشارة والإنذار يؤثران إذا كانا معاً، ﴿مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾

إشارات:

❑ من اعتراضات الكفار قولهم: لماذا لا ينزل القرآن دفعة واحدة؟! وهذه الآية:

﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾[1] هي الجواب على مقالتهم.

- لما كانت آيات القرآن ترتبط بأحداث متنوّعة ومختلفة وتتنزل لتأمين ما تحتاجه كل طبقات المجتمع على مر التاريخ؛ فإنها نزلت على دفعات لتتطابق مع الحوادث والوقائع المتنوّعة ولتكون أشد وقعاً على قلوب المنتظرين لها، ومن باب المثال فقط، فإن آيات الجهاد لو نزلت في زمن الصلح مثلاً، فإنها لن تكون في مكانها الواقعي.
- التدريج سنّة إلٰهيّة سواء في عالم الخلق، إذ خلق العالم في ستة أيام؛ أم في نزول القرآن، إذ نزل في ٢٣ سنة، مع أن الله قادر على أن ينزله دفعة واحدة.

فالنزول التدريجي لآيات القرآن أريد منه أن يكون العلم بنزولها توأماً للعمل بها. وحتماً يستفاد أيضاً من النزول التدريجي للقرآن استمرار الارتباط الدائم للنبي محمد ﷺ مع مبدأ الوحي.

التعاليم:

١ ـ إنزال القرآن على دفعات كان بإرادة الله تعالى، ﴿فَرَقْنَٰهُ﴾.

٢ ـ التعليم والتربية والإرشاد، لا بد من أن يكونوا بشكل تدريجي، ﴿فَرَقْنَٰهُ... عَلَىٰ مُكْثٍ﴾.

٣ ـ التلاوة التدريجية للقرآن تجعل المستمع لها متعطشاً لسماع الآيات الأخرى ومنتظراً لها ﴿عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ («مكث» الهدوء المصاحب للاطمئنان).

٤ ـ ينبغي للمربي، المصلح أن يكون له برنامج زماني طويل الأمد، وينبغي له أن لا يغفل عن الزمان ومقتضياته الحادثة والجديدة، ﴿عَلَىٰ مُكْثٍ﴾.

٥ ـ على الرغم من أن الروح العظيمة للنبي محمد ﷺ لها القابلية لاستقبال الوحي دفعة واحدة، إلّا أن الناس لديهم نقص في الاستعداد والقابلية ولذا لا بد من استقباله بشكل تدريجي، ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾.

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٣٢.

٦ ـ في القرآن، مضافاً إلى بعده التعليمي، جنبة إجرائية وتنفيذية، ولا بد من أن تنفذ هذه الناحية بشكل تدريجي؛ لذا من المحال مثلاً أن تطبق دفعة واحدة مئات الأوامر والقوانين في مجتمع يتخبط بمئات المفاسد، ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾.

﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾

إشارات:

- «يخرون» الخرير صوت الماء إذا اندفع بقوة أو الساقط من المرتفعات، وكذلك يطلق على أولئك الذين يهبطون للسجود لله وهم يرددون التسبيح بصوت مرتفع.
- الخرّ للأذقان كناية عن منتهى التواضع والتسليم؛ إذ مضافاً إلى وضع الجبهة على التراب فإن الوجه والذقن أيضاً يلامسان التراب.

التعاليم:

١ ـ إيمان الناس أو كفرهم لا يؤثران في حقانية القرآن، ﴿ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾.

٢ ـ العلم هو هدية إلٰهيّة، ﴿أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾.

٣ ـ خلافاً لمن يعتقد بأن الجهل هو منشأ الإيمان بالله والدين، فإن القرآن يعتبر العلم والمعرفة هما أساس الإيمان، ﴿أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ... يَخِرُّونَ﴾.

٤ ـ آمن جمع من علماء أهل الكتاب بالقرآن، وقد ترك القرآن أثراً عميقاً على أرواحهم، ﴿أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ... يَخِرُّونَ﴾.

٥ ـ العلم الواقعي هو ذلك العلم الذي يدفع الإنسان إلى الخضوع في مقابل الحق، ﴿أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ... يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾.

٦ ـ عندما نواجه عناد أي جماعة في مقابل الحق، لا بد لنا من أن نتذكر جماعات أخرى كانوا من أهل الطاعة، لئلا يترك عناد هؤلاء المخالفين أثراً سيئاً على روحيتنا، ﴿مِن قَبْلِهِۦٓ... يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾.

٧ ـ عندما يتلى القرآن فإنه، لعظمته وغنى مضمونه، يستتبع خضوع العلماء، ﴿إِذَا يُتْلَىٰ... يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾

إشارات:

□ تكرار قوله «يخرون» إما أنه من ناحية تكرار السجود من قبلهم، وإما أنه من باب تعظيم هذا الكمال، وإما لأن سجودهم في المرحلة الأولى كان لأجل معرفتهم بآيات القرآن ووصولهم إلى ما وعد به الإنجيل والتوراة، وأما سجودهم في المرحلة الثانية فكان لأجل البكاء والخشوع.

□ ورد مراراً في الإنجيل والتوراة الوعد بمجيء النبي الخاتم ﷺ، وهذه الآية تشير إلى أن بعض أهل الكتاب لما تحقق عندهم الوعد الإلٰهيّ قاموا بتسبيح الله والسجود الخاشع له.

التعاليم:

١ ـ التعرض لمقالة الصالحين والمؤمنين وسلوكهم مؤثّر في تربية الآخرين، ﴿وَيَقُولُونَ...﴾.

٢ ـ العلماء ينزهون الله تعالى عن أي عيب ونقص، ﴿أُوتُوا الْعِلْمَ... وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ (الاعتقاد بوجود نقص في الله نابع من جهل الإنسان).

٣ ـ تلاوة القرآن تؤثر على بعض الناس من جهات عدة: العمل، والبيان، والقلب، ﴿سُجَّدًا، يَقُولُونَ، يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾.

٤ ـ تلاوة القرآن ترفع الإنسان دائماً، ﴿إِذَا يُتْلَىٰ... وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾.

٥ ـ المعرفة والخشوع لا حد لهما، وكلما ازدادت المعرفة ازداد الخشوع أيضاً، ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾.

٦ ـ البكاء في حال العبادة والسجود قيّم جداً، ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾.

٧ ـ ذكر الله أثناء السجود يشير إلى عظمة السجود وقيمته، ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا... وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾.

٨ ـ البكاء من بركات العلم وآثاره، ﴿أُوتُوا الْعِلْمَ، يَبْكُونَ﴾.

٩ ـ الدمعة القيمة هي الدمعة الدائمة لا الآنية، ﴿يَبْكُونَ﴾.

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١١٠)﴾

إشارات:

❑ ورد في بعض التفاسير أن النبي ﷺ كان في المسجد الحرام يصلي ويقول في دعائه: **«يا الله يا رحمان»** فسمعه بعض المشركين وظن أنه يدعو أحدهما «الله» والآخر «الرحمان» فنزلت هذه الآية ورفعت هذه الشبهة[١].

❑ بعض الأسماء لا تعدو كونها علامة أو إشارة ولا شأن بتطابق الاسم مع المسمى، وهذا من قبيل معرفة الأفراد عن طريق الصوت، أو اللباس، أو الآلة، أو معرفة الدول أو المؤسّسات عن طريق الشعار والعلامة، إلّا أن بعض الأسماء أحياناً ليست مجرد شعار بل لها محتوى ومضمون كأسماء الله المباركة؛ إذ إن كل واحد منها مظهر لكمال من كمالات ذاته المقدّسة.

❑ كلما رفع النبي ﷺ صوته بالقراءة في الصلاة كان الكفار يرفعون أصواتهم بالشعر لمزاحمته ﷺ، وكلما قرأ بصوت خافت لم يسمعه أصحابه فنزلت هذه الآية تأمر النبي ﷺ بالقراءة بين الجهر والإخفات[٢].

❑ ورد في روايات الشيعة والسنّة أن لله تعالى تسعاً وتسعين اسماً مَن دعا الله بها استجاب له ودخل الجنّة[٣].

---

(١) تفسيري: التبيان والفرقان.

(٢) تفسير أبو الفتوح الرازي.

(٣) تفاسير: الطبري، الميزان، ومجمع البيان.

التعاليم:

١ ـ على النبي ﷺ أن يرفع كل الشبهات، ﴿قُلِ﴾.

٢ ـ أسماء الله ترجع كلها إلى حقيقة واحدة فهي عين ذاته المقدّسة، ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ﴾.

٣ ـ الأسماء الحسنى وأفضل الصفات مختصة بالله تعالى، ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

٤ ـ حيث إن الله تعالى وكمالاته لا نهاية لهما وحيث إن العقل وكلمات الإنسان محدودات من جهة أخرى، لذا فإن الأفضل أن ندعو الله بأسمائه التي استفدناها منه ومن القرآن الكريم، وإلا فمن الممكن أن ينحرف الإنسان وأن يبتدع لله تعالى أسماءً غير لائقة، ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

٥ ـ عند الدعاء الإنسان حرّ في أن يدعو الله بأي واحد من أسمائه تعالى، ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ﴾.

٦ ـ في كل أسماء الله تعالى استفيد من أفضل المعاني وأقدس المفاهيم، ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

٧ ـ الإسلام، دين الوسطية والاعتدال، فحتى أثناء القراءة في الصلاة لا بد من أن تكون بصوت وسطيّ، ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾.

٨ ـ الإسلام، مضافاً إلى النية والعمل، يهتم أيضاً بكيفية العمل والأسلوب؛ لذا لا بد من أن تقرأ الصلاة بآداب خاصة بها، ﴿وَلَا تَجْهَرْ، وَلَا تُخَافِتْ، وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾.

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾

إشارات:

□ ابتدأت هذه السورة بتسبيح الله تعالى واختتمت بتحميده وتكبيره، وكذلك هو الحال في سورة المؤمنون؛ إذ ابتدأت بفلاح المؤمنين ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ واختتمت بعدم فلاح الكافرين ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

☐ ورد في الروايات الشريفة أن تلاوة هذه الآية مفيدة ومؤثرة لرفع الدَّيْن، ورفع الوسوسة، ونفي الفقر والمرض.

☐ قيل إن نفي الولد عن الله ورد في مقابل دعوى اليهود والنصارى، وإن نفي الشريك ورد في مقابل قريش، وإن نفي الولي ورد في مقابل بعض المجوس وعباد النجوم(١).

التعاليم:

١ ـ لنتعلم حقيقة الحمد من الله تعالى، ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

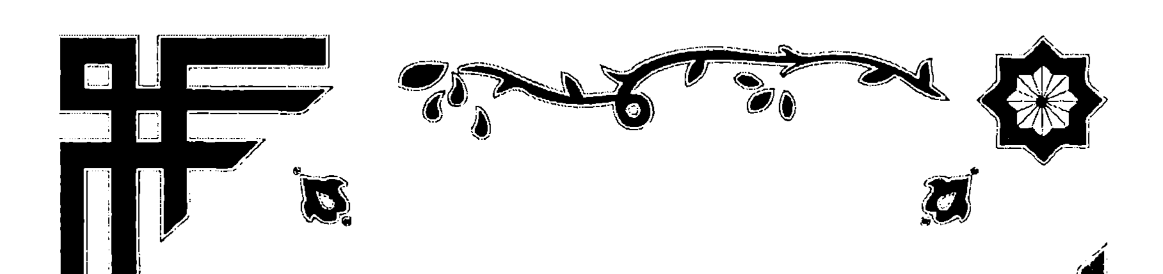
٢ ـ دليل اختصاص الحمد بالله تعالى هو عدم احتياجه، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾.

٣ ـ عظمة الله تعالى، اعتبرها الله عظمة خاصة به، وينبغي علينا أن نعتبره الغني (غير المحتاج) المطلق، ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾.

«الحمد لله رب العالمين»

---

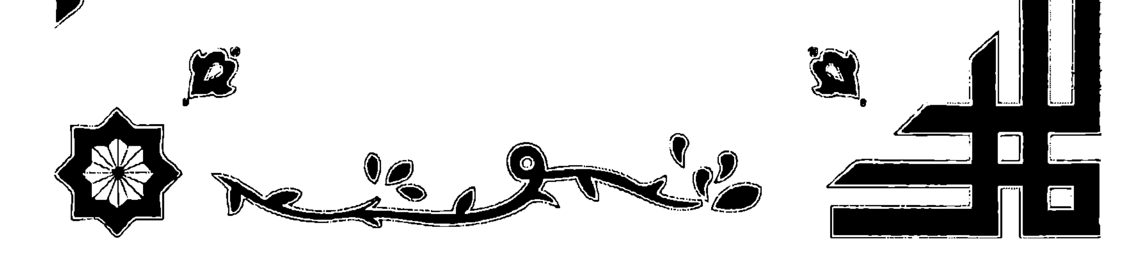
(١) تفسير مجمع البيان وتفسير الأمثل.



سُورَةُ الكَهفِ

السورة: ١٨ الجزء: ١٥ ـ ١٦

عدد الآيات: ١١٠



ملامح سورة الكهف

هذه السورة تشتمل على مئة وعشرة آيات، باستثناء الآية الثامنة والعشرين فإنها نزلت كلها في مكة المكرمة.

وفي هذه السورة ذكرت قصة أصحاب الكهف، وقصة موسى والخضر ﷺ، وقصة ذي القرنين[١]. وبحثت فيها بعض المسائل المرتبطة بالمبدأ والمعاد.

روي أن قريشاً أرسلت بعض أفرادها من مكة إلى المدينة ليسألوا أحبار اليهود عن بعثة النبي محمد ﷺ والدلائل على صدقه، فقال أحبار اليهود لمبعوثي قريش: اسألوه عن ثلاثة أمور فإذا أجابكم عن أمرين ولم يجبكم عن الثالث فهو صادق اسألوه عن أصحاب الكهف وذي القرنين وعن الروح فإذا أجابكم عن أصحاب الكهف وذي القرنين ولم يجبكم عن الروح فهو نبي[٢].

روي عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال: **«من قرأ سورة الكهف في كل ليلة جمعة لم يمت إلا شهيداً، وبعثه الله مع الشهداء، ووقف يوم القيامة مع الشهداء»**[٣].

---

(١) هذه القصص الثلاث ذكرت في هذه السورة فقط.

(٢) تفسير الدر المنثور.

(٣) مجمع البيان.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾

إشارات:

- من بين السور القرآنية، فإن سور: الحمد، الأنعام، سبأ، فاطر، والكهف ابتدأت بقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وفي ثلاث سور منها تكلم عن الخلق. وفي سورة الحمد تكلم عن التربية، وأما في هذه السورة فتكلم عن الكتاب السماوي، وكأن الوجود والخلق، مضافاً إلى الكتاب والقانون، بمثابة الجناحين لتربية الإنسان.

- «العوج» الانحراف، وتستعمل «عَوَج» (بفتح العين) في مورد المحسوسات (ما يُرى شخصه)، وتستعمل «عِوَج» (بكسر العين) في غير المحسوسات (ما لا يُرى شخصه)[١].

و«القيّم» بمعنى المستقيم المعتدل وما يقوم بمصلحة الشيء.

- ابتدأت السورة السابقة بقوله ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ﴾ وأما هذه السورة فبمقولة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، فالتسبيح والتحميد يقترنان غالباً.

- كلمة «عبده» متى ما وردت في القرآن بنحو مطلق فالمراد منها هو النبي الأكرم ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾[٢] ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾[٣] ﴿يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ﴾[٤] ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾[٥].

---

(١) «عَوَج» تستعمل لبني الإنسان، و«عِوَج» لغير بني الإنسان. (تفسير التبيان).

(٢) سورة الفرقان: الآية ١.

(٣) سورة النجم: الآية ١٠.

(٤) سورة الحديد: الآية ٩.

(٥) سورة الزمر: الآية ٣٦.

التعاليم:

١ ـ نعمة الكتاب والقانون، مهمة إلى حد أن الله تعالى نفسه يحمد على ذلك، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ...﴾.

٢ ـ عبودية الله مهد استقبال الكمالات المعنوية، ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾.

٣ ـ لا اعوجاج في كتاب الله ولا في رسوله ﷺ، ولا يميل من الحق إلى الباطل، ولا من المفيد إلى غير المفيد، ولا من الصحيح إلى الفاسد، ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾.

٤ ـ القرآن إلى يوم القيامة ثابت غير قابل للنسخ، ﴿قَيِّمًا﴾.

٥ ـ القرآن، حافظ الكتب السماوية والقيّم على كل مصالح العباد، لا يوجد فيه أي تناقض أو اختلاف أو أي إفراط وتفريط، ويدعو إلى القيام. وكذلك القيام بالدعوة، ﴿قَيِّمًا﴾.

٦ ـ شرط القيام بمصالح الآخرين هو عدم وجود الانحراف والاعوجاج فيها، ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ، قَيِّمًا﴾.

٧ ـ دفع الضرر أولى وأهم من جلب المنفعة، لذا أورد الإنذار قبل البشارة، ﴿لِّيُنذِرَ... وَيُبَشِّرَ﴾.

٨ ـ الإيمان مع العمل الصالح مؤثّر، ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾.

٩ ـ العمل الصالح ينبغي أن يستمر، ﴿يَعْمَلُونَ﴾.

﴿مَّـٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِـَٔابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾

إشارات:

□ رغم أن الآية السابقة اشتملت على الإنذار إلا أنه، وبسبب أهميّة انحراف المشركين في دعوى الولد لله، فقد تكرر الإنذار في هذه الآية مرة أخرى.

□ بالالتفات إلى آيات أخرى في القرآن فإن تهمة الله باتخاذ الولد كانت تهمة كبيرة وشائعة بين المشركين؛ فالمسيحيون قالوا بـ«الآب والابن والروح القدس»، وقالت اليهود إن «عزيراً» ابن الله، وذهب المشركون إلى أن الملائكة بنات الله، مع أن هذه العقيدة لا تتوافق مع الواقع ولا تتطابق مع العقل أيضاً.

التعاليم:

١ ـ العمل الدائم له ثواب دائم، ففي الآية السابقة كان قوله «يعملون الصالحات» مشيراً إلى دوام العمل، وفي هذه الآية فإن قوله تعالى ﴿مَّٰكِثِينَ﴾ يعني الثواب الدائم.

٢ ـ الإنسان محب للحياة الدائمة والخالدة، وهذه الحياة قد جعلها الله في يوم القيامة، ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾.

٣ ـ من خصائص النعم الإلٰهيّة في الآخرة دوامها وخلودها، وفي يوم القيامة لا موت ولا فناء، ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾.

٤ ـ إصلاح عقائد الناس من وظائف الأنبياء، ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ﴾.

٥ ـ الجهل مهد الانحراف، ﴿قَالُوا... مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾.

٦ ـ لا بد من أن تكون العقائد على أساس العلم، والعقيدة دون علم مذمومة، ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾.

٧ ـ من لم يكن لديه إيمان فإنه يتهم خالقه أيضاً، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾.

٨ ـ اتخاذ الله للولد تهمة لا أساس لها، ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾.

٩ ـ نسبة الولد إلى الله، مضافاً إلى أنها شرك، فإنها تشبيه في غير موقعه، وكذلك هي اعتقاد بحاجة الله إلى من يخلفه والمعين له، ﴿كَبُرَتْ﴾.

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾

إشارات:

□ «الأسف» شدة الحزن.

□ التعبير بقوله ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ﴾ يفيد منتهى التعزية للنبي محمد ﷺ، وكأنها تُشبّه النبي ﷺ بشخص يفصل عنه أعز أتباعه وهو بكل حسرة ينظر إليهم من خلفهم.

التعاليم:

١ ـ الأسى والتأسف على ضلال الآخرين قيّم. والنبي ﷺ هو أكثر الناس تأسفاً وأسىً، ﴿بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾.

٢ ـ لا بد للقائد من أن يفكر في إصلاح عقائد الناس وأعمالهم وأن يبقى متابعاً لهم، ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ﴾.

٣ ـ القرآن فيه كلام جديد وخطاب جديد، ﴿ٱلۡحَدِيثِ﴾ ولا بد للمبلغ أيضاً من أن يقوم بالتحديث باستمرار (الحديث بمعنى الجديد الذي لا سابق له).

﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ۝٨﴾

إشارات:

□ «الصعيد» يطلق على التراب وعلى مطلق وجه الأرض. و«الجرز» الأرض القاحلة التي لا نبات فيها.

□ وَضَعَ الله تعالى كلمة «لنبلوهم» المرتبطة بمسألة اختبار الناس بين كلمتي «جعلنا» و«جاعلون»، الأولى منهما ترتبط باخضرار الأرض، والثانية ترتبط بما لا نبت فيها، وربما يكون في ذلك إشارة إلى أنّ ابتلاء الناس واختبارهم يقع بين طيات الاخضرار والسرور من جهة واليباس والغموم من جهة أخرى، إلّا أن ما هو المهم هو عمل الإنسان وفلاحه.

□ ورد في الروايات أن المراد من قوله ﴿أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾ أي أحسن عقلاً وأحسن ورعاً وتقوّى، والتي هي ذخيرة ليوم القيامة أيضاً[1].

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج٥، ص ٣٦١؛ وج٣، ص ٢٤٣.

التعاليم:

١ ـ السبب في عدم إيمان الكفار سكرهم بزينة الدنيا، ﴿لَمْ يُؤْمِنُوا... جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً﴾.

٢ ـ كل شيء على وجه الأرض من بساتين، وورود، وفواكه، وحيوانات، ومياه، ومعادن، وألوان، وروائح، زينة للأرض، ﴿زِينَةً لَّهَا﴾. وأما بالنسبة إلى بني الإنسان السائرين نحو الكمال فإن الإيمان زينتهم[١].

٣ ـ الزينة وسيلة للبلاء، ﴿زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾؛ ليعلم حينئذٍ من هو المخدوع المغبون والذي يبيع نفسه، وليعلم من هو القانع الزاهد العفيف الذي يجعلها مقدمة للعمل الصالح.

٤ ـ الابتلاء يدلّ على اختيار الإنسان[٢]، ﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾.

٥ ـ المهم هو كيفية العمل وليس مقداره وكميته، ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾؛ ولم يقل «أكثر عملاً».

٦ ـ جمال الورود والطبيعة فانٍ، وأما العمل الحسن فباق، ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا... صَعِيدًا جُرُزًا﴾.

٧ ـ علينا ألا نغتر بزينة الدنيا الظاهرية والتي ستسوى جميعاً في التراب، ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾﴾

إشارات:

❑ «الرقيم» بمعنى الكتاب، وهو لوح من حجارة كتب فيه قصة أصحاب الكهف ودُونت فيه أسماؤهم. و«الكهف» يطلق على الغار الكبير.

---

(١) ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾، (سورة الحجرات: الآية ٧).

(٢) يستخدم الابتلاء في الموارد التي يمتلك فيها الإنسان القدرة على الاختيار.

❑ تفيد الآية الشريفة أن الأهم من نوم بعض الأفراد في الغار ومن ثم إيقاظهم هو إيجاد المظاهر الجميلة الكثيرة والمتنوّعة على وجه الأرض، ومن ثم محوها وفنائها باعتبار أن قضيّة أصحاب الكهف ليست عجباً كبيراً بالنظر إلى القدرة الإلٰهيّة.

❑ حدثت قضيّة أصحاب الكهف بعد زمان النبي عيسى عليه السلام وقبل بعثة نبي الإسلام محمد ﷺ في مدينة «أفسوس» من أرض الروم، وكان طاغوتها يسمى دقيانوس.

والعبرة التي يمكن استفادتها من هذه الحادثة هي عبرة الهجرة والثبات والمدد الإلٰهيّ، ولا ينبغي الالتفات إلى المكان والزمان والعدد وغير ذلك.

❑ الظاهر أن أصحاب الكهف والرقيم اسم لمجموعة واحدة. وذهب بعضهم إلى القول إن الرقيم اسم للقرية التي خرج منها أصحاب الكهف، مع أن بعض التفاسير ذكرت أن أصحاب الرقيم هم النفر الثلاثة الذين خرجوا من بيوتهم للكسب والعمل والقوت فأصابهم المطر في الطريق فالتجأوا إلى الغار، وأثناء تواجدهم هناك سقطت صخرة من الجبل سدت باب الغار فحبسوا فيه، فذكر كل واحد منهم ما كان يعمل من الخيرات لوجه الله، ودعوا الله أن ينجيهم بسبب تلك الأعمال، وفي كل مرة من دعائهم كانت الصخرة تميل قليلاً حتى أنجاهم الله تعالى. وعن النبي ﷺ أنه قال بعد ذكر هذه القصة: من صدق الله نجا[1].

﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾

إشارات:

❑ «الفتية» جمع فتى بمعنى الشاب وصاحب الهمة. ورُوي عن الإمام الصادق عليه السلام

(١) تفاسير: مجمع البيان، نور الثقلين، كشف الأسرار، الدر المنثور.

أنه قال: «كانوا شيوخاً فسماهم الله ﷻ فتية بإيمانهم»[١].

□ «رَشَداً» بمعنى الرُشد والنجاة ومرضاة الله[٢]. وردت هذه الكلمة ثلاث مرات في هذه السورة: في قصة أصحاب الكهف، وفي قصة النبي موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام (الآية: ٦٦)، وفي مورد نبي الإسلام ﷺ (الآية: ٢٤).

□ ورد في الحديث أن المراد من قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾، أي ضرب عليهم النوم والنعاس ثلاث مئة سنة وتسعاً ومن ثم أحياهم مرة أخرى[٣].

التعاليم:

١ ـ لأجل حفظ الدين، لا بد من الهمة، وترك الرفاه والراحة، والهجرة، ﴿أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾.

٢ ـ الدعاء المصاحب للسعي والعمل مؤثّر، ﴿أَوَى... رَبَّنَآ﴾.

٣ ـ الهجرة من البيئة الفاسدة لأجل المحافظة على الإيمان والقيم تعد عملاً عظيماً، ﴿أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾.

٤ ـ الهجرة والقيام في سبيل الله يمهدان لتلقي الإمدادات الإلٰهيّة، ﴿أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ... فَضَرَبْنَا﴾.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾

إشارات:

□ ﴿أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ﴾ ربما تشير إلى الآية (١٩) من هذه السورة، إذ تفيد أن أصحاب الكهف قد اختلفوا في مدة نومهم ولبثهم، ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ...﴾.

---

(١) الكافي، ج٨، ص ٣٩٨؛ تفسير نور الثقلين.
(٢) تفسير مجمع البيان.
(٣) تفسير نور الثقلين.

□ إن الله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء وبناء عليه فإن قوله «النعلم» إما أن يكون المراد منه أن الله تعالى تكلم بلسان الناس، وإما أنه بمعنى أن ما يعلمه الله قد تحقق وحدث.

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾

إشارات:

□ الناس من حيث الفساد والمجتمع الفاسد على ثلاثة طوائف:

أ ـ طائفة تنخرط في فساد المجتمع (وهؤلاء هم الذين لم يهاجروا ولم يؤمنوا بشكل كامل) ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾.

ب ـ طائفة تحافظ على نفسها رغم كونها في المجتمع الفاسد. (مثل أصحاب الكهف) ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾.

ج ـ طائفة تعمل على تغيير المجتمع الفاسد وإصلاحه (مثل الأنبياء والأولياء) ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ﴾.

□ ورد في الروايات أن أصحاب الكهف سيكونون من أصحاب الإمام المهدي وأنصاره (عجل الله تعالى فرجه)[1].

التعاليم:

١ ـ القصص وقصة الحق وقول الحقيقة ليست بمقدور كل أحد، ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ﴾.

٢ ـ قصة أصحاب الكهف مهمة ومفيدة ﴿نَبَأَهُم﴾؛ والنبأ هو الخبر الهام والمفيد.

٣ ـ الاستفادة من الحقائق والعبر التاريخية يعد من أساليب التربية في القرآن، ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾.

٤ ـ قصص القرآن لها حقيقة وليست موضوعة أو مخلوطة بالأوهام والتحريف، ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾.

---

(١) منتخب الأثر، ص ٤٨٥.

٥ ـ تحرك الإنسان وسعيه يؤدي إلى رشده وهدايته، ﴿ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾.

٦ ـ الإيمان والهداية على مراتب متفاوتة، ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾

إشارات:

□ «الشطط» بمعنى الإفراط في الابتعاد عن الحق وقول الكلام الباطل الذي لا يمكن القبول به بأي وجه.

التعاليم:

١ ـ سكينة القلوب ويقظتها وثباتها بيد الله تعالى، ﴿وَرَبَطْنَا﴾.

٢ ـ في مقابل انحراف المجتمع لا يجوز القعود؛ بل لا بد من القيام والنهوض، ﴿إِذْ قَامُوا۟﴾.

٣ ـ المدد الإلٰهيّ إنما يتم في ظل الإيمان بالله والوحدة والنهوض والقيام والتوكل على الله، ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟﴾.

٤ ـ القيام في وجه الظالم يحتاج إلى إيمان راسخ وقلب مطمئن، ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟﴾.

٥ ـ الإيمان الواقعي يصاحب القيام، ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟﴾.

٦ ـ الموحد الواقعي لا يميل أبداً إلى الشرك، ﴿لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا﴾.

٧ ـ ثمرة التوحيد في الربوبيّة، ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ هي التوحيد في العبودية، ﴿لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا﴾.

٨ ـ الشرك انحراف بعيد، وعميق، وفاحش لا يعفى عنه أبداً، ﴿شَطَطًا﴾.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ١٥﴾

إشارات:

□ رغم أن كلمة «الافتراء» تتضمن معنى الكذب فإنه مع ذلك ذكر في الآية أيضاً كلمة «كذباً»، وربما يكون السبب في ذلك أن الافتراء على نحوين: تارة يوجد فيه إمكان النسبة وتارة أخرى لا يوجد. والشرك ها هنا من النوع الثاني؛ إذ إن وجود الشريك للقادر والعالم على الإطلاق محال.

التعاليم:

١ ـ قلة الاهتمام بضلال الآخرين وانحرافهم ممنوع، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا﴾. (إن أصحاب الكهف كانوا منزعجين من انحراف قومهم).

٢ ـ أكثر ما يقلق رجال الله انحراف الناس العقدي، ﴿ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ﴾.

٣ ـ التقليد والتبعية لمن حولنا في العقائد منطق مذموم وباطل، بل لا بد في العقائد من وجود الدليل الواضح والبيّن، ﴿قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ... لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ﴾.

٤ ـ الشرك افتراءٌ على الله ودون دليل، ﴿مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

٥ ـ الكذب، ظلم والكاذب ظالم، والأظلم هو من يكذب على الله تعالى، ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾.

﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦﴾

إشارات:

□ تحكي هذه الآية قول رئيس أصحاب الكهف مع بقيّة الفتية يبعث فيهم الأمل برحمة الله وسعتها[1].

---

(١) تفسير مجمع البيان.

التعاليم:

١ ـ الموحد الواقعي، مضافاً إلى تركه للأصنام، فإنه يعتزل عبَّاد الأصنام أيضاً ﴿ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ﴾.

٢ ـ عباد الله تعالى في معرض التهديد من قبل المشركين، ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾.

٣ ـ السكن في الكهف ضمن أجواء التوحيد أفضل من السكن في المدينة ضمن أجواء الشرك، ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾. كذلك فعل النبي يوسف عليه السلام؛ إذ رجّح السجن على القصر فقال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾[1].

٤ ـ إن من يقوم لله تعالى ويهاجر من بلده تاركاً مسكنه ومجتمعه، فإنه سيكون مشمولاً بالألطاف الإلٰهيّة، ﴿يَنشُرْ لَكُمْ﴾.

٥ ـ الشدائد سريعة الانقضاء ومقدمة للرفاه والسكينة، ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾.

﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾

إشارات:

- من الناحية الجغرافية فإن غار أصحاب الكهف لم يكن مواجهاً للمشرق ولا للمغرب، بل كان مواجهاً للشمال الشرقي بحيث لم تكن الشمس لتنفذ إلى أعماق الكهف أبداً وفي أي وقت.

وقد اختلفت الآراء في مكان وجود الكهف، فذهب بعضهم إلى القول إنه كان في الجبال بأطراف دمشق وهو مشهور بغار أصحاب الكهف. وذهب آخرون إلى القول بوقوعه في أطراف مدينة عمّان عاصمة الأردن وأن فيه عدداً من القبور وصورة كلب منقوشة على الجدار، وتوجد فوق الكهف صومعة قديمة، كذلك فإن

---

(١) سورة يوسف: الآية ٣٣.

المسلمين قاموا ببناء مسجد في ذلك الموضع[١]. وعلى أي حال فإن خصائص الكهف كانت نموذجاً من رحمة الله تعالى التي كان قد وعد بها في الآية السابقة.

التعاليم:

١ ـ الحفظ الإلٰهيّ لا يكون دائماً على صورة المعجزة بل أحياناً، تكون العوامل الطبيعية من وسائل الحفظ وأدواته، كما كان الحال في حفظ أصحاب الكهف، ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ...﴾. (إن عدم شروق الشمس على الكهف بشكل مباشر وكذلك وجود النسيم والهواء وسعة مكان الكهف كانت جميعاً من العوامل الطبيعية التي ساهمت في سلامة أصحاب الكهف).

٢ ـ التوفيق للإيمان، مضافاً إلى اعتزال القوم المشركين واللّجوء إلى ذلك الكهف مع ما له من خصائص، لم تكن لتتم إلا بإرادة الله وهدايته، ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾

إشارات:

□ على حد قول صاحب تفسير مجمع البيان فإن الظاهر من قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ أن ذلك الكلب بقي حياً يحرسهم ثلاث مئة وتسع سنين.

نعم، إذا شاء الله وأراد فإنه على باب غار يحفظ نبيه ببيت العنكبوت ويؤيس الكافرين، وفي غار آخر يحفظ المؤمنين من يد الظالم بجلوس كلب على بابه وحراسته لهم.

التعاليم:

١ ـ إحدى النعم الإلٰهيّة تقلّب الإنسان في نومه، ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾.

---

(١) تفسير الفرقان.

٢ ـ الله تعالى مسبب الأسباب ولذا فإن تغيير الأسباب والآثار من أفعال الله تعالى، ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾. (من الناحية الكمية فإن الله تعالى غيّر مدة نوم أصحاب الكهف من ساعات عدة إلى ثلاث مئة وتسع سنين، ومن الناحية الكيفية فإنه غيّر نومهم إلى نوم تبقى فيه أعينهم مفتوحة ويديرون أطراف أعينهم).

٣ ـ الحيوانات أحياناً تكون مأمورة ببعض الأهداف الإلٰهيّة؛ لذا لا بد لنا من أن لا نغفل عن دور الحيوانات في حياة البشر، ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ﴾.

٤ ـ شكلُ بعض الناس وقيافتهم لا يعد معياراً صحيحاً للمعرفة، فربما كان بعض الناس مخيفاً؛ ولكنه من أولياء الله تعالى[1]، ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾

إشارات:

- «الورق» هو الدراهم، وكان معهم دراهم عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم.
- أثناء المبارزة مع المجتمعات الفاسدة فإن الوحدة بين القوى الفاعلة تعتبر عاملاً مهماً وفي هذه الآية تكررت صيغة الجمع «كم» أربع مرات:

أ ـ من أجل تهيئة الطعام فإن الكل واحد، ﴿أَحَدَكُم﴾.

ب ـ المال للجميع، ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾.

---

(١) ربما يكون الخوف والوحشة ـ المسبَّبان عن تغير قيافة أصحاب الكهف ـ لأجل المحافظة عليهم بحيث لا يجرؤ أحد من الناس على الاقتراب منهم.

ج ـ الغذاء الذي يراد تهيئته للجميع، ﴿فَلْيَأْتِكُم﴾.

د ـ المحافظة على أرواح الجميع واجب، ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ﴾.

التعاليم:

١ ـ بالنسبة إلى الله تعالى فإنه لا يشكل عليه أي أمر لا من جهة تنويمهم ثلاث مئة وتسع سنين، ولا من جهة إيقاظهم مرة أخرى، ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ﴾.

٢ ـ لا تتعجبوا من البعث والحشر في يوم القيامة؛ فإن كل يقظة من النوم تعد نوعاً من البعث والنشور، ﴿بَعَثْنَٰهُمْ﴾.

٣ ـ الإيقاظ من النوم أيضاً إنما هو بإرادة الله تعالى، ﴿بَعَثْنَٰهُمْ﴾.

٤ ـ إيقاظ أصحاب الكهف كان له ثمرتان: إحداهما ترتبط بهم أنفسهم إذ تساءلوا: ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ﴾، والثانية ترتبط بالآخرين من جهة كونها نموذجاً للنشور والبعث في يوم القيامة، ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ﴾.

٥ ـ الأمور التي لا علم لنا بها لا ينبغي علينا إبداء أي رأي فيها، ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾.

٦ ـ حتى في ضمن مجموعة صغيرة لا بد أيضاً من وجود المسؤول والقائد (بين أصحاب الكهف كان رجل واحد فقط يأمر وينهى ويسأل)، ﴿قَالَ قَآئِلٌ... فَٱبْعَثُوٓاْ﴾.

٧ ـ التحرك والسعي من أجل المعيشة في الحياة لا يتنافى مع التوكل. فأصحاب الكهف كانوا يمتلكون المال من جهة ومن جهة أخرى تحركوا من أجل تهيئة الطعام، ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ﴾.

٨ ـ التوكيل وقبول الوكالة من الجماعة جائزان، ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم﴾.

٩ ـ المال والنقد لهما سابقة قديمة في التاريخ، ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾.

١٠ ـ ليس كل مال يمكن أن يكون ثمناً للبضاعة، ﴿بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ﴾.

١١ ـ الأحرار المؤمنون لا يأكلون أي طعام ولا يهمهم نوعه ومقداره بل المهم عندهم كون الطعام طاهراً وحلالاً، ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا... بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾.

١٢ ـ لا بد للمؤمن من أن يكون حافظاً للأسرار، وأن يكون فطناً، ومن خلال تطبيق أصول السلامة عليه ألا يعرِّف العدو بوجوده، ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾؛ لذا من يتحمل المسؤولية لا بد من أن يمتلك الحصافة الكافية.

﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ
فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾

التعاليم:

١ ـ في بعض الموارد، ولأجل حفظ النفس والإيمان، فإن التقية واجبة، ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ... يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ...﴾.

٢ ـ من قصر في حفظ نفسه وإيمانه فأصبح منحرفاً فإنه لن يفلح أبداً، ﴿وَلَن تُفْلِحُوٓاْ﴾.

٣ ـ المنطق القائل: «إذا لم تُرد الفضيحة فتلون بلون الجماعة» مخالف للقرآن، ﴿يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ﴾.

٤ ـ ظروف البيئة وضغطها وما يُلزم به المجتمع والحكومات يؤدي غالباً إلى انحراف عامة الناس وتعاستهم، ولكن لا بد من الوقوف في مقابلها ومواجهتها، ﴿يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾.

٥ ـ الرجم في سبيل الحق ليس عيباً بل المعيب هو الانحراف والارتداد، ﴿يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾.

٦ ـ المرتد لا يفلح أبداً، ﴿يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾

إشارات:

- «الإعثار» يقال في مورد الاطلاع على أمرٍ ما صدفة من غير طلبه. كما اطلع الناس في ذلك الزمان على سرهم الهام جداً دون أي عناء وطلب وإنما فقط من خلال النظر في دراهم.
- طرحت في قصة أصحاب الكهف مسائل عدة نظير: قدرة الله تعالى وإرادته، الشجاعة، الزهد في الدنيا، الهجرة، التقية، المدد الإلٰهيّ، والغذاء الحلال.

التعاليم:

١ ـ الإرشاد والتعليم التجريبي والعيني والتمثيلي كلها تعد من أفضل الإرشادات ﴿أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ﴾.

٢ ـ لا يتصف أي فعل من أفعال الله تعالى بالعبث واللغو، ﴿أَعْثَرْنَا... لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾.

٣ ـ لا بد من أن تكون العقائد على أساس العلم، ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾.

٤ ـ القدرة التي يمكنها أن تحفظ الإنسان حياً دون غذاء لأكثر من ثلاثة قرون بإمكانها أيضاً إحياء الأموات، ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾.

٥ ـ يمر الإنسان على بعض الحوادث التاريخية بكل بساطة ويغفل عن آثارها التربوية، فأصحاب الكهف، وبعد كشف أمرهم، رحلوا عن الدنيا، وأما الناس فكان همهم بناء تذكار ومقبرة لهم وليس العبرة والدرس التربوي من هذه الحادثة، ﴿ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا﴾.

٦ ـ أغلب الناس سطحيون وبسطاء في الفكر لا يبالون بالعمل ويقولون للآخرين اعملوا، ﴿قَالُواْ ٱبْنُواْ﴾؛ ولكن أصحاب الهمة الأقوياء يقولون: نحن نقوم بذلك ﴿لَنَتَّخِذَنَّ﴾.

٧ ـ بناء المسجد فوق مزار أولياء الله له جذور قرآنية، ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾.

٨ ـ الآثار المقدّسة يجب أن تكون في أماكن مقدّسة ولمناسبات مقدّسة أيضاً؛ لذا فإن وجود المسجد إلى جوار كهف الموحدين المهاجرين ذو قيمة عظيمة، ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾.

٩ ـ علينا الاستفادة من كل فرصة لأجل ترويج الدين ونشره، ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ (إذا كان لا بد من بناء شيء كنصب وتذكار؛ فلنبن مسجداً فإن آثاره المعنوية والمادّية كبيرة جداً).

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾

إشارات:

□ لم يرد حرف (و) قبل قوله «رابعهم» و«سادسهم» ولكنه ورد قبل قوله «ثامنهم» ﴿وَثَامِنُهُمْ﴾.

وربما يكون السبب في ذلك أن أصحاب الرأي القائل بكونهم ثلاثة أو خمسة لم يكونوا أهلاً للرأي وقد عبر الله تعالى عنهم بقوله ﴿رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾، وأما الرأي القائل بكونهم سبعة فصدر عن المؤمنين وأهل التدقيق[١] في الأمور. ومن هذه الناحية لم ترد جملة «رجماً بالغيب» بعد قولهم، واحتراماً لهم فصل بواو العطف بين أصحاب الكهف وكلبهم (سبعة وثامنهم كلبهم).

□ إذا كان للحركات قيم وللناس أهداف فإن كل شيء يصاحبهم ويتعلق بهم حتى ولو كان حيواناً لا بد من أن يحسب لها الحساب. فكونه حيواناً أو نجساً لا يدل على عدم قيمته، وفي هذه الآية ذكر الكلب ثلاث مرات، وفي الآية (١٨) أيضاً أشير إلى الدور المؤثّر لكلب أصحاب الكهف، ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾.

---

(١) روى ابن عباس هذه المقالة عن أمير المؤمنين عليه السلام.

❑ انتقد الله في آيات عدة من هذه السورة الظن والتخمين:

- ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ (الآية ١٩)،
- ﴿رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ (الآية ٢١)،
- ﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ (الآية ٢٢)،
- ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ (الآية ٢٦).

التعاليم:

١ ـ القرآن يخبر أيضاً عن المستقبل، ﴿سَيَقُولُونَ﴾.

٢ ـ لا ينبغي علينا التكلم دون دليل ولا ينبغي لنا الاستناد إلى التخمين والظن، ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾.

٣ ـ في بعض المواضع غير الضرورية يجب علينا أن نغض النظر عن البحث والجدال، ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾.

٤ ـ بدل التفكير بالعدد تفكروا في الأهداف، ولا تذهبوا وراء المعلومات غير المفيدة، ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾.

٥ ـ الاستفتاء والسؤال من أي إنسان لا يجوزان؛ لذا لا ينبغي لنا أن نسأل من ليس بأهل للسؤال، ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ﴾.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾

إشارات:

❑ قول «إن شاء الله» الذي يفيد الاعتقاد بقدرة الله تعالى ومشيئته كان مستند كلام أولياء الله تعالى كذلك فإن القرآن أيضاً قد حكاه عن لسان أنبياء الله:

- قال يعقوب ﷺ لأبنائه: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَآءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[1].

(١) سورة يوسف: الآية ٩٩.

ـ قال النبي موسى عليه السلام للخضر: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾[(١)].

ـ قال النبي شعيب عليه السلام للنبي موسى عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[(٢)].

ـ وقال إسماعيل لأبيه النبي إبراهيم عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[(٣)].

وحتماً ليس المراد من قول «إن شاء الله» و«أعوذ بالله» أن يكونا مجرد لقلقة لسان بل المراد امتلاك مثل هذه الرؤية والمعرفة في تمام أبعاد الحياة ومعتقدات الإنسان وقلبه.

□ روي أن الإمام الصادق عليه السلام أمر يوماً بكتابة رسالة وعندما جاؤوا بالرسالة إليه وجدها خالية من كلمة «إن شاء الله» فقال عليه السلام: **«كيف رجوتم أن يتم هذا وليس فيه استثناء، انظروا كل موضع لا يكون فيه استثناء فاستثنوا فيه»**[(٤)].

وروي أن نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وآله كان عندما يدخل إلى المقبرة يقول: **«وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»**. أي إن شاء الله فإننا سنلتحق بكم مع أن الموت أمرٌ محتوم[(٥)].

□ إن الإنسان، وفي عين أنه مريد وحر ومختار، إلّا أن ذلك ليس بنحو الاستقلال فلم يوكل إليه كل أموره ليقوم بها دون إرادة الله تعالى، أي أن الإنسان لا هو مجبر على كل أموره ولا هو بيده الاختيار في تمام الأمور، بل إن حرّية الإنسان وإرادته في ظل مشيئة الله سبحانه، ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾.

التعاليم:

١ ـ لا بد لنا، أثناء الكلام وأثناء العزم على أي أمر من الأمور، أن لا ننسى الله تعالى، ﴿وَلَا تَقُولَنَّ﴾.

٢ ـ علينا ألا نعتقد باستقلالنا عن الله تعالى، وعلينا ألا نخبر بالقيام في المستقبل

---

(١) سورة الكهف: الآية ٦٩.
(٢) سورة القصص: الآية ٢٧.
(٣) سورة الصافات: الآية ١٠٢.
(٤) تفسير نور الثقلين.
(٥) تفسير كشف الأسرار.

بأي عمل مهما كان صغيراً بنحو القطع والجزم، ﴿وَلَا تَقُولَنَّ... إِنِّي فَاعِلٌ...﴾.

٣ ـ علينا ألا نستند فقط إلى إمكاناتنا وقدراتنا؛ إذ إن تهيئة المقدمات لا يضمن القيام القطعي بالعمل، ﴿وَلَا تَقُولَنَّ... إِنِّي فَاعِلٌ...﴾؛ بل وحتى في الأمور التي نتيقن بها لا بد من أن نقول «إن شاء الله» أيضاً.

٤ ـ الإنسان دائماً محتاج إلى الله تعالى؛ لذا يجب علينا في أي عمل أن نعتبر أنفسنا مرتبطين بإرادة الله، ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ﴾.

٥ ـ جبران ما فات لازم، ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾.

٦ ـ أنبياء الله أيضاً كانوا بحاجة إلى تعليم الله وهدايته لهم، ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي﴾.

٧ ـ إظهار الرجاء بالمدد الإلٰهيّ يعد من أساليب الدعاء الصحيحة، ﴿عَسَىٰٓ...﴾.

٨ ـ الهداية ذات مراحل وكلها بيد الله تعالى، ﴿أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ...﴾.

٩ ـ لا بد من إيجاد أقصر الطرق وأقربها إلى الحق والصواب، ﴿لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا﴾.

١٠ ـ الوصول إلى الرشد الأكمل أمنية الأنبياء ﷺ، ﴿عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ...﴾.

١١ ـ الأنبياء أيضاً كانوا يسعون للوصول إلى الرشد والمراحل العليا، ﴿عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾.

١٢ ـ دوام ذكر الله أقصر طريق للوصول إلى الرشد، ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ... عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾.

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾

إشارات:

□ روي أن يهودياً سأل الإمام علياً بن أبي طالب عليه السلام عن مدة لبثهم (أي لبث

أصحاب الكهف في الغار) فأخبر بما في القرآن (أي ثلاث مئة سنين وتسعاً) فقال اليهودي: إنا نجد في كتابنا ثلاثمئة فقال ﷺ **«ذاك بسني الشمس وهذا بسني القمر»**[١]. (أي أن تسع سنوات هي الفرق بين السنين الشمسية والقمرية).

وذكر في تفسير المراغي أن تفاوت هذه السنين التسع يدل على إعجاز القرآن ودِقَّته؛ إذ أخذ بالاعتبار مدة التفاوت بين السنين الشمسية والسنين القمرية.

- من الممكن أن يقال إن المدة كانت ثلاثمائة سنة وأن الناس قد زادوا عليها تسع سنوات ﴿وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ ولهذا السبب فإن الله تعالى قال في جوابهم: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ﴾.

- لا يوجد علمياً ميزان ثابت لمدة عمر أي كائن حي، بحيث يتحقق الجزم بموته حياته، فالمسألة ليست كباقي العناصر الخاضعة لقوانين الطبيعة كالماء الذي يغلي على حرارة ١٠٠ درجة مئوية، ويتجمد على درجة الصفر، وغيره من العناصر التي كشف العلماء من خلال تجاربهم قواعدها ونواميسها، بينما في المقابل لم نرَ أحداً من علماء العالم قد حدد ميزاناً معيّناً لعمر الإنسان، نعم استطاعوا من خلال تجارب مختبرية زيادة عمر بعض الكائنات إلى الضعفين أو الثلاثة في بعض الأحيان، واستطاعوا في أحيان أخرى أن يفعلوا ذلك بنسبة (١٢) مرة أو أكثر بالقياس إلى العمر الوسطي. لقد أعلنت الصحف قبل مدة عن اكتشاف سمكة متجمدة بين ثلوج القطب الشمالي يعود عمرها إلى آلاف السنين، كما تبين ذلك من طبقات الثلج القشرية، وبعد أن وضعت السمكة في ماء معتدل عادت إلى حياتها الطبيعية وبدأت بالحركة وسط دهشة الجميع[٢].

- إذا قدمنا الأرقام والإحصاءات بشكل بسيط وعادي فمن الممكن أن تُنسى بعد مدة أو أن لا يتوجه إليها السامع أصلاً، فمثلاً لو أن مريضاً قال للطبيب: (انتظرت دوري خارجاً طيلة أربع ساعات) فلن يكون وقعه كما لو قال له

---

(١) تفسير مجمع البيان.
(٢) تفسير الأمثل.

(انتظرت دوري خارجاً طيلة أربع ساعات إلا سبع دقائق) لأن هذا القول سيلفت نظر الطبيب أكثر؛ إذ إن الأرقام تارة تكون لأجل بيان الزيادة أو النقيصة ولا يدقق فيها كثيراً؛ ولكن إذا بينت بشكل دقيق ومحسوب فإنها ستجذب إليها أسماع المستمعين لها؛ ولذا فإنه في مورد تحديد مدة تبليغ النبي نوح عليه السلام نراه يقول: «ألف سنة إلا خمسين عاماً» ليعلم الناس أن هذا الرقم دقيق جداً، وفي هذه الآية أيضاً يقول الله تعالى ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ﴾؛ ومن ثمّ يقول ﴿وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ ليعلم أن هذا الإحصاء دقيق.

التعاليم:

١ ـ الدقة في بيان الأرقام والإحصاءات تساهم في ثباتها بشكل أكبر في الأذهان، ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾.

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾

إشارات:

- من أعذار المخالفين للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله طلبهم منه تغيير القرآن وتبديله؛ إذ كانوا يقولون له: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾[1]، فكان النبي صلى الله عليه وآله يجيبهم قائلاً: إن هذا الأمر ليس بمقدوري واختياري، إن تبديل الآيات بيد الله فقط.

التعاليم:

١ ـ إن الوحي ونزول الكتب السماوية من لوازم الربوبيّة الإلهيّة وهي تقع في مسير تربية الإنسان، ﴿مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾.

---

(١) سورة يونس: الآية ١٥.

٢ ـ القرآن الكريم مصون من أي تغيير وتحريف، وكما أن نبي الإسلام ﷺ هو خاتم الأنبياء كذلك فإن القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية، ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾.

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾

إشارات:

- على مر التاريخ كان الأغنياء وأصحاب الثروات من الكافرين يشترطون طرد الفقراء والمحتاجين حتى يؤمنوا، وقد طُلب من النبي نوح ﷺ مثل هذا الطلب إلا أنه أجابهم: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[1]، كذلك في عهد نبي الإسلام محمد ﷺ طلب المشركون منه أن يبعد عنه المحتاجين أمثال سلمان، وأبي ذر، وعمار، والخباب حتى يؤمنوا به ويكونوا معه؛ لذا، فإن هذه الآية تذم هذا الطرز من الفكر والعمل.
- عن الإمامين الباقر والصادق ﷺ في قوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ قالا «**إنما عني بها الصلاة**»[2].

التعاليم:

١ ـ سعى أصحاب الثروات عند رسول الله ﷺ ليُعرض عن معاشرة الفقراء المحتاجين المؤمنين، إلّا أن النبي ﷺ كان مأموراً بمواجهة هذه التحركات ومقاومتها، ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾.

٢ ـ مواساة الفقراء صعبة ولكن لا بد من تحمل ذلك، ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾.

٣ ـ الالتزام بالدعاء والمناجاة شرط لياقة الأفراد للصحبة والمجالسة، ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم...﴾.

---

(١) سورة هود: الآية ٢٩.

(٢) تفسير نور الثقلين.

٤ ـ لا بد للقائد من أن يكون مواسياً ومجالساً للمحرومين، لا أن يكون غير مهتم ولا مبال[1]، ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ... وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾.

٥ ـ الدعاء الدائم والخالص لوجه الله ذو قيمة كبيرة، ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾.

٦ ـ لا بد لنا من أن نذكر الله في بداية كل نهار ونهايته، ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾.

٧ ـ علينا ألا نبتعد عن الفقراء لأجل تحصيل الدنيا وإرضاء أصحاب الأموال، ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

٨ ـ أقبح الأعمال أن يهتم القائد بالدنيا بينما ينصرف الناس إلى الله تعالى، ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ... وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

٩ ـ طلب الدنيا خطير إلى حد أن الله تعالى حذر الأنبياء أيضاً من ذلك، ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

١٠ ـ من يسعى وراء الدنيا فإنه يخرج عن مسير السائرين إلى الله، ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ... تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ وذلك أن الميل إلى الدنيا (الدنيوية) يقابل الميل إلى الله (الإلٰهيّة).

١١ ـ عقوبة الميل إلى الدنيا الغفلة عن ذكر الله، ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾.

١٢ ـ قيمة ذكر الله بمقدار ترسخه في القلب والروح، ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾.

١٣ ـ الإنسان يسقط رويداً رويداً، ابتداء يسقط في الغفلة ومن ثم في اتّباع الهوى، وأخيراً في مسير الانحراف، ﴿أَغْفَلْنَا، وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ، وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾.

١٤ ـ قيادة الغافلين، اتباع الهوى والمنحرفين ممنوع، ﴿أَغْفَلْنَا، وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ، وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾.

١٥ ـ الاعتدال قيم، والتطرّف مذموم، ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾.

---

(١) ورد في الآية ٥٢ من سورة الأنعام أن طرد المؤمنين يعادل الظلم. قال تعالى: ﴿فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾

إشارات:

- الظاهر أن الآية الشريفة جواب لأولئك الذين وضعوا الشروط على رسول الله ﷺ حتى يؤمنوا؛ إذ قالوا: شرط إيماننا أن تطرد الفقراء.
- مع أن الناس أحرارٌ في اختيار الإيمان أو الكفر؛ لكن لا بد من أن يعلموا أن عاقبة الكفر هو العذاب المحرق في يوم القيامة.
- «سرادق» أي الثوب الذي يدار حول الفسطاط[1]، ولم ترد هذه الكلمة في القرآن سوى مرة واحدة وفقط بخصوص أهل النار.
- قال الإمام الرضا عليه السلام لزياد بن أبي سلمة وكان يعمل عند الطاغوت: **«يَا زِيَادُ لَأَنْ أَسْقُطَ مِنْ حَالِقٍ فَأَتَقَطَّعَ قِطْعَةً قِطْعَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَوَلَّى لِأَحَدٍ مِنْهُمْ عَمَلًا أَوْ أَطَأَ بِسَاطَ أَحَدِهِمْ إِلَّا لِمَاذَا؟ قُلْتُ لَا أَدْرِي جُعِلْتُ فِدَاكَ؛ فَقَالَ: إِلَّا لِتَفْرِيجِ كُرْبَةٍ عَنْ مُؤْمِنٍ أَوْ فَكِّ أَسْرِهِ أَوْ قَضَاءِ دَيْنِهِ؛ يَا زِيَادُ إِنَّ أَهْوَنَ مَا يَصْنَعُ اللَّهُ بِمَنْ تَوَلَّى لَهُمْ عَمَلًا أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْهِ سُرَادِقٌ مِنْ نَارٍ إِلَى أَنْ يَفْرُغَ اللَّهُ مِنْ حِسَابِ الْخَلَائِقِ»**[2].

التعاليم:

١ ـ المنبع الأوحد للحق هو الله تعالى، ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡ﴾.

٢ ـ طلب طرد الفقراء المؤمنين ليس من الحق بل الحق يصدر عن الله تعالى، ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡ﴾.

---

(١) السرادق كلمة فارسيّة في الأصل معربة، وقيل إن معناها الدخان، أي أحاط بهم دخان النار، وقيل أيضاً إن معناها الحائط من نار يحيط بهم، وقيل إنه ما يوضع على حائط الدار ويلف به أي الستارة (المترجم).

(٢) الكافي، ج٥، ص ١١٠.

٣ ـ رغبة الناس وعدم رغبتهم لا يؤثران في حقانية الدين، ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾.

٤ ـ النبي ﷺ مسؤول عن البلاغ وأما الناس فهم أحرارٌ في قبول الإيمان أو الكفر، ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾.

وكما يقول الشاعر:

(متاع الكفر والدين لا يبقى دون شارٍ فقسم يرتضي هذا وقسم يرتضى ذاك).

٥ ـ الكفر ظلم لأنفسنا، ﴿فَلْيَكْفُرْ، أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾.

٦ ـ النار مهيأة من قبل، ﴿أَعْتَدْنَا﴾.

٧ ـ مصير الإنسان يدور مدار رغباته وأعماله، ﴿أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾؛ إذ إن الشهوات والمفاسد التي تحيط بالإنسان في الدنيا ستصبح في الآخرة ناراً تحيط به أيضاً.

٨ ـ الالتفات إلى العاقبة المشؤومة للكافرين له دور مهم في تربية الإنسان، ﴿لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ...﴾.

٩ ـ المعاد جسماني، ﴿يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾

إشارات:

- إن الله تعالى لا يضيع أعمالنا الصالحة بل إن خصالنا وأعمالنا السيئة هي التي توجب حبط أعمالنا الصالحة وفناءها.
- كل عمل صالح يمكن الإتيان به بأساليب عدة: الأسلوب العادي، الأسلوب الجيد، (الحسن) والأسلوب الممتاز، وبناء عليه فإن هذه الآية تشجع على أحسن الوجوه. نعم، أحياناً تكون المواد الغذائية جيدة وحسنة إلّا أن أسلوب طبخها قد يكون حسناً وقد يكون متوسطاً.

التعاليم:

١ ـ في مجال التربية لا بد من التهديد والتبشير؛ وكذلك الخوف والرجاء وتلازمهما معا؛ (الآية السابقة كانت تهديداً وأما هذه الآية فإنها بشرى) ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ... إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ...﴾.

٢ ـ الفكر والدوافع الإلٰهيّة مقدَّمة على العمل الصالح، ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

٣ ـ لا يخفى، بحسب الرؤية الإسلاميّة، أي شيء في الحساب الإلٰهيّ، ولا يضيع أجر أي عمل من أعمالنا، ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ...﴾.

٤ ـ الملاك في قيمة العمل هو الكيف وليس الكم، قال: ﴿أَحۡسَنُ عَمَلًا﴾ وليس «أكثر عملاً».

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴿٣١﴾﴾

إشارات:

- «عدن» أي إقامة ومستقر. «أساور» جمع «أسورة» السوار يوضع في اليد. «سندس» الحرير الرقيق، و«إستبرق» الحرير السميك. «الأرائك» جمع «أريكة» أي سرير السلاطين المغطى بالحجال (الشبك) شبه القبة.

- في الآيتين السابقتين قرأنا حول أصحاب النار: ﴿بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾، وأما هذه الآية فتتكلم عن أصحاب الجنّة فتقول: ﴿نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا﴾.

- مع أن أهل الجنّة يلبسون ما شاؤوا من لباس وسواء من حيث النوع أو اللون، إلّا أن التخصيص بذكر اللون الأخضر ربما يكون إشارة إلى اللباس الرسمي والعام لهم، يتزينون به أثناء جلوسهم على الأرائك.

التعاليم:

١ ـ أنهار الجنّة تجري من تحت الأشجار، ﴿تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[1]؛ وكذلك أيضاً تجري من تحت قصور أهل الجنّة، ﴿مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾.

٢ ـ استفادة أهل الجنّة من أدوات الزينة يشير إلى أن الإنسان بفطرته يحب التزين والزينة، ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾.

٣ ـ الإيمان والعمل بما أمر الله والبعد عن التجمل المحرم في الدنيا، سر الوصول إلى الجمال الأبدي في الآخرة، ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾.

٤ ـ المعاد روحاني وجسماني؛ لأنه لو كان روحانياً فقط فلا حاجة للذهب والحرير والأسِرّة، ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾.

٥ ـ اللون الأخضر لون الجنّة، ﴿ثِيَابًا خُضْرًا﴾.

﴿۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾

إشارات:

□ «الأُكُل» هو المحصول والغلة القابلان للاستعمال والأكل.

□ ربما يستفاد من هذه الآيات أصول البستنة أو أصول تأسيس البساتين النموذجية والجذابة والتي هي عبارة عما يلي:

أ ـ أن تكون الأشجار القصيرة في الوسط «الأعناب» والأشجار الطويلة على الأطراف ﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾.

ب ـ أن تكون البساتين ذات فواصل بينها وأن تكون مفتحة الأطراف، ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا﴾.

ج ـ أن تكون الأرض الفاصلة بين البساتين مزروعة، ﴿بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥.

د ـ أن يكون الماء جارياً وسط البساتين، ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا﴾.

هـ ـ أن لا تكون البساتين عاجزة وضعيفة ومصابة بالآفات، ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾.

وبناء على هذا ستظهر لنا أروع المناظر: من بساتين الأعناب المتنوّعة ﴿أَعْنَابٍ﴾، والأعناب والنخل معاً ﴿أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾، وأنواع المزروعات ﴿زَرْعًا﴾، والزرع الذي يحيط الشجر بأطرافه ﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا﴾، والمياه الجارية من تحت الأشجار ومن بين المزروعات ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾.

- هذه الآيات كأنها جواب على ما طلبه الكفار أصحاب الأموال؛ إذ أرادوا من النبي ﷺ أن يطرد الفقراء من حوله لكي يجتمعوا وحدهم حول النبي ولكي يؤمنوا به، وهنا يقول الله تعالى في جوابهم: لا الفقر علامة الذلة ولا الغنى علامة العزة. كما إنه في الآية (٢٨) قال لنبيه ﷺ أيضاً: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم...﴾.

التعاليم:

١ ـ الاستفادة من التمثيل وضرب الأمثال يعد من أفضل الأساليب البسيطة والفطرية والعامة من أجل نقل المطالب وإيصالها إلى الناس، ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾.

٢ ـ الزارع الحقيقي هو الله وليس الإنسان، ﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا، وَفَجَّرْنَا، وَجَعَلْنَا﴾.

﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾

إشارات:

- «الثمر» يطلق على الأنواع المتعدّدة من الفاكهة.
- «الصاحب» هو المرافق، سواء أكان مؤمناً كما في هذه الآية، أم كافراً كما في الآية (٣٧) من هذه السورة؛ إذ يقول تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ﴾.

التعاليم:

١ ـ يؤدي التعلق والعجب والاغترار بالمال والقبيلة إلى الطغيان، ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ﴾.

٢ ـ لا الفقر علامة الذلة ولا الثروة دليل العزة؛ لذا علينا ألا نفخر على الفقراء، ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ﴾.

وعلى حد قول الشاعر الإيراني:

(لا تنظر باحتقار إلى من يفترش التراب في هذا العالم فإذا رأيت الإبريق بلا يد احمله بيديك الاثنتين).

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥﴾

التعاليم:

١ ـ كل ما يملكه الإنسان إنما هو من الله، والله تعالى هو المالك الحقيقي. في الآية (٣٢) قال تعالى: ﴿جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ﴾. وفي هذه الآية يقول: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾.

٢ ـ الأملاك والنعم الكثيرة تبعث على الغرور، ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ، قَالَ﴾.

٣ ـ الغفلة عن الله تعالى، والاعتقاد بأننا أفضل من الآخرين، واحتقار الآخرين، والاغترار بالمظاهر المادّية الدنيوية كل ذلك ظلم لأنفسنا، ﴿ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾.

٤ ـ الإنسان المنحرف والغافل أسوأ من الجماد والنبات، ففي الآية (٢٣) قال الله سبحانه وتعالى عن ذلك البستان (الجنّة): ﴿وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗا﴾؛ أي لم تنقص منه شيئاً. ولكنه تعالى قال عن صاحب البستان إنه ﴿ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾.

٥ ـ لا نظننَّ أبداً أن النعم التي بين أيدينا باقية لنا وأنها خالدة ودائمة، ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ﴾.

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾

إشارات:

□ يظن الكافرون أن إعطاء النعم واجب على الله وأنّه من حق الإنسان أن يبقى متنعماً بها دائماً، كذلك نقرأ في الآية (٥٠) من سورة فصلت قوله تعالى: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾. إلّا أن هذا الطرز من التفكر نفاه القرآن ورد عليه؛ فالإنسان إنما يتنعم بلطف الله وفضله، وهو تعالى لو شاء لجعل الماء مراً، والشجر يابساً، ولأهلك الكافرين، ولقطع الوحي عن الأنبياء لئلا يظنوا استحقاقهم لهذه النعم دون لطف من الله تعالى.

التعاليم:

١ ـ التعلق بالدنيا والميل إلى الدنيوية يمهد لإنكار يوم القيامة، ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ... وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾.

٢ ـ لا يملك منكرو القيامة أي دليل على نفيها، ﴿مَآ أَظُنُّ﴾.

٣ ـ الأمل والتمني الكاذب من دون دليل مذموم، ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ﴾.

٤ ـ الإنسان بفطرته ميال إلى الله والمعنويات، ﴿إِلَىٰ رَبِّى﴾.

٥ ـ يظن بعض الناس خطأً أن النعم علامة على كرامتهم وقيمتهم وأنها دائمة لهم أبداً، ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا﴾.

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾

إشارات:

□ «المحاورة» بمعنى المناظرة والأخذ والرد في الكلام بين اثنين أو أكثر وإجابة كل واحد للآخر. وكلمة ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ في الواقع أصلها «لكن أن».

التعاليم:

١ ـ الحوار الحر بين المذاهب المختلفة مقبول في القرآن، ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾.

٢ ـ حتى الأثرياء وذوو السلطة عليكم أن تقوموا بإرشادهم دون أي إحساس بالحقارة والذلة بل مع كمال العزة، ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ... أَكَفَرْتَ﴾.

٣ ـ أحياناً قد تكون العلاقة بالمال والثروة ممهدة لكفر الإنسان بالله والقيامة، ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ... أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾.

٤ ـ من يفتخر بماله وعشيرته فعلاجه أن يُذكَّر بأصله الترابي، ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ... خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾.

٥ ـ إنكار المعاد إنكار لله، فهو بقوله: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ أنكر المعاد، إلّا أن صاحبه أجابه قائلاً: ، ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾؟!

٦ ـ الكفر بالله يدعو إلى التعجب والحيرة والتوبيخ، ﴿أَكَفَرْتَ﴾.

٧ ـ الاعتراض على الكفار جائز، ﴿أَكَفَرْتَ﴾؛ إلا أنه لا بد من أن يصاحبه الاستدلال وكشف الحقائق، ﴿بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾.

٨ ـ إذا أردنا تربية الآخرين ومنعهم من الانحراف لا بد من أن نتكلم بكلام استدلالي، ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾.

٩ ـ في مقابل الشك والترديد من الآخرين، لا بد للمؤمن من أن يعلن موقفه بكل صراحة، ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ﴾.

١٠ ـ الاتكال على غير الله شرك، ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ... لَّٰكِنَّا۠... وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾.

١١ ـ التوحيد الخالص لله إنما يتم بنفي كل أنواع الشرك، ﴿ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾.

﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾﴾

إشارات:

□ قال النبي الأكرم ﷺ: **«ما أنعم الله على عبد نعمة في أهل، أو مال، أو ولد، فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله إلا دفع الله عنه كل آفة حتى تأتيه منيته»**. وقرأ

﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾»[١].

كذلك ورد في الروايات أن قول «لا حول ولا قوة إلا بالله» يدفع البلاء ويديم النعم وأنها كنز من كنوز الجنّة[٢].

التعاليم:

١ ـ التوبيخ والتقريع لا بد من أن يصاحبهما الإرشاد والبيان، ﴿لَوْلَا... قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

٢ ـ الاعتقاد فحسب غير كافٍ، فلا بد معه من الإقرار باللسان أيضاً، ﴿قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

٣ ـ أثناء رؤيتنا لمناظر الطبيعة الجميلة لا بد لنا من أن نذكر الله تعالى؛ إذ إن كل هذه النعم إنما هي من الله، ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

٤ ـ المؤمن لا يخسر نفسه لأجل قلة المال والولد، ﴿إِن تَرَنِ﴾؛ أي أنت الذي تراني ناقصاً لا أنني أنا ناقص.

﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾﴾

إشارات:

□ «زلق» أي الأرض الملساء التي لا نبات فيها بحيث لو وطأها الإنسان لزلقت قدمه وتعثرت فيها.

التعاليم:

١ ـ عطاء الله ومواهبه تقوم على أساس ربوبيّته تعالى وتربيته، ﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ﴾.

---

(١) تفسير الدر المنثور. (٢) تفسير كنز الدقائق.

٢ ـ لا ينبغي أن ييأس الفقراء، ﴿أَنَا۠ أَقَلَّ... عَسَىٰ رَبِّيٓ﴾؛ إذ إن اليأس والقنوط أسوأ من الفقر.

٣ ـ لو شاء الله لجعل الفقير أغنى ممن؟، ﴿خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾.

٤ ـ تمني سلب النعمة عن الكفار المتفاخرين ولعنهم جائز لا إشكال فيه، ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا﴾.

٥ ـ قهر الله وعذابه محسوب وعادل، ﴿حُسْبَانًا﴾.

٦ ـ لا بد للأثرياء من أن لا يغتروا بثروتهم؛ إذ من الممكن في لحظة واحدة أن تفنى كلها، ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾.

٧ ـ الشرك والكفر والتفاخر يبدّلون كل ما يملك الإنسان من خَضرة إلى صعيد زلقٍ لا نبات فيه، ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾.

٨ ـ يد الله تعالى مفتوحة للقهر والعذاب سواء من السماء أم من الأرض، ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ... يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾.

٩ ـ في مقابل غضب الله وعذابه لا قدرة ولا سبيل للنجاة، ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾

إشارات:

□ إن بعض الناس، ومن خلال الغرور والتفاخر برؤية أنفسهم أفضل من الآخرين والتبجح بقول: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا...﴾، يغفلون عن الله تعالى ويخرجون عن مدار التوحيد فيشركون بالله تعالى، إلا أنه عاجلاً أم آجلاً سيقرّون بالإله الواحد الأحد، ويستوي المؤمنون في ذلك: ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾[1]، مع الكافرين: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾.

---

(١) سورة الكهف: الآية ٣٨.

التعاليم:

١ ـ الله تعالى محيط بكل شيء ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ﴾[(١)]، فلطفه محيط، ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾[(٢)]؛ وكذلك قهره محيط، ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾.

٢ ـ عقاب الله يكمن للمغرورين، ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾.

٣ ـ الحوادث والعذابات الإلٰهيّة ناتجة عن أفكارنا وأعمالنا السيّئة فقد جاء قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ إثر كفر صاحب البستان (الجنّة) في الآيات السابقة.

٤ ـ اليأس والقنوط وحالات الباطن تؤثر على ظاهر الإنسان وسلوكه، ﴿يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ﴾.

٥ ـ إن طلاب الدنيا إثر إصابتهم بالمصائب والحوادث فإنهم ابتداء يحللونها تحليلاً اقتصادياً ومن ثم تحليلاً معنوياً، (في هذه الآية كانت الحسرة ابتداء على المال الذي أنفق ومن ثم الغصّة بسبب الشرك).

٦ ـ العذاب الدنيوي يوقظ أصحاب الوجدان الخامل والقلوب الغافلة، ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ... يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي﴾.

﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴿٤٤﴾﴾

إشارات:

□ أكد القرآن الكريم مراراً وتكراراً أن الإنسان عند تعرضه لأي خطر ومع عجز الوسائل المادّية، فإنه يتوجه نحو الله فيناديه من أعماق روحه؛ لذا فإنه عندما يبتلى بأمواج البحر المتلاطمة، أو عندما يأتي العذاب يبادر إلى إظهار الإيمان.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٩.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٦.

وفي هذا المقام عندما واجه هذا الشخص جنته المحترقة ولم يجد له ناصراً أدرك حينئذٍ أنّ ولاية الحق مختصة بالله الواحد الأحد، ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾.

□ كلمة «الولاية» في هذه الآية بمعنى القدرة والنصرة.

التعاليم:

١ ـ عاقبة الاعتماد على غير الله هي الفشل، ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ﴾.

٢ ـ عند حلول قهر الله وعذابه لا تنفع كثرة المال ولا كثرة البنين، ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ﴾؛ «عند حلول الشدة لا أثر لأصحابه الذين صحبوه في وقت الرخاء».

٣ ـ البيان الختامي لكل الحوادث المريرة يختصر في جملة واحدة فقط مفادها: القدرة فقط وفقط لله تعالى، ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾.

٤ ـ الولاية لغير الله باطلة ولا ثبات لها، فقط ولاية الله هي الثابتة وهي الحق، ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾.

٥ ـ مهما دقّقْنا الحسابات ومهما كنا بعيدي النظر والتفكير لا بد لنا من أن نتوجه إلى الله تعالى، ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾.

٦ ـ النصرة الإلٰهيّة وحقانية الله تعالى تضمن لنا أفضل الثواب وأفضل عاقبة، ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾.

٧ ـ ملاك القيم العاقبة وحسن الثواب، ﴿خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾

إشارات:

□ ورد في هذه الآية مثل عن نمو النبات في الأرض وعن اخضرارها، وعن

حلول عذاب الله واحتراقها، وصيرورتها رماداً، ليكون ذلك عبرة للناس المغرورين والغافلين عن الله تعالى[١].

نعم، إن مَثَلَ الدنيا كالنبات غير المتجذر في الأرض، فمع قليل من المطر تراه مخضراً ومع قليل من الرياح يصبح هشيماً يابساً. وحتماً فإن ما يبقى هو عمل الإنسان كما ورد في الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام إذ يقول:

يا من بدنياه اشتغل قد غرّه طول الأمل
الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل[٢]

التعاليم:

١ ـ أُمِر رسول الله ﷺ بالاستفادة من التمثيل لأجل بيان الحقائق وهداية الناس، ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾.

٢ ـ إحدى أصول التربية والتبليغ الاستفادة من الأمثال الطبيعية والمفهومة عند عامة الناس، ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ... كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ﴾.

٣ ـ كل ربيع إلى خريف وكل رحال إلى فراق، ﴿نَبَاتُ... هَشِيمًا﴾.

٤ ـ علينا ألا نأنس ونغتر بمظاهر الدنيا الزائلة، بل لا بد لنا من أن نفكر بالمستقبل الدائم، ﴿فَأَصۡبَحَ هَشِيمًا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ﴾.

﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾﴾

إشارات:

□ ذكرت الروايات مصاديق عدة لـ«الباقيات الصالحات» كالصلوات الخمس[٣]، وذكر الله،[٤] ومحبة أهل البيت[٥] عليهم السلام.

---

(١) ورد نظير هذه الآية في سورة يونس الآية (٢٤) مع تفصيل أكبر وفي سورة الحديد الآية (٢٠).

(٢) حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج٤، ص ٤٠٦.

(٣) تفسير البرهان. (٤) بحار الأنوار، ج٧٤، ص ١٠٨.

(٥) تفسير نور الثقلين.

□ تعد النعم المادّية كلها من زينة الحياة الدنيا، إلّا أن للمال والبنين مظهراً جلياً أكثر من غيرهما، ولهذا السبب ذكر هذين الاسمين من بين كل النعم الإلٰهيّة التي لا تعد ولا تحصى، وحيث إن البنين هم القوة الفعّالة من الناحية الاقتصاديّة وليس البنات؛ لذا ذكرهم إلى جانب «المال» ولم يذكر البنات، ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

التعاليم:

١ ـ زينة المال والبنين مختصة بالدنيا فقط؛ وأما في الآخرة فيومئذ لا ينفع مال ولا بنون، ﴿زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

٢ ـ لا بد لأولئك الذين يمتلكون الإمكانات المادّية من أن لا يغتروا بها؛ بها وأما من لا يمتلكها فعليهم أن لا ييأسوا، ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ... وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ﴾.

٣ ـ المال والولد لا يبقيان ولا يدومان؛ لذا لنفكر ولتتعلق قلوبنا بما يبقى ويدوم، ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ﴾.

٤ ـ في محضر الله تعالى لا يمحى أي عمل صالح، والثواب مضمون لنا، ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾.

٥ ـ قيمة الأعمال الصالحة غير معروفة عند الكل، بل إن أغلب الناس يظنون الخير والقيمة في تحصيل النفائس المادّية، ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ﴾.

٦ ـ الثواب والعقاب من لوازم التربية ومن شؤون الربوبيّة الإلٰهيّة، ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾.

٧ ـ لا تفكروا أبداً بالثواب فقط؛ بل فكروا أيضاً بالغد الدائم، ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾.

٨ ـ في مجال الإرشاد والتربية لا بد لنا من أن نستفيد من أمنيات الناس وآمالهم، ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾.

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾

إشارات:

□ بين القرآن الكريم وضع الجبال على مشارف يوم القيامة في صور متعدّدة من قبيل:

١ ـ الزلزلة ورجفة الأرض والجبال، ﴿تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾[١].

٢ ـ الحركة والانتقال، ﴿نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾.

٣ ـ تقطيعها قطعة قطعة حتى تصبح كالذرات، ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾[٢].

التعاليم:

١ ـ إذا أردنا عدم التعلق بالدنيا فلا بد من تذكر القيامة، ﴿يَوْمَ...﴾.

٢ ـ الأعمال الحسنة يستفاد منها في كثير من المواضع، ومن ذلك يوم القيامة، عندما تتحرك الجبال وتسير، ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾[٣].

٣ ـ في أرض القيامة وعرصات المحشر لا يوجد أي منخفض أو أي مرتفع، ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾.

٤ ـ الحشر والقيامة حتميان، ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾. (الفعل الماضي استعمل ها هنا للاستقبال للإشارة إلى حتميّة وقوع الحشر).

٥ ـ القيامة لكل الناس ولا يوجد أي استثناء في البين، ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾

إشارات:

□ «الصف» علامة النظم والترتيب ورمزٌ للأدب والتواضع. وقد ورد التعبير بقوله

---

(١) سورة المزمل: الآية ١٤. (٢) سورة الواقعة: الآيتان ٥ و٦.

(٣) بالاستفادة من كلمة «واو» و«يوم» (ويوم) فإن مفهوم الظرفية يشعر بالارتباط بالآية السابقة.

«صفاً» في القرآن الكريم لبيان أوصاف المجاهدين، وكذلك في مورد الملائكة. وفي القرآن أيضاً سورتان إحداهما اسمها «الصف» والأخرى اسمها «الصافات».

□ في الدنيا إذا كانت القوات المسلحة تعرض على الرؤساء وفق تنظيم خاص بها، فإن كل الناس في يوم القيامة سوف تعرض على الله تعالى بشكل قهري ومنظم.

التعاليم:

١ ـ الحضور في يوم القيامة والعرض على الله مقطوع بهما، ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ﴾.

٢ ـ الطبقات الدنيوية تزول يوم القيامة فالغني والفقير يقفان في صف واحد، ﴿صَفًّا﴾.

٣ ـ النظام قيّم سواء في الدنيا أم في الآخرة، وسواء في المجتمع أم في العبادة، ﴿وَعُرِضُوا... صَفًّا﴾.

٤ ـ الحضور في القيامة كحال الحضور في الدنيا أثناء الولادة، مع العجز والبكاء والعري[1]، ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

٥ ـ المعاد جسماني، ﴿جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ...﴾.

٦ ـ الكافرون لا دليل عندهم على إنكار المعاد، ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾.

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)﴾

إشارات:

□ أشار القرآن مراراً إلى مسألة الكتب وصحائف الأعمال في يوم القيامة ومن ذلك قوله تعالى:

---

(١) وردت الإشارة في المناجاة والأدعية إلى حالة الخروج عرياناً أثناء البعث والحشر.

﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ﴾[١]؛

- ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَٰرَهُمْ﴾[٢]؛

- ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾[٣]؛

- ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾[٤]؛ فالمحسنون يأخذون كتابهم بيمينهم، وأما المسيئون فيعطون كتابهم بشمالهم، وكما إن لكل إنسان كتابه كذلك فإن لكل أمةٍ كتاباً، ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾[٥].

□ روي أن رسول الله ﷺ أثناء رجوعه من معركة حنين نزل في أرض قرعاء (لا نبات فيها) فقال لأصحابه: «ائتوا بحطب»، فقالوا يا رسول الله ﷺ نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب قال: **«فليأت كل إنسان بما قدر عليه»**، فجاؤوا به حتى رموا بين يديه بعضه على بعض. فقال رسول الله ﷺ: **«هكذا تجتمع الذنوب»**، ثم قال: **«إياكم والمحضرات من الذنوب فإن لكل شيء طالباً، ألا إن طالبها يكتب ما قدموا وآثارهم، وكل شيء أحصيناه في إمام مبين»**[٦].

ومن خلال هذا السلوك الذي قام به رسول الله ﷺ مع أصحابه يمكن استفادة الدرس الآتي:

لقد قام رسول الله ﷺ بإعطاء درس تعليمي، كما في مخيمات الكشاف، وصحراوي بشكل تجسمي وتمثيلي وعملي، مضافاً إلى إرشاد أصحابه لكيفية ملء أوقات الفراغ، كل هذا في الوقت الذي كان هؤلاء الأصحاب في كمين خطر الغرور الناشئ من انتصارهم في الحرب. وفي الوقت الذي كان هؤلاء الأصحاب يظنون أنه لا ذنب لهم أو أن ذنوبهم صغيرة وقليلة.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ قال: **«يذكر العبد جميع ما عمل وما كتب عليه حتى كأنه فعله تلك**

---

(١) سورة يونس: الآية ٢١.
(٢) سورة يس: الآية ١٢.
(٣) سورة الإسراء: الآية ١٣.
(٤) سورة التكوير: الآية ١٠.
(٥) سورة الجاثية: الآية ٢٨.
(٦) الكافي، ج٢، ص ٢٨٨.

الساعة فلذلك قالوا: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾»[١].

□ إن الذين هم في الدنيا غافلون غير مبالين والذين كانوا يقومون بأي عمل يحلو لهم سيكونون في الآخرة خائفين مضطربين، ﴿مُشْفِقِينَ﴾.

وأما المؤمنون الذين كانوا في الدنيا أهل تعهد والتزام وخشية من الله تعالى فإنهم في الآخرة مطمئنون، ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾[٢].

التعاليم:

١ ـ في يوم القيامة، ومضافاً إلى إعطاء كل إنسان كتاب أعماله بيده، فإنه أيضاً سيوضع كتاب أمام الناس كلّهم، ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾.

٢ ـ المجرمون إنما يقلقون ويخافون من أعمالهم المكتوبة لهم، وليس من الله تعالى، ﴿مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾.

٣ ـ القيامة يوم حسرة المجرمين وثبورهم وويلهم، ﴿يَٰوَيْلَتَنَا﴾.

٤ ـ علم كل الناس بأعمالهم في يوم القيامة على نحو وكأن كل الناس متعلمين غير أميّين، فالكتاب موجود والقراءة متاحة لهم أجمعين، ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ... مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾.

٥ ـ أعمال الناس على درجات، ﴿صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾.

٦ ـ القيامة ساحة تجسم أعمال الإنسان، ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا﴾.

٧ ـ الاتصاف بالعدالة وعدم الظلم من لوازم الربوبيّة الإلٰهيّة، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾

إشارات:

□ السجود على أربعة أنواع، ثلاثة منها مرضية والرابع منها ممنوع:

---

(١) تفسير الميزان، ج١٣، ص ٧١. (٢) سورة الطور: الآية ٢٦.

أ ـ سجود العبادة وهو مختص بالله تعالى كالسجود في الصلاة.

ب ـ سجود الطاعة، كما في سجود الملائكة لآدم طاعة لأمر الله تعالى.

ج ـ سجود التحية والتكريم والشكر لله تعالى كما في سجود يعقوب عليه السلام بين يدي يوسف عليه السلام.

د ـ السجود الحاصل بغير أمر الله تعالى.

التعاليم:

١ ـ حادثة سجود الملائكة لآدم عليه السلام وتمرد إبليس عن السجود يستحقان التأمّل وهما موضع للعبرة، ﴿وَإِذْ قُلْنَا...﴾.

٢ ـ وجد الملائكة قبل وجود الإنسان، ﴿قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾.

٣ ـ الإنسان أفضل من الملائكة إذ أُمِرت الملائكة بالسجود له، ﴿ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾.

٤ ـ الملائكة مطيعة لأمر الله تعالى، ﴿ٱسْجُدُواْ... فَسَجَدُوٓاْ﴾.

٥ ـ من لا يسجد فهو في خط إبليس، ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾.

٦ ـ علينا ألا نغتر بسوابقنا، فإبليس مع ما له من سابقة طويلة في العبادة صار فاسقاً، ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ...﴾.

٧ ـ لإبليس أبناء وذرّية، ﴿وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾.

٨ ـ لا ينبغي أن نتخذ الفاسقين أولياء لنا، ﴿فَفَسَقَ... أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ﴾.

٩ ـ لا بد لأتباع الشيطان من أن يجددوا النظر في أعمالهم وما يعملون، ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ﴾.

١٠ ـ الشيطان وذرّيته أعداءٌ للإنسان، ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾.

١١ ـ أولئك الذين اتبعوا الشيطان بدل أن يتبعوا الله تعالى هم ظالمون، ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾.

١٢ ـ يعد التخلي عن الله واتّباع الشيطان أسوأ اختيار، ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾.

﴿۞مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾﴾

إشارات:

- قيل للإمام علي عليه السلام: يا أمير المؤمنين إن معاوية من قد عرفت وقد ولاه الشام من كان قبلك فولّه أنت كيما يتسق عرى الأمور ثم اعزله إن بدا لك. فقال عليه السلام في جوابه: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾[1].
- الله تعالى غير محتاج فهو الغني المطلق؛ فلا يحتاج إلى أي معين حتى في أمر الخلق والإيجاد، وإذا ما أوكل بعض الأمور إلى غيره كما في إيكال التدبير إلى الملائكة ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾[2]، فليس من جهة العجز وعدم القدرة بل من جهة الحكمة وفي مسير تربية الإنسان ورشده وتكامله.

التعاليم:

١ ـ لا يحتاج الله تعالى في أمر الخلق إلى شاهد عليه، ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ﴾.

٢ ـ أسرار الوجود والخلق لا يعلمها إلا الله تعالى، ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ...﴾.

٣ ـ من كان هو الخالق، فله حق الولاية، ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ... مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ...﴾.

٤ ـ أولياء الله تعالى يجب أن يكونوا أمناء، ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾.

٥ ـ من كان في خط الله وسبيله لا ينبغي له أن يستعين بالمنحرفين الضالين ويجب عليه المحافظة على استقلاله السياسيّ والاقتصادي، ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج٣، ص ٢٦٨.
(٢) سورة النازعات: الآية ٥.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾﴾

إشارات:

□ أولئك الذين ابتعدوا عن الله وأعرضوا عنه سيصبحون تائهين حائرين؛ وحينئذٍ يتوجهون إلى أي شيء بالدعاء، من الإنسان إلى الجماد والحيوانات، ومن الشمس والقمر في السماء إلى العجل والبقر في الأرض، ومن الملائكة المعصومين إلى الشياطين الفاسقين، ولكنهم مهما دعوا فلن يسمعوا منهم أي جواب ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾، وأما إذا دعوا الله تعالى فإنه حتماً يستجيب لهم ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[(١)].

□ **سؤال:** نقرأ في القرآن الكريم أن الله تعالى لا يتكلم مع الذين يكتمون الحق وينقضون العهد: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾[(٢)]، وبناء عليه لماذا يتكلم في هذه الآية مع المشركين؟

الجواب: ربما يكون السبب في ذلك أن العلماء الذين يكتمون الحق هم أسوأ من المشركين، أو يقال إن ليوم القيامة مراحل مختلفة، في مرحلة ما فإن الله لا يتكلم؛ ولكن في مرحلة أخرى يتكلم معهم ويعاتبهم. ومن الممكن أيضاً أن يكون المراد أنه لا يتكلم معهم كلام محبة وتودد إلا أنه يتكلم معهم بنحو التوبيخ والتحقير.

التعاليم:

١ ـ في يوم القيامة يوجد فاصل بعيد[(٣)] بين المشركين وبين من يعبدونهم، ﴿نَادُوا۟﴾.

---

(١) سورة غافر: الآية ٦٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٤؛ سورة آل عمران: الآية ٧٧.

(٣) باعتبار أن النداء سيستعمل للبعيد أو ما في حكمه، وقد يكون كناية عن عدم وجودهم أصلاً فهم كمن ينادي في الصحراء. (المترجم).

٢ ـ إن الله تعالى يعطي المشركين في يوم القيامة فرصة طلب المدد من معبودهم، ولكن ما النفع حينئذ؟ ﴿نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ... فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾.

٣ ـ أساس الشرك الجهلُ والظنون الواهية، ﴿زَعَمْتُمْ﴾.

﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾

إشارات:

□ ليس للمجرمين من سبيل للفرار في يوم القيامة؛ لأن النجاة إما أن تكون في ظل الإيمان وإما بسبب العفو من الله على أساس التوبة والعمل الصالح، والحال أن أيديهم خالية من ذلك، وإما بسبب الشفاعة ولكن الأصنام لا تملك ذلك أيضاً، ولذا فإن النار محتومة لهم.

التعاليم:

١ ـ المكان المهلك الذي توعدوا به في الآية السابقة ﴿مَّوْبِقًا﴾ هو النار، ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾.

٢ ـ الشرك جرم والمشرك مجرم، ﴿نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ... وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

٣ ـ رؤية النار عذابٌ والاحتراق فيها عذاب آخر، ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

٤ ـ في يوم القيامة ورغم أن المجرمين يرون النار من مكان بعيد[1] إلا أنه لصوتها وزفيرها يظنون أنهم الآن قد وقعوا فيها، ﴿فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾.

٥ ـ الشرك، له عذابٌ خالد ودائم أبداً، ﴿وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾.

٦ ـ ليس للمجرم في القيامة أمل بالنجاة والفرار، ﴿وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾.

---

(١) ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾. (سورة الفرقان: الآية ١٢).

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾

إشارات:

- «صرّفنا» بمعنى تنوع البيان، أي أننا تكلمنا مع الناس بكل لسان وكل منطق يمكن أن يؤثر فيهم. «الجدال» بمعنى الكلام على نحو النزاع والغلبة على الخصم.
- إن الإنسان، ومضافاً لامتلاكه العديد من النواحي الإيجابية نظير امتلاكه للروح الإلٰهيّة والأفضلية على الملائكة وسجودهم له وقدرته على تسخير الموجودات له وأمثال هذه الأمور، إلّا أن فيه كثيراً من النواحي السلبية أيضاً، وقد أشير في آيات القرآن الكريم إلى بعضها، من قبيل أنه: «ظلوم، جهول، أكثر شيء جدلاً، جزوع، هلوع، منوع، لفي خسر، ليطغى، وإلى غير ذلك».

التعاليم:

١ ـ التكرار، والتنوع، والتمثيل من الأساليب الضرورية والمفيدة لأجل إرشاد الناس وهدايتهم وتربيتهم، ﴿صَرَّفْنَا... لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾.

٢ ـ هدف القرآن هداية الناس جميعاً، وأمثلة القرآن هي لإفهام عموم الناس، ﴿صَرَّفْنَا... لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾.

٣ ـ أتمَّ الله تعالى الحجة بالقرآن على الناس جميعاً، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا... لِلنَّاسِ﴾.

٤ ـ في القرآن مثال لكل أصل من أصول الإرشاد والهداية، ﴿كُلِّ مَثَلٍ﴾.

٥ ـ إذا لم يمتلك الإنسان روحية القبول والاقتناع فإن كثرة الأمثلة ستؤدي به إلى كثرة الجدل، ﴿كُلِّ مَثَلٍ... أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾.

٦ ـ الإنسان موجود يطلب التنوع ويجادل، ﴿صَرَّفْنَا... جَدَلًا﴾.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾

إشارات:

□ «قبلا» إما بمعنى المقابلة والمواجهة، وإما أنها جمع «قبيل» إشارة إلى أنواع مختلفة من العذاب.

التعاليم:

١ ـ الامتناع عن الإيمان رغم رؤية كل تلك الآيات هو تعبير واضح عن جدل الإنسان، ﴿جَدَلًا وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾.

٢ ـ أتمّ الله تعالى الحجة على الناس كلّهم لئلا يبقى عندهم أي حجة وعذر للكفر به، ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾.

٣ ـ لا يكفي الإيمان وحده؛ بل لا بد من الاستغفار أيضاً، ﴿يُؤْمِنُوٓاْ... يَسْتَغْفِرُواْ﴾.

٤ ـ من لوازم ربوبيّة الله ترك الباب مفتوحاً للتوبة والاستغفار، ﴿وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ﴾.

٥ ـ في التاريخ سنن ثابتة لا بد من أخذ الدروس منها، ﴿سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

٦ ـ الموعظة والاستدلال لا ينفعان دائماً في كل موضع؛ بل لا بد من العقوبة أحياناً، ﴿يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾؛ فأحياناً لا يؤثر في الإنسان اللجوج أي واحد من عوامل التربية التالية: الوحي السماوي، أو التبليغ الدائم، أو مشاهدة التاريخ، أو العبر الكثيرة.

٧ ـ الإيمان والاستغفار يمنعان العذاب الإلهيّ، ﴿يُؤْمِنُوٓاْ... يَسْتَغْفِرُواْ... يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾.

٨ ـ يد الله تعالى مبسوطة للعذاب، سواء كعذاب الأمم السابقة أم كعذاب جديد، ﴿سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾

التعاليم:

١ ـ الاطلاع على سنن الله، ورسالة الأنبياء، وكيفية رد الناس، ومصير الأقوام والأمم المعاندين، كل ذلك يعد نوعاً من التسلية لقلب النبي ﷺ، ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

٢ ـ وظيفة الأنبياء ﷺ هي البشارة والإنذار وليس إجبار الناس على القبول والاقتناع، ﴿إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾.

٣ ـ أتمّ الله تعالى الحجة على الناس قاطبة، ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ...﴾؛ والناس غير مجبرين على القبول بها، ﴿إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴾.

٤ ـ هدف الكافرين هو دحض الحق، ﴿لِيُدْحِضُوا۟﴾، وأدوات الشغل عندهم هي الجدال والاستهزاء، ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

٥ ـ الصراع والجدال بين الحق والباطل دائم ومستمر، ﴿يُجَٰدِلُ﴾ (يدل المضارع على دوام العمل واستمراره).

٦ ـ الكافرون يريدون أن يدحضوا الحق بالباطل، ﴿لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾؛ لكنهم غافلون عن أن الباطل زائل وزاهق، ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[1]

٧ ـ بشارات الأنبياء وإنذاراتهم واقعيات يسعى الكفار من أجل محوها ودحضها ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ... لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾.

٨ ـ الاستهزاء بآيات الله وأحكامه شأن الكافرين، ﴿وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا﴾.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٨١.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (٥٧)﴾

إشارات:

- «التذكر» فيه إشارة إلى أن الإنسان مدركٌ لله تعالى في أعماق روحه وفطرته، إلا أنه غافل عن ذلك؛ لذا، فإن التذكر هو لأجل إزاحة حجب الغفلة عنه. يقول الإمام علي عليه السلام في مقام توصيف الأنبياء عليهم السلام: **«فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبيائه ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسيَّ نعمته»**[1].
- «أكنة» جمع «كنان» بمعنى الغطاء والساتر.

التعاليم:

١ ـ الإعراض عن آيات الله وعدم الالتفات إليها والاهتمام بها أكبر ظلم، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ، ذُكِّرَ، فَأَعْرَضَ، نَسِيَ﴾.

٢ ـ تذكُّر الأعمال السيّئة يمهد للتوبة وطلب العذر، وعلى العكس من ذلك فإن الغفلة عنها ستؤدي إلى ظلمة الروح وستكون المفتاح لكل المصائب، ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾.

٣ ـ الإعراض عن آيات الله والاستهزاء بها والغفلة عن الذنوب يؤدي إلى الحرمان من إدراك الحقائق، ﴿فَأَعْرَضَ... جَعَلْنَا﴾.

٤ ـ العذاب الإلٰهيّ غير منحصر بيوم القيامة؛ إذ سلب قوة إدراك الحقائق نوع من العذاب أيضاً، ﴿أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾.

٥ ـ في مقام هداية الناس، لا يكفي ذكر البراهين والأدلة فحسب، بل لا بد من قبول المخاطبين لها أيضاً، ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا﴾.

٦ ـ السبيل للهداية وجود القلب اللين والأذن المستمعة، وبالتالي عندما يتغيران

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة الأولى.

وينقلبان عن حالهما، فلن يقبلا الهداية حتى ولو كان الداعي هو النبي ﷺ نفسه، ﴿فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾﴾

إشارات:

- «الموئل» هو الملجأ والمنْجَى.
- إن الله تعالى عادل وهو كذلك غفور، وبمقتضى عدله لا بد من أن يعذب المذنب، ولكن بمقتضى مغفرته ورحمته يمهل الإنسان حتى يتوب، فإذا لم يتب فإنه يؤاخذه بعدله.

التعاليم:

١ ـ الغفران والرحمة من شؤون الربوبيّة الإلْهيّة ومن لوازم التربية، ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾.

٢ ـ الله تعالى واسع المغفرة وواسع الرحمة أيضاً، ﴿ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾.

٣ ـ قهر الله وعذابه نتيجة أعمال الناس أنفسهم، ﴿يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟﴾.

٤ ـ أقبح الذنوب وأكثرها عذاباً تلك التي يذهب الإنسان نحوها بإرادته وعزمه، ﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾.

٥ ـ إمهال المذنبين سنّة إلْهيّة، ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾.

٦ ـ الإمهال وتأخير العذاب من علائم اللطف الإلْهيّ، ﴿ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ... لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾.

٧ ـ على المذنبين ألا يغتروا بإمهال الله لهم؛ لأنه إذا حل الموعد وحان نزول العذاب فلن يجدوا أي سبيل للنجاة، ﴿لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾.

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾

التعاليم:

١ ـ ينبغي أخذ الدروس والعبر من التاريخ ومصير الأمم السابقة، ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾.

٢ ـ السر في بلاء الناس وهلاكهم يكمن في ظلمهم أنفسهم، ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾.

٣ ـ زوال الحضارات والمجتمعات هو بإرادة الله تعالى، ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾.

٤ ـ القهر الإلٰهيّ كان على وجه الحكمة وله زمانه الخاص به، ﴿مَّوْعِدًا﴾.

٥ ـ إذا رأيتم الظالمين في حالة من الرفاه والطمأنينة فلا تيأسوا فإن لهؤلاء أيضاً مهلة وموعداً، ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾

إشارات:

- وردت كلمة «موسى» (١٣٦) مرة في القرآن الكريم، والمراد منها أجمع هو النبي موسى عليه السلام نفسه، أحد الأنبياء من أولي العزم.
- الاستفادة من كلمة «فتى» بمعنى الشاب اليافع بدل الغلام والولد، علامة الأدب والعطف والاسم الحسن، والمراد من «فتاه» في هذه الآية هو «يوشع بن نون» الذي كان صاحب موسى والملازم له في ذلك السفر[١].
- «الحقب» السنون الطويلة وقيل إنه من سبعين إلى ثمانين سنة.
- ذكرت التفاسير والروايات قصة ما جرى بين النبي موسى والخضر.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

وكما في كتاب صحيح البخاري نقلاً عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسُئل أي الناس أعلم؟ فقال أنا، فعتب الله عليه إذ لم يردّ العلم إليه، فأوحى الله إليه أنّ لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب فكيف لي به قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثَمَّ[1]. فأخذ حوتاً فجعله في مكتل ثم انطلق، وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رأسيهما فناما، واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه وسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سرباً، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق. فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقيّة يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً... فقال له فتاه أرأيت إذ آوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً، قال فكان للحوت سرباً ولموسى ولفتاه عجباً فقال موسى: ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصاً...»**.

- عن الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام قالا: **«إنه لما كان من أمر موسى عليه السلام الذي كان، أعطى مكتل فيه حوت مملح... وانطلق الفتى يغسل الحوت في العين فاضطرب في يده حتى خدشه وانفلت منه»**[2].

- ذكر بعضهم أن مجمع البحرين هو ملتقى بَحْرَي النبوة (موسى والخضر)، فموسى عليه السلام هو بحر الحكمة الظاهرية وأما الخضر فهو بحر الحكمة الباطنية.

- بما أن الأنبياء عليهم السلام معصومون ولا ينسون، فإن المراد من نسيان الحوت في الآية وضعها جانباً وتركها، وهذا نظير الآيات التي تنسب النسيان إلى الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾[3] ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾[4]، ومضافاً إلى ذلك، فإن ذينك

---

(١) ذكر العلامة الشعراني في حاشية تفسير أبي الفتوح الرازي أن محل اللقاء كان حوالي الشام وفلسطين.

(٢) تفسير نور الثقلين.

(٣) سورة الجاثية: الآية ٦٤.

(٤) سورة السجدة: الآية ١٤.

العظيمين لم ينسيا السمكة بل إنهما حملاها معهما، وطبقاً لما نقلناه فإن فتى موسى لما لم يرد أن يوقظ موسى عليه السلام من نومه صبر عليه وبعد أن استيقظ نسي أن يخبره بما جرى معه.

- أشير في القرآن الكريم إلى أن بعض الحيوانات كانت تشكل علامة وآية أو كانت مصدراً للإلهام أو لإيصال الخبر والأخبار، ومثالاً على ذلك فإن كيفية دفن هابيل كانت بإلهام من الغراب، والاطلاع على كفر قوم سبأ كان بإخبار من الهدهد، كذلك فإن إحياء السمكة كان علامة في قصة التقاء النبي موسى عليه السلام والخضر، والعنكبوت كان لها دور في المحافظة على النبي الأكرم ﷺ في الغار، وكذلك دور الكلب في المحافظة على أصحاب الكهف.

التعاليم:

١ ـ سعي النبي موسى عليه السلام لملاقاة الخضر وتحصيل العلم جدير بالذكر، ﴿وَإِذْ...﴾.

٢ ـ اختيار العنوان الجميل والحسن مما أوصى به الإسلام، ﴿قَالَ...﴾.

٣ ـ الهجرة والسفر لطلب العلم واكتسابه لهما سابقة تاريخية قديمة، ﴿لَآ أَبۡرَحُ...﴾.

٤ ـ يجب على طالب العلم أن يقصد العالِم لا أن يقعد وينتظر مجيء العالِم إليه، ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾، أي أنه ما لم يصل إلى العالِم فلن يكف عن البحث عنه.

٥ ـ في مقام طلب العلم والعالِم لو أمضينا عمراً في البحث فهو في محله، ﴿أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾.

٦ ـ ليس لتحصيل العلم حد ولا نهاية، فحتى لو كان الإنسان نبياً كموسى عليه السلام فإنه ينبغي له أن يتهيأ للسفر الطويل من أجل تحصيل العلم، ﴿أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾.

٧ ـ الصاحب الهمام في السفر هو من يبقى مصاحباً لصاحبه منذ بداية السفر وإلى نهايته، ﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ...﴾.

٨ ـ من الممكن أن يكون البحر أو جانبُ البحرِ مكاناً مناسباً وملائماً ومهيأً لأجل التعليم واللقاء المعنوي، ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا﴾.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾

إشارات:

□ «الغداء» طعام الصباح، و«العشاء» طعام الليل.

□ في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إن النبي موسى شكا إلى الله تعالى الجوع في ثلاثة مواضع:**

الموضع الأول: بعد أن استقى الماء لابنتي شعيب عليه السلام وسقى أغنامهما ثم تولى إلى الظل فقال: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[1].

الموضع الثاني: في هذه الآية[2].

الموضع الثالث: عندما طلب من أهل القرية الطعام فلم يعطوهم إياه فاعترض على الخضر بقوله: لِمَ تعمل مجاناً لهؤلاء الناس الذين لم يعطونا الطعام: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾»[3].

□ موعد اللقاء بين النبي موسى عليه السلام والخضر كان له علامة وهي فقد تلك السمكة التي كانت غذاءً لموسى وصاحبه يوشع وذهابها في البحر.

وعندما وصلا إلى محل اللقاء وقفزت السمكة إلى البحر نسي صاحب موسى أن يخبره بما جرى، وبعد أن سارا مسافة طويلة طلب موسى الطعام بعد أن نال منه التعب فتذكر صاحبُه الحوتَ وافتقادَه، فأخبر موسى بما جرى فطفقا عائدين إلى ذلك المحل وهناك التقيا بالخضر عليه السلام.

□ كان للنبي موسى عليه السلام أربعة أسفار:

١ ـ سفر الهرب، ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾[4].

---

(١) سورة القصص: الآية ٢٤.
(٢) تفسير نور الثقلين.
(٣) سورة الكهف: الآية ٧٧.
(٤) سورة الشعراء: الآية ٢١.

٢ ـ سفر الطلب، ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾[١].

٣ ـ سفر الطرب، ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا﴾[٢].

٤ ـ سفر التعب، ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا﴾[٣].

التعاليم:

١ ـ من آداب السفر وجود الصاحب وتهيئة الطعام، ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾[٤].

٢ ـ في سبيل المعرفة ومن أجل الوصول إلى الأهداف فإن الأنبياء عليهم السلام أيضاً يتحملون المصاعب والمشقات، ﴿لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا﴾.

٣ ـ الشيطان كان المانع من ملاقاة موسى مع الخضر ومصاحبته؛ ولهذا السبب فإنه اتّهم صاحب موسى بالإنساء، ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾

إشارات:

- عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**كان موسى عليه السلام أعلم من الخضر**»[٥]؛ أي أن موسى عليه السلام أعلم من الخضر في علم الشرع؛ ولكن الخضر كان أعلم منه بالحقائق وفي أمور أخرى غيرها.
- المراد من «عبدنا» في هذه الآية هو الخضر عليه السلام، وبالدلائل التالية يتبين أنه كان نبياً:

أ ـ من كان أستاذ نبي من الأنبياء كالنبي موسى عليه السلام فهو حتماً من الأنبياء.

---

(١) سورة القصص: الآية ٣٠. (٢) سورة الأعراف: الآية ١٤٣.

(٣) تفسير كشف الأسرار.

(٤) كما هو الحال في أصحاب الكهف إذ كانوا يمتلكون المال اللازم للطعام ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَـٰذِهِۦٓ﴾ (سورة الكهف: الآية ١٩).

(٥) تفسير الميزان.

ب ـ التعبير في القرآن الكريم بقوله: ﴿عَبْدَنَآ، عَبْدِهِ، عِبَادِنَآ﴾ مختص بالأنبياء غالباً.

ج ـ قال الخضر للنبي موسى عليه السلام: إن كل ما رأيته من الأمور الخارقة للعادة ولم تصبر عليها كان طبق أمر الله ورأيه ولم يكن ما فعلتهُ من أمري، ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىۚ﴾.

د ـ قال موسى للخضر: ﴿وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾، وبناء عليه فإن التسليم من نبي من الأنبياء أولي العزم لشخص دون بحث ولا جدال، (دون كيف ولا لماذا)، يشير حتماً إلى أن هذا الشخص معصوم ونبي.

هـ ـ العلم اللّدني مخصوص بالأنبياء قال الله تعالى عن الخضر: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا﴾.

و ـ ذكر بعض المفسرين أيضاً أن المراد من قوله تعالى ﴿رَحْمَةً﴾ أي النبوة، ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾.

التعاليم:

١ ـ إن بعض العلوم كعلوم الأنبياء عليهم السلام لا تحصل بالتمرين والتجربة والتعلم؛ بل لا بد فيها من العلم اللدني، ﴿مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾.

٢ ـ عاقبة التعب والبحث والاكتشاف: الإيجاد والوصول، ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا﴾.

٣ ـ في المجتمع، يوجد أمثال الخضر[(١)]؛ ولكن المهم هو البحث عنهم وإيجادهم والتتلمذ عندهم، ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾.

٤ ـ من أراد أن يدعو الناس إلى عبادة الله تعالى، فلا بد من أن يكون هو نفسه عبداً وأن يكون أستاذه أيضاً عبداً، ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾.

---

(١) قال الشاعر حافظ الشيرازي

طی این مرحله بی همرهی خضر مکن ظلمات است بترس از خطرگمراهی

(إياك أن تطوي هذه المرحلة دون صحبة الخضر، فإنها ظلمات، لذا فاحذر خطر الانحراف والضلال).

٥ ـ استقبال الرحمة والعلم الإلهيّين إنما يكون في ظل العبودية، ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً... وَعَلَّمْنَٰهُ﴾.

٦ ـ فوق كل علم علم؛ لذا علينا ألا نغتر بعلمنا، ﴿عَبْدًا... وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾

إشارات:

□ عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «**لما لقي موسى الخضر جاء طير فألقى منقاره في الماء، فقال الخضر لموسى: تدري ما يقول هذا الطائر؟ قال: وما يقول؟ قال: يقول: ما علمك وعلم موسى في علم الله إلا كما أخذ منقاري من الماء**»[1].

□ في هذه الآيات القصيرة نشاهد نكاتاً متعدّدة في الأدب والتواضع تجاه الأستاذ ومنها ما يلي:

أ ـ ابتدأ موسى تلمذته وتعلمه بأخذ الإذن من الأستاذ، ﴿هَلْ﴾.

ب ـ عرّف موسى نفسه بأنه تابع لأستاذه، ﴿أَتَّبِعُكَ﴾.

ج ـ عرف موسى الخضر بأنه مُعلِّم، ﴿تُعَلِّمَنِ﴾.

د ـ اعتبر موسى نفسه تلميذاً لبعض علوم أستاذه، ﴿مِمَّا﴾.

هـ ـ ربط موسى علم أستاذه بالغيب، ﴿عُلِّمْتَ﴾.

و ـ اعتبر موسى أن تعليم أستاذه مؤثر، ﴿رُشْدًا﴾.

ز ـ كما إن الله علّمك فأنت أيضاً علمني، ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾.

ح ـ أعطى وعداً بأن لا يعصى أوامر معلمه (في الآيتين اللّاحقتين)، ﴿وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾.

ط ـ اعتبر موسى أن أفعال معلمه وكلامه بمثابة الأوامر، ﴿وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾.

ي ـ لم يعط موسى وعداً قاطِعاً بل قال له، ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

---

(١) تفسير الميزان، الأمثل والدر المنثور.

التعاليم:

١ ـ من أجل التعلم لا بد من الأدب والتواضع أمام المعلم، ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ...﴾.

٢ ـ التواضع للعلماء والأساتذة من أخلاق الأنبياء، ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾.

٣ ـ من يعشق العلم والتعلم يسعى ويتحرك من أجل ذلك، ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾.

٤ ـ السفر مع العالم، وتحمل المصاعب والمشقات في سبيل كسب العلم والمعرفة، والوصول إلى الكمال والرشد، كل ذلك له قيمة كبيرة، ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾.

٥ ـ لا بد لطالب العلم من أن يكون هادفاً وأن لا يكون عبداً للأشخاص، ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾.

٦ ـ على الرغم من أن أفعال الله تعالى تصدر على وجه الإعجاز أحياناً إلّا أن القانون الأصل والأساس هو سلوك المسير الطبيعي؛ لذا لا بد لموسى من أن يتتلمذ لكي يتعلم الحكمة، ﴿أَن تُعَلِّمَنِ﴾.

٧ ـ لم يَأبَ الأنبياء أولي العزم أيضاً من طلب العلم، ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾.

٨ ـ إن الخضر ﷺ كان نبياً وذا علم لدني من الله تعالى، ﴿عُلِّمْتَ﴾.

٩ ـ إن طي طريق التكامل والوصول إلى المعارف الإلٰهيّة الخاصة يحتاجان إلى معلم ومرشد، ﴿تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ﴾.

١٠ ـ علم الأنبياء محدود وقابل للزيادة، ﴿تُعَلِّمَنِ مِمَّا...﴾.

١١ ـ مراتب الأنبياء متفاوتة من حيث الحظوة بالعلم والكمال، ﴿تُعَلِّمَنِ مِمَّا...﴾.

١٢ ـ التحلي بكل مراتب العلم والكمال ليس شرطاً للنبوة، ﴿تُعَلِّمَنِ﴾.

١٣ ـ الاطلاع على المعارف والعلوم الإلٰهيّة يضمن وصول الإنسان إلى الرشد والكمال، ﴿تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾.

١٤ ـ العلم وحده ليس هدفاً؛ بل لا بد من أن يكون وسيلة للرشد وأن يدفع الإنسان إلى العمل الصالح والخضوع الغرور والمجادلة[1]، ﴿رُشْدًا﴾.

---

(١) كان رسول الله ﷺ يدعو الله في تعقيب الصلاة قائلاً: «أعوذ بك من علم لا ينفع» (بحار الأنوار، ج ٨٦، ص ١٨).

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾

إشارات:

□ بيّنا في الآيات السابقة أنّ موسى عليه السلام، وإن كان من أولي العزم، ورغم أنه أعلم من الخضر عليه السلام في علم الشرع، إلّا أن الخضر كان أعلم منه في سائر العلوم.

التعاليم:

١ ـ لا بد للمربي والمعلم من أن يكونا مطلعين على مدى الاستعداد والقابلية عند التلامذة، ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ...﴾.

٢ ـ في مقام تعيين المسؤولين الثقافيين لا بد من معرفة اللائقين لذلك والتنبيه على نقاط الضعف عندهم، ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ﴾.

٣ ـ استعداد الأفراد لتلقي المعرفة متفاوت، حتى إن موسى عليه السلام لم يتحمل ما قام به الخضر، ﴿لَن تَسْتَطِيعَ﴾.

٤ ـ الرشد العلمي غير ميسر دون وجود الصبر، ﴿رُشْدًا... وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾.

٥ ـ الكثير من المجادلات والمخاصمات التي تحصل بين مختلف الأفراد منشؤها عدم معرفتهم بأفكار بعضهم وأهدافه، ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ...﴾.

٦ ـ المعرفة والإحاطة العلميّتان ترفعان مقدار استعداد الإنسان وصبره، ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾.

٧ ـ مع الصبر واللطف الإلٰهيّ يمكن الوصول إلى الرشد والكمال، ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾.

٨ ـ إذا أردنا أن نقوم بأي فعل في المستقبل لا بد لنا من أن لا ننسى المشيئة الإلٰهيّة؛ لذا لا بد من أن نقول: «إن شاء الله»، ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾.

٩ ـ كان الخضر عليه السلام نبياً معصوماً؛ إذ إن موسى عليه السلام تعهد له بأن لا يعصي أوامره، ﴿وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾.

١٠ ـ إطاعة المعلم والصبر في سبيل تحصيل العلم من آداب التعليم وشروطه، ﴿سَتَجِدُنِيٓ... صَابِرٗا﴾.

١١ ـ أخذ التعهد جائز في المسائل العلمية والتربوية، ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي﴾.

١٢ ـ السؤال له زمانه، والتسرع فيه ممنوع، ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي... حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ﴾.

١٣ ـ تمام أفعال الأنبياء تقوم على الدليل والمنطق والحكمة، ﴿أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾.

١٤ ـ لا بد للاستاذ والمربي من أن يرفع الإبهام عن أذهان تلامذته، ﴿حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾.

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ٧١ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٧٢﴾

إشارات:

- «الخرق» قطع الشيء على سبيل الفساد من غير تدبر ولا تفكر. و«الإمر» يقال للشيء المهم الباعث على التعجب أو للداهية العظيمة والقبيحة جداً.

التعاليم:

١ ـ من أجل التعلم، ينبغي علينا ألا نضيع الوقت، ﴿فَٱنطَلَقَا﴾. (حرف الفاء يشير إلى الفورية).

٢ ـ صحبة الأفراد قد لا تستمر إلى نهاية الطريق، فالصاحب الأول لموسى في سفره (أي يوشع بن نون) لم يكن مع موسى والخضر في بقيّة الطريق، وبالتالي فإن موسى والخضر فقط تابعا طريقهما، ﴿فَٱنطَلَقَا﴾. ولم يقل «فانطلقوا».

٣ ـ اكتساب العلم لا يحد بزمان أو مكان أو وسيلة خاصة، ﴿رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ﴾، (ففي البحر وأثناء ركوب السفينة وفي السفر أيضاً يمكن التعلم).

٤ ـ إذا قبلنا أن فلاناً ما عالم وحكيم، فلا بد لنا من السكوت أمام ما يصدر من أفعاله حتى ولو كان عجيباً وغريباً في نظرنا، ﴿ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾.

٥ ـ التخريب قد يكون من لوازم التعليم أحياناً، ﴿خَرَقَهَا﴾.

٦ ـ أثناء حلول الخطر فإن كل إنسان يفكر بمصالحه؛ ولكن الأنبياء عليهم السلام يفكرون بغيرهم، ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾. ولم يقل: «لتغرقنا».

٧ ـ إن خرق السفينة في الظاهر، ومضافاً إلى كونه تصرفاً في مال الآخرين دون إجازتهم، هو أيضاً خسارة وإضرار بالمال والنفس والآخرين؛ لذا فإن النبي موسى عليه السلام اعترض على ذلك، ﴿شَيْـًٔا إِمْرًا﴾.

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾

إشارات:

- إن الأنبياء لا ينسون، والنسيان لا يمكن انتقاده ولا المؤاخذة عليه، وبناء على ذلك فإن المراد من النسيان في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ هو ترك الوعد بالتبعية والسكوت بسبب تلك الأعمال التي كانت بنظر موسى مخالفة للشرع.

- «الإرهاق» بمعنى تغطية الشيء بالقهر والغلبة وتأتي أيضاً بمعنى التكليف بما يصعب فعله.

- يستفاد من كلمة «الغلام» وكلمة «زكية» أن ذلك الغلام لم يكن مكلفاً. و﴿نُّكْرًا﴾ تعني القبيح وأثرها أقوى من كلمة ﴿إِمْرًا﴾؛ إذ إنه في مورد ثقب السفينة وخرقها قال: ﴿شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ (باعتبار أنه عرّض مجموعة من الناس للخطر إلا أنهم تداركوا ذلك)، وأما في مورد قتل الغلام فقد قال: ﴿شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾.

التعاليم:

١ ـ يمكن للمعلم والأستاذ أن يؤاخذا تلميذهما، ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي﴾.

٢ ـ في مقام التعليم والتربية لا ينبغي أن نصعب الأمر على التلامذة، ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾.

٣ ـ لا بد للمعلم والأستاذ بعد قبول العذر والاشتباه من التلميذ من أن يتابعا عمليات التعليم والتربية والإرشاد، ﴿فَانطَلَقَا﴾.

٤ ـ لا بد للمعلم من أن يوصل معارفه إلى التلميذ بالتدريج، ﴿فَانطَلَقَا﴾، (أطلع الخضر موسى على الأسرار خطوة خطوة).

٥ ـ ترك المحرّمات أهم من التعهدات الأخلاقيّة، ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾؛ فالنبي موسى عليه السلام ولأجل أنه يعتقد بكون القتل من المنكرات رأى أنه من الواجب عليه أن ينهى عن المنكر وأن ينقض التعهد الأخلاقي الذي أعطاه للخضر عليه السلام.

٦ ـ قانون القصاص كان موجوداً أيضاً في ديانة النبي موسى عليه السلام، ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾؛ أي أن اعتراض موسى على الخضر كان مفاده: لماذا قتلت ذلك الغلام مع أنه ليس بقاتل؟

٧ ـ أحياناً قد يظهر ما هو «معروف» عند أحد على أنه «منكر» عند الآخرين، ﴿جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾.

الجزء السادس عشر

﴿۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾

إشارات:

☐ عن النبي محمد صلى الله عليه وآله: **لو أن موسى صبر على الخضر لرأى عجائب كثيرة**[1].

---

(١) تفسير الطبري؛ وتفسير أبي الفتوح الرازي.

التعاليم:

١ ـ إن أولياء الله تعالى ليسوا على درجة واحدة من ناحية الاستعداد وتحمل العلم، ﴿لَن تَسْتَطِيعَ﴾.

٢ ـ ثلاث مرات من الاختبار والإمهال تعد كافية لمعرفة الخصال، ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾.

٣ ـ إذا تضاربت أفكارنا مع أفكار الآخرين ولم نستطع أن ندرك ونستوعب بعضنا بعضاً، فلا بد من الانفصال عنهم دون حاجة إلى المقاومة والمواجهة معهم، ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾.

٤ ـ اعتراضات موسى على الخضر ناشئة مما رآه من إبهام في عمله وكانت لها جنبة تساؤلية، ﴿إِن سَأَلْتُكَ﴾.

٥ ـ علينا أن نكون منصفين ولو في تقييم أنفسنا تجاه أي عمل نقوم به، ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾؛ فالنبي موسى عليه السلام تحمّل مسؤولية عدم صبره.

٦ ـ عندما ننفصل عن أي إنسان لا بد من مراعاة الأدب معه، ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾.

٧ ـ ليس كل انفصال عن الآخر دليلاً على وجود الحقد، أو التعقيد، أو الغرور، أو التكبر، ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾

إشارات:

- امتنع الناس عن إعطاء الطعام لموسى والخضر ومع ذلك فإن الخضر وحده تصدى لإعمار الجدار الخرب مجاناً.

التعاليم:

١ ـ إن كل دورة تعليمية بحاجة إلى الحركة، والسعي، والتنوع في الأمكنة لأجل تحصيل علوم جديدة وهذا له قيمة كبيرة، ﴿فَٱنطَلَقَا﴾.

٢ ـ الأمة الساقطة أخلاقيًّا تمتنع حتى عن إعطاء الخبز لنبي من أولي العزم، ﴿فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾؛ (نعم هذا في صورة معرفتهم بذلك).

٣ ـ أولئك الذين لا يستضيفون الضيوف الغرباء مذمومون، ﴿فَأَبَوۡاْ...﴾.

٤ ـ إن عدم اهتمام الناس وقلة عطفهم ينبغي أن لا يؤثر سلباً على أعمالنا، ﴿فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾.

٥ ـ أحياناً قد يضطر الأنبياء أثناء الشدة إلى الطلب من الآخرين، ﴿ٱسۡتَطۡعَمَآ﴾.

٦ ـ رغم أن المحتاجين يقتنعون بالقليل إلّا أن الكرامة الإنسانيّة تقول لنا أن نكرمهم على مستوى الضيافة، ﴿ٱسۡتَطۡعَمَآ... يُضَيِّفُوهُمَا﴾.

٧ ـ من غير الضروري دائماً أن يكون الضيف معروفاً لنا؛ بل يجب علينا أن نستضيف أحياناً الغريب وابن السبيل، ﴿فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾.

٨ ـ يجب رفع النواقص وإصلاحها، ولا ينبغي رفع اليد عن الأشياء المعيوبة ظناً منا بعدم قيمتها، ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا... فَأَقَامَهُۥۖ﴾.

٩ ـ أولياء الله تعالى ليسوا من أهل الحقد والانتقام فبالرغم من عدم استضافة موسى والخضر إلّا أن الخضر قام بخدمتهم، ﴿فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا... فَأَقَامَهُۥۖ﴾.

١٠ ـ للأنبياء ولاية على أموال الناس وأرواحهم؛ لذا لهم الحق في التصرف بما شاؤوا دون الحاجة إلى أخذ الإذن من المالك، ﴿فَأَقَامَهُۥۖ﴾.

١١ ـ «العيش أولاً ومن ثم العمل» و«التأمين أولاً ومن ثم التمكين»، إن هذين المنطقين قد لا يصحان في كل موضع وفي كل مكان؛ لذا فإن النبي الجائع يعمل مجاناً ﴿فَأَبَوۡاْ... فَأَقَامَهُۥۖ﴾. وبناء عليه، عند الحاجة لا بد من أن نشمر عن سواعدنا ونعمل من دون أن ننتظر الميزانية والمساعدين والمقررات، ﴿جِدَارٗا... فَأَقَامَهُۥۖ﴾.

١٢ ـ العمل لوجه الله ومن دون أجرة ليس عبثاً، ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾.

١٣ ـ عندما نشخص أن عملاً ما مفيد وضروري فلا ينبغي لنا أن ننتقده، ﴿لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

١٤ ـ ليس عاراً أن نعمل وأن نأخذ أجرة أعمالنا، وليس عاراً أن نكون أُجراء عند غيرنا، ﴿لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

١٥ ـ أولياء الله تعالى لا يعملون من أجل المال، ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾

إشارات:

- «التأويل» هو الإرجاع وتوجيه المقصود، ويطلق أيضاً على كشف الأستار عن الأسرار.
- انفصال الخضر عن موسى كان باقتراح من موسى نفسه؛ إذ قال له: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي﴾؛ وقد هيأ موسى أسبابه بتكرار السؤال والاعتراض وتركه الخضر يقيم الجدار وحده.
- سُئل النبي موسى عليه السلام: ما هي أصعب الأوقات التي مرت عليك؟ فقال عليه السلام: مع أنني سمعت التهم من فرعون ورأيت أعذار بني إسرائيل، إلّا أن أصعب الأزمنة عليّ كانت تلك اللحظة التي قال فيها الخضر: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾[1].

دعني أبكي وأهلّ الدمع كغيوم الربيع
فلو أن الحجر يخرج منه الماء لفعل عند فراق الاحبة

---

(١) المحجة البيضاء وتفسير أبي الفتوح الرازي.

التعاليم:

١ ـ من لا يعرف قدر الوصال سيبتلى بالفراق، ﴿هَٰذَا فِرَاقُ﴾.

٢ ـ لا ينبغي التخلّي عن الأصدقاء بسرعة، فالخضر لم يفارق رفيقه إلا بعد تكرّر الاعتراضات، ﴿هَٰذَا فِرَاقُ...﴾.

٣ ـ علينا أن نرفع كل إبهام من أذهان الآخرين فوراً، ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾.

٤ ـ من خلال بيان الحكمة وتعليمها للآخرين فسوف نزيد من مقدار قابليتهم واستعدادهم، ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع﴾.

٥ ـ الحوادث الظاهرية لها أبعاد باطنية أحياناً، ﴿بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾.

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾

إشارات:

- «وراء» تطلق على ما كان مخفياً ومستوراً سواء أكان أمام الإنسان أم كان خلفه.
- إن ما يشاهده الإنسان هو الصور الظاهرية للأمور وقد يكون لكثير منها صوراً باطنية أيضاً. فلم يكن ظاهر ما فعله الخضر مشروعا في نظر موسى؛ ولكن كان يستبطن أسراراً ورموزاً وحقائق.
- لم يخرق الخضر السفينة بنحو يسبب دخول الماء إليها بنحو لا يستفاد منها أو يؤدي إلى غرقها؛ بل إنه أعابها فقط ولكم كانت المصالح موجودة في العيوب والنواقص.

يقول الشاعر صائب التبريزي:

(لربما بعد أن كُسِرت تصلح كل تلك الأمور، فمفتاح رزق الشحاذ رِجلٌ عرجاء ويد مشلولة).

- إنما أعيبت السفينة لئلا تقع في يد ذلك الملك الظالم ولئلا يزداد أولئك البؤساء بؤساً، وفي الواقع كان ذلك من باب دفع الأفسد بالفاسد، وهذا ليس من شأن كل أحد من الناس، بل إن تشخيص المهم والأهم من شأن العرفاء المتعمقين في الدين.
- إن أهل البيت عليهم السلام كانوا أحياناً يعيبون ويذمون أتباعهم المخلصين لهم أمام الآخرين لئلا يُساء الظن بهم من قبل الحكومة الظالمة فتحفظ أرواحهم، وهذا ما حدث بين الإمام الصادق عليه السلام وصاحبه زرارة؛ إذ إن الإمام انتقده في العلن ليكون في مأمن من أذى العباسيين ومن ثم أرسل إليه برسالة يقول له فيها: **«إنما أعيبك دفاعاً مني عنك فإن الناس والعدو يسارعون إلى كل من قربناه وحمدناه مكانه لإدخال الأذى في من نحبه ونقربه... فإنما أعيبك لأنك رجل اشتهرت بنا وبميلك إلينا، وأنت في ذلك مذموم عند الناس، فيكون ذلك دافع شرهم عنك لقول الله عز وجل» ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ ...ومن ثم قال له: فإنك أفضل سفن ذلك البحر القمقام وإن من وراءك لملكاً ظلوماً غصوباً يرقب عبور كل سفينة صالحة ترد من بحر الهدى ليغصبها وأهلها...»**[1].
- إن من وطأت أقدامه دنيا الأسرار واطلع على باطن الأشياء لا بد من أن يكون قد تجاوز مرحلة الظاهر منها، كما هو حال موسى عليه السلام الذي كان عالماً بالشريعة وعاملاً بها وأثناء صحبته مع الخضر فإنه أصبح عارفاً بالأسرار الباطنية أيضاً.

التعاليم:

١ ـ رعاية النظم والترتيب مهم في الأسلوب التعليمي والتربوي. فالسؤال الأول من موسى كان عن سبب خرق السفينة وعند الإجابة ابتدأ بالجواب عن هذا السؤال نفسه، ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين بتصرف يسير (المترجم).

٢ ـ الأسرار المخفية وسر الأعمال ستعرف يوماً ما، ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ﴾.

٣ ـ الإنسان الحكيم لا يفعل أبداً أي شيء عبثاً، بل إن كل أعماله تقوم على أساس الحكمة والمصلحة[1]، ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ﴾.

٤ ـ الفرد المسؤول يجب عليه أن يحافظ على حقوق الناس وأموالهم، ﴿فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ...﴾.

٥ ـ أولياء الله رحماء بالمساكين والمحرومين، ﴿لِمَسَٰكِينَ﴾.

٦ ـ إن كثيراً من الناس ورغم امتلاكهم للمال والعمل إلّا أن ما يحصلون عليه لا يكفيهم في نفقاتهم. وفي نظرِ القرآن فإن هؤلاء يعدّون مساكين، ﴿لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ﴾.

٧ ـ الشركة في المال والعمل عقد قانوني، وكان موجوداً في الأديان السابقة أيضاً، ﴿لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ﴾.

٨ ـ يجب حرمان الحاكم الظالم الغاصب من الاستيلاء على أموال الناس المساكين، ﴿أَعِيبَهَا... مَّلِكٌ يَأْخُذُ﴾.

٩ ـ دفع الأفسد بالفاسد جائز. واستبدال المهم بالأهم لازم، ﴿أَعِيبَهَا... مَّلِكٌ يَأْخُذُ﴾.

١٠ ـ الطواغيت لا يرضون بالقليل؛ ولذا فإنهم أيضاً لا يرحمون الفقراء رغم قلة أموالهم، ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾.

١١ ـ بالرغم من أن ما فعله الخضر كان بأمر من الله، ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾؛ إلا أنه، ورعاية للأدب، فقد نسب إعابة السفينة إلى نفسه، ﴿أَعِيبَهَا﴾.

١٢ ـ إن أفعال الأنبياء في العادة تقوم على أساس القوانين الظاهرية إلّا أن وظيفة الخضر كانت قائمة على أساس الأمور الواقعية، ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا... مَّلِكٌ يَأْخُذُ﴾.

---

(١) قال الشاعر مولوي:

گر خضر در بحر کشتی را شکست — صد درستی در شکست خضر هست

(لئن خرق الخضر سفينة البحّارين، فإنّ في فعله لمن الصواب مئة).

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾

إشارات:

- «الإرهاق» وهو أن يحمل الإنسان على القيام بما لا يطيقه ويصعب عليه.
- ورد في الحديث أن الله تعالى أبدل والديه بنتاً ولدت سبعين نبياً[1].
- أحياناً قد يكون الولد سبباً في انحراف الوالدين وكفرهما، ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾. وفي أحيان أخرى أيضاً فإن الوالدين يجران أبنائهما مع ما لهم من فطرة طاهرة إلى الكفر والانحراف، كما ورد عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: **«كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه»**[2].

التعاليم:

١ ـ لا يصدر عنهم أولياء الله تعالى العبث واللهو، مع أنَّ بعض أعمالهم قد تبدو مشروعة في الظاهر، ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ﴾.

٢ ـ موت الولد أفضل من أن تكون عاقبته سيئة وأن يكون بقائه موجباً للطغيان والفساد، ﴿يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾.

٣ ـ لله تعالى عناية خاصة بالأبوين المؤمنين، ﴿أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ﴾.

٤ ـ يجب أن يكون الجسم فداء للفكر أحياناً، فالولد يُقتل ليُحفظ إيمان والديه، ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾.

٥ ـ لا بد من ترقب الفتن ودفنها في مهدها، ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾.

٦ ـ الطغيان يمهد للكفر (وردت كلمة الطغيان قبل كلمة الكفر).

٧ ـ إرادة رجال الله هي إرادة الله تعالى، ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا﴾.

٨ ـ إن أولياء الله تعالى، ومضافاً إلى أنهم مسؤولون، فإنهم أيضاً يفكرون في مستقبل الناس ومصيرهم، ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) بحار الأنوار، ج٣، ص ٢٨٢.

٩ ـ قد يكون السبب في ابتلاء المؤمنين ببعض البلاءات حفظ إيمانهم وعقيدتهم أنفسهم، ﴿يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ﴾.

١٠ ـ إذا أخذ الله تعالى من المؤمن شيئاً فإنه يعطيه ما هو أفضل منه، ﴿يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ﴾.

١١ ـ أخذ الولد الطالح وإبداله بالولد الصالح مَظهر من مظاهر ربوبيّة الله تعالى، ﴿يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ﴾.

١٢ ـ زكاة الأبناء وصلاحهم لا يكفيان؛ بل لا بد من أن يكونوا رحماء بآبائهم أيضاً، ﴿زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾.

١٣ ـ في مورد الولد فإن ما له القيمة هو أن يكون سالماً وزكياً ومحباً لوالديه لا أن يكون ذكراً أو أنثى، ﴿زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾.

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾

إشارات:

□ روي عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: **«كان لوحاً من ذهب وفيه مكتوب: عجباً لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن. عجباً لمن أيقن بالرزق كيف يتعب. عجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح. عجباً لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل. عجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها. لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ»**(١).

□ طبقاً للروايات الشريفة فإن لطف الله ورحمته لا يشملان الأبناء المباشرين فحسب، بل يشملان أيضاً الذراري اللّاحقة، وكذلك فإن صلاح الأجداد يوجب عناية الله تعالى بذرّية أبنائهم(٢).

---

(١) تفسير مجمع البيان، ج٦، ص ٢٧٧. (٢) تفسير نور الثقلين، ج٣، ص ٢٨٩.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام: **«لما أقام العالِم الجدار أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: إني مجازي الأبناء بسعي الآباء إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً، لا تزنوا فتزني نساؤكم، من وطئ فراش امرء مسلم وُطئ فراشه، كما تدين تدان»**[١].

□ في موضع يُقتل الولد لأجل أن يُحفظ إيمان والديه، وفي موضع آخر ولأجل صلاح الوالد يعمل نبي الله (في إقامة الجدار) ليصل الكنز إلى الولد.

□ عندما اعترض بعضهم على الإمام الحسن عليه السلام بسبب مصالحته لمعاوية، قال الإمام عليه السلام: **«يا أبا سعيد إذا كنتُ إماماً من قبل الله تعالى ذكره، لم يجب أن يسفه رأيي فيما أتيته من مهادنة أو محاربة وإن كان وجه الحكمة فيما أتيته ملتبساً، ألا ترى إلى الخضر عليه السلام لما أخرق السفينة، وقتل الغلام، وأقام الجدار، سخِطَ موسى عليه السلام فعلَه لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى أخبره فرضي، هكذا أنا سخطتم علي بجهلكم بوجه الحكمة فيه ولولا ما أتيت لما تُرك من شيعتنا على وجه الأرض أحدٌ إلا قتل»**[٢].

□ للقرية والمدينة معنى واحد، ففي الآية (٧٧) قال تعالى: ﴿أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾، وقال ها هنا: ﴿فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾.

□ «الأشد» جمع «شدة» و«يبلغا أشدهما» أي حتى يصلا إلى الحلم والرشد.

التعاليم:

١ ـ يمكن للطفل غير البالغ أن يكون مالكاً؛ إلّا أن شرط التصرف في أمواله هو الرشد، ﴿كَنزٌ لَّهُمَا، يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾.

٢ ـ ادخار الثروة من أجل الأبناء جائز، ﴿كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾؛ إلّا أن كنز المال من دون إنفاق ممنوع.

٣ ـ حفظ أموال اليتامى واجب، ﴿لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج٣، ص ٢٨٧. (٢) تفسير نور الثقلين، ج٣، ص ٢٩٠.

٤ ـ الأعمال الصالحة للأب تؤثر في حياة الأبناء، ﴿أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾.

٥ ـ كان الخضر عليه السلام نبياً، ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾.

٦ ـ قد يكون لبعض الحوادث أحياناً تحليل عميق يصبّ في مسير رشد الإنسان، ولقد كان الهدف من هذه الأحداث إرشاد موسى عليه السلام، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ، رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾.

٧ ـ لا بد من التكلّم بأدب مع الله تعالى، فالنبي الخضر عليه السلام عندما تكلم عن العيب والنقص نسب ذلك إليه، ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾. وعندما كان الأمر يرتبط بفعلٍ حسن نسب ذلك إلى الله تعالى، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾.

٨ ـ إرادة أولياء الله تعالى إرادة الله، ﴿أَرَدتُّ، أَرَدْنَآ، فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾

إشارات:

□ للقرن معنيان، أحدهما: المدة الطويلة زمنياً (١٠٠ سنة)، والمعنى الآخر قرن الحيوان، وإنما سُمّيَ «ذو القرنين» بهذا الاسم ووصف به، إما من جهة حكومته الطويلة زمنياً، وإما لأنه كان يعقد خصلتين من شعره كالقرنين؛ وإما أنه كان قد جعل قرنين على قلنسوته.

وكذلك من الممكن أن يكون المراد من «القرنين» ناحيتي الشرق والغرب من هذه الدنيا[1]؛ إذ إنه لما بسط سلطانه على شرق العالم وغربه سمي بذي القرنين.

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: **«إن ذا القرنين لم يكن نبياً ولكنه كان عبداً صالحاً، أحب الله فأحبه الله، وناصح الله فناصحه الله، أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه فغاب عنهم زماناً ثم رجع إليهم فضربوه على قرنه الآخر»**،

(١) كما تقول العرب: «قرنا الشمس» أي مشرقها ومغربها في هذه الدنيا.

وأردف الإمام عليه السلام قائلاً: «وفيكم من هو على سنته»[1]. وبناء على ذلك فإنه سمي ذو القرنين لضربه على قرنيه.

❑ ذهب صاحب تفسير الأمثل ـ وبالالتفات إلى ما نُقِل عن بعض المؤرخين اليونانيين، وكذلك إلى بعض مقاطع التوراة (كتاب أشعيا، الفصل ٤٦، العدد ٢٨ و١١)، وكذلك اكتشاف تمثال قورش في القرن التاسع عشر الميلادي إذ كان على رأسه تاج فيه قرنان ـ إلى مطابقة ذي القرنين مع قورش؛ إلّا أن المرحوم الشعراني في حاشية تفسير أبي الفتوح الرازي ذهب إلى أن ذا القرنين هو الإسكندر المقدوني نفسه الذي كان تلميذاً لأرسطو منذ الثالثة عشرة من عمره، وقد اعتبر صاحب تفسير الميزان أن قورش هو «ذو القرنين» نفسه.

وعلى أي حال، فإن الكلام حول ذي القرنين ومدة حكمه؟ وعن اسمه؟ وسنين عمره؟ وهل كان بشراً أو ملاكاً، أو نبياً أو عبداً صالحاً؟ وهل هو الإسكندر أم قورش؟ ولماذا سمي بذي القرنين؟ وكم كانت إمكاناته؟ وإلى أين امتدت حدود حكومته؟ وما هو طول السد الذي بناه وعرضه؟ وفي أي زمان كان؟ وهل إن هذا السد هو سور الصين نفسه أم لا؟ كلام طويل؛ وبالتالي فإن البحث في تفاصيل هذه الجزئيات لا نفع جمّ له، بل لا بد لنا من أن نسعى وراء الحقائق والأهداف، لا المسائل الجزئية التي لا يوجد أي رشد فيها.

التعاليم:

١ ـ كان الأنبياء عليهم السلام مراجع للناس يجيبون عن أسئلتهم، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾.

٢ ـ لا بد للقائد والمبلغ الدينيّ من أن يكون عارفاً مطلعاً على التاريخ وحوادثه الهامة، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ...﴾؛ فإنه سيُسأل أسئلة مختلفة، كما حين سُئل الرسول صلى الله عليه وآله عن «الروح».

(١) تفسير نور الثقلين، كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص ٣٩٣.

٣ ـ علينا ألا نترك الإجابة عن تساؤلات الناس المنطقية والمفيدة، ﴿سَأَتْلُواْ﴾.

٤ ـ لا تَحْسُن العجلة في الجواب عن الأسئلة، ﴿سَأَتْلُواْ﴾.

٥ ـ يعتبر التاريخ وروايته، بما هو عبرة، من الأمور القيمة، ﴿سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾.

٦ ـ كانت تساؤلات الناس سبباً له لنزول بعض الآيات أحياناً، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ... قُلْ...﴾.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾

إشارات:

□ نقرأ في الدعاء الذي علّمه الإمام علي عليه السلام لذلك الشاب البلخي (دعاء المشلول) قوله: «**يَا مَنْ نَصَرَ ذَا الْقَرْنَيْنِ عَلَى الْمُلُوكِ الْجَبَابِرَةِ**»[١].

وفي رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام ذكر فيها أنه كان لذي القرنين علائم الملك والنبوة، وأن الله آتاه من كل شيء يعرف به الحق والباطل، وأن الله طوى له البلاد وذلل له العباد[٢].

□ ملك الأرض كلها أربعة: مؤمنان وكافران، فأما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين، وأما الكافران فنمرود ونبوخذ نصر[٣].

□ السلطة التي يعطيها الله تعالى لأوليائه (كالنبي سليمان والنبي يوسف وبعض المؤمنين) إنما يعطيهم إياها ليستفيدوا منها في سبيل الله. يقول القرآن الكريم حول عباد الله الصالحين: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ...﴾[٤].

وفي المقابل، انتقد القرآن أولئك الذين استفادوا من سلطتهم في غير مسير الحق، نقرأ في القرآن: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ...﴾[٥].

---

(١) البلد الأمين والدرع الحصين، ص ٣٣٩.
(٢) تفسير نور الثقلين.
(٣) تفسير نور الثقلين.
(٤) سورة الحج: الآية ٤١.
(٥) سورة الأنعام: الآية ٦.

التعاليم:

١ ـ الله تعالى هو الحاكم والمسيطر على الوجود والأسباب الطبيعية، يمكّن من يشاء من عباده ويعطيه القوة والسلطة، ﴿مَكَّنَّا لَهُۥ﴾؛ إلّا أن الاستفادة الصحيحة إنما تكون في ظل حسن النية وحسن التدبير من الإنسان، ﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا﴾.

٢ ـ أحياناً يضع الله تعالى كل أنواع الإمكانات والأسباب في تصرف بعض العباد، ﴿مَكَّنَّا لَهُۥ... وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبًا﴾.

٣ ـ النظام الطبيعي نظام الأسباب والمسبّبات، فكل شيء له سبب لا بد من معرفته والسعي وراءه، ﴿مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبًا فَأَتۡبَعَ سَبَبًا﴾.

ينبغي على خاصة أولياء الله الأخذ بالأسباب والإمكانات الطبيعية لتحقيق أهدافه تعالى.

٤ ـ امتلاك الإمكانات والقدرة مهم؛ ولكن الأهم هو حسن الاستفادة من وجودها، ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ...﴾.

٥ ـ إن ذا القرنين، ومضافاً إلى امتلاكه الإمكانات، فقد كان يمتلك أيضاً معرفة الاستفادة من الأسباب، ﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ٨٦﴾

إشارات:

□ كلمة «حمئة» تطلق على الطين الأسود النتن وكذلك على الطين الحار.

التعاليم:

١ ـ الأنبياء وأولياء الله يقومون ويتحركون بأنفسهم من أجل حل مشاكل الناس ونجاتهم ولا يكتفون بالدعاء فحسب، ﴿بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ﴾.

٢ ـ السياحة القيّمة والمقبولة هي الهادفة والملازمة للمعرفة، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ...﴾.

٣ ـ كان ذو القرنين نبياً؛ ولذلك خاطبه الله، ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾.

٤ ـ أحياناً يجب تفويض المدراء والقادة باتخاذ القرار من بين خيارات عدة، ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ...﴾ أعطى البارئ تعالى صلاحيات لخاصّة أوليائه.

٥ ـ للكفر في مغرب الأرض سابقة قديمة، ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًاۗ... أَن تُعَذِّبَ﴾.

٦ ـ لا ينبغي للأنبياء عليهم السلام أن يبتعدوا عن الناس، ﴿تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾.

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾

التعاليم:

١ ـ الكفر والشرك ظلم، ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ... وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ﴾، في مقابل الإيمان استخدم كلمة الظلم بدل الشرك .

٢ ـ للحكومة الإسلاميّة الحق في التعامل مع المشركين بكل قسوة، ﴿مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾.

٣ ـ كان ذو القرنين يأمل توبة الظالمين؛ لذا فإنه لم يستعجل في مجازاتهم، ﴿مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾.

٤ ـ عذاب الدنيا لا يرفع عذاب الآخرة، ﴿نُعَذِّبُهُۥ، فَيُعَذِّبُهُۥ﴾.

٥ ـ العذاب الدنيوي معروف ومعلوم؛ ولكن العذاب الأخروي غير معروف، ﴿عَذَابًا نُّكْرًا﴾، أي أنه لم ير مثله ولم يسمع به.

٦ ـ لا ينبغي التعامل سواء من الأفراد أم من الحكومات مع المحسنين والمسيئين على حد سواء، ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ... وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ﴾.

٧ ـ كان ذو القرنين منفِّذاً لأحكام الله وأوامره، ففي الآية السابقة أوصي أن يتعامل بالحسنى، ﴿تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ وهنا قال: ﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

٨ ـ القادة الإلٰهيّون لا بد لهم من أن يحكموا الناس بقوانين ميسرة، ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾.

٩ ـ الشدة مع الظالمين واللين مع المؤمنين طريقة القادة الإلٰهيّين، ﴿عَذَابًا نُّكْرًا... أَمْرِنَا يُسْرًا﴾.

١٠ ـ وظيفة القائد والحاكم الإلٰهيّ تطبيق العدالة ومواجهة الظلم وتيسير المقررات الاجتماعيّة، ﴿عَذَابًا نُّكْرًا... أَمْرِنَا يُسْرًا﴾.

١١ ـ بادروا إلى التشجيع والتحفيز والإثابة، ولكن تمهلوا في العقاب والعذاب (حرف السين في قوله «سنقول» يدل على الفورية وأما «سوف» فتدل على التأخير).

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾

إشارات:

- بعد أن سافر ذو القرنين إلى الغرب، حيث أقام النظام الدينيّ العادل بين أهل الساحل هناك، ابتدأ السفر نحو الشرق أيضاً.
- المراد من عدم وجود ساتر لأولئك القوم دون الشمس أن حياتهم كانت ابتدائية ودون وسائل وإمكانات. وعن الإمام الصادق عليه السلام أنهم لم يكونوا يعلمون صنعة البيوت[1]، وقيل صنعة الثياب، وكانوا لا يسترهم من الشمس شيء حتى أصبحت وجوههم سوداً.

التعاليم:

١ ـ الصالحون والملتزمون يتابعون أعمالهم ويداومون عليها، ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾.

٢ ـ إن أولياء الله حتى ولو امتلكوا وسائل الراحة والرفاه؛ إلا أنهم يسعون لنجاة المحرومين وبسط العدالة بين الناس، ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

٣ ـ الأخبار عن سفر أولياء الله والبركات المترتبة على أسفارهم أمر قيّم وفيه دروس وعبر، ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّىٰٓ إِذَا﴾.

٤ ـ المهم هو خدمة الناس وهدايتهم سواء أكانوا في الشرق أم في الغرب، ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾.

٥ ـ الله تعالى محيط ومطلع على أوليائه والنعم الخاصة التي اختصهم بها، ﴿أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾. (الأخبار عن أسفار ذي القرنين، وما جرى، معه وكلامه مع الناس يعد نموذجاً من إحاطة علم الله بكل شيء).

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾

إشارات:

- بالنظر إلى الآية اللّاحقة التي يظهر منها أن الناس عرفوا كمال ذي القرنين وقدرته وعطفه ولياقته، وأنهم شخصوا أن عدم الأمن يعد أهم مسألة عندهم وأن القادر على حلها هو ذو القرنين، وتكلمهم معه في هذا الخصوص. بناء على كل ذلك يظهر أن المراد من قوله تعالى: ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ أن مستوى ثقافتهم كان متدنياً ومحدوداً. كما هو الحال في الآية (٧٨) من سورة النساء إذ ورد فيها: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾؛ إذ ليس المراد من الآية هو عدم معرفتهم باللغة أو بلهجة خاصة مثلاً، بل المراد أنه لماذا لا يضع هؤلاء أنفسهم في المسار الصحيح!

- في هذه السورة تكلم عن ثلاث حكايات وفي الثلاثة يوجد السعي والحركة والهجرة: هجرة أصحاب الكهف، هجرة النبي موسى للقاء الخضر وهجرة ذي القرنين، والهجرة الأولى كانت لأجل المحافظة على الإيمان، والثانية كانت لتحصيل العلم والمعرفة، والثالثة كانت من أجل نجاة المحرومين والمستضعفين.

التعاليم:

١ ـ يجب اكتشاف القوانين الحاكمة في الطبيعة والاستفادة منها، ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾.

٢ ـ لكل حركة وسفر وهدف وسيلته الخاصة به. فقد تكرّر قوله تعالى: ﴿أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ في مورد كل حركة وسفر.

٣ ـ عند أولياء الله لا معنى للتوقف عن العمل، والنشاط، والفراغ، والتقاعد، ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾.

٤ ـ يجب على أئمة الناس وقادتهم أن يزوروا المناطق ليطلعوا على أوضاعها وأخبارها، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ...﴾.

٥ ـ ما لم يكن ثمة سعي وتحرك، فلن تعرف الحاجات وما هو الواقع الموجود، ﴿إِذَا بَلَغَ... وَجَدَ﴾.

٦ ـ خدمة المحرومين عمل قيّم سواء أكانوا من المثقفين أم من غير المثقفين، ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ﴾.

﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾

إشارات:

□ «الخراج» يطلق على ما يخرج من الأرض و«الخرج» يطلق على ما يخرج من المال.

□ ذهب أكثر المفسرين والمؤرخين، وبالاعتماد على القرائن الموجودة، إلى أن المراد من يأجوج ومأجوج هو قبائل المغول والتتار.

□ في رواية عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: «**قالوا: يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج خلف هذين الجبلين وهم مفسدون في الأرض. إذا كان إبان زروعنا وثمارنا خرجوا علينا من هذين السدين فرعوا من ثمارنا وزروعنا حتى لا يبقون**

منها شيئاً، فهل نجعل لك خرجاً نؤديه إليك في كل عام على أن تجعل بيننا وبينهم سداً»[١].

التعاليم:

١ ـ عندما يشعر الناس بالحاجة إلى أمر ما فإنهم يستثمرون أموالهم أيضاً، ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾. ففي الآية (٧٧) من هذه السورة أبى الناس عن إعطاء الطعام لنبيين من أنبياء الله، ولكن في هذه الآية فإن هؤلاء الناس حاضرون لاستثمار مالٍ كثير.

٢ ـ إن أولياء الله هم أفضل من يمكنه إقامة الأمن والأمان والتفريج عن الناس وحل مشاكلهم، ﴿يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ، نَجْعَلَ بَيْنَنَا...﴾.

٣ ـ الحاجة إلى الأمن مقدَّمة على المسكن واللباس، ﴿نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ...﴾. (فقد طلب أولئك الذين لا ساتر لهم من الشمس ولا بيوت ولا لباس، من ذي القرنين الأمن، ولم يطلبوا منه الساتر).

٤ ـ يتمتع الأمن والسكينة بأهميّة خاصة عند كل المجتمعات الإنسانيّة، ﴿تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾؛ لذا فقد وُضعت أشد العقوبات على المخلِّين بالأمن[٢].

٥ ـ حبس المجرمين والحد من تحركاتهم جائز، ﴿سَدًّا﴾.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾

إشارات:

□ «الردم» يطلق على سد الثلمة بالحجر ونحوه...

---

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) إشارة إلى الآيات التي تبين عقوبة «المفسدين في الأرض».

«الصدف» أي الجانب والناحية.

«القِطر» النحاس المذاب.

«الزبر» القطع الكبيرة من الحديد.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام: «...**إذ عملت بالتقية لم يقدروا لك على حيلة، وهو الحصن الحصين، وصار بينك وبين أعداء الله سداً لا يستطيعون له نقباً**»[1].

التعاليم:

١ ـ باعتقاد أولياء الله فإن كل مكنة هي من الله تعالى، ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي﴾.

٢ ـ إن الأنبياء ولأجل تبليغ الرسالة وهداية الناس لم يطلبوا منهم أي مال وأي أمور مادّية[2]، ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾.

٣ ـ إمكانات الناس لا بد من أن تصرف في تأمين مصالحهم، ﴿فَأَعِينُونِي﴾.

٤ ـ من أجل الوصول إلى الأهداف، ومضافاً إلى طرح الميزانية اللازمة وطلبها، لا بد أيضاً من همة الناس ومشاركتهم الفعّالة، ﴿فَأَعِينُونِي﴾.

٥ ـ أحياناً، وبدل طلب المساعدات المالية، تطلب مساعدة القوى الإنسانيّة، ﴿فَأَعِينُونِي﴾.

٦ ـ الخلط بين النحاس والحديد من ابتكار الأنبياء عليهم السلام، ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ... قِطْرًا﴾. (في عصرنا الحاضر ثبت أهميّة هذا التركيب من الناحية العلمية).

٧ ـ إتقان العمل والقيام بالأعمال دون أي نقص هو أسلوب الأنبياء وطريقتهم، ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا...﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج٣، ص ٣٠٨.

(٢) ورد في سورة الشعراء خمس مرات على لسان خمسة من الأنبياء قولهم: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وأما رسول الله صلى الله عليه وآله فقد جعل أجر رسالته المودة في أهل البيت عليهم السلام وبالتالي فإن ثمرة محبتهم واتّباعهم ترجع إلى الناس أنفسهم أيضاً.

لقد كان سد ذي القرنين قوياً ومحكماً وكبيراً بحيث لم يقدر أولئك القوم على تخريبه أو تجاوزه، ﴿أَن يَظْهَرُوهُ... لَهُۥ نَقْبًا﴾.

٨ ـ من أجل حل المشكلات الاجتماعيّة يجب الاستعانة بالناس المبتلين بتلك الآلام والمشاكل (لأنهم سيعملون بجد أكبر ولأنهم يعرفون قيمة تعبهم ولن يقصروا في عملهم)، ﴿فَأَعِينُونِي... فَمَا ٱسْتَطَٰعُوٓاْ...﴾.

٩ ـ إن القادة اللائقين، ومن خلال الاستعانة بالعلم، والفن، والحماس، والتعاون، ومن خلال أبسط الأفراد والآلات والوسائل سينتجون أفضل الإنجازات، وبناء على ذلك، إذا كان المدير جديراً فإنه من خلال العمال العادين سينجز أهم المشاريع، ﴿فَأَعِينُونِي... فَمَا ٱسْتَطَٰعُوٓاْ...﴾.

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾

إشارات:

□ إن سد ذي القرنين ليس هو جدار الصين نفسه ولا غيره من الموارد التي ذكرت حوله؛ لأنها لم تصنع من الحديد والنحاس، «ولكن بالاستناد إلى شهادة العلماء وأهل الخبرة فإن السد... يقع في أرض القوقاز... والمضيق الوحيد الذي يقع بين هذه الجبال الصخرية هو مضيق «داريال» المعروف، ويشاهد فيه جدار حديدي أثري حتى الآن، ولهذه المرجحات يعتقد الكثيرون أن سد ذي القرنين يقع في هذا المضيق... الطريف في الأمر أنه يوجد نهر على مقربة من ذلك المكان يسمى «سائرس» أي كورش... وهذا دليل آخر على أن كورش هو الذي بنى السد»[1].

التعاليم:

١ ـ رجال الله يعتقدون أن توفيقاتهم رحمة من الله ولا يصابون بالغرور أبداً، ﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾.

---

(١) تفسير الأمثل، ج٩، ص ٣٧٠ و٣٧١.

٢ ـ إن كل الجهود والتغييرات والتحوّلات تقع في مسير تربية الإنسان ورشده، ﴿رَبِّي﴾ تكررت ثلاث مرات في هذه الآية.

٣ ـ الرحمة مرتبطة بالربوبيّة الإلٰهيّة، ﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾.

٤ ـ تحقيق الأمن رحمة إلٰهيّة، ﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾؛ إذ كان بناء السد لأجل الأمن.

٥ ـ قداسة العمل والسعي، إتقان العمل، تعاون الناس، الإدارة والصناعة، والأهداف السامية... كل ذلك يعد مجموعة من الألطاف الإلٰهيّة، ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾.

٦ ـ من خلال تأمين الأمن والأمان للناس ستتاح الفرصة بشكل أفضل للتبليغ والإرشاد، وستتاح الفرصة أيضاً للقيام بمشاريع أخرى، ﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي... وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾. إن ذا القرنين، وبعد إتمام السد، عرّف الناس على المبدأ والمعاد.

٧ ـ على مشارف القيامة سيؤول كل شيء إلى الخراب، ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾.

٨ ـ إن أشد حصون البشر إحكاماً وقوة ستتهاوى أمام إرادة الله تعالى وقدرته، ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾.

٩ ـ إن رجال الله، وبالاستناد إلى لطف الله تعالى، يتنبأون الغيب أيضاً، ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾.

١٠ ـ يجب علينا أن نتعلم الإتقان في العمل من أولياء الله تعالى، فقد صنعوا سداً سيبقى صامداً إلى مشارف القيامة، ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾.

١١ ـ مضافاً إلى وجوب القيام بأعمالنا الدنيوية دون خلل وبشكل محكم، لا بد لنا أيضاً من أن نتذكر القدرة الإلٰهيّة وضعف قدرتنا، ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟... وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾.

١٢ ـ القادة الإلٰهيّون، ومضافاً إلى إعمارهم دنيا الناس، فإنهم أيضاً يذكرونهم بالآخرة، ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟... وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾.

﴿۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾

إشارات:

- إذا وضعنا الآية ﴿وَتَرَكْنَا...﴾ إلى جانب قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ﴾[١] يظهر لنا حينئذٍ أن مسألة قوم يأجوج ومأجوج ترتبط بالقيامة وكأنها من مقدماتها، أي قبل يوم القيامة فإن قوم يأجوج ومأجوج يحررون ويتركون ويتكاثرون كتكاثر الأمواج.
- ورد عن الإمام الرضا عليه السلام في تفسير قوله تعالى ﴿أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾ أنه قال للمأمون: «**المراد من الذكر في هذه الآية علي بن أبي طالب**[٢]».
- المراد من العين والأذن في الآية (١٠١) المعرفة والبصيرة والإدراك أي عين القلب وأذنه، وليس المراد بهما ما يوجد في الرأس؛ إذ إن القرآن أحياناً ينسب العمى إلى القلب فيقول: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ﴾[٣].

التعاليم:

١ ـ أينما حل الأمن فهو من لطف الله، ولو ترك الناس للحظة لعمّ الفساد في الأرض، ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ﴾.

٢ ـ انهيار سد ذي القرنين من علامات يوم القيامة، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي... نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾.

٣ ـ قبل يوم القيامة يسود الهرج والمرج في الأرض من قبل بعض الأقوام، ﴿تَرَكْنَا... يَمُوجُ﴾؛ رغم أن هذا الهرج والمرج سيصلح من خلال ظهور صاحب العصر والزمان (عج).

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٩٦.

(٢) تفسير اللاهيجي.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٧٢.

٤ ـ غالباً ما يكون سبيل المعرفة بواسطة العين والأذن (السمع والبصر)، إلّا أن هؤلاء كانت أعينهم في غطاء، وآذانهم لا قدرة لها على استماع الحق وإدراكه وفهمه، وإلا فإن الذكر لا يقبل الرؤية أساساً، ﴿أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي﴾.

٥ ـ يصل الإنسان السميع، وبسبب عناده، إلى مقام لا يقدر معه على استماع الحق، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾.

٦ ـ السبب في عرض جهنم على الكافرين إنما هو لأعمالهم وقسوة قلوبهم في الدنيا، ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ... ٱلَّذِينَ كَانَتْ...﴾.

﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾

إشارات:

□ في هذه الآيات رسمت هيئة الكافرين على النحو الآتي:

أ ـ عمى القلب، ﴿كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي﴾.

ب ـ العبودية للعباد بدل العبودية لله تعالى، ﴿يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ﴾.

ج ـ الجهل والتعصب، ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[1].

□ «نزلا» إما بمعنى المنزل، وإما بمعنى أول شيء يُقدَّم للضيف.

التعاليم:

١ ـ الشرك ومعتقدات المشركين ليست إلا خيالاً ووهماً، ﴿أَفَحَسِبَ﴾.

٢ ـ غير الله، مهما كان، ﴿دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ فهو مخلوق من خلق الله وعبد له ﴿عِبَادِى﴾. فكيف اتخذوا المخلوقين أولياء من دون الله؟

٣ ـ القبول بولاية غير الله كفر، ﴿كَفَرُوٓاْ... مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ﴾.

---

(١) سورة الكهف: الآية ١٠٤.

٤ ـ النار موجودة حالياً والعذاب الإلٰهيّ حتمي وقطعي، ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾.

٥ ـ عقوبة الكفر هي النار، ﴿أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾

إشارات:

- فُسِّرت هذه الآية في الروايات بالمنكرين لولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام[1]، وبالذين يسوّفون الحج ويؤجلونه مع الاستطاعة[2].
- روي أن ابن الكواء سأل أمير المؤمنين علي عليه السلام عن أهل هذه الآية فقال: «**أولئك أهل الكتاب كفروا بربهم وابتدعوا في دينهم فحبطت أعمالهم، وما أهل النهر منهم (الخوارج) ببعيد**»[3].
- عن الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: «**إِلَٰهِي مَنْ كَانَتْ مَحَاسِنُهُ مَسَاوِيَ فَكَيْفَ لَا يَكُونُ مَسَاوِيهِ مَسَاوِيَ وَ مَنْ كَانَتْ حَقَائِقُهُ [حَقَّانِيَّتُهُ] دَعَاوِيَ فَكَيْفَ لَا تَكُونُ دَعَاوِيهِ دَعَاوِي**»[4].
- كما إن العطاء متفاوت وله درجات، ضعفين، أضعاف عدة، عشرة أضعاف ﴿ضِعْفَ، أَضْعَافًا، عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾، وأحياناً سبعمائة ضعف ﴿فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾[5]، وأحياناً أخرى بما يفوق التصور، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم﴾[6].

كذلك فإن الضرر والخسران لهما مراحل متفاوتة:

أ ـ تكون المعاملة أحياناً بئس المعاملة، ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟﴾[7].

ب ـ ولا ربح فيها أحياناً، ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾[8].

---

(١) تفسير نور الثقلين.
(٢) تفسير أبي الفتوح الرازي.
(٣) تفسير مجمع البيان.
(٤) إقبال الأعمال، الطبعة القديمة، ج ١، ص ٣٤٨.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٦١.
(٦) سورة السجدة: الآية ١٧.
(٧) سورة البقرة: الآية ٩٠.
(٨) سورة البقرة: الآية ١٦.

ج ـ وتؤدي إلى الخسران أحياناً، ﴿اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾[1].

د ـ أحياناً إلى الغرق في الخسران، ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾[2].

هـ ـ أحياناً الخسارة الكبيرة البينة، ﴿خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾[3].

و ـ أحياناً الخسارة من جميع الجهات، ﴿بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾[4]

□ «الأخسرون» فئات وطوائف عدة:

أ ـ طائفة لا تعمل الأعمال الصالحة.

ب ـ طائفة تعمل للدنيا لا للآخرة.

ج ـ طائفة تعمل وتعلم أن عملها غير صحيح.

د ـ طائفة خاسرة وتظن أنها رابحة.

هذا، ومن الممكن للطوائف الثلاثة الأولى أن تفكر بإصلاح نفسها من خلال التوبة وجبران ما فاتها؛ ولكن الطائفة الرابعة هم أسوأ الناس لأنهم لا سبيل لهم إلى التفكر، وهؤلاء من قبيل الرهبان النصارى الذين يحرِّمون على أنفسهم الحلال من لذائذ الدنيا، وقد انتقدهم الأنبياء على ذلك أيضاً، وكذلك من قبيل الزهاد المرائين.

□ إن الذين يعتقدون باعتقادات فاسدة وغير صحيحة، ويتَّبعون أهواءهم وظنونهم الباطلة لا يخسرون في عمل واحد فحسب، بل يخسرون في كافة أعمالهم وبرامجهم؛ لأن المعيار لقيمة أي عمل إنما هو الباعث الصحيح نحوه. وقد انتقد القرآن أيضاً الحسابات الواهية المستندة إلى الخيال والظنون التي لا أساس لها بتعابير شتى نظير قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ، يَحْسَبُونَ، وَلَا يَحْسَبَنَّ، أَفَحَسِبْتُمْ﴾.

التعاليم:

١ ـ النبي ﷺ مأمور ببيان الأرباح والخسائر الواقعية للناس، ﴿قُلْ... أَعْمَالًا﴾.

٢ ـ أسلوب السؤال والجواب يعد من أهم الأساليب التربوية والتعليمية، ﴿هَلْ...﴾.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٥.
(٢) سورة العصر: الآية ٢.
(٣) سورة النساء: الآية ١١٩.
(٤) سورة الكهف: الآية ١٠٣.

٣ ـ الإنسان في معرض الغفلة عن ربحه وخسرانه، ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُم...﴾.

٤ ـ إن أي عمل لا يمحى حتى ولو غاب عن أنظارنا، ﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾.

٥ ـ علينا أن نكون واقعيين وألا نستند إلى الخيال، ﴿يَحْسَبُونَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾

إشارات:

□ «الحبط» في اللغة هو أن تأكل الحيوانات شيئاً مسموماً يضرها فتعظم بطونها ويؤدي ذلك إلى هلاكها، ومن رآها يظن أنها سالمة ممتلئة اللحم بينما هي في الواقع منتفخة البطن مسمومة.

وبالتالي فإن بطلان أعمال الإنسان إنما سُمّيت بهذا لأن الذنوب قد أفسدتها، وسممتها وجعلتها منتفخة لا شيء فيها، وعرضتها للهلاك والزوال.

□ الناس في القيامة ثلاث طوائف:

أ ـ طائفة لصلاحها لا تحتاج إلى الميزان.

ب ـ طائفة لسوئها وشقاوتها لا تحتاج إلى الميزان أيضاً: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾.

ج ـ طائفة متوسطة لا بد من أن تحاسب أعمالها: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾[1].

التعاليم:

١ ـ الكفر بالله يسبب حبط الأعمال، وكل ما أصبح فارغاً لا وزن له، ﴿فَحَبِطَتْ، فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ...﴾.

---

(١) سورة القارعة: الآيات ٦ ـ ٩.

٢ ـ الحق عند الله له وزن وأما الباطل فجفاء ولا وزن له، ﴿فَلَا نُقِيمُ... وَزْنًا﴾.

٣ ـ مصير الإنسان مرتبط بأعماله، ﴿جَزَآؤُهُمْ... بِمَا كَفَرُواْ﴾.

٤ ـ عاقبة الكفر والاستهزاء بآيات الله ورسله هي النار، ﴿بِمَا كَفَرُواْ و...﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾

إشارات:

□ عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: **«الجنّة مئة درجة ما بين كل درجتين مسيرة عام، والفردوس أعلاها درجة... فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس»**[1].

التعاليم:

١ ـ الإيمان والعمل الصالح شرطان لنيل نعم الجنّة، ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ...﴾.

٢ ـ في مقام التربية لا بد من التحذير والإنذار إلى جانب البشارة، ولا بد من الثواب إلى جانب العذاب.

قبل آيات عدة ورد أن النار مَضاف الكافرين، ﴿أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ نُزُلًا﴾، وأما ها هنا فقد ذكر أن الجنّة والفردوس مَضاف المؤمنين، ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾.

٣ ـ الإنسان بطبعه إذا ما سكن في مكان ما ولمدة طويلة فإنه يشعر بالملل، ولو وجد مكاناً أفضل منه لتمنى الانتقال إليه، ولكن وعلى الرغم من الخلود في الجنّة إلا أن أهلها لا يتمنون أبداً الانتقال منها، ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾.

---

(١) تفسير مجمع البيان.

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾

إشارات:

- «المداد» يطلق على الحبر الذي يوضع في دواة وتغمس الأقلام فيها فيجري الحبر على الورق وليَمُدَّ القلم في الكتابة.
- «كلمات الرب» إما بمعنى الوعود والمخلوقات، وإما الحكم والمفاهيم، وإما الوحي وكل ما يدل على الله تعالى؛ لذا فإن كل ذرة وكل خلية هي من كلمات الرب تعالى.

التعاليم:

١ ـ الآيات الإلٰهيّة لا نهاية لها، والإنسان عاجز حتى عن عدها وتدوينها، ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ﴾.

٢ ـ إن كل ظاهرة آية وعلامة وكلمة من الخالق والرب، وتقع في مسير رشد الإنسان وتربيته، ﴿كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾

إشارات:

- ورد في هذه الآية كلّ من التوحيد ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾، والنبوة ﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾، والمعاد ﴿لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾، والأمل برحمة الله ﴿يَرْجُوا۟﴾، والسعي من أجل الوصول إليها ﴿فَلْيَعْمَلْ﴾، والإخلاص كذلك ﴿وَلَا يُشْرِكْ﴾.

ولهذا السبب ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«لو لم ينزل على أمتي إلا خاتمة سورة الكهف لكفتهم»**[1].

(١) تفسير الدر المنثور.

□ ورد في الكثير من الروايات التي تعرضت لهذه الآية الكلام عن أهميّة الإخلاص وخطر الرياء والشرك الخفي.

□ ورد في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: **«ما من عبد يقرأ آخر الكهف إلا تيقظ في الساعة التي يريد»**[1].

التعاليم:

١ ـ لا ينبغي لنا أن نصف أنفسنا بأكثر مما نحن عليه، فالأنبياء عليهم السلام يعتبرون أنفسهم مجرّد بشر، ﴿أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾.

٢ ـ شرط النبوة أن يكون النبي إنساناً؛ ليكون أسوة في العمل لسائر الناس، ﴿أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾.

٣ ـ على القادة الإلٰهيّين أن يصدوا عن الغلو والمبالغات، ﴿أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾.

٤ ـ لكي يكون العمل عملاً إلهياً يكفي الرجاء بالثواب الإلٰهيّ حتى ولو لم نتيقن ذلك ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ... فَلْيَعْمَلْ﴾.

٥ ـ يجب أن يبقى الرجاء عند الإنسان حالةً دائمة له وملازمة، وينبغي ألا يكون آنياً، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ﴾.

٦ ـ الرجاء دون عمل لا ينفع، ﴿يَرْجُواْ... فَلْيَعْمَلْ﴾.

٧ ـ الموت حتمي لكل الناس، لكن ما هو الأهم من ذلك أن يتمنى الإنسان لقاء الله، ﴿يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾.

٨ ـ الشرك، وبأي نحو كان، ممنوع، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَاۢ﴾.

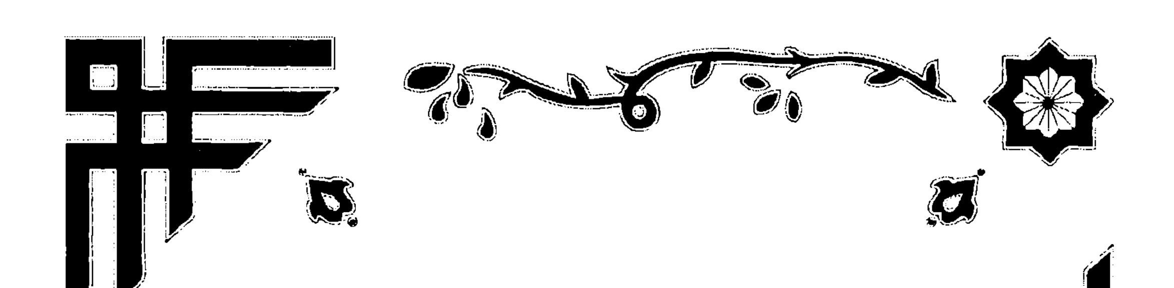
٩ ـ قيمة الأعمال لها ثلاثة جهات: أصل العمل، والقائم بالعمل، والنية والهدف منه. وقد وردت هذه الجهات الثلاث في هذه الآية: ﴿عَمَلًا صَٰلِحًا، مَن كَانَ يَرْجُواْ، وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

١٠ ـ إن هذه الآية، ومضافاً إلى ذكرها مقام التوحيد في الألوهيّة، ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾؛ فإنها أيضاً تذكر التوحيد في الربوبيّة والعبودية، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

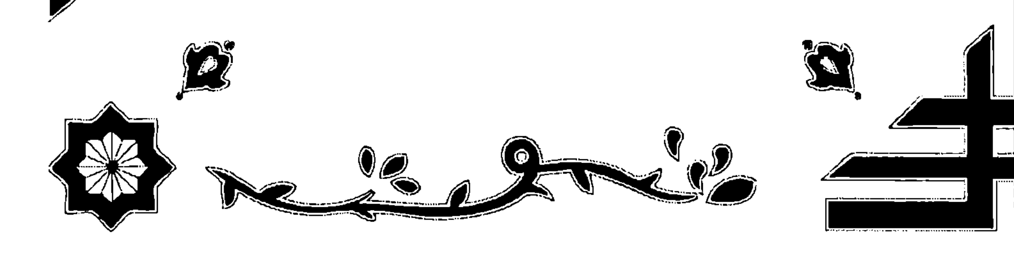
«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ مَرْيَمَ

السورة: ١٩ الجزء: ١٦

عدد الآيات: ٩٨



ملامح سورة مريم

سورة مريم هي السورة التاسعة عشرة من القرآن الكريم وعدد آياتها ثمانية وتسعون آية، وقد نزلت في مكة المكرمة[١].

محتوى السورة، وكما هو الحال في سائر السور المكية، يشتمل على مسائل ترتبط بالقيامة، ومصير المجرمين، وثواب المحسنين، وفي قسم منها يرد بعض ما جرى على زكريا، ومريم، وعيسى بن مريم، وإبراهيم، وإسماعيل، وإدريس عليهم السلام.

ونقرأ في تفسير الميزان قوله: «غرض السورة على ما ينبئ عنه قوله تعالى في آخرها: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ هو التبشير والإنذار غير أنه ساق الكلام في ذلك سوقاً بديعاً فأشار إلى هذا الهدف في قالب جميل من قصص حياة الأنبياء عليهم السلام».

ورد اسم مريم (٣٤) مرة في القرآن الكريم، ولم يذكر الله تعالى أي امرأة باسمها في القرآن الكريم سوى اسم مريم، وكذلك فإن السورة الوحيدة في القرآن التي سمّيت باسم امرأة هي نفس هذه السورة أي سورة مريم. ورد في فضل تلاوة هذه السورة عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**من أدمن قراءة سورة مريم لم يمت في الدنيا حتى يصيب منها ما يغنيه في نفسه وماله وولده، وكان في الآخرة من أصحاب عيسى بن مريم عليه السلام، وأعطي من الأجر في الآخرة ملك سليمان بن داود في الدنيا**»[٢]. وحتماً لا شك في أن العمل بمحتوى هذه السورة يغني الإنسان عن الاحتياج إلى الآخرين.

---

(١) ذكر بعضهم أن الآيتين (٥٨ و٧١) مدنيتان. (٢) تفسير مجمع البيان.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾

إشارات:

□ «كهيعص» من الحروف المقطعة في القرآن الكريم والتي تتضمن أسراراً ورموزاً. وفي بعض الأدعية نقسم على الله بحق هذه الحروف فنقول: «بحق كهيعص»[١]، كذلك روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال في دعائه: **«أسألك يا كهيعص»**[٢].

□ «النداء» معناه الدعاء بصوت عال، و«خفياً» بمعنى الإخفاء وليس الإخفات؛ لأن مثل هذا النداء لا يكون إخفاتاً بل يمكن أن يكون خفياً[٣].

وربما يكون الدعاء الخفي من زكريا سببه استهزاء الناس ولئلا يقولوا: لماذا يطلب هذا العجوز من الله ولداً؟ ﴿نِدَآءً خَفِيًّا﴾.

□ ورد اسم «زكريا» سبع مرات في القرآن، وهو من أنبياء بني إسرائيل ومن أبناء هارون أخي موسى عليهما السلام.

□ ورد في الحديث: **«خير الدعاء الخفي»**[٤].

التعاليم:

١ ـ تذكر النعم الخاصة من الله من أسباب محبة الله، ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾.

٢ ـ ذكر أولياء الله قيّم، ﴿ذِكْرُ... زَكَرِيَّآ﴾.

٣ ـ العبادة والدعاء يمهدان لاستقبال رحمة الله، ﴿رَحْمَتِ رَبِّكَ... إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾.

---

(١) بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، الطبعة القديمة، ج ٢، ص ٢٥٧.

(٢) تفسير مجمع البيان. (٣) تفسير الأمثل.

(٤) تفسير مجمع البيان.

٤ ـ علينا ألا نغفل عن دور الدعاء في تحوّلات حياة البشر، ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾، فالأنبياء أيضاً كانوا يلجأون إلى الدعاء لحل مشاكلهم.

٥ ـ المؤمن لا يحس بالوحدة أبداً، ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾.

٦ ـ إذا شاء الله فإنه يعلن للتاريخ النداء الخفي الذي نادى به العباد المخلصون، ﴿نِدَآءً خَفِيًّا﴾.

٧ ـ الدعاء الخفي أكثر قيمة من غيره؛ لأنه أقرب إلى الإخلاص، ﴿نِدَآءً خَفِيًّا﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾﴾

إشارات:

❑ «العاقر» وصف يطلق على الرجل الذي لا ولد له وعلى المرأة التي لا تلد.

❑ «الاشتعال» بمعنى ارتفاع ألسنة اللهب وانتشارها، وبناءً عليه فإن قوله ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ﴾ يعني: أن بياض الشعر في رأسي اشتعل وانتشر كما تشتعل النار وتنتشر.

❑ بالنظر إلى الآية (٣٨) من سورة آل عمران التي ورد فيها دعاء زكريا كما يلي: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾، يُعلم أن المراد من «الوليّ» في هذه الآية هو الولد الصالح الذي يكون وارثاً لأبيه.

❑ في الدعاء تَقْصُر المسافة بين العبد والله إلى حد يقول: «رب» بدل قوله: «يا رب»[١].

❑ عن الإمام الصادق عليه السلام: **«إن خوف زكريا كان من العمومة وأبناء العم»**[٢].

التعاليم:

١ ـ في الدعاء، لنطلب المدد من خلال كلمة «رب»، ﴿رَبِّ... رَبِّ... رَبِّ﴾،

---

(١) تفسير في ظلال القرآن. (٢) تفسير نور الثقلين.

ولنخبر بها عن ضعفنا، ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾، ولنذكر نعم الله وألطافه علينا ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾، ومن ثم لنذكر حينئذٍ حاجتنا، ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾.

٢ ـ أساس جسم الإنسان هي العظام، وضعف هذه العظام سيؤدي إلى ضعف تمام بدن الإنسان، ﴿وَهَنَ الْعَظْمُ﴾.

٣ ـ المؤمن لا ييأس أبداً من رحمة الله (فزكريا عليه السلام رغم عجزه يطلب الولد من الله تعالى)، ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ... وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾.

٤ ـ الإنسان اليائس شقي، ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾. أما أولياء الله فحتى في أصعب اللحظات وأشدها لا يتطرق اليأس أبداً إلى قلوبهم.

٥ ـ رجال الله يخشون الوارث الطالح، ﴿خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي﴾.

٦ ـ في الرؤية الإلٰهيّة دائماً إرادة الله حاكمة على العوامل الطبيعية، ﴿هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾.

٧ ـ على الرغم من أن الله تعالى يعلم حاجات الإنسان، إلّا أن الدعاء والمناجاة يتضمنان بركات كثيرة كالسكينة الروحية وتواضع الداعي وعبوديته، ومدح الله تعالى وثنائه، ﴿إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ... فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾.

٨ ـ الولد هبة سماوية من جانب الله تعالى، ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾.

٩ ـ لا تنفصلوا عن الزوجة العاقر، ولا تفقدوا الأمل والرجاء، ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾.

١٠ ـ التعلق بالخلود والبقاء موجود في فطرة البشر، والإنسان لا يحب أن يُنسى وأن يكون أبتر لا نسل له، ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾.

١١ ـ على الرغم من أن البقاء بلا ولد يعد من مخاوف الإنسان، ﴿خِفْتُ﴾؛ إلّا أن أولياء الله إنما يطلبون الولد غالباً لاستمرار مسيرة أهدافهم المعنوية ودوامها ﴿وَلِيًّا﴾.

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾

إشارات:

❑ استُعمل «الإرث» في القرآن الكريم في معانٍ عدّة، فتارة أريد من الإرث العلم كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾[١]، وتارة أخرى السلطة والملك: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[٢]، وغير ذلك من المعاني. ولكن في كل موضع لا يوجد قرينة خاصة فالمراد من الإرث هو المال كما هو الحال في هذه الآيات؛ إذ إن المراد من «يرثني» أن يكون لي ولد يرث من أبيه[٣].

❑ في رواية عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: « ...**قال رسول الله** صلى الله عليه وآله: **«ميراث الله عزّ وجلّ من عبده المؤمن ولد يعبده من بعده»**، ثم تلا أبو عبد الله عليه السلام آية زكريا ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[٤].

❑ «رضيا» بمعنى مرضياً عند الله تعالى وكذلك بمعنى المحبوب عند الناس، هذا ومقام الرضا ـ أي رضا الله عن الإنسان ورضا الإنسان عن الله ـ يعد من أعلى المقامات وهو الفوز العظيم.

❑ جملة ﴿مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ إما أنها بمعنى أن اسم يحيى لم يكن له سابقة وإما أن الخصائص الشخصيّة ليحيى لا سابقة لها.

❑ «عتياً» بمعنى تجاوز الحد، وتطلق على الإنسان الذي أصبحت أطرافه يابسة بسبب العجز والتقدم في السن.

❑ قول زكريا ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ﴾ ليس سؤالاً واقعاً، بل هو بمثابة تعجب يراد منه الاستعلام من أنه تعالى كيف سيجعلهما شابين ثم يرزقهما ولداً أو يتركهما

---

(١) سورة غافر: الآية ٥٣.
(٢) سورة النمل: الآية ١٦.
(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي.
(٤) تفسير نور الثقلين.

شيخين ويرزقهما الولد مع الشيخوخة[١]. نعم التعجب من شيء لا يتنافى مع مقام النبوة فعلم الأنبياء محدود في قبال علم الله تعالى.

□ عن الإمام الباقر عليه السلام: **«إنما وُلِدَ يحيى بعد البشارة له من اللهِ بخمس سنين»**[٢].

التعاليم:

١ ـ قداسة النبوة لا تتنافى مع المطالب الفطرية والغريزية كطلب الولد مثلاً، ﴿يَرِثُنِي﴾.

٢ ـ استمرار خط الأنبياء عليهم السلام قيمة معنوية، ﴿يَرِثُنِي﴾.

٣ ـ الأنبياء عليهم السلام كسائر الناس يتركون إرثاً، ﴿يَرِثُنِي﴾.

٤ ـ رجال الله يتوجهون إلى القيم المعنوية أيضاً حتى في حاجاتهم المادّية، ﴿يَرِثُنِي... رَضِيًّا﴾.

٥ ـ إذا كان الأولاد مورد رضا الله تعالى فهم رحمة، ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾. وقد قرأنا في الآية الثانية قوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾.

٦ ـ لكي يكون الولد صالحاً وحسناً لا بد من الدعاء لذلك حتى قبل انعقاد النطفة، ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾.

٧ ـ علينا أن نطلب الولد الصالح من الله تعالى، ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾.

٨ ـ علينا ألا ننظر إلى التسمية بتهاون، فبعض الأسماء نزلت من قبل الله تعالى، ﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾. (الاسم يكشف عقيدة الإنسان، وثقافته، وعواطفه، وارتباطاته، وأهدافه، وشعاراته، وقضاياه).

٩ ـ لا بد للرجال العاقرين وللنساء العاقرات من أن لا ييأسوا من لطف الله ورحمته، ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ... عَاقِرًا... عِتِيًّا﴾.

١٠ ـ كون الولد ذكراً أم أنثى بيد الله تعالى، ﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ﴾.

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي.

(٢) تفسير مجمع البيان، بحار الأنوار، ج١٤، ص ١٧٦.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۝٩ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠﴾

إشارات:

□ إن الله تعالى قادر على كل شيء ولا يصعب عليه أي أمر ولذلك يقول تعالى في هذه الآية: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾.

وكذلك فإننا نقرأ في الآية (٢٢) من سورة الحديد، والآية (٧) من سورة التغابن قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾، وكذلك ورد في الآيتين (٢٠ و١٠٦) من سورة البقرة قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وقال تعالى أيضاً في سورة الكهف الآية (٤٥): ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾.

□ «المراد بثلاث ليال ثلاث ليال بأيامها وهو شائع في الاستعمال»[١]، لذا فإننا نقرأ في الآية (٤١) من آل عمران قوله ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾. وأما ها هنا فإنه يقول ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ﴾؛ والسبب في هذا أن كلاً من اليوم والليلة يذكران بدل بعضهما بعضاً أحياناً.

□ ورد في تفاسير: مجمع البيان، والطبري، والميزان أن النبي زكريا كان أثناء تلاوة الآيات الإلٰهيّة يقدر على الكلام؛ ولكنه أثناء المحاورة مع الناس لا يقدر على تكليمهم لانعقاد لسانه.

□ سأل زكريا عليه السلام الآية ليميز بها الحق من الباطل فتدله على أن ما سمعه من النداء وحي ملكي لا إلقاء شيطاني...[٢].

التعاليم:

١ ـ القوانين الطبيعية والعلل المادّية لا يحدان أبداً من قدرة الله تعالى، ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾.

---

(١) تفسير الميزان.

(٢) تفسير الميزان.

٢ ـ التفكر في الخلق والإيجاد يرفع كل شك في قدرة الله تعالى، ﴿خَلَقْتُكَ... وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾.

٣ ـ كان الأنبياء عليهم السلام يفكرون في الوصول إلى مراحل عليا من اليقين، فالنبي إبراهيم عليه السلام مثلاً يطلب من الله تعالى علامة ليطمئن قلبه، ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾[1]. وهنا زكريا أيضاً يطلب من الله علامة خاصة ﴿ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً﴾.

٤ ـ كل حركاتنا وأفعالنا بإرادة الله، فإذا لم يشأ الله أن نتكلم فلا يمكننا ذلك حتى ولو كنا في سلامة كاملة، ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾

إشارات:

- «بكرة» يطلق على الزمان الفاصل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. و«عشياً» يطلق على الزمان الفاصل بين الظهر والغروب أو على آخر النهار.
- «المحراب» إنما سمي بهذا الاسم لأنه مكان المحاربة مع الشيطان ووساوسه التي تمنع فكر الإنسان من التركيز. وربما يكون المراد من محاريب بني إسرائيل هي المساجد التي اختارها الناس للعبادة.
- على حد قول الطبرسي والفخر الرازي فإن المراد من التسبيح في هذه الآية هو الصلاة؛ إذ إنها تشتمل على التسبيح أيضاً.

التعاليم:

١ ـ في مجال التبليغ، الأولى أن يكون المبلغ من قوم المدعوّين، ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾.

٢ ـ رجال الله، يتخذون مكاناً خاصاً لهم من أجل العبادة، ﴿ٱلْمِحْرَابِ﴾.

٣ ـ من يدعو الناس إلى العبادة لا بد من أن يكون هو نفسه من أهل العبادة، ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٠.

٤ ـ لا بد من التبليغ بأي وسيلة ممكنة (عندما كان يقبض لسان زكريا كان يوحي إلى الناس بالإشارة والرمز أن يسبحوا الله)، ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾.

٥ ـ وظيفة الأنبياء ﷺ دعوة الناس إلى العبادة، ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟﴾.

٦ ـ إنجاب الشيخ العجوز ولداً من امرأة عاقر دليل على كون الله تعالى منزهاً من أي عيب ونقص وعجز، ﴿سَبِّحُوا۟﴾.

٧ ـ قيمة العبادة الكبرى في ديمومتها لا أن تكون مرحلية وموسمية، ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾.

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾﴾

إشارات:

- «الحكم» بمعنى العلم والفهم[1] وبمعنى القضاء[2]. وذُكر في تفسير الميزان أن المراد بالحكم العلم بالمعارف الحقة الإلٰهيّة وانكشاف ما هو تحت أستار الغيب بالنسبة إلى الأنظار العادية.

- ثلاثة أوتوا النبوة في صغرهم: النبي سليمان، النبي عيسى، والنبي يحيى ﷺ. وثلاثة أيضاً أوتوا الإمامة في صغرهم: الإمام الجواد، والإمام الهادي، والإمام المهدي ﷺ[3].

- ذكر بعضهم أن النبي يحيى ﷺ هو «يوحنا» في العهد الجديد.

- ربما يكون المراد من الكتاب السماوي ها هنا هو كتاب التوراة؛ لأنه لم يعرف أي كتاب آخر أنزل على النبي يحيى ﷺ.

---

(١) لسان العرب.
(٢) قاموس القرآن.
(٣) تفسير أطيب البيان.

□ ورد في الآيتين (٦٣ و٩٣) من سورة البقرة الأمر بأخذ الكتاب السماوي بقوة: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾.

□ «الحنان» بمعنى الإشفاق والعطف. إن رأفة الله بيحيى، وعشق يحيى لله، وكذلك عطف الناس ومحبتهم ليحيى، ومحبة يحيى للناس كل ذلك شعاع من الحنان اللدني الإلٰهيّ، ﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا﴾.

□ كل ما في سبيل الله هو رحمة: فالله هو الرحمن، ونبيه وكتابه: ﴿رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]، وأمته، ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾[2].

□ «الزكاة» وردت بمعنى الصدقة، الرشد، الطهارة من الذنوب والبركة. فالنبي يحيى عليه السلام بالنسبة إلى زكريا عليه السلام كان هدية مباركة ومثالاً للإنسان الطاهر الراشد.

التعاليم:

١ ـ لا بد للقائد من أن يكون صلباً قوياً في مقام تحقيق أهداف الكتاب السماوي، ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾.

٢ ـ من أجل حفظ الدين وتطبيق أحكامه لا بد من الصلابة والقوة، ﴿خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾.

٣ ـ التدين يجب أن يكون بقوة وجدية، ﴿خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾.

٤ ـ إذا شاء الله فإنه يؤتي النبوة لصبي أيضاً، ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾.

٥ ـ من لوازم التبليغ والتربية: الرأفة، والمحبة، والطهارة، ﴿وَحَنَانٗا... وَزَكَوٰةٗ﴾.

٦ ـ منبع الرأفة والمودة هو الله تعالى، ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾.

٧ ـ امتلاك الإنسان لروحية الرأفة والعطف أمر قيمٌ وعظيم، ﴿وَحَنَانٗا﴾.

٨ ـ التقوى إنما تكون ذات قيمة إذا كانت دائمة وملكة للإنسان، ﴿كَانَ تَقِيّٗا﴾.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٢، وسورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٢) سورة الفتح: الآية ٢٩.

٩ ـ ليست التقوى بمعنى الانزواء والتخشن؛ بل بصحبة الناس مع العطف والمحبة، ﴿وَحَنَانًا... كَانَ تَقِيًّا﴾.

١٠ ـ التقوى، تمهد لاستقبال الألطاف الإلٰهيّة والنمو الصالح والمحبوبية، ﴿وَحَنَانًا... زَكَوٰةً... كَانَ تَقِيًّا﴾.

﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾

إشارات:

- عدد الله تعالى في هذه الآيات أوصاف عدة للنبي يحيى عليه السلام: فقد كان تقياً في محضر الله تعالى، ﴿كَانَ تَقِيًّا﴾، وكان باراً بوالديه، ﴿وَبَرًّا﴾، ولم يكن مع الناس جباراً وعاصياً[1]، ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾.
- المراد من السلام أثناء الموت سلامة العقيدة والموت على الإيمان.

التعاليم:

١ ـ لا يغفلنكم المقام والمنصب عن تذكر الوالدين، فالنبي أيضاً كان باراً بوالديه يحسن إليهما، ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ﴾.

٢ ـ البر بالأم والأب من مظاهر التقوى، ﴿وَكَانَ تَقِيًّا وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ﴾.

٣ ـ البر بالوالدين إنما يكون ممدوحاً ومورداً للتقدير إذا لم يكن فيه أي نوع من العصيان والتسلط، ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾.

٤ ـ ترك الإحسان إلى الوالدين دليل على العصيان والطغيان، ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾.

٥ ـ السلام على أولياء الله لا يختص فقط بحال حياتهم، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ...﴾.

---

(١) تفسير الميزان.

٦ ـ السلام ليس علامة على التصغير؛ إذ إن الله الكبير يسلم أيضاً، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ﴾، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾[1]، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾[2].

٧ ـ طوى يحيى عليه السلام حياته بحلوها ومرها في سلامة من دينه وإيمان بالله تعالى، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ و...﴾.

٨ ـ تعظيم ذكرى أيام ولادة أولياء الله وأيام وفاتهم هو أمر قرآني، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ و...﴾.

٩ ـ قراءة الزيارة ـ والسلام على أولياء الله في حياتهم وبعد وفاتهم أمر قرآني، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ ...﴾.

١٠ ـ مفتاح الحياة بسلام، والموت بسلام، والبعث في القيامة بسلام هم التقوى، والبر بالوالدين، واجتناب المعاصي والطغيان، ﴿وَكَانَ تَقِيّٗا وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ و...﴾.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾﴾

إشارات:

□ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«إن الله اختار من النساء أربعاً: مريم، وآسية، وخديجة، وفاطمة»**[3].

□ «النبذ» بمعنى طرح الشيء جانباً من باب عدم الاعتناء به. و«الانتباذ» بمعنى التنحي جانباً عن الناس، وحيث إن مريم كانت وقفاً للمسجد الأقصى؛ لذا فإنها اختارت لنفسها ناحية في شرق المسجد.

---

(١) سورة الصافات: الآية ١٠٩.
(٢) سورة الصافات: الآية ١٢٠.
(٣) بحار الأنوار، ج١٤، ص ٢٠١.

التعاليم:

١ ـ إحدى مهام القادة الدينيين تعظيم أطهار التاريخ وصلحائه، ﴿وَٱذْكُرْ...﴾.

٢ ـ لا بد من إحياء ذِكْرِ النساء البطلات كما يُحيى ذكر الرجال الكبار، ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ... وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ﴾[1].

٣ ـ علينا اختيار الخلوة للعبادة، ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾.

٤ ـ العبادة ممهدة لنزول الألطاف الإلٰهيّة، ﴿فَٱتَّخَذَتْ... فَأَرْسَلْنَآ﴾.

٥ ـ فصل مكان عبادة النساء وحجبه يعد أمراً قيماً، ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾، فالسيدة مريم اتخذت ناحية من المسجد لعبادتها ووضعت عليها ستاراً وحجاباً.

٦ ـ لجبرائيل عند الله مقام رفيع، ﴿رُوحَنَا﴾.

٧ ـ بإمكان الملائكة، ودون أن يغيروا ماهيتهم، أن يظهروا بشكل يتمكن الإنسان فيه من رؤيتهم، ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا﴾.

٨ ـ أحياناً ولأجل القيام ببعض المهام لا بد من تغيير المظهر، ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾.

٩ ـ لا بد من أن تكون التربية خطوة خطوة؛ فالله تعالى ذكر ابتداء قصة ولادة يحيى عليه السلام من أبوين عجوزين. ومن ثم بيّن ولادة عيسى عليه السلام من دون أب، ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾.

١٠ ـ إن جبرائيل يتنزل أيضاً على غير الأنبياء عليهم السلام، ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾.

١١ ـ بإمكان المرأة أن تصل إلى مقام يمكنها فيه التواصل مع الملاك، ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾.

١٢ ـ قدرة الله وإرادته لا تتحددان بنطاق الوسائل والعلل؛ بل هما قاهرتان لها، ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا﴾.

---

(١) سورة مريم: الآية ٤١.

﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ۝١٩ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝٢٠﴾

إشارات:

- «الزكي» من «الزكاة» بمعنى الطهارة والنمو والبركة، و«بغياً» ها هنا بمعنى الزانية.
- أشير في هذه السورة مراراً إلى مسألة هبة الولد من قبل الله تعالى: في الآية (١٩) هبة عيسى لمريم عليها السلام، وفي الآية (٤٩) هبة إسحاق ويعقوب لإبراهيم عليه السلام، وفي الآية (٥٣) هبة هارون لموسى عليه السلام، وفي الآية (٧) البشارة بالولد لزكريا عليه السلام.

التعاليم:

١ ـ الطاهرون المنزهون عندما يشعرون باحتمال المعصية، فإنهم يرتعدون ويعوذون بالله تعالى، ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ﴾.

٢ ـ أفضل معاذ وملاذ هو الرحمة الإلهيّة، ﴿أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾.

٣ ـ الاستعاذة بالله تعالى مما أوصى به الله أنبياءه، وهي سيرة الأنبياء وأولياء الله[1]، ﴿أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾.

٤ ـ لا ينبغي لنا الدخول إلى حريم الأفراد بغتة، ﴿أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ﴾.

٥ ـ خلوة المرأة مع الرجل الأجنبي أمر خطير، ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ﴾.

٦ ـ في مقام النهي عن المنكر علينا الاستفادة من الغيرة الدينيّة عند الناس، ﴿إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾.

٧ ـ التقوى هي الطريق إلى الطهارة والنزاهة وهي الرادعة عن الذنوب والمعاصي، ﴿إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾.

---

(١) صيغ «أعوذ، فاستعذ، وعذت» الواردة في القرآن تشير إلى ما ذكرناه.

٨ ـ التعريف بأنفسنا ضروري لرفع التهمة ورفع قلق الناس، ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾.

٩ ـ لا تنحصر مهمة الملائكة في إبلاغ الوحي الإلٰهيّ فحسب، بل هم أيضاً واسطة لأفعاله تعالى، ﴿رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا﴾.

١٠ ـ امتلاك الولد أمر قيّم لكن الأكثر قيمة أن يكون الولد طاهراً زكياً، ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾.

١١ ـ الزنا فعل قبيح عند كل الأديان السماوية، ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾.

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾

إشارات:

□ ظهر الملاك على مريم في صورة بشرية فنفخ فيها فحملت فوراً، وحينئذٍ تنحت مريم بالحمل إلى مكان بعيد خوفاً من تهمة أولئك الذين لا يقبلون عذرها أو لأن المرأة الحامل غالباً ما تحتاج إلى المكان الهادئ والسكينة.

وحول ذلك المكان وكيفية حمل مريم، وأول من عرف بخبرها، كلام كثير ذُكر في التفاسير المختلفة؛ ولكن باعتبار أن القرآن الكريم لم يذكر شيئاً حول هذه الموارد، فلن نبحث نحن أيضاً في ذلك؛ إذ مثل هذه المعلومات لن تؤثر في زيادة فهمنا حول لما جرى عليها.

□ أحياناً يتجرع أفضل من يصطفيهم الله أكثر المصائب وأشدها، ومن هذه المشاكل والصعاب التي تحملتها مريم ما يلي:

أ ـ تهمة الناس لها وسوء ظنهم بها.

ب ـ الحمل والولادة حال الوحدة والغربة.

ج ـ عدم وجود مكان لاستراحتها ولجوئها إلى تحت النخلة.

د ـ الاحتفاظ بطفل لا أب له رغم سوء معاملتها من الناس ونظراتهم السيّئة تجاهها.

التعاليم:

١ ـ فعل الله تعالى حاكم على الأسباب والعلل الطبيعية، ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾.

٢ ـ كيفية ولادة عيسى عليه السلام كانت أول معاجزه، ﴿وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾.

٣ ـ المعجزة والقيام بالأمور الخارقة للعادة من شؤون الربوبيّة الإلهيّة وتصب في مسير تربية الإنسان، ﴿رَبُّكِ﴾.

٤ ـ وجود عيسى عليه السلام رحمة؛ وسبب وجودها هو إحياء الإيمان بالله عند الناس، وهدايتهم وإرشادهم، فهو رحمة قطعاً، ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾.

٥ ـ لا يقدر أي موجود على منع تحقق أمر الله، ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾.

٦ ـ أحياناً ينبغي على الناس المطهرون أن يبتعدوا عن سائر الناس فراراً من تهمتهم، ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾.

٧ ـ أحياناً تكون المشكلات والمصاعب سبباً لفتح أبواب الخير. وها هنا فإن مشكلة الولادة والاضطراب كانت سبباً لوجود الرطب الطازج وجنيه، ﴿جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾.

٨ ـ أحياناً لا يتمكن الإنسان حتى من البوح بسره لأهله وقومه؛ بل ويتمنى الموت لذلك، ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾.

٩ ـ الموت أفضل من الحياة مع العار والتهمة، ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾.

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾
وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «سرياً» بمعنى النهر الصغير، و«جنياً» تطلق على الثمر إذا بلغ إبّان قطافه.

- ذكر بعضهم أن المنادي هو جبرائيل، إلّا أن سياق الآيات يشير إلى أنه كان عيسى عليه السلام لتسمع أمه كلامه ولتصدق بذلك ومن ثم لتقول باطمئنان للناس: اسألوا هذا الطفل الذي ما زال في المهد عن طهارتي ونزاهتي.

- النساء يحتجن حين الولادة وما بعدها إلى السكينة والهدوء وكذلك إلى الماء والطعام المناسبين، وهذا ما أشارت إليه الآيات الكريمة.

فالطعام والغذاء الذي يوحي به القرآن والروايات للمرأة حين تضع حملها هو الرطب الطازج؛ فعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ليكن أول ما تأكل النفساء الرطب**»[1].

- آهٍ من الامتحان الإلٰهيّ. في ذلك اليوم الذي كانت مريم فيه سليمة أنزلت عليها مائدة من السماء، ولكن في ذلك اليوم الذي كانت فيه حبلى تلد وحيدة أُمِرت أن تهز جذع النخلة لتحصل على طعامها.

التعاليم:

١ ـ الإلهام الغيبي يفرج عن الإنسان أثناء الاضطراب والقلق، ﴿فَنَادَىٰهَا﴾.

٢ ـ لا غم للمرأة الطاهرة العفيفة أكبر من غم التهمة بالزنى وعدم العفاف، ﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾.

٣ ـ التوتّر والاضطراب مضران بالمرأة الحامل، ﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾.

٤ ـ لا بد للإنسان حتى في أصعب الظروف من السعي لتحصيل قوته، ﴿وَهُزِّيٓ﴾.

٥ ـ السكينة مقدَّمة على الطعام والتغذية، ﴿أَلَّا تَحْزَنِي، رُطَبًا جَنِيًّا﴾؛ لأن الإنسان المضطرب والمغموم لن يجد ميلاً في نفسه حتى إلى أفضل الأطعمة.

---

(١) الكافي، ج٦، ص ٢٢.

﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾

إشارات:

- صوم السيدة مريم عن الكلام أمام الناس، إما لكون هؤلاء الناس لا قابلية لهم لاستماع الجواب، وإما لأن الكلام معهم سيعقب أثراً سلبياً، وإما لأنهم من خلال إدامة السؤال والجواب سيطرحون المزيد من الأسئلة والافتراءات.
- عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إن الصوم ليس من الطعام والشراب وحده، إن مريم قالت: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾، أي صمتاً، فاحفظوا ألسنتكم...**»[1].
- من الممكن أن تكون هذه الآية تتمة لكلام النبي عيسى عليه السلام الوارد في الآية السابقة.

التعاليم:

١ ـ الولد قرة عين الإنسان وأمله بالألطاف الإلٰهيّة، ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾.

٢ ـ أفضل الطعام ما صاحَبَهُ السكينة والسرور، ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾.

٣ ـ النذر له سابقة قديمة ويمكن للإنسان أن يتوسل بالنذور للنجاة من بعض الشدائد والطرق المسدودة، ﴿فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ﴾.

٤ ـ لا بد في النذر من قصد القربة لله وأن يذكر اسم الله فيه، ﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾.

٥ ـ قصد القربة لا يتنافى مع ضم قصد الخلاص من الشدائد، ﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾؛ (لئلا يأخذني الناس بأسألتهم عن طفلي).

٦ ـ الوفاء بالنذر واجب، ﴿نَذَرْتُ...﴾.

٧ ـ أحياناً ينبغي السكوت في مقابل كلام الناس، ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾

إشارات:

❑ كلمة «فرياً» بمعنى الفعل القبيح والمنكر العظيم.

❑ رغم أن بعضاً قد ذهب إلى أن هارون هو أخو مريم واقعاً؛ لكن ورد عن النبي ﷺ أنه قال: **«كانت مريم من نسل هارون أخي موسى عليه السلام»**[1].

التعاليم:

١ ـ علينا أن نظهر الحقيقة حتى ولو أدت إلى انزعاج بعضٍ واتهامنا، ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾.

٢ ـ حكم الناس غالباً عجول وقائم على أساس القرائن الظاهرية لا على أساس الواقع، ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾؛ (بمجرد رؤية الناس طفلا مع مريم بادروا إلى اتهامها والحكم عليها بالسوء).

٣ ـ إحدى طرق التربية أن يلتفت الناس إلى الحُسن، وفضيلة المحسنين، والصلحاء وعائلاتهم ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾.

٤ ـ لا يتوقع من الوالدين الصالحين ومن العائلة الصالحة إلا الولد الصالح، ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ... أُمُّكِ بَغِيًّا﴾. (صلاح الأب والأم والعائلة مؤثّر في سلوك الأولاد وأفعالهم).

٥ ـ إذا صدر العمل القبيح ممن هو من أسرة شريفة فسيكون أكثر ملامة وتقريعاً من غيره، ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ...﴾.

---

(١) تفسير البرهان؛ الأمالي للمرتضى، ج٤، ص ١٠٦.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾

إشارات:

- لما كانت السيدة مريم قد نذرت الصوم عن الكلام فإنها، ولأجل الوفاء بنذرها لم تتكلم؛ بل أشارت إليه، ﴿فَأَشَارَتْ...﴾.
- على الرغم من أن أول كلام تكلم به عيسى عليه السلام كان إظهار عبوديته لله تعالى إلّا أن أتباعه غلوا فيه، وقالوا إنّه الله وابن الله.
- سُئل الإمام الباقر عليه السلام: «أكان عيسى بن مريم حين تكلم في المهد حجة الله على أهل زمانه؟ فقال: **«كان يومئذ نبياً حجة الله غير مرسل ...فلما بلغ عيسى سبع سنين تكلم بالنبوة والرسالة...»**[1].
- إن النبي عيسى عليه السلام وبجملة قصيرة دفع التهمة عن أمه، ومضافاً إلى ذلك أخبر عن مستقبله، وكذلك أشار إلى وظيفة الناس في المستقبل، ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ... وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

التعاليم:

١ ـ متى شاء الله فإنه يُنطق طفلاً في المهد ويخمد الشائعات والفتن، ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾.

٢ ـ عندما نعرف عن أنفسنا، وقبل أي شيء، لا بد من أن نختم أنفسنا بختم العبودية لله وهذا من أعظم الافتخارات، ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ... وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

٣ ـ عبودية الله منبع كل الفيوضات الإلٰهيّة، ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ... وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

٤ ـ لا يشترط في النبوة «والإمامة» بلوغ سن معيّن، ﴿فِي الْمَهْدِ... وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

---

(١) تفسير كنز الدقائق؛ بحار الأنوار، ج١٤، ص ٢٥٥.

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾

إشارات:

- إنما يكون الشيء مباركاً إذا كان فيه منفعة كبيرة، وتعليم وتأديب للآخرين على الدوام، فالنبي عيسى عليه السلام كان له عمر مبارك وهو حي إلى ما بعد ظهور الإمام المهدي صاحب الزمان (عجل الله فرجه)، ومضافاً إلى ذلك فإن أتباعه كثر ومنتصرون على الكافرين الذين سعوا في قتله ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[1].
- منبع الخيرات والبركات هو النوايا، والأهداف، والحالات، والخصال الباطنية؛ لذا فإن بعض الناس أينما كانوا فهم مباركون: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾[2]. وفي المقابل فإن بعض الناس وبسبب مشاكلهم الروحية وبعدهم عن الأمور المعنوية يبتلون بخصالهم الذميمة أين ما كانوا ولا يصل خيرهم إلى غيرهم.
- أشار عيسى عليه السلام بقوله كلمة «والدتي» إلى نزاهة أمه وطهارتها وعدم وجود أب له ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ ولم يقل: «بوالديّ».

التعاليم:

١ ـ علينا أن نعتبر امتيازاتنا وفضائلنا من الله، ﴿وَجَعَلَنِي﴾.

٢ ـ إن مدح أنفسنا إذا لم يكن لجهة التفاخر لا مانع منه، ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾.

٣ ـ الأنبياء عليهم السلام منبع الخير والبركة والآثار الأبدية، ﴿مُبَارَكًا﴾.

٤ ـ القيم المعنوية فوق الزمان والمكان، ﴿أَيْنَ مَا كُنتُ... مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.

٥ ـ الصلاة والزكاة من الأمور المشتركة بين الأديان السماوية، ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٥٥. (٢) سورة مريم: الآية ٣١.

﴿وَٱلزَّكَوٰةِ﴾. (ربما يقال إن الشرط ليكون مباركاً هو إقامة الصلاة ودفع الزكاة).

٦ ـ الارتباط بالله (إقامة الصلاة) لا ينفك عن الارتباط بالمحرومين (دفع الزكاة)، ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾.

٧ ـ الصلاة والزكاة تمتدان مدى العمر ولا تعطيل فيهما، ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.

٨ ـ الإحسان إلى الأم من أخلاق الأنبياء، ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى﴾.

٩ ـ من لم يرحم أمه؛ فلن يكون رحيماً بالناس، ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾.

١٠ ـ الأنبياء ليسوا في وارد الاستبداد بالناس والتسلط عليهم، ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾.

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾

التعاليم:

١ ـ إن خط الأنبياء عليهم السلام هو الخط الوحيد الذي يبقى سالماً من أي انحراف منذ الولادة إلى المعاد، ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ... أُبْعَثُ حَيًّا﴾.

٢ ـ أحياناً، وفي بعض الموارد، من الجائز أن نكرِّم أنفسنا، ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ﴾.

٣ ـ أهم الأيام للإنسان: يوم الولادة، ويوم الوفاة، ويوم البعث حياً في يوم القيامة[1]، ﴿وُلِدتُّ... أَمُوتُ... أُبْعَثُ حَيًّا﴾.

٤ ـ الموت والقيامة يشترك فيهما كل الناس (إن عيسى عليه السلام وعلى الرغم من كونه حياً وما زال إلى الآن في السموات إلا أنه سيموت أيضاً في يوم ما)، ﴿وَيَوْمَ أَمُوتُ﴾.

---

(١) عن الإمام الرضا عليه السلام: «إن أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد ويخرج من بطن أمه فيرى الدنيا، ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها، ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا... وقد سلم عيسى على نفسه في هذه الثلاثة المواطن». (عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص ٢٥٧).

٥ ـ كيف يُتوهم ممّن كان محكوماً بالولادة، والموت، والبعث في يوم القيامة أنه شريك الله تعالى، ﴿وُلِدتُّ... أَمُوتُ... أُبْعَثُ﴾.

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾

إشارات:

❑ ضمن آيات عدة سبقت وُصِف عيسى عليه السلام بسبع صفات بارزة فيه وتكليفين هامين، أمّاالصفات البارزة فيه فهي ما يلي:

أ ـ كونه عبداً لله، ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾.

ب ـ الإتيان بكتاب سماوي، ﴿ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

ج ـ النبوة، ﴿وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾.

د ـ كونه مباركاً، ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا﴾.

هـ ـ الإحسان والبر بأمه، ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى﴾.

و ـ عدم كونه جباراً وشقياً، ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾.

ز ـ التواضع، عرفان الحق، وكونه سعيداً بذلك، ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ...﴾.

وأما بالنسبة إلى التكليفين الذين كلف بهما عيسى عليه السلام فهما:

أ ـ إقامة الصلاة.

ب ـ إيتاء الزكاة.

وبناءً على ذلك فإن هذه الآية تصرِّح بأن: القول الحق في عيسى هو هذا دون غيره من الغلوّ فيه أو التقصير، ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾.

❑ أشار الله تعالى في القرآن الكريم مراراً وتكراراً إلى مسألة انحراف النصارى، واعتبر عقيدتهم في عيسى عليه السلام باطلة، ومثالاً على ذلك فإنه تعالى انتقدهم في الآية (٧٣) من سورة المائدة إذ يقول: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾، وفي الآية ٣٠ من سورة التوبة إذ يقول: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ

ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾. وأما ها هنا فإن الله تعالى، ومن خلال بيان الصورة الواقعية للنبي عيسى عليه السلام، يشير إلى طريق الحق مقابل طريق الباطل.

- من أجل تحقق إرادة الله تعالى فإنه لا يحتاج إلى أي لفظ وقول حتى قول «كن»، إلّا أن الله تعالى، ومن أجل تفهيمنا، بيّن إرادته في ضمن هذا القالب.
- الله تعالى هو القادر على الإطلاق ولا يحتاج في أمر الخلق والإيجاد إلى الأسباب والوسائل، ومن ثم فإن قدرته المطلقة التي لا منتهى لها تدل على كونه منزهاً عن العجز، والضعف، واتخاذ الولد.

القرآن والمسيح عليه السلام

بعدما اشتدت الضغوط من قبل كفار مكة على أتباع النبي ﷺ هاجر جمع من المسلمين بصحبة جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة، وعندئذٍ قال كفار قريش: إذا وصل المسلمون هناك إلى السلطة وقاموا بتشكيل الحكومة فإن عبادتنا للأصنام ستقتلع من جذورها؛ لذا أرسلت قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي أمية ومعهما آخرون إلى الحبشة، وبعثوا معهم بهدايا إلى النجاشي وأصحابه، فأخذ أصحاب النجاشي هداياهم ووعدوا الوفد المساعدة والتكلم مع النجاشي لينقلب على المسلمين المهاجرين، إلّا أن النجاشي دعا المسلمين إليه ليستمع إلى كلامهم، فحضروا إليه وكان المتكلم عنهم جعفر بن أبي طالب، فتكلم في حضور الملك وابتدأ كلامه بذكر ظلمات عبادة الأوثان، والخرافات، والاعتداءات الحاصلة في عهد الجاهلية، وتكلم على ظهور الإسلام ونورانية دين النبي محمد ﷺ، وكان كلامه بليغاً ومؤثراً حتى أبكى النجاشي الذي أمر بردّ الهدايا التي حملها الكافرون إليه وقال لهم: ما أخذ الله الرشوة مني حتى آخذها منكم ولا أطاع الناس فيّ حتى أطيعهم فيه.

وانتهى ذلك المجلس بظفر المسلمين وخذلان الكافرين. وبعد خروجهم من عنده وبعد هذه الهزيمة فكر عمرو بن العاص ملياً في الأمر، وقال: والله لآتينه

غداً بما يبيد خضراءهم... فلما كان الغد جاء إلى النجاشي بكلام جديد سعى من ورائه إلى إثارة الحميَّة الدينيّة عند النجاشي فقال له: إن هؤلاء يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً (أي أن هؤلاء يعتقدون بعقائد مضادة لعقائدكم).

فأرسل النجاشي مرة أخرى وراء المسلمين وأمر بإحضارهم إليه فسألهم مرة أخرى عن قولهم في المسيح عليه السلام، فقال جعفر الطيار في جوابه: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا... وتلا عليه آيات من سورة مريم حتى تلا قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ فلما سمع النجاشي آيات القرآن النورانية نزلت دموعه على خديه وقال: هذا والله هو الحق.

وبعد هذه الهزيمة والافتضاح المجدد لعمرو بن العاص أراد أن يعيد الكرة فقال للنجاشي: أيها الملك إن هذا معارضٌ لنا فرُدَّه إلينا، فرفع النجاشي يده فضرب بها وجه عمرو[١].

التعاليم:

١ ـ في مقابل المنحرفين والعقائد المنحرفة لا بد من تبيان الطريق الصحيح، ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾.

٢ ـ شأن الله تعالى لا ينسجم مع اتخاذ الولد، ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ...﴾. (لأن طلب الولد: إما بسبب عمرنا المحدود، وإما بسبب الحاجة إلى القوى الإنسانية، وإما أن الحاجة الروحية والعاطفية تقتضي ذلك، والحال أن الله تعالى منزه عن كل ذلك)، ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾.

٣ ـ ليس لله تعالى أي نوع من الولد، ﴿مِن وَلَدٍ﴾؛ (وهذا خلافاً لبعض من يقول إن الملائكة بنات الله، أو من يقول إن عيسى ابن الله).

٤ ـ الولد يجب أن يكون من جنس الأب ومثله، وأما الله تعالى فلا مثيل له ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾.

---

(١) فروغ أبديت، ج١، ص ٢٥٣، نقلاً عن: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٥٤؛ بحار الأنوار، ج١٨، ص ٤١٥.

٥ ـ كلما نقلنا كلام الآخرين الباطل لا بد من أن نعقب بكلام توحيدي لتبرئة أذهاننا وأذهان غيرنا، ﴿سُبْحَـٰنَهُۥٓ﴾.

٦ ـ لم يخلق عيسى عليه السلام فحسب دون أب، ولم يخلق آدم عليه السلام من دون أب وأم؛ بل إن كل شيء إنما يوجد بإرادة الله ومشيئته، ﴿كُن فَيَكُونُ﴾.

٧ ـ لا يوجد فاصل بين إرادة الله لشيء ما وبين تحققه خارجاً، ﴿فَيَكُونُ﴾ (يستفاد ذلك من حرف العطف «الفاء»).

٨ ـ الرابطة بين الموجودات والله رابطة الخالق بالمخلوق وليست رابطة الأب بالابن، ﴿كُن فَيَكُونُ﴾.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾

إشارات:

- قال النبي عيسى عليه السلام أثناء التعريف بنفسه: أنا عبدٌ لله، ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾. وأول تكليف ألقي إليه كان الوصية بالصلاة والعبادة، ﴿وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ﴾. ومضافاً إلى ذلك فإن أول برنامج أعلنه كان عبادة الله تعالى، ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾.
- إصرار السيّد المسيح على التوحيد في العبادة وتأكيده على أن هذا هو الصراط المستقيم فقط، جواب قاطع على أنصار التثليث وغيرهم[1].

التعاليم:

١ ـ إنما تليق العبادة بمن هو ربنا، ﴿رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾.

٢ ـ الاعتقاد بأن عيسى ابن الله تحريف للدين وموجب للكفر، ﴿ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾.

٣ ـ الوحدانية والعبودية لله هي الصراط المستقيم وأما سائر الطرق فإلى ضلال (عرف الصراط المستقيم في القرآن بأنه طريق الله، والرسول، والعبادة، والاعتصام بالله تعالى)، ﴿هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

---

(١) ورد شبيه هذه الآية في: سورة آل عمران: الآية ٥١؛ وفي سورة الزخرف: الآية ٦٤.

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾

إشارات:

□ «الحزب» هو جماعة لها مواقف متحدة وأهداف خاصة بها.

□ كلمة «مشهد» إما أنها بمعنى محل حضور الناس واجتماعهم وإمّا إنها محل الشهادة ومكان أدائها؛ الشهادة، إذ إنه في يوم القيامة سيكون كل الناس حاضرين مجتمعين، وكذلك فإن شهوداً كثر كالأنبياء والملائكة وغيرهم سيشهدون على الإنسان وأعماله.

□ يعتقد بعض الناس أن عيسى هو الله تعالى كما تقول «اليعقوبية»، ويقول بعضهم إنه ابن الله كما تقول «النسطورية»، ويقول بعض ثالث بالتثليث كما ذهبت إليه «الإسرائيلية»، إلّا أن كل هؤلاء سيشهدون يوم القيامة على بطلان عقائدهم[1].

التعاليم:

١ ـ على الرغم من أن إشارة النبي عيسى عليه السلام إلى الصراط المستقيم، إلّا أن بعض الأحزاب أثاروا الاختلاف، ﴿فَٱخْتَلَفَ﴾.

٢ ـ التحزب والاختلاف كانا موجودين على مر التاريخ، ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ﴾.

٣ ـ الكفار ظالمون (يظلمون أنفسهم والدين والمجتمع)، ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾

إشارات:

□ مفتاح كل المصائب الغفلة: الغفلة عن الله، الغفلة عن المعاد، الغفلة عن آثار

---

(١) تفسير أطيب البيان.

الذنوب وعواقبها، الغفلة عن المؤامرات، الغفلة عن المحرومين، الغفلة عن التاريخ والسنن التاريخية، والغفلة عن الشباب والقابليات ومواطن الرشد والكمال.

- في القرآن الكريم آيات أخرى مشابهة لهذه الآية ومن ذلك قوله تعالى:

أ ـ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[1].

ب ـ ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[2].

- أحد أسماء يوم القيامة ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ أي الحسرة والندامة على الفرص التي ضاعت من أيدينا وعلى الرساميل التي أهدرناها.

التعاليم:

١ ـ الإنذار من مهام الأنبياء عليهم السلام، ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾.

٢ ـ اعملوا في هذه الدنيا كل عمل تقدرون على القيام به؛ لأنه لا عمل في يوم القيامة، ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ﴾.

٣ ـ تفضي الغفلة إلى الكفر، ﴿فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٤ ـ الموت في حال الغفلة وعدم الإيمان يبعث على الحسرة، ﴿فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٥ ـ الأموال سبب الغفلة، والغفلة سبب الكفر، ﴿فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ﴾.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾﴾

إشارات:

- كلمة «الصديق» تطلق على من يكثر التصديق بالحق، وكذلك تطلق أيضاً على الإنسان الذي تقوم كل أفعاله وأقواله على أساس الصدق، يعمل بما يقول ويقول ما يعمل.

---

(١) سورة الرحمن: الآيتان ٢٦ ـ ٢٧. (٢) سورة الحديد: الآية ١٠.

التعاليم:

١ ـ يجب علينا المحافظة على إحياء ذكرى رجال الله، ﴿وَٱذۡكُرۡ﴾.

٢ ـ الالتفات إلى كمالات الآخرين وتكريم العظماء يعدّان من وسائل التربية، ﴿وَٱذۡكُرۡ﴾.

٣ ـ الصدق شرط النبوة، ﴿صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾.

٤ ـ إنما يكون الصدق ذا قيمة إذا أصبح جزءاً من خُلق الإنسان وطبعه، ﴿كَانَ صِدِّيقٗا﴾.

﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾﴾

إشارات:

- «إن هذا الذي كان يخاطبه إبراهيم عليه السلام بقوله: «يا أبت» لم يكن والده (لأن والده كان قد توفي) وإنما كان عمه آزر، أو جده لأمه، أو زوج أمه بعد وفاة أبيه»[1].

وكذلك ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام أن والد النبي إبراهيم عليه السلام كان موحداً والمراد من الأب ها هنا هو عمه.

- في اللغة العربية لكلمة «أب» معانٍ عدّة، وتطلق أيضاً على المعلم والمربي؛ بل وحتى على أبي الزوجة. وورد في الروايات أيضاً أن النبي محمد صلى الله عليه وآله قال: **«أنا وعلي أبوا هذه الأمة»**[2].

التعاليم:

١ ـ ما جرى من مناظرات بين إبراهيم عليه السلام وعمه يستحق الذكر والإحياء والتعظيم، ﴿إِذۡ قَالَ﴾.

---

(١) تفسير الميزان، ج١٤، ص ٥٧. (٢) بحار الأنوار، ج١٦، ص ٩٥.

٢ ـ في مقام النهي عن المنكر لا بد من أن نشرع بأقرب المقربين منا، ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾.

٣ ـ النهي عن المنكر لا يحد بعمر دون عمر (فبإمكان الولد أن ينهى كبير العائلة؛ لكن لا بد من المحافظة على الاحترام له ولهم)، ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾.

٤ ـ كمال الأفراد لا يرتبط بأعمارهم دائماً، فأحياناً ربما يكون أصغر أفراد العائلة أكثر فهماً من كبارها، ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾.

٥ ـ الإرشاد والتبليغ لا ينبغي أن يكونا عامَّين دائماً، بل أحياناً يجب أن يكونا خاصين وأن يُبلِّغ الإنسان بمفرده، ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾.

٦ ـ في مقام النهي عن المنكر بإمكاننا، من خلال طرح سؤال ما، أن ندع وجدان الأفراد يقضي ويحكم وحده، ﴿لِمَ تَعۡبُدُ﴾.

٧ ـ في مقام النهي عن المنكر لا بد لنا من أن نشرع بالمنكرات العقدية (للأسف فإننا غالباً ما نشرع ونتكلم في المنكرات الأخلاقيّة والاجتماعية)، ﴿لِمَ تَعۡبُدُ﴾.

٨ ـ علينا أن لا نفدي طريق الحق بعواطفنا (أي لا تُقدم العاطفة على الحق)، ﴿لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ﴾، فالقرابة لا ينبغي أن تكون مانعة عن النهي عن المنكر.

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾﴾

إشارات:

□ المراد من عبادة الشيطان: ﴿لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾، هو طاعته وأتباعه فيصبح الإنسان بذلك عبداً للشيطان.

التعاليم:

١ ـ العلم يستتبع المسؤولية، ﴿جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ... فَٱتَّبِعۡنِيٓ﴾.

٢ ـ علم الأنبياء عليهم السلام محدود أيضاً، ﴿مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾.

٣ ـ الناهي عن المنكر يجب أن يكون عالماً، ﴿جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ... لَا تَعۡبُدِ...﴾.

٤ ـ أحياناً، وفي بعض الموارد، ينبغي أن نُجِلَّ أنفسنا، ﴿قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾.

٥ ـ الجهل أساس الشرك، ﴿جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾.

٦ ـ يجب على الناس اتّباع العالم، ﴿جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ... فَٱتَّبِعْنِىٓ﴾.

٧ ـ بإمكان الإنسان الصغير أن يكون إماماً للكبار، ﴿فَٱتَّبِعْنِىٓ﴾.

٨ ـ اتّباع الأنبياء عليهم السلام هو سلوك للصراط المستقيم، ﴿فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾.

٩ ـ طريق الأنبياء عليهم السلام طريق الاعتدال وليس الإفراط ولا التفريط، ﴿صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾.

١٠ ـ في مقام النهي عن المنكر لا بد لنا من أن نذكر الأدلة أيضاً، ﴿لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ... كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾.

١١ ـ ولاية الشيطان خطيرة جداً، فإلى أين سيأخذنا من عصى الله عندما نتخذه وليّاً؟ ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾ (كم هو قبيح عصيان ذلك الإله الذي هو منبع كل رحمة).

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾

التعاليم:

١ ـ الاستفادة من العاطفة في مجال الدعوة والتبليغ يساهم في التمهيد للقبول والاقتناع (في هذه الآيات وردت جملة «يا أبت» أربع مرات).

٢ ـ الأنبياء رحماء بالناس، ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ﴾.

٣ ـ يصل الإنسان حداً يدفع منبع الرحمة إلى الغضب، ويُغضب الإله الرحمان، ﴿عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾.

٤ ـ إذا انحرف أقرباء النبي أيضاً فإنهم سيبتلون كغيرهم بالعذاب الإلٰهيّ، ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ... عَذَابٌ﴾.

٥ ـ من لم يكن على صراط مستقيم، فسيكون في ولاية الشيطان، ﴿أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا... فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾.

٦ ـ إذا أحببنا أحداً ما فلا ينبغي أن نتحبب إلى عدوه، ﴿لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا... لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾.

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾

إشارات:

□ «ملياً» من «الإملاء» بمعنى الإمهال الطويل.

التعاليم:

١ ـ أحياناً لا بد لنا من إخفاء ما نعتقد به (الظاهر أن إبراهيم عليه السلام كان حتى تلك اللحظة قد أخفى عقيدته عن عمه؛ ولذلك سأله سؤال متعجّب)، ﴿أَرَاغِبٌ﴾.

٢ ـ هذه الآية كانت سبب تسلية للنبي محمد ﷺ وكأنها تقول له: إذا كان عمك أبو لهب كافراً ومهدداً لك فإن عم إبراهيم عليه السلام كان مثله ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ﴾.

٣ ـ يصل الإنسان إلى مقام يستصعب سماع الحق؛ بل يتعجَّب من سماع غيره له، ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ﴾.

٤ ـ عدم قبول سماع الحق ممن هو أصغر منا علامة على التكبر، ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ﴾.

٥ ـ من لم يقبل بإله واحد فسوف يقبل بآلهة عدّة لا شعور لها، ﴿ءَالِهَتِى﴾.

٦ ـ قول الحق ومحاربة السنن الباطلة يستتبع الهجران والحرمان، ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾.

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾

إشارات:

□ «الحفي» هو اللطيف بك، يَبُرُّكَ، ويلاطفك، ويحتفي بك. وأنا به حفيٌّ أي بَرٌّ

مبالِغٌ في إكرامه. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ أي لطيفاً[1].

و«الحفي» يراد منها العالم أحياناً.

□ في هذه الآيات يظهر لنا بشكل واضح روحية المؤمن ونَفَس الكافر في المحاورة والتخاطب:

أ ـ يتكلم النبي إبراهيم عليه السلام بكل عاطفة وحنان، وأما عمه فيتكلم بكل قسوة؛ فالنبي إبراهيم عليه السلام قال أربع مرات «يا أبت»؛ ولكن عمه عابد الصنم لم يقل ولو لمرة واحدة «يا بني».

ب ـ النبي إبراهيم عليه السلام يتكلم مع الاستدلال على كلامه، وأما عمه آزر فيتكلم دون أي دليل؛ فالنبي إبراهيم قال له: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ﴾، بينما يقول عمه «آلهتي».

ج ـ النبي إبراهيم عليه السلام يتكلم بأسى وحرقة قلب. وأما آزر فيتكلم ويجيبه مهدداً له.

د ـ النبي إبراهيم عليه السلام يسلم عليه. وأما آزر فيأمره بالابتعاد عنه ﴿وَٱهْجُرْنِى﴾.

(لا تبتعد عن ظل الشجرة إذ كلّما أصبتها بالحجر أعطتك الثمر)

□ إن استغفار النبي إبراهيم عليه السلام لعمه العابد للصنم إنما كان لاحتمال هدايته ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ﴾، ولكنه عندما يئس من هدايته أعلن البراءة منه. قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[2].

التعاليم:

١ ـ يتحلّى رجال الله بالصبر وسعة الصدر أمام تهديد الآخرين واستهزائهم، ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾.

---

(١) لسان العرب، ج١٤، ص ١٨٧. (٢) سورة التوبة: الآية ١١٤.

٢ ـ لنسعَ في إطفاء نار غضب الآخرين بكلامنا الجميل والهادئ، ﴿لَأَرۡجُمَنَّكَۖ... قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ﴾.

٣ ـ استغفار الأنبياء والأولياء له آثار خاصة، (وإلا لما كانوا يعدون بالاستغفار)، ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ﴾.

٤ ـ قبول العذر من شؤون الربوبيّة، ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ﴾.

٥ ـ الأَوْلَى في الاستغفار أن يكون في أزمنة محددة، ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ﴾؛ بمعنى سأدعو لك ربي في زمان مناسب للاستغفار والدعاء.

٦ ـ من آداب الدعاء التوجه إلى ربوبيّة الله تعالى، ﴿رَبِّيٓ﴾.

٧ ـ أمام تهديدات الآخرين المخالفين لنا، علينا أن نذكر لطف الله بنا، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾ (أي لطيفاً).

﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾﴾

إشارات:

□ لا بد للشباب المؤمنين العابدين لله تعالى والذين يعيشون بين عائلاتهم المنحرفة من أن ينهجوا نهج النبي إبراهيم عليه السلام في الدعوة المصاحبة للأدب والاحترام: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾، والرحمة المصاحبة للمنطق والاستدلال: ﴿لِمَ تَعۡبُدُ...﴾، والإنذار المصاحب للدعاء والاستغفار: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ... سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ﴾، والسلام المصاحب للاستغفار: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ﴾، وفي الختام الاعتزال والانفصال عنهم: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ﴾.

التعاليم:

١ ـ من جملة المراحل النهائية للنهي عن المنكر: قطع الروابط والعلاقات، ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ﴾؛ (إذا لم نقدر على تغيير المجتمع الفاسد، فعلى الأقل لا بد لنا من تركه واعتزاله).

٢ ـ تعدّ البراءة من الكافرين من الأصول الأساس في الأديان الإلٰهيّة: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾.

٣ ـ مرتبة البراءة سابقة على مرتبة الولاية، يجب علينا أولاً التبري من الشرك والطاغوت والفساد والابتعاد والانفصال عنهم، ومن ثم علينا الاتصال بالحق والارتباط به، ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ... أَدْعُواْ رَبِّي﴾؛ فمن المحتوم أنك عندما تطرد الشيطان من داخلك ستصبح ملاكاً، وابتداءً نقول «لا إله» ومن ثم نقول «إلا الله»، كذلك ورد في القرآن الكريم الابتداء بقول: ﴿يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾، ومن ثم يقول: ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾[1].

٤ ـ إذا أردنا أن يكون دعاؤنا دعاءً إبراهيمياً فلا بد لنا من أن نبتعد عن الأفراد الفاسدين، ومراكز الفساد والانحراف، ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ... وَأَدْعُواْ﴾.

٥ ـ التلفظ بكلمة «رب» في الدعاء لها أثر هام، ﴿أَدْعُواْ رَبِّي... بِدُعَآءِ رَبِّي﴾.

٦ ـ المؤمن بين الخوف والرجاء، ﴿عَسَىٰٓ﴾. إذا غلب الخوف عليه فسوف يجره إلى اليأس، وإذا غلب عليه الرجاء فسوف يجره إلى الإسراف. وبناء على ذلك لا بد من أن يكون الإنسان في حال ما بين الرجاء والخوف.

٧ ـ استجابة الدعاء تَفَضُّلٌ من الله، ﴿عَسَىٰٓ﴾.

٨ ـ الأنبياء أنفسهم يرجون الله ويأملون به بالنسبة إلى عاقبتهم[2]، ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ... شَقِيًّا﴾.

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾

إشارات:

صفات إبراهيم

• قطع النبي إبراهيم عليه السلام تعلقه بالشمس والقمر والنجوم وهرب منها فوصل إلى

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

(٢) تفسير الميزان.

الله تعالى، ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ... وَجَّهْتُ وَجْهِيَ...﴾[(١)].

• ترك أباه المنحرف فأصبح نفسه أباً لكل الناس، ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ﴾[(٢)].

• هجره عمه، ﴿وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[(٣)]؛ إلّا أن الله لطف به، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾[(٤)].

• اعتزل قومه لأجل الله، ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾[(٥)] فبلغت شهرته الآفاق، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ﴾.

• فر من بيت الأصنام فأصبح بانياً لبيت التوحيد، ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾[(٦)].

• سلم روحه ونفسه في سبيل الله فأصبحت النار جنة له، ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾[(٧)].

• أسلم ابنه من أجل الذبح ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾[(٨)]، فسلمه الله روحه وأوجب عليه ذَبْحَ ذبحٍ عظيم، فكان ذلك سنة التضحية.

• بقي إلى أواخر عمره دون ولد؛ ولكنه كان راضياً بذلك، وفي آخر عمره جعلت النبوة في اثنين من نسله.

• بنى الكعبة المكرمة في مكان قفر، فأصبحت أكثر مناطق الأرض جذباً للناس.

• أذّن في الصحراء وحيداً فريداً، فجاء الجواب في كل أنحاء الأرض لبيك لبيك، ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾[(٩)].

• ترك طفله العطشان فأجرى الله له ماء زمزم إلى الأبد.

• في مقابل تهديد عمه عابد الصنم سلم عليه، ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾[(١٠)]؛ فسلم الله تعالى عليه، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[(١١)].

---

(١) سورة الأنعام: الآيتان: ٧٦ و ٧٧.
(٢) سورة الحج: الآية ٧٨.
(٣) سورة مريم: الآية ٤٦.
(٤) سورة مريم: الآية ٤٧.
(٥) سورة مريم: الآية ٤٨.
(٦) سورة البقرة: الآية ١٢٧.
(٧) سورة الأنبياء: الآية ٦٩.
(٨) سورة الصافات: الآية ١٠٣.
(٩) سورة الحج: الآية ٢٧.
(١٠) سورة مريم: الآية ٤٧.
(١١) سورة الصافات: الآية ١٠٩.

- كان فرداً واحداً أما اليوم فإن كل الأديان السماوية تنسب نفسها إليه.
- عاداه كل الناس، فاتخذه الله لنفسه خليلاً، ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾[1].

التعاليم:

١ ـ مضافاً إلى اعتزال المذنبين لا بد لنا من أن نعتزل الذنوب أيضاً؛ لأن اعتزال المنحرفين إنما يكون مؤثراً إذا صاحبه اعتزال الانحراف أيضاً، ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ... اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ﴾.

٢ ـ الولد الصالح ثواب جهاد الوالدين، ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ... وَهَبْنَا﴾.

٣ ـ إذا أعرضنا عما سوى الله فسوف يصلنا المدد الإلهيّ، ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ... وَهَبْنَا﴾.

٤ ـ الأهم من الولد هو مقامه المعنوي، ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾.

٥ ـ أحفاد الإنسان أيضاً تعد من الألطاف الإلهيّة، ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾؛ (إن يعقوب عليه السلام كان من أحفاد إبراهيم عليه السلام)[2].

٦ ـ النبوة مقام تعييني من قبل الله، ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾.

٧ ـ على الرغم من أن هبة إبراهيم كانت واحدة إلا أنها أدت إلى شمول نسله بالرحمة الإلهيّة، ﴿اعْتَزَلَهُمْ... وَهَبْنَا﴾.

٨ ـ كل ما لدى الإنسان إنما هو من الله تعالى، ﴿وَهَبْنَا... جَعَلْنَا... رَحْمَتِنَا﴾.

٩ ـ رحمة الله تعالى واسعة إلى حد أن الأنبياء عليهم السلام مهما شملهم منها فليس ذلك إلا جانباً من جوانبها، ﴿مِنْ رَحْمَتِنَا﴾.

١٠ ـ المحبوبية والسمعة الحسنة هما من الألطاف الإلهيّة، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ﴾؛ (بلغ مقام إبراهيم عليه السلام حداً يقول فيه كل المشركين واليهود والمسيحيين: إن إبراهيم كان منّا).

١١ ـ دعاء أولياء الله مستجاب (إن إبراهيم عليه السلام طلب من الله تعالى حسن السمعة

---

(١) سورة النساء: الآية ١٢٥.

(٢) ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ (سورة هود: الآية ٧١).

﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾؛ فقال تعالى في هذه الآية: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾).

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾﴾

إشارات:

- «المخلِص» (بكسر اللام) هو الذي يعمل لله تعالى فقط، ولكن من الممكن أن يؤثر فيه الشيطان فيجره إلى الشرك بالله، وما أكثر الذين يخلصون لله أثناء حلول العذاب أو الغرق؛ ولكنهم بعد النجاة من ذلك يشركون بالله مرة أخرى.

  وأما «المخلَص» (بفتح اللام) فيطلق على من اصطفاهم الله تعالى ولا قدرة للشيطان على النفاذ إليهم والتأثير فيهم، ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[١].

- وقال الزمخشري في تفسيره الكشاف: «المخلِص» بالكسر الذي أخلص العبادة عن الشرك والرياء أو أخلص نفسه وأسلم وجهه لله.

  و«المخلَص» بالفتح الذي أخلصه الله لنفسه فلا يؤثّر فيه غير الله تعالى.

- اصطفاء موسى عليه السلام ورد في آيات أخرى أيضاً كقوله تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾[٢]، وكذلك قوله تعالى في موضع آخر: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾[٣].

- النبي موسى عليه السلام كان رسولاً وكان نبياً أيضاً.

وعن زرارة قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ ما الرسول وما النبي؟ فقال: **«النبي هو الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول هو الذي يسمع الصوت، ويرى في المنام، ويعاين الملك»**[٤] ﴿رَسُولًا نَّبِيًّا﴾.

---

(١) سورة الحجر: الآية ٤٠.
(٢) سورة طه: الآية ١٣.
(٣) سورة طه: الآية ٤١.
(٤) تفسير الميزان وتفسير نور الثقلين.

التعاليم:

١ ـ ذكر العظماء له آثار عظيمة من حيث التربية، والتأسي، والاقتداء ﴿وَٱذۡكُرۡ...﴾.

إن التعرف إلى تاريخ الأنبياء عليهم السلام وجهادهم، والسنن الإلٰهيّة والمدد الغيبي يساهم في كسب التجارب وأخذ العبر، ويُعدُّ من العوامل الهامة للاطمئنان وتثبيت القلب. (وخاصة تاريخ النبي موسى عليه السلام المليء بالحوادث الكثيرة والذي اختصب بمئات الآيات القرآنية) ﴿وَٱذۡكُرۡ﴾.

٢ ـ القيم المعنوية هي المعيار للتعظيم والإجلال، ﴿وَٱذۡكُرۡ...﴾.

٣ ـ الخلوص يمهد لنيل الرتب المعنوية، ﴿مُخۡلَصٗا... رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾.

٤ ـ الأنبياء عليهم السلام معصومون ولا سبيل للشيطان إليهم، ﴿مُخۡلَصٗا﴾.

٥ ـ إن الله تعالى أخلص[١] بعض الناس لأجل إتمام رسالته، ﴿كَانَ مُخۡلَصٗا﴾.

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ۝٥٢﴾

إشارات:

- كلمة «الأيمن» مأخوذة من «اليمن» أي المبارك، أو من «اليمين» أي ناحية اليمين.
- ذكر في ابتداء الآية «النداء» وفي آخرها «المناجاة». وهذا يشير إلى رحمة الله ولطفه، ومثاله من الحسن أن ينادي السيّد العزيز عبده الذليل فيقربه من مجلسه حتى يجعله نجياً يناجيه، ففيه نيل ما لا سبيل لغيره وإليه[٢].
- عُبر في القرآن الكريم عن مكالمة موسى عليه السلام مع الله وارتباطه به تارة بنحو «التكلم»، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[٣]، وتارة أخرى

---

(١) كما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم﴾ (سورة ص: الآية ٤٥).

(٢) تفسير الميزان. (٣) سورة النساء: الآية ١٦٤.

بـ «النداء»، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾، وتارة ثالثة بـ «النجوى»، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾.

❑ المراد من القرب في هذه الآية القرب المقامي والمعنوي وليس القرب المكاني.

❑ جبل «الطور» يقع بين مصر ومدين[١].

التعاليم:

١ ـ إن الله تعالى بلطفه ورحمته يقرب الأنبياء منه خطوة خطوة، ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ... وَقَرَّبۡنَٰهُ﴾.

٢ ـ لبعض الأماكن قدسية خاصة، ﴿جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾.

٣ ـ مقام القرب والنجوى من أعلى المقامات[٢]، ﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾.

٤ ـ إن الله تعالى يناجي أنبيائه عليهم السلام أحياناً في خصوص بعض المطالب ويسرها إليهم، ﴿نَجِيّٗا﴾.

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ۝٥٣﴾

التعاليم:

١ ـ دعاء الأنبياء عليهم السلام مستجاب؛ فالنبي موسى عليه السلام طلب من الله أن يجعل أخاه هارون وزيراً له: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي هَٰرُونَ أَخِي ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي﴾[٣]، واستجاب الله تعالى لطلبه فجعله نبياً: ﴿وَهَبۡنَا لَهُۥ... هَٰرُونَ نَبِيّٗا﴾.

٢ ـ المساعد الجيد والحسن يعد من الألطاف الإلٰهيّة، ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا﴾.

---

(١) تفسير كشف الأسرار.

(٢) قال الإمام علي عليه السلام: «إذا اشتغل أهل الجنّة بالجنّة، اشتغل أهل الله بالله يناجونه ويناجيهم».

(٣) سورة طه: الآيات ٢٩ ـ ٣١.

٣ ـ من الممكن وجود أنبياء عدة في زمان واحد، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَآ... هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾.

٤ ـ مقام النبوة لا يمنع أحد الأنبياء من اتّباع نبي آخر، ﴿وَهَبْنَا لَهُۥ... هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾

إشارات:

- المراد من إسماعيل هذا ليس ابن النبي إبراهيم عليه السلام، بل هو نبي من الأنبياء عليهم السلام، ذكر في تفسير القمي أن اسمه إسماعيل بن حزقيل.
- إن كل الأنبياء عليهم السلام كانوا صادقي الوعد، إلّا أن هذه الخصلة كانت أكثر ظهوراً في إسماعيل عليه السلام.

وفي الرواية أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وعد أحد أصحابه بمكة أن ينتظره عند الكعبة حتى يرجع إليه، فمضى الرجل لشأنه ونسي الأمر، فبقي رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة أيام هناك ينتظره، فاطلع بعض الناس عليه فأخبر الرجل بذلك فجاء واعتذر إليه[1].

كذلك روي أن النبي صلى الله عليه وآله تواعد مع رجل أن يلاقيه ظهراً فلم يأت الرجل، فبقي رسول الله صلى الله عليه وآله منتظراً حتى غروب الشمس.

- صدق الوعد صفة إلٰهيّة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾[2].

والخلف بالوعد علامة النفاق، ففي الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**للمنافق ثلاث علامات: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتُمِن خان**»[3].

- مقام الرضوان والرضا أكبر أمنية وهدف للأنبياء عليهم السلام، ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[4]،

---

(١) تفسير الميزان.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٩.
(٣) تفسير نور الثقلين.
(٤) سورة مريم: الآية ٦.

﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾[١].

ونقرأ في الحديث أنّ أهل الجنّة عندما يستقرون في الجنّة يخاطبهم الله تعالى: هل لكم من حاجة؟ فيقولون «ربنا رضاك» أي: يا ربنا رضاك هدفنا[٢].

التعاليم:

١ ـ تجليل العظماء أمر لازم، ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ﴾.

٢ ـ تجليل العظماء، ينبغي أن يكون ثابتاً وعميقاً وليس سطحياً وسريع الزوال، ﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾.

٣ ـ معيار التجليل ينبغي أن يكون هو الكمالات المعنوية الثابتة، ﴿كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾.

٤ ـ الوفاء بالعهد من الصفات الأخلاقية القيمة، ﴿كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾.

٥ ـ الأنبياء عليهم السلام، كانت لهم مسؤولية عائلية مضافاً إلى مسؤوليتهم الاجتماعيّة، ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ﴾.

٦ ـ الوصية بالصلاة والزكاة من مهام أبي العائلة، ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾؛ (على الرغم من أن الأمر بالصلاة موجود في العائلات ولو بنحو متفاوت إلّا أن الأمر بالزكاة غير موجود بينها).

٧ ـ الأمر بالصلاة والزكاة من مصاديق الأمر بالمعروف، ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ﴾.

٨ ـ الصلاة والزكاة لهما إذاً، سابقة قديمة في التاريخ، ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ﴾.

٩ ـ الصلاة (الارتباط بالخالق) والزكاة (الارتباط بالمخلوق) لا ينفك أحدهما عن الآخر. (العبادة البدنية لا تكفي وحدها للوصول إلى الكمال)، ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾.

١٠ ـ في مقام الأمر بالمعروف والوصية بالصلاة، لا بد من أن نشرع بالأقرباء والأهل، ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ﴾.

١١ ـ الإرشاد والوصية بالصلاة يجب أن تكون دائماً وباستمرار، ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ﴾.

---

(١) سورة مريم: الآية ٥٥.
(٢) تفسير أطيب البيان.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ۝٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾

إشارات:

□ قوله تعالى: ﴿مَكَانًا عَلِيًّا﴾، هو المقام المعنوي الشامخ، أو العروج إلى السماء.

□ «الصدّيق» هو الذي يطابق قولُه فعلَه.

لمحة عن إدريس عليه السلام

ـ النبي إدريس عليه السلام من أجداد النبي نوح عليه السلام وإنما اشتهر بإدريس لكثرة اشتغاله بالدرس[١]، أو لأنه أول من كتب بالقلم[٢].

ـ ورد هذا الاسم الشريف «إدريس» مرتين في القرآن الكريم، وكرمه الله بأوصاف: «الصديق»، «الصابر»، و«النبي».

ـ عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث يذكر فيه مسجد السهلة (الواقع في أطراف النجف الأشرف): **«أما علمت أنه موضع بيت إدريس النبي الذي كان يخيط فيه...»**[٣].

ـ كان إدريس أول عالم يعلم علم النجوم والحساب[٤].

ـ كان إدريس أول من علّم البشر خياطة الملابس[٥].

ـ عمّر إدريس عليه السلام (٣٦٥) سنة ومن ثم رُفع إلى السماء وما زال حياً إلى يومنا هذا وسيكون حاضراً في زمن ظهور الإمام المهدي عليه السلام[٦].

التعاليم:

١ ـ إحياء ذكر العظماء وتجليلهم من وسائل إرشاد الآخرين وهدايتهم، ﴿وَٱذۡكُرۡ﴾.

---

(١) تفسير الميزان.
(٢) تفسير الأمثل.
(٣) تفسير الميزان.
(٤) تفسير أطيب البيان.
(٥) تفسير الأمثل.
(٦) تفسير أطيب البيان.

٢ ـ التجليل يجب أن يبقى ثابتاً، ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾.

٣ ـ المعيار في تجليل الأفراد يجب أن يكون قيمهم المعنوية، ﴿صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾.

٤ ـ الصدق شرط التأثير في التبليغ، ﴿صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾. تقدم كلمة «صديقاً» على كلمة «نبياً» يشير إلى أن الصدق يمهد للنبوة.

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ (٥٨)﴾

إشارات:

- ذُكر في الآيات السابقة أسماء عشرة من الأنبياء هم: زكريا، يحيى، عيسى، إبراهيم، إسحاق، يعقوب، موسى، هارون، إسماعيل، وإدريس.

وفي هذا المقام، تشير الآية إليهم: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾، نعم إن هؤلاء الجماعة هم أنفسهم الذين نطلب نحن من الله عشر مرات في صلاتنا كل يوم أن يهدينا صراطهم ويجنّبنا طريق الضالين والمنحرفين، ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ...﴾.

- المراد من ﴿ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ في هذه الآية إدريس، والمراد من ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ إبراهيم؛ لأنه كان من أولاد سام بن نوح، والمراد من ﴿ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ «إسحاق وإسماعيل ويعقوب، والمراد من ﴿ذُرِّيَّةِ... وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾ موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام[1].

- ورد في الحديث الشريف: **«إن القرآن نزل بالحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا»**[2].

- إن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وأهل بيته المعصومين عليهم السلام أفضل مصداق للذين اجتباهم الله وللذين كانوا يسجدون السجود الطويل وهم يبكون لله تعالى، وقد نقل

---

(١) تفسير الأمثل.

(٢) تفسير الصافي.

الكثير من أحوالهم وهم يسجدون ويبكون في مناجاة شهر رمضان ويوم عرفة وغير ذلك من الأوقات.

التعاليم:

١ ـ لكل الأنبياء ﷺ هدف واحد، (ذكر الله هؤلاء الأنبياء إلى جانب بعضهم بعضاً ووصف كل واحد منهم بوصف يخصه)، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم...﴾.

٢ ـ الله تعالى هو المنعم الحقيقي، ﴿أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾.

٣ ـ للوالدين وللآباء والأجداد من الناحية الوراثية تأثير في نشأة الأولاد وتربيتهم، ﴿ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ... ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾.

٤ ـ على الرغم من أن كل الأنبياء ﷺ هم من ذرّية آدم ﷺ، إلّا أن ذكر أسماء نوح، وإبراهيم وإسرائيل (يعقوب) ﷺ إنما هو تجليل خاص لهم، ﴿مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ...﴾.

٥ ـ البكاء في السجود عظيم وقيّم إلى حد أن الله تعالى قام بتجليل أهل البكاء والسجود، ﴿سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا﴾.

٦ ـ البكاء والتضرع في محضر الله دليل على الرشد، والمعرفة، والتوفيق، والاجتباء، ﴿وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآ...﴾.

﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ۝٦٠﴾

إشارات:

- «الخلَف» (بفتح اللام) الأولاد الصالحون، و«الخَلْف» الأولاد الطالحون، و«الغي» ما يقابل الرشد، ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾[١].
- إضاعة الصلاة غير ترك الصلاة وعدم الإتيان بها؛ إذ إن من يصلي ولا يراعي شرائطها أو يؤخرها عن وقتها يكون قد أضاع صلاته واستخف بها[٢].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٦. (٢) بحار الأنوار، ج١١، ص ٧٢.

□ نقرأ في حديث ورد في كثير من كتب علماء أهل السنّة أن النبي محمداً ﷺ عندما تلا هذه الآية قال: «**يكون خلقٌ من بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات...**»[١].

وهنا نقول إذا كان هذا الكلام قد صدر عنه ﷺ في السنة الأولى للهجرة فسنة ستين للهجرة هي سنة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وسنة وصول السلطة إلى يزيد بن معاوية.

التوبة في القرآن

- عادة ما يذكر في القرآن الكريم بعد آيات العذاب تعبير «إلا الذين تابوا»، أو تعبير «إلا من تاب» ليقول لنا الله: إن طريق الإصلاح غير مسدود في وجه أحد أبداً.
- التوبة واجبة؛ لأنها أمر الله تعالى: ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾[٢].
- قبول التوبة الواقعية قطعي؛ لأنه لا يمكن التصديق بأننا مع امتثالنا أمرَ الله بالتوبة لن يقبلها منا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾[٣]، ﴿هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٤].
- مضافاً إلى أن الله يقبل التوبة فإنه أيضاً يحب المكثرين للتوبة: ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾[٥].
- التوبة لا بد من أن يصاحبها العمل الصالح وجبران ما سلف: ﴿تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾[٦]، ﴿تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ﴾[٧]، ﴿تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾[٨].
- التوبة رمز الفلاح: ﴿تُوبُوٓاْ... لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٩].
- التوبة وسيلة لتبديل السيئات بالحسنات: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾[١٠].

---

(١) تفسير الأمثل.
(٢) سورة التوبة: الآية ٨.
(٣) سورة الشورى: الآية ٣٧.
(٤) سورة البقرة: الآية ٣٧.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٢٢.
(٦) سورة الفرقان: الآية ٧١.
(٧) سورة الأنعام: الآية ٥٤.
(٨) سورة البقرة: الآية ١٦٠.
(٩) سورة النور: الآية ٣١.
(١٠) سورة الفرقان: الآية ٧٠.

ـ التوبة سبب نزول المطر، ﴿تُوبُوٓاْ... يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾[1].

ـ التوبة سبب الرزق الحسن، ﴿تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾[2].

ـ التوبة لا تقبل عند رؤية آثار الموت والعذاب، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾[3].

ـ إن الله له لطف خاص مضافاً إلى قبول التوبة، ﴿هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[4]، ﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[5]، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[6]، ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾[7]، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[8]، ففي هذه الآيات أشير مع التوبة إلى مسألة الرحمة والرأفة والمحبة الإلٰهيّة.

ـ اعتبر القرآن الكريم أن ترك التوبة فيه ظلم وهلاك وعذاب: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[9]، ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾[10].

التعاليم:

١ ـ أحياناً يحبط الأبناء والذرّية اللّاحقة جهود آبائهم (أحياناً تخرج ذرّية خبيثة من الأهل الطيبين الصالحين)، ﴿خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

٢ ـ الصلاة عمود الدين (لأجل تبيان ملامح نسل لنسل آخر، فإن إضاعة الصلاة تبين هؤلاء وتكشف عنهم)، ﴿فَخَلَفَ... خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

٣ ـ الصلاة سد محكم بين الإنسان والشهوات وإذا ما كسر هذا السد فسوف يسهل على الإنسان اتّباع الشهوات، ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾.

٤ ـ من ينفصل عن الارتباط بالله (الصلاة) فسوف يرتبط بالشهوات، ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾.

---

(١) سورة هود: الآية ٥٢.
(٢) سورة هود: الآية ٣.
(٣) سورة النساء: الآية ١٨.
(٤) سورة البقرة: الآية ٣٧.
(٥) سورة الأنعام: الآية ٥٤.
(٦) سورة التوبة: الآية ١١٧.
(٧) سورة مريم: الآية ٦٠.
(٨) سورة هود: الآية ٩٠.
(٩) سورة الحجرات: الآية ١١.
(١٠) سورة البروج: الآية ١٠.

٥ ـ اتّباع الشهوات غي وضلالة، ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ... يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾.

٦ ـ عقوبة إضاعة الصلاة الغي والضلال، ﴿يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾.

٧ ـ مصير الأمم بيد الأمم أنفسها، ﴿أَضَاعُوا۟... يَلْقَوْنَ... إِلَّا مَن تَابَ...﴾.

٨ ـ التوبة تحوّل ورجوع حقيقي عن المعصية، لا تظاهر بالرجوع، ﴿تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾.

٩ ـ التوبة والإيمان والعمل الصالح شروط للفلاح، والإخلاص، ودخول الجنّة، ﴿تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا... يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾.

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾

إشارات:

□ في الآية السابقة استعمل لفظ «الجنّة» بنحو مفرد ﴿يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ وأما في هذه الآيات فقد وردت كلمة «جنات» بصورة الجمع، وهذا يشير إلى أن لأهل الجنّة مجموعة من الجنان المتعدّدة.

وربما يكون في التعبير بذلك إشارة إلى أن لكل واحد من أهل الجنّة أربع جنات كما أشير إلى ذلك في سورة الرحمن، ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ... وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾[١].

والمعنى أنّه من كان من أهل التقوى فإن له جنتين، وبعد أن وصف هاتين الجنتين أشار إلى وجود جنتين آخرين غير الجنتين الأولين فيصبح المجموع أربع جنات.

ومن ثم فإن الجنتين الأخريين إما أنهما قريبتان للأوليين، أو أنهما دونهما، وإما أنه لاختلاف درجات أهل الجنّة، فإن نوع الجنان أيضاً متفاوت[٢].

---

(١) سورة الرحمن: الآيات ٤٦ ـ ٦٢. (٢) تفسير كشف الأسرار.

□ تعرض القرآن الكريم مراراً إلى قضيّة تحقق الوعد الإلٰهيّ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾[١].

□ تعظيم الجنّة بأنه لا يُسمع فيها أي لغو، وصية لنا أيضاً في أيامنا هذه بأن نبتعد عن اللغو، وكذلك فإنه إشارة إلى أن الكلام البذيء للكافرين وما يؤذي المؤمنين سماعه في هذه الدنيا، غير موجود هناك.

□ في قوله تعالى: ﴿نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ مضافاً إلى ذكر التقوى والتي هي مفتاح الجنّة، فإنه ذكر أيضاً «الإرث» بمعنى الوصول إلى المال والنعمة دون تعب وعناء. فعلى الرغم من أن التقوى مفتاح الجنّة إلّا أن كل ذلك الثواب هو إرث من الله تعالى لنا؛ إذ إن أعمالنا ليست بمقدار ذلك الثواب. وفي الحقيقة فإن ثوابنا إرث من الله وصل إلينا دون عناء يذكر.

□ روي عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «**ما من أحد إلا وله منزل في الجنّة ومنزل في النار، فأما الكافر فيرث المؤمن منزله من النار، والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنّة، فذلك قوله:** ﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾»[٢].

□ اشتكى رجل إلى الإمام الصادق عليه السلام ما يلقى من الأوجاع والتخمة فقال له: «**تغد وتعشّ ولا تأكل بينهما شيئاً فإن فيه فساد البدن أما سمعت قول الله عزّ وجلّ** يقول: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾»[٣].

التعاليم:

١ ـ الاستقرار في جنات الجنّة أبدي، ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾[٤].

٢ ـ منبع كل تلك الألطاف الموعودة هو لطف الإله الرحمان، ﴿وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾.

٣ ـ لا يمكننا اليوم أن ندرك حقيقة وعود الله تعالى، ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾.

٤ ـ الكلام الشائع بين أهل الجنّة هو السلام، ﴿لَّا يَسْمَعُونَ... إِلَّا سَلَٰمًا﴾. إن

---

(١) سورة التوبة: الآية ١١١.
(٢) تفسير نور الثقلين، ج٢، ص ٣١.
(٣) تفسير نور الثقلين؛ محاسن البرقي.
(٤) كلمة «عدن» بمعنى إقامة وخلد.

محيط الجنّة محيط أمن وسلام، فأهل الجنّة يسمعون السلام من الملائكة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾[١]، وكذلك أيضاً من أصحابهم فيها، ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾[٢].

٥ ـ في الجنّة، مضافاً إلى الأمان الروحي، ﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾؛ فإنه يوجد أيضاً تأمين لحاجات الجسم، ﴿رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾.

٦ ـ لا رجوع في عطاء الجنّة ولا نقض في البين وهذا أقوى أنواع الملكية[٣]، ﴿نُورِثُ﴾.

٧ ـ الجنّة ميراث الأتقياء، ﴿نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾.

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾

إشارات:

- نقرأ في تفسير الميزان قوله: الآيتان (أي هذه الآية وما بعدها) معترضتان بين آيات السورة. وقد تكلف جمعٌ في بيان اتصال الآيتين بالآيات السابقة.
- نقرأ في تفاسير الفخر الرازي، والطبري، والتبيان أن الوحي انقطع مدة عن النبي الأكرم ﷺ فأدى ذلك إلى قلق النبي ﷺ والطعن من المخالفين له، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾؛ وهذا نظير قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[٤].

التعاليم:

١ ـ نزول القرآن كان تدريجياً وبناء على أمر الله تعالى، ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾.

٢ ـ الملائكة مسلمون لأمر الله، ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٧٣.
(٢) سورة الواقعة: الآية ٩١.
(٣) تفسير كشف الأسرار.
(٤) سورة الضحى: الآية ٣.

٣ ـ الله هو المالك الحقيقي لكل شيء، ﴿لَهُۥ﴾.
٤ ـ كان تأخير الوحي بأمر الله ولم يكن نسياناً من الله لنبيّه[1]، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾.

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾

إشارات:

- السمي له معان عدة كما ذكروا: الشريك، المثيل، المشارك له في الاسم والولد.
- كلمة «ربك» الواردة في الآية السابقة، وقوله: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ في هذه الآية يشير إلى وحدة الربوبيّة المدبرة لأمور البشر وتمام ما في الوجود.
- ليست العبادة مجرد ذكر الله والصلاة له؛ فإن مثل هذه العبادات لا مشكلة فيها حتى تحتاج إلى الصبر والتحمل؛ لذا المراد من العبادة في قوله: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ﴾ هي تلك العبادة التي يواجه الإنسان فيها الأضداد والطواغيت والمشاكل والمصاعب الكثيرة؛ ولهذا فإنها تحتاج إلى الصبر والثبات.
- نقرأ في رواية عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: **«وأما قوله ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ فإن تأويله: هل تعلم أحداً اسمه الله غير الله تبارك وتعالى»**[2].

التعاليم:

١ ـ فلسفة عبادتنا لله تعالى ربوبيته الحصرية لكل ما في الوجود، ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ... فَٱعۡبُدۡهُ﴾.
٢ ـ العبادة لا بد فيها من الصبر، ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ﴾، (العبادة نوع من المبارزة مع الهوى والطواغيت وهذه المبارزة لا بد فيها من الصبر والتحمل).
٣ ـ إن الله تعالى لم ينسك؛ لذا لا تنساه أنت أيضاً، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا... فَٱعۡبُدۡهُ﴾.
٤ ـ الله تعالى لا ولد له ولا يوجد أي موجود مثله، ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾.

---

(١) تفسير في ظلال القرآن؛ تفسير التبيان. (٢) توحيد الصدوق، ص ٢٦٣.

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾

إشارات:

□ هذه الآية مشابهة للآيتين (٧٨ و٧٩) من سورة يس؛ إذ إن رجلاً أخذ عظماً بالياً مفتتاً أمام رسول الله ﷺ وقام بمجادلته ﷺ وقال له: من يحيي العظام وهي رميم؟ فقال الله تعالى في جوابه (يا محمد) قل له إن الذي أنشأها أول مرة هو من يحييها بعد الموت وهو بكل شيء عليم، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾.

□ عن مالك الجهني قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾، قال: فقال: **«لا مقدراً ولا مكوناً»**، قال: وسألته عن قوله: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾[1]، فقال: **«كان مقدراً غير مذكور»**[2].

وبناء على ذلك، فإن هاتين الآيتين تتكلمان عن مرحلتين قبل خلق الإنسان.

وفي حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السلام، سئل عن قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾، فقال: **«لم يكن شيئاً في كتاب ولا علم»**[3].

التعاليم:

١ ـ عدم التصديق بالمعاد كان حجة لارتكاب الذنوب والفرار من العبادات، ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ... يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ...﴾.

٢ ـ التعجب من المعاد وإحياء الإنسان مجدداً لا يرتبط بزمان واحد وبجماعة خاصة من بني الإنسان، ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾.

---

(١) سورة الإنسان: الآية ١.

(٢) الكافي، ج١، ص ١٤٧.

(٣) بحار الأنوار، ج٥، ص ١٢١.

٣ ـ المعاد جسماني، ﴿أُخْرَجُ﴾؛ أي إخراج الجسم من الأرض.

٤ ـ المعاد قهري وإجباري، ﴿أُخْرَجُ﴾؛ أي الخروج القهري ودون اختيار.

٥ ـ ترديد الإنسان في المعاد مع أنه خُلق لا من شيء، هو أمر يبعث على التعجب، ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ﴾.

٦ ـ توجه الإنسان إلى أنه لم يكن موجوداً أولاً ومن ثم خلق بعد ذلك، يكفي للقبول بالمعاد، ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَٰنُ...﴾.

٧ ـ ليس لمنكري المعاد أي دليل على إنكارهم، وإنما قالوا باستبعاد وجود القيامة، إلّا أن القرآن جاء بالدليل والبرهان، ﴿خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾.

٨ ـ خلق الإنسان من العدم أكثر تعقيداً (وفي الظاهر أصعب) من خلق الإنسان بعد الموت، ﴿خَلَقْنَٰهُ... وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «جثياً» إما أنها جمع «الجاثي» وهو الذي يبرك على ركبتيه عند محاكمته، وإما أنها من «الجثوة» بمعنى المتراكم من الحجارة والتراب.

التعاليم:

١ ـ تحذيرات يوم القيامة لا بد لنا من أخذها على محمل الجد، فالحشر مقطوع به في يوم القيامة، ﴿فَوَرَبِّكَ﴾.

٢ ـ إن الله تعالى يسلي نبيه في مواجهته للكافرين المنكرين للمعاد، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾.

٣ ـ الشيطان مشارك للإنسان في كفره، ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَٰطِينَ﴾؛ (إن حشر الناس مع الشياطين إلى جانب دفع بعضِهم بعضهم الآخر يقوم على أساس التفكير المتحد بينها وكذلك السنخية الواحدة والتعاون الحاصل بينهم).

٤ ـ الحضور حول جهنم نوع من التخويف والعذاب، والوقوع فيها عذاب آخر، ﴿لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ﴾.

٥ ـ في يوم القيامة سيوضع المجرمون المنحرفون في أسوأ وضع؛ إلى جانب الشياطين، حول جهنم جثياً أذلاء، ﴿لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾.

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾

إشارات:

- كلمة «الشيعة» بمعنى التابعين لشخص ما، وكذلك بمعنى الجماعة المتفقة على سلوك نهج ما. و«عتياً» بمعنى التمرد والطغيان. و«صلياً» بمعنى إشعال النار، والاحتراق بالنار، والدخول إلى النار.

التعاليم:

١ ـ المذنبون في يوم القيامة سيفصلون عن بعضهم وسيوضعون في طبقات متعدّدة (فالذين طغوا على الإله الرحمن سيكون لهم حساب وعذاب خاص وأشد من غيرهم).

٢ ـ المذنبون على ثلاث طوائف؛ طائفة ارتكبت الذنوب بنفسها، وطائفة أخرى كانت وسيلة وواسطة لغيرها في إعانتها على ارتكاب الذنوب، وطائفة ثالثة كانت راضية بذنوب الآخرين. ومن البديهي أن ذنب كل واحدة من هذه الطوائف وعقوبتها يختلف عن الأخرى، ﴿أَيُّهُمۡ أَشَدُّ﴾.

٣ ـ على الرغم من أن الله تعالى هو منبع كل رحمة، ولكن مع ذلك فإن الإنسان يطغى عليه سبحانه، ﴿عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيًّا﴾.

٤ ـ العذاب في النار له نظام محاسبة دقيق جداً وعلم الله هو الضامن لتلك الدقة والفرق في الحساب، ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ... أَيُّهُمۡ أَشَدُّ... لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ...﴾.

٥ ـ لجهنم طبقات ودركات متفاوتة، وبالتالي فإن العذاب فيها يختلف شدة وضعفاً، ولا يخفى على الله مراتب استحقاق كل فرد أيَّ واحدة منها، ﴿لَنَحْنُ أَعْلَمُ﴾.

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾

إشارات:

- ورد في تفسير الطبري أن عبد الله بن رواحة كان واضعاً رأسه في حجر امرأته فبكى، فبكت امرأته لبكائه، قال: ما يبكيك؟ قالت: رأيتك تبكي فبكيت، قال: إني ذكرت قول الله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ فلا أدري أأنجو منها أم لا؟
- لا بد من أن تُفسَّرَ هذه الآية بضمها إلى الآيات والروايات المرتبطة بالصراط؛ إذ إن الصراط جسر فوق جهنم وسيعبر كل الناس فوقه، بعضٌ منهم يعبر بسرعة وبعضٌ آخر يعبر بطيئاً، وبعضٌ ثالث يهوي في جهنم.
- عَنْ أَبِي سَمِينَةَ قَالَ: «اخْتَلَفْنَا فِي الْوُرُودِ فَقَالَ قَوْمٌ لَا يَدْخُلُهَا مُؤْمِنٌ وَقَالَ آخَرُونَ يَدْخُلُونَهَا جَمِيعاً ثُمَّ يُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا، فَلَقِيتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فَسَأَلْتُهُ فَأَوْمَأَ بِإِصْبَعِهِ إِلَى أُذُنَيْهِ فَقَالَ صَمَّتَا إِنْ لَمْ أَكُنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: الْوُرُودُ الدُّخُولُ لَا يَبْقَى بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ إِلَّا يَدْخُلُهَا تَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بَرْداً وَسَلَاماً كَمَا كَانَتْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ حَتَّى إِنَّ لِلنَّارِ أَوْ قَالَ لِجَهَنَّمَ ضَجِيجاً مِنْ بَرْدِهَا ثُمَّ يُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا»[1]. وبناء عليه، فإن هذه الآية مورد البحث والتي تدلّ على حتميّة ورود كل الناس إلى النار لا تتنافى مع الآيات التي تقول إن المؤمنين عنها مبعدون[2]؛ إذ إنهم سيدخلون النار من جهة، ولكن من جهة أخرى، وبلطف من الله، لن يصيبهم فيها أي أذى.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٨، ص ٢٤٩.

(٢) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾، (سورة الأنبياء: الآية ١٠١).
﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾، (سورة النحل: الآية ٨٩).
﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ﴾، (سورة الأنبياء: الآية ١٠٢).

نعم من الممكن أن نقول إن الورود بمعنى العبور وليس الدخول، كما ورد في قصة موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾، أي عندما عبر ومر قرب ماء مدين لا أنه دخل في الماء[1].

وربما يقال إن المراد من قوله ﴿مِنكُمْ﴾ في الآية مورد البحث أولئك الطوائف الذين ذكروا في الآيات السابقة، أي أتباع الشيطان، والمراد من نجاة المتقين هو نجاة أولئك الذين نجوا من الكفر والشرك. والمعنى حينئذٍ أن كل أنصار الشيطان وأتباعه سيدخلون إلى جهنم، أما الكفار والمشركون، فسوف يبقون فيها. وأما المذنبون الذين لم يتلوثوا بالشرك والكفر إلا أنهم كانوا فاسقين، فسيحررون منها في نهاية المطاف.

التعاليم:

١ ـ القيامة ومراحلها لهم حساب منظم ودقيق جداً، ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ... لَنَنزِعَنَّ... وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾.

٢ ـ لله تعالى سننٌ وبرامج قطعية وحتميّة، ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾.

﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾

إشارات:

□ روى عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «**يرد الناس النار، ثم يَصدُرُون بأعمالهم؛ فأوّلُهم كلمْحِ البرق، ثم كمَرِّ الريح، ثم كَحَضْرِ الفرس، ثم كالراكب، ثم كشَدِّ الرجل** (أي ركضه وهرولته)، **ثم كمشيِهِ**»[2].

التعاليم:

١ ـ النار ممر المتقين ومقام الظالمين، ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا... ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟

---

(١) عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في قوله عز وجل ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، قال: «**أما تسمع الرجل يقول: وردنا بني فلان فهو الورود ولم يدخله**». (تفسير نور الثقلين).

(٢) تفسير نور الثقلين.

﴿وَنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا﴾.

٢ ـ التقوى وحدها طريق النجاة من النار، ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا﴾.

٣ ـ الإنسان غير التقي ظالم، ﴿وَنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

٤ ـ الظالمون مستحقون للتحقير، ﴿وَنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ (هذه الجملة تستعمل في مورد يترك فيه الشيء لحقارته وضعَتِه).

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾

إشارات:

- «الندي» يطلق على كل مجلس، أو المجلس الذي يتشاور فيه «دار الندوة» أي مجلس الشورى. ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾[1]، أي أنكم ترتكبون المعاصي في مجالسكم. ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾[2]، أي فليدع مشاوريه وأهل مجلسه.

- إن الكفار كانوا في معرض السخرية من المؤمنين، أو إنهم قالوا بنحو السؤال: هل إن الأثرياء كالنضر بن الحارث والوليد بن المغيرة خير مقاماً؟ أم الفقراء كأمثال بلال وعمار؟ وبالتالي فإنهم من خلال هذه النظرة المتكبرة انفصلوا عن المسلمين ولم يدخلوا في الإيمان.

نعم إن بعض الناس يسعون لجبران النقص المعنوي عندهم بالمظاهر المادّية، وكما ورد في بعض الروايات فإن بعض أشراف قريش الكافرين كانوا يلبسون الثياب الجميلة والفاخرة فيمرون بها أمام النبي ﷺ وأصحابه وهم ينظرون إليهم بعين الاستهزاء والسخرية[3].

يقول الشاعر الإيراني:

لا تنظر باحتقار إلى من يفترش التراب في هذا العالم

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٢٩.

(٢) سورة العلق: الآية ١٧.

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي.

فإذا رأيت الإبريق بلا يد احمله بيديك الاثنتين

التعاليم:

١ ـ حساب العقيدة والمنطق السليم منفصل عن الرفاه الدنيوي، ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ﴾؛ فقد كان الكفار يقولون: إذا كان طريقنا باطلاً فلماذا تكون أوضاعنا الدنيوية أفضل منكم؟

٢ ـ المال والثروة لا يدلان على حقانية الإنسان وشخصيته، ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾.

٣ ـ الفخر والمباهاة يمهدان للكفر، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴾.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «الأثاث» بمعنى المتاع ووسائل الحياة والرفاهية. و«رئياً» المنظر الجالب والحسن. و«قرن» يطلق على جماعة أو أمة من الناس كانوا يعيشون معاً في زمان واحد.

التعاليم:

١ ـ تاريخ سقوط الطواغيت والكافرين، يعد من مصادر معرفة الإنسان واستلهامه العبر، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم﴾؛ (التاريخ سلسلة مترابطة من الأحداث يستفاد فيه من عبر الماضي للمستقبل).

٢ ـ عدد الكفار والطواغيت الذين أهلكوا ليس قليلاً، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾.

٣ ـ التحوّلات التاريخية تسير طبقاً للسنن الإلٰهيّة، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾.

٤ ـ وسائل الرفاهية والأمور المادّية ليست معياراً للسعادة، وليست مانعة من حلول قهر الله وعذابه، ﴿أَهْلَكْنَا... هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا﴾.

٥ ـ الرفاه والمتاع يسببان الغرور، والغفلة، والطغيان، والهلاك في نهاية المطاف، ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا... أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾.

﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾﴾

إشارات:

- «المدّ» و«الإمداد» لهما معنى واحد؛ ولكن الراغب الأصفهاني قال: وأكثر ما جاء «الإمداد» في المحبوب و«المد» في المكروه.
- إن الله تعالى يمهل كل إنسان اختار سلوك طريق الشر، وهذه المهلة إنما تعطى لاحتمال أن يتوب هذا الإنسان، أو لاحتمال أن يخرج أبناء صالحون من نسله؛ ولكن بعض الضالين أساؤوا الاستفادة من المهل الإلٰهيّة فارتكبوا المزيد من المعاصي والذنوب ما استوجب زيادة العذاب عليهم[١].
- عن الإمام الصادق عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ ﴿إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ قال: **«هو خروج القائم (عجل الله فرجه) وهو الساعة، فسيعلمون ذلك اليوم وما نزل بهم من الله على يدي قائمه، فذلك قوله: ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ يعني عند القائم ﴿وَأَضْعَفُ جُندًا﴾»**[٢].

التعاليم:

١ ـ سنة الله قائمة على أن يهيئ أسباب السعي والرشد لكل الناس، وهذا الإنسان إذا اختار بنفسه طريق الضلالة فإن الله تعالى يمهله لمدة من الزمن، ﴿مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ﴾. وأما إذا اختار طريق الهداية فإن الله يزيده هدى، ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ﴾.

٢ ـ المهلة والإمداد ناشئان من الرحمة الإلٰهيّة، ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾.

٣ ـ تُوَعَّد الكافرون مراراً وتكراراً بالويل والعذاب، إلا أنهم لم يتذكروا وكانوا عنها غافلين، ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾.

---

(١) تفسير أطيب البيان.

(٢) الكافي، ج١، ص ٤٣١.

٤ ـ إن الله تعالى يعذب بعض الضالين في الدنيا ويبقي حسابهم في القيامة كما هو؛ ولكن بعضاً منهم لا يعاقبه إلا في الآخرة، ﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾.

٥ ـ عند لحظة الموت لا ينفع المقام، ولا المكانة ولا الموقع، وكذلك لا ينفع الأهل، ولا كثرة الجند والأعوان، ﴿شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾.

٦ ـ القيامة هي يوم ظهور الحقائق، والكشف، والشهود، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ... فَسَيَعْلَمُونَ...﴾.

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾

إشارات:

- قوله «مَرَدًّا» أي عاقبة ومنفعة، وكلمة «الثواب» بمعنى ما يرجع إلى الإنسان من جزاء أعماله، والثواب يقال في الخير والشر؛ لكن المتعارف أكثر في الخير[1].
- قرأنا في الآية السابقة أن الله يمد الضالين في ضلالتهم، وفي هذه الآية يزيد الله المهتدين أيضاً هدى ونوراً.
- نقرأ في بعض الروايات أن المراد من «الباقيات الصالحات» هو قول المؤمن: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر[2].

التعاليم:

١ ـ الهداية ذات مراحل ودرجات، ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ...﴾.

٢ ـ الأعمال الصالحة محفوظة عند الله، ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ﴾.

٣ ـ التوفيق للقيام بالأعمال الصالحة هو شعاع من أشعة الهداية الإلٰهيّة، ﴿ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾.

٤ ـ لله تعالى عناية خاصة بنبيه ﷺ، ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾.

٥ ـ العقاب والثواب من شؤون الربوبيّة الإلٰهيّة، ﴿عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾.

٦ ـ العمل الصالح أساس حسن العاقبة، ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ... وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾.

---

(١) تفسير الميزان نقلاً عن المفردات. (٢) تفسير نور الثقلين.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾

إشارات:

□ عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ قال: «**ذلك أن العاص بن وائل القرشي ثم السهمي وهو أحد المستهزئين، وكان لخباب بن الإرت على العاص بن وائل حق فأتاه يتقاضاه، فقال له العاص: ألستم تزعمون أن في الجنّة الذهب والفضة والحرير، قال: بلى، قال: فموعد ما بيني وبينك الجنّة فوالله لأوتين فيها خيراً مما أوتيت في الدنيا...**»[1].

التعاليم:

١ ـ يبعث الإعراض عن الله والاعتماد على المال والولد على التعجب، ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾.

٢ ـ يعتقد الكافر أن الدين مانع من التقدم والتطوّر، وأن الكفر هو منشأ الرشد وزيادة المال والأولاد، ﴿كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ﴾.

٣ ـ ملاك الخير والقيمة عند الكفار هو المال والولد، ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾؛ (إن الكافر أمام المنطق والتهديد لا يتعلق إلا بما يملك في يده).

٤ ـ عليكم أن تحقروا المرفهين المنحرفين فكرياً؛ لئلا يصبحوا أسوة في المجتمع، ﴿أَفَرَءَيْتَ... أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ... وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾.

٥ ـ لم يوقّع الله تعالى أيَّ سند أو وثيقة لأحد من الناس، ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾.

٦ ـ على الرغم من أن عهد الله لا خلف فيه، إلّا أن الكفار لم يتخذوا مع الله عهداً، ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾.

٧ ـ اقمعوا الظنون الباطلة بكل حزم وصراحة، ﴿كَلَّا﴾.

---

(١) تفسير القمي، ج٢، ص ٥٣.

٨ ـ سلوك الإنسان وأقواله مثبتة في الديوان الإلٰهيّ، ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾.

٩ ـ كل قول وعمل له مهلة إلى مدة قبل أن يكتب، فربما يندم الإنسان على ذلك ويتوب إلى الله؛ ولكن إذا انتهت المهلة ولم يندم على ما فعل حينئذٍ يكتب عليه. حرف «السين» في «سنكتب» إشارة إلى المهلة[1].

١٠ ـ الكلام لا بد من أن يستند إلى العلم والدليل، فالإنسان مسؤول عن كل أقواله، ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾.

١١ ـ في يوم القيامة يتخلى الإنسان عن ماله وأولاده، وقد كانا السبب في كفره وغروره، ويأتي إلى محضر الله وحيداً فريداً، ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾.

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾
كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾

إشارات:

- يرى العلامة الطباطبائي أنّ قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ﴾ يفسر بتفسيرين:

أ ـ سيكفر المشركون بعبادة الآلهة ويكونون على الآلهة ضداً.

ب ـ سيكفر الآلهة بعبادة هؤلاء المشركين، ويكون الآلهة حال كونهم على المشركين لا لهم، ضداً لهم يعادونهم، ولو كانوا لهم عزاً لثبتوا على ذلك دائماً، وقد وقع ذلك في آيات أخرى من القرآن الكريم تدل على هذا المعنى أيضاً[2].

- «العزيز» أي القاهر، والغالب، والذي لا يمكن اختراقه بحيث لا يصل إليه أي ضرر أو شر.

- عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا...

---

(١) نقرأ في الروايات أيضاً: أنه عندما يصدر من الإنسان أي ذنب أو عمل سيئ فإن الملائكة مأمورة أن لا تكتب ذلك عليه إلى مدة لعله يندم على فعله، فإذا انقضت المدة يكتب له ذلك في صحيفة عمله.

(٢) نظير قوله تعالى: ﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ (سورة فاطر: الآية ١٤)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ (سورة الأحقاف: الآية ٦).

ضِدًّا﴾، قال: **«يكون هؤلاء الذين اتخذوهم آلهة من دون الله ضداً يوم القيامة، ويتبرأون منهم ومن عبادتهم إلى يوم القيامة»**[١].

وضدية المعبودات أمثال الطواغيت والشياطين مع أتباعهم واضحة، ومن الطبيعي أنَّ تكلُّم المعبودات التي لها عقل وإدراك كالملائكة، والشياطين، والجن، واضح ومعلوم، إلا الآلهة الميتة التي لا روح لها، (كالحجارة والأخشاب) من الممكن أن تتكلم بإذن الله وتعلن تنفرها واشمئزازها من عبدتها...[٢].

□ عن الإمام الصادق عليه السلام في كلامه على هذه الآية قال: **«ليس العبادة هي السجود ولا الركوع وإنما هي طاعة الرجال، من أطاع مخلوقاً في معصية الخالق فقد عَبَدَهُ»**[٣].

التعاليم:

١ ـ طلب العزة مودع في فطرة الإنسان؛ ولكن الإنسان يشتبه في المصداق ولا يذهب نحو المصدر الحقيقي للعزة، ﴿ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ...﴾.

٢ ـ القيامة قريبة، وعلينا التصديق بها، ﴿سَيَكۡفُرُونَ﴾.

٣ ـ إن أولئك الناس، أنفسهم، الذين تعزز بهم الإنسان في الدنيا بدل الله تعالى، سينقلبون عليه ويكونوا له ضداً يوم القيامة، ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾؛ (الاتكال على غير الله سبب عداوتهم في يوم القيامة).

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا ﴿٨٤﴾﴾

إشارات:

□ «الأزّ» بمعنى التحريك الشديد للشيء واقتلاعه من أساسه، «أزّت القِدْر» أي

---

(١) تفسير الصافي.
(٢) تفسير الأمثل.
(٣) تفسير نور الثقلين.

اشتد غليانها فترجع ما فيها ويصبح عاليها أسفلها.

□ علاقة الشيطان بأهل الإيمان بسيطة ويعقبها اليقظة والتوبة، ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ﴾[(١)].

وأما ارتباط الشيطان بالكافرين فهو ارتباط تسلط، قال: ﴿أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾؛ وليس «إلى الكافرين». وحتماً فإن هذه السلطة يهيؤها الكافر بنفسه ويمهد لها: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾[(٢)].

□ ربّما يكون المراد من إرسال الشياطين من قبل الله تعالى هو تركها، ومثال على ذلك الشخص الذي لم يقيد كلبه ولم يمنعه يقال فيه إنه أرسل كلبه.

□ ورد في تفسير القمي أن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ نزلت في مانعي الخمس والزكاة والمعروف، فيبعث الله عليهم سلطاناً أو شيطاناً فينفقون ما يجب عليهم من الزكاة والخمس في غير طاعة الله ويعذبهم الله على ذلك.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ فقال: **«ما هو عندك»**؟ قال السائل: عدّ الأيام؟ إن الآباء والأمهات يحصون ذلك، قال: **«لا، ولكنه عدد الأنفاس»**[(٣)].

التعاليم:

١ ـ إن الذين اختاروا الكفر والدخول في ولاية الشيطان يرسل الله عليهم الشياطين فتؤزّهم أزاً وتحركهم تحريكاً نحو الفساد. (من عقوبة الكافرين تسلط الشياطين عليهم)، ﴿أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

٢ ـ الشيطان يحرك الإنسان ويدفعه إلى المعصية؛ لكنه لا يجبره على ذلك، ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾.

---

(١) سورة طه: الآية ١٢٠.

(٢) سورة النحل: الآية ١٠٠.

(٣) تفسير الصافي.

٣ ـ تحريك الشيطان (للإنسان) قوي جداً، ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾.

٤ ـ لا يخرج أي شيء عن إرادة الله حتى وساوس الشيطان، ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ... تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾.

٥ ـ الكفر سبب لتحريك الشيطان، ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ﴾.

٦ ـ علم الأنبياء عليهم السلام بالمصالح والحوادث محدود، ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾.

٧ ـ عناد الكافرين في كفرهم وعداوتهم تدفع نبياً ذا خلق عظيم وسعة صدر إلى طلب إنزال العذاب عليهم، ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾.

٨ ـ إمهال الناس سنة إلٰهيّة، ﴿نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾؛ فالتقدير الإلٰهيّ منظم ومقدر؛ لذا علينا ألا نستعجل في طلب موت الكافرين وهلاكهم، ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾.

٩ ـ لا بد من أن تبينوا أوامركم ونواهيكم وقراراتكم بنحو استدلالي، ﴿فَلَا تَعْجَلْ... إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾

إشارات:

□ «الوفد» يطلق على الجماعة الواردة ركباناً لزيارة أو لاستنجاز حاجة و«الوِرد» فيها معنى «العطش».

التعاليم:

١ ـ مشاهد يوم القيامة تلفت النظر، فالقيامة يوم ظهور التفاوت والفرق بين المتقين والمجرمين، ﴿يَوْمَ...﴾.

٢ ـ كيفية حضور أهل الجنّة وورود أهل النار مهم جداً، ﴿وَفْدًا... وِرْدًا﴾.

٣ ـ المتقين ضيوف الله، ﴿وَفْدًا﴾. وأما المجرمون فيُساقون أذلاء، ﴿نَسُوقُ﴾. المتقون وضمن تشريفات ومراسم خاصة واستقبال الملائكة لهم يدخلون إلى الجنّة[1].

---

(١) بينت هذه المراسم ضمن شرح مفصل في رواية عن رسول الله ﷺ.

٤ ـ الأهم من الجنّة هو الرحمة الإلٰهيّة؛ إذ إن الجنّة مظهرٌ من مظاهر رحمة الله، فعبارة: ﴿إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ وردت بدل قوله «إلى الجنّة».

٥ ـ مفتاح الجنّة تقوى الله، ﴿نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾.

﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٨٧﴾﴾

إشارات:

- يحدّد القرآن شروطاً للشفاعة، ولا يتصورَنَّ أحد أن كل إنسان إذا تشفع بشيء ما فإنه سيشفع له، ففي يوم القيامة يطرق الكفار كل باب، وسيلجأون إلى أي شخص؛ ولكنهم سيجابَهون بالنفي.

- من الممكن أن يكون المراد من «العهد» هو عهد العبودية لله والتبري من الشيطان؛ إذ إنّ القرآن الكريم يقول: ﴿۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾[١]، ونقرأ في موضوع آخر منه: ﴿لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾[٢].

- فسر «العهد» في الروايات بتفاسير عدّة:

أ ـ الالتزام بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة عليهم السلام من بعده[٣].

ب ـ وصية الإنسان إذا حضره الموت واجتمع الناس من حوله فيقول: «... إني أعهد إليك في دار الدنيا أني أشهد أن لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، وأن محمداً صلى الله عليه وآله عبدك ورسولك، وأن الجنّة حق، وأن النار حق، وأن البعث حق، والحساب حق...»[٤].

ج ـ «المحافظة على العهد هو المحافظة على الصلوات الخمس»[٥].

---

(١) سورة يس: الآيتان ٦٠ ـ ٦١. (٢) سورة طه: الآية ١٠٩.

(٣) تفسير الميزان.

(٤) تفسير مجمع البيان، ج٦، ص ٤٥٣ (مقتبس من حديث طويل عن رسول الله صلى الله عليه وآله ـ المترجم).

(٥) تفسير الميزان.

التعاليم:

١ ـ تجري الشفاعة وفق قانون يُطبَّق تحت إشراف الله تعالى، ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ...﴾.

٢ ـ ليس لأي إنسان أن يكون له، اعتباطاً أو من قبل نفسه، قدرة على الشفاعة أو الحق فيها، ﴿لَّا يَمْلِكُونَ﴾.

٣ ـ الشفاعة مظهر من مظاهر الرحمة الإلٰهيّة الواسعة، ﴿عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾.

٤ ـ بعض الناس خاصة لهم عهد عند الله وحق في الشفاعة، ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾.

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾﴾

إشارات:

- «الإدّ» بكسر الهمزة: الشيء المنكر الفظيع والقبيح جداً.
- هذه الآية تنطبق على طوائف كثيرة، ومنها:

أ ـ المشركون الذين كانوا يعتقدون أن الملائكة بنات الله، ﴿وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا﴾[١].

ب ـ اليهود الذين زعموا أن «عزيراً» ابن الله، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[٢].

ج ـ النصارى الذين زعموا أن المسيح ابن الله، ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[٣].

التعاليم:

١ ـ الاعتقاد بأن لله ولداً قول لا أساس له وهو قبيح جداً، ﴿وَلَدًا... شَيْـًٔا إِدًّا﴾.

٢ ـ أن يكون لله ولد، لا يعد كمالاً له بل يدل على نقصه تعالى الله عن ذلك، ﴿شَيْـًٔا إِدًّا﴾.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٤٠.

(٢) سورة التوبة: الآية ٣٠.

(٣) المصدر نفسه.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾

إشارات:

□ «الهدّ» بمعنى السقوط.

□ تعرض القرآن الكريم مراراً لمسألة انفعال الطبيعة أمام الحقائق ومن ذلك:

قوله في بعض الآيات إن من الحجارة ما يهبط ويسقط من الجبال من خشية الله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[(١)]، أو قوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[(٢)].

التعاليم:

١ ـ يمكن للذنوب أن تكون سبباً لاختلال نظام الوجود، ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾.

٢ ـ إن الله تعالى خلق الوجود لأجل الإنسان، وبالتالي إذا انحرف هذا الإنسان فإن سقوط الوجود واختلاله لن يكون إلا في محله، ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾.

٣ ـ أكبر فساد في عالم الوجود هو فساد العقيدة، ﴿دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾.

٤ ـ الاعتقاد بالولد لله تعالى معناه أن الله تعالى محتاج لبقاء النسل، وللمعين، وللمساعدة، يعاني من الوحدة، مع أن الله منزه عن ذلك كلّه، ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾.

٥ ـ تمام ما في الوجود تحت سلطان الله وسيرجع كل شيء إليه، ﴿ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٧٤. (٢) سورة الحشر: الآية ٢١.

٦ ـ الوجود والموجودات كلها مأمورة بأمر الله وعابدة له، فلمَ تقولون إن عباده أولاد له، ﴿وَمَا يَنۢبَغِي... إِن كُلُّ... عَبۡدٗا﴾.

﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ٩٤ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ٩٥﴾

التعاليم:

١ ـ الإحصاء الدقيق لكل أجزاء الوجود بيد الله تعالى، ﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا﴾. إن علم الله تعالى لا يحيط بالكليات فحسب بل يعلم أيضاً كل الجزئيات.

وكما يقول الفيض الكاشاني شعراً بالفارسية ترجمته: إحذر، فإن لكل ذرة حساباً ها هنا، فديوان الحساب والكتاب ها هنا.

٢ ـ موجودات العالم الماديّ محدودة، ﴿وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا﴾.

٣ ـ القيامة لكل شيء ﴿كُلُّهُمۡ﴾.

٤ ـ رغم أن الحشر لكل الناس إلّا أن كل واحد منهم يفكر في نفسه، وكأن كل واحد منهم وحيداً ﴿فَرۡدًا﴾، ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾[1].

٥ ـ في يوم القيامة تتلاشى جميع الروابط العائلية، والاقتصادية، والاجتماعية، والحزبية، وغيرها الكثير، ﴿فَرۡدًا﴾.

٦ ـ في يوم القيامة لا ينفع الكافرون أي مال، وولد، وصديق ولا غير ذلك، ﴿فَرۡدًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾

إشارات:

❑ لطالما رأينا عند موت الناس المؤمنين والصالحين ووداعهم لهذه الدنيا، أن أكثر الناس وحتى اللامبالين والفاسقين يتأثرون بذلك، ويحزنون عليهم، ويقيمون العزاء لأجلهم، ويبكون عليهم، ويعظمون ذكراهم، ويزورون قبورهم،

(١) سورة الأنعام: الآية ٩٤.

ويقصُّون سِيَرهم للآخرين، ذلك كله نابع من الفطرة السليمة الطاهرة، وحب الإنسان للكمال.

نعم إن من تعلق قلبه بالله فقط فإن الله يعلق قلوب الناس به، من ذكر الله فإن الله يذكره أيضاً، ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[١].

□ روي عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ أنه قال: **ولاية أمير المؤمنين هي الود الذي قال الله تعالى»**[٢].

وعن رسول الله أيضاً في هذه الآية أنه قال: «**محبة في قلوب المؤمنين**»؛ وقال: «**نزلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب**»[٣].

التعاليم:

١ ـ الإيمان دون عمل لا ينفع، والعمل دون إيمان لا ينفع أيضاً، ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾.

٢ ـ الإيمان والعمل الصالح مفتاح المحبوبية عند الناس، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ...﴾.

كلما رأينا أن محبوبيتنا قد خفت، فعلينا أن نراجع حساباتنا على مستوى العقيدة والعمل؛ لأن وعد الله لا يتخلف.

٣ ـ أن نصبح محبوبين فهو بيد الله، ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ﴾ إذ إن القلوب أيضاً بيد الله.

٤ ـ المحبوبية رحمة إلٰهيّة تصيب المؤمنين والصالحين، ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ﴾.

٥ ـ من الممكن اليوم أن لا تقدر أعمالكم الصالحة؛ ولكن صبركم وسعيكم الدائم سيثمر في المستقبل، ﴿سَيَجْعَلُ...﴾.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٥٢.

(٢) الكافي، ج١، ص ٤٣١.

(٣) تفسير فرات الكوفي، ص ٢٤٨.

٦ ـ المحبوبية لطف من الألطاف الإلٰهيّة والثواب الإلٰهيّ في الدنيا، ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾. (فالمؤمنون والصالحون، مضافاً إلى ثوابهم الأخروي، فإنهم يثابون في هذه الدنيا أيضاً).

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾

إشارات:

❑ «اللّد» بمعنى العدو الشديد العداوة.

التعاليم:

١ ـ اليسر في الكلام أسلوب قرآني للإرشاد، ﴿يَسَّرْنَٰهُ﴾، اليسر في الكلام غير الضعف، فالكلام يجب أن يكون محكماً ولكن بيسر وسلالة ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾[1].

٢ ـ البيان السلس من ألطاف الله تعالى، ﴿يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾.

٣ ـ لا بد من الكلام مع كل قوم بطريقة خاصة، ﴿لِتُبَشِّرَ... وَتُنذِرَ﴾. (التكلم مع الموقن بلسان البشارة، ومع المعتدي بنحو الإنذار).

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾

إشارات:

❑ هذه الآية الشريفة فيها تسكين وتهدئة لخاطر النبي الأكرم ﷺ، وتسلية له، وبشارة، بأن أعداءه المعاندين سيهلكون عما قريب، كما أُهلك من قبل الكثير من المعاندين للحق.

❑ «الركز» بمعنى الصوت الهادئ والخفي.

---

(١) سورة هود: الآية ١.

□ أجاب الإمام الصادق عليه السلام جابراً عن هذه الآية فقال له: «**يا جابر هم بنو أمية ويوشك أن لا يحس منهم من أحد يرجى ولا يخشى**»، فقلت: رحمك الله وإن ذلك لكائن؟ فقال: «**ما أسرعه**»، **سمعت علي بن الحسين** عليهما السلام يقول: «**إنه قد رأى أسبابه**»[1].

التعاليم:

١ ـ هلاك القوم المعاندين دليل على جدية التحذيرات القرآنية، ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾.

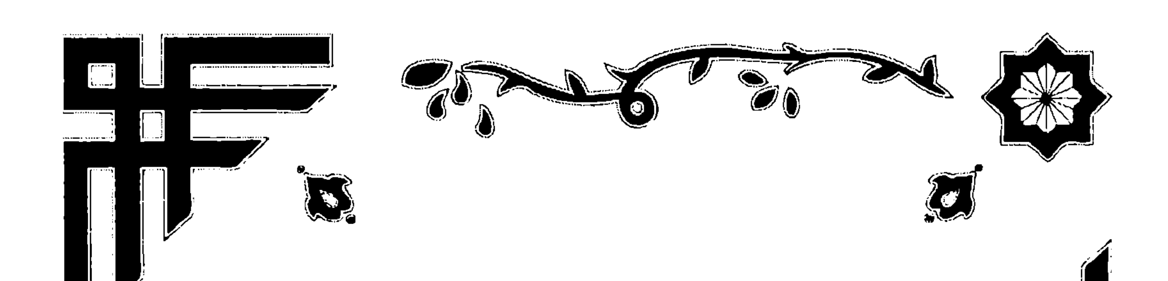
٢ ـ هلاك أعداء الحق من سنن الله تعالى، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾.

٣ ـ التاريخ مرآة العبر، ﴿هَلْ تُحِسُّ...﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٣٠.



سُورَةُ طه

السورة: ٢٠ الجزء: ١٦

عدد الآيات: ١٣٥



ملامح سورة طه

سورة طه، آياتها مائة وخمسة وثلاثون آية، وهي من السور المكية، ومحتواها كما هو حال سائر السور المكية يحكي غالباً عن المبدأ والمعاد.

هذه السورة هي أول سورة تبين بالتفصيل قصة النبي موسى عليه السلام، فقد خصصت لها أكثر من ثمانين آية، وبعض هذه السورة يتكلم عن عظمة القرآن وصفات الله تعالى، ويرتبط بعضها أيضاً بما جرى مع آدم وحواء ووسوسة الشيطان لهما، وتذكر في ختامها مواعظ باعثة على اليقظة من الغفلة.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: **«لا تدعوا قراءة سورة طه فإن الله يحبها ويحب من قرأها، ومن أدمن على قراءتها أعطاه الله يوم القيامة كتابه بيمينه ولم يحاسبه بما عمل في الإسلام، وأعطي في الآخرة من الأجر حتى يرضى»**[1].



(١) تفسير نور الثقلين، ج٣، ص ٣٦٦.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طه ۝١ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ۝٤﴾

إشارات:

- ذكرت معان وتفاسير عدّة لهذه الحروف المقطعة «طه»، وممّا ذكر، أنها اسم الله تعالى، أو أنها قسم، أو اسم للنبي محمد ﷺ[١]، كما يعبر عن أهل بيت النبي عليهم السلام بأنهم «أهل طه»، أو عن الإمام علي عليه السلام بأنه «طه»[٢]، ونقرأ في دعاء الندبة أيضاً ندائنا لإمام الزمان عليه السلام: «يا ابن طه».

وعلى أي حال فإن هذه الحروف ليست زائدة أو لا معنى لها، ومن الممكن أن يقال إن لهذه الحروف، أو على الأقل إن لقسم منها، معان ومفاهيم خاصة؛ ولا يلاحظ في أي من التواريخ (ومنذ نزول القرآن وإلى يومنا هذا) أن أحداً من المتتبعين للعيوب والهفوات قد اتخذوا الحروف المقطعة وسيلة للقيام بردود فعل ضد الإسلام اعتماداً عليها[٣].

- النبي الأكرم ﷺ ولشدة عشقه وتلهفه والتزامه بأداء التكليف، كان لا يكلّ ولا يملّ من ذلك، ﴿لِتَشْقَىٰ﴾ ولقد قام ﷺ عشر سنين على أطراف أصابعه حتى تورمت قدماه واصفر وجهه، يقوم الليل أجمع حتى عوتب في ذلك، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾ بل لتسعد به[٤].

- «التنزيل» هو النزول التدريجي، أي أن القرآن الكريم نزل طيلة ثلاث وعشرين

---

(١) تفسير نور الثقلين.
(٢) بحار الأنوار، ج٩٧، ص ٣٧٥.
(٣) تفسير الأمثل.
(٤) التفسير الصافي.

سنة، وفي حوادث ومناسبات مختلفة، ولا يتنافى هذا التنزيل مع النزول الدفعي للقرآن على قلب النبي ﷺ في ليلة القدر.

التعاليم:

١ ـ لم ينزل الوحي الإلٰهيّ ليسبب الألم والتعب والعناء، ﴿مَآ أَنزَلْنَا... لِتَشْقَىٰٓ﴾.

٢ ـ في أداء التكاليف الدينيّة لا يجب تحمل المشقات التي تثقل كاهلنا، ﴿مَآ أَنزَلْنَا... لِتَشْقَىٰٓ﴾.

٣ ـ للإنسان عقائد مودعة في فطرته؛ ولكن حيث إنه يغفل عنها فلا بد من تذكيره، ﴿تَذْكِرَةً﴾.

٤ ـ التقوى، والعلم، والخشية، مفاهيم بينها تلازم،[1] ﴿تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾.

٥ ـ من أجل الوصول إلى الرشد والكمال اللازمين لا يكفينا كمال المربي والمبلغ، بل لا بد من وجود الاستعداد اللازم للقبول والتلقي، ﴿لِّمَن يَخْشَىٰ﴾. كما هو الحال في إنتاج المحصول الجيد إذ لا بد من البذر الجيد، والأرض المناسبة، والمراقبة الدائمة.

٦ ـ الإحساس بالمسؤولية مقدّمة للاتعاظ والقبول بالنصح، ﴿تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾.

٧ ـ تكليف النبي ﷺ تذكير الناس، وليس إجبارهم على القبول والاقتناع، ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾.

٨ ـ التشريع والتكوين كلاهما من منبع واحد وقوانينهما متطابقة، ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ﴾.

٩ ـ خالق السماوات العظيمة عظيم، ولا بدّ من أن يكون كلامه كذلك أيضاً: ﴿...وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ (كلام الأمير أمير الكلام).

---

(١) كما نقرأ في آيات أخرى: ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة الحاقة: الآية ٤٨)، و﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ (سورة فاطر: الآية ٢٨).

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾

إشارات:

- ضمن هذه الآيات ذكرت أربع صفات من صفات الله البارزة:

أ ـ الخالق، ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾.

ب ـ الحاكم، ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾.

ج ـ المالك، ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا...﴾.

د ـ العالم، ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾.

- (استيلاء الخالق على العرش)، ورد في هذه الآيات وفي آيات أخرى من سور قرآنية أخرى ضمن التعبير التالي: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، وذلك كناية عن إحاطة الله وسلطانه على عالم الوجود، فمثلاً عندما يقال في الفارسية: فلانى بر تخت نشست، أي (جلس فلان على السرير [العرش])؛ أو: فلاني را از تخت به پايين كشيدند أي (خلع فلان عن عرشه)؛ فعلى الأول يعني أنّه أصبح حاكماً، وعلى الثاني أنه سُلب السلطة والحكم.

- غالباً ما يرد بعد قوله تعالى: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ وأشباهها جمل تكون مفسرة لها، نظير قوله تعالى:

ـ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾(١).

ـ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾(٢).

ـ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾(٣).

ـ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ﴾(٤).

ـ وفي هذه الآية: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٤.
(٢) سورة يونس: الآية ٣.
(٣) سورة الحديد: الآية ٤.
(٤) سورة السجدة: الآية ٤.

□ «الثرى» هو التراب الرطب، وقوله «تحت الثرى» يشمل الأموات والكنوز وكل شيء مخفي تحت التراب.

□ «الأسماء الحسنى» هي صفات الله تعالى، وهي تسعة وتسعون اسماً بناء على ما ورد في الروايات؛ ولكنها ليست منحصرة بها؛ إذ ورد في دعاء الجوشن الكبير ألف اسم من أسماء الله، ولهذه الأسماء آثار وبركات عظيمة إذا ما دعي الله بها، والتوسل بهذه الأسماء لا يكون بمجرد الحفظ والقراءة، بل بالعمل بها، والاقتراب أكثر فأكثر منها.

ونشير أيضاً إلى أن ورود الحسنى بصيغة المفرد مع أنّ موصوفها أي «الأسماء» بصيغة الجمع، ربما يكون لتقدير كلمة «هذه» قبلها أي «هذه الأسماء الحسنى»، ولهذا نظائر أخرى وردت في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾[1] و﴿حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾[2][3].

□ ورد عن الأئمة المعصومين عليهم السلام قولهم: «**نحن والله الأسماء الحسنى**»[4].

□ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**السر: ما أخفيته في نفسك، وأخفى: ما خطر ببالك ثم أنسيته**»[5]، أي أنه لم يخف عن الآخرين فحسب؛ بل غفلت عنه أنت أيضاً.

□ الله تعالى عالم ومحيط بكل شيء: ﴿يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾[6]، ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾[7]، ﴿يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾[8]، و﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾[9].

التعاليم:

١ ـ سيطرة الله على عالم الوجود سيطرة رحمة لا طغيان، ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾.

---

(١) سورة طه: الآية ١٨.
(٢) سورة النمل: الآية ٦٠.
(٣) تفاسير: الأمثل، مجمع البيان، الطبري والتبيان.
(٤) تفسير الأمثل.
(٥) تفسير الصافي.
(٦) سورة البقرة: الآية ٣٣.
(٧) سورة الرعد: الآية ٨.
(٨) سورة غافر: الآية ١٩.
(٩) سورة الأحزاب: الآية ٥١.

٢ ـ نزول القرآن مظهر لرحمانية الله وسلطته على عالم الوجود، ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ...﴾.

٣ ـ سيطرة الله على عالم الوجود كله على نحو سواء[1]، ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾.

٤ ـ الله تعالى، مضافاً إلى أنه خالق الوجود، فإنه الحافظ له والحاكم عليه، ﴿خَلَقَ... عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾.

٥ ـ الله تعالى له الإحاطة التامة والمالكية المطلقة لما يُرى ولما لا يُرى، ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ... وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾.

٦ ـ من الطرق التي تصد عن ارتكاب المنكرات: التفات الناس إلى علم الله بالظاهر والباطن، ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾.

٧ ـ الاسم الحسن والجميل سواء في اللفظ أو المعنى أمر قيّم وعظيم، والله تعالى جميل وله أيضاً أفضل الأسماء وأحسنها، ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠﴾

إشارات:

- «القبس» الشعلة من النار المنفصلة عن مجموعها.
- في قسم من هذه السورة بُيِّنَتْ بالتفصيل مقاطع من قصة موسى عليه السلام:

  أ ـ اختياره عليه السلام للرسالة.

  ب ـ دعوته عليه السلام لفرعون لاتّباع الحق.

  ج ـ خروجه من مصر وغرق فرعون.

  د ـ عبادة العجل من قبل بني إسرائيل.
- خرج النبي موسى عليه السلام في سفر تصحبه امرأته الحامل، فَضَلَّ الطريق في

(١) سورة الأنعام: الآية ٥٩.

الصحراء، وفي ليلة مظلمة باردة ممطرة احتاج موسى إلى النار، فرأى ناراً من بعيد، فتوجه إليها ليحضر منها قبساً من أجل مصالح أسرته، وعندما اقترب منها سمع النداء الإلٰهيّ، وهناك اختار الله موسى نبياً[١].

نعم إن موسى عليه السلام توجه نحو النار ليجد طريقاً لنجاته ونجاة عائلته، إلّا أن الله تعالى فتح له طريق نجاة الآخرين. كان موسى يبحث عن طريق أرضي إلّا أن الله فتح له طريقاً إلى المعنوية والسعادة، سعى موسى وراء طريق الهداية الفردية إلّا أن الله كشف له طريق هداية الأمة.

التعاليم:

١ ـ أثناء نقل الحقائق والوقائع التاريخية لا بد من أن نجعل المخاطبين يتشوقون لسماعها، وحينئذٍ نقص عليهم مجرياتها، ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾.

٢ ـ أسلوب السؤال من الأساليب المناسبة للتبليغ والتربية، ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾.

٣ ـ بيان التاريخ بيان للاتعاظ، ووسيلة للعبرة، وفيه تسلية لقلب النبي ﷺ وخاطره، ﴿حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾. (الحديث في القرآن هو التاريخ وليس الأمر الحادث والجديد).

٤ ـ أحياناً يرى الإنسان النور الإلٰهيّ في صورة النار[٢]، ﴿إِذْ رَءَا نَارًا﴾.

٥ ـ النساء لهن سهم في تجرع النوائب إلى جانب الرجال كتفاً إلى كتف، ﴿لِأَهْلِهِ﴾.

٦ ـ علينا أن لا نجزع ونخشى الحوادث المرة والأليمة؛ إذ لربما يظهر لطف الله ورحمته من باطن هذه الحوادث الأليمة وقلبها، ﴿إِذْ رَءَا نَارًا﴾.

٧ ـ على الرجل تأمين رفاه عائلته وراحتها، ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾.

---

(١) كانت الليلة ليلة الجمعة، تفسير مجمع البيان.

(٢) تفسير مجمع البيان.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢﴾

إشارات:

- ورد اسم موسى عليه السلام في عشرين سورة من القرآن، مئة وثلاثا وستين مرة، وقصة موسى عليه السلام تعد أكبر قصص القرآن الكريم لتخصيص حوالى تسعمئة آية قرآنية لها.
- كلمة «رب» من أسماء الله الحسنى، وقد وردت في القرآن الكريم أكثر من (٩٧٠) مرة، وقد عرّف الله تعالى نفسه بها في أول تجل له على النبي موسى عليه السلام ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾. وبما أن نبوة النبي موسى قد ابتدأت بالنداء والكلام الإلٰهيين، من هنا قد سُمّي موسى «كليم الله»: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[1].
- «الوادي المقدّس» يطلق على المكان المنزه عن العيب والذنوب، و«طوى» يعني الشيء أو المكان المحاط بالبركة.
- ورد أن المراد من ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ هو خلع قلبه من خوفين: خوفه من وضع عياله في تلك الحال، وخوفه من شر فرعون[2] وذهب بعضهم إلى أن المراد من ذلك الزوجة والأولاد أو حب الدنيا والآخرة. هذا وقد ورد هذا التعبير نفسه ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ في التوراة الحاليّة[3].

التعاليم:

١ ـ كثيراً ما يطلب الإنسان شيئاً من الله أو من غيره فيصل إلى غير ما يريد، ﴿ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ... نُودِىَ﴾ (كان يطلب النار فوصل إلى النبوة ونجا من النار).

٢ ـ عندما تتعلق إرادة الله تعالى بتحقق شيء ما فإنه يسخر كل شيء لتحقيق ذلك الهدف (ظلمة الليل، الزوجة الحامل، إضاعة الطريق، رؤية النار... كل ذلك كان مقدمة لجذب موسى عليه السلام، وإعطاء النبوة له في ميعاد الله تعالى).

---

(١) سورة النساء: الآية ١٦٤.
(٢) تفسير نور الثقلين.
(٣) التوراة، سِفر الخروج، الفصل الثالث.

٣ ـ يستدعي الإحساس بعدم التصديق مزيداً من التأكيد، ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾.

٤ ـ آثار قداسة الأشياء ومعنويتها لا بد من أن تظهر أيضاً على ظاهر الأفراد، ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾.

٥ ـ الارتباط العميق بالله يدور مدار خلع القلب عن كل ارتباط، ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾.

٦ ـ لبعض الأماكن قداسة خاصة بها، ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾. (خلع النعلين والمشي حافياً من آداب الدخول إلى الأماكن المقدّسة).

٧ ـ النداء المقدّس ينزل في المكان المقدّس، ﴿نُودِيَ... بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾.

٨ ـ القبول ببعض المسؤوليات السماوية كان أحياناً في قلب الطبيعة الطاهر، كما في: جبل الطور، والوادي المقدّس طوى، وغار حراء، ﴿نُودِيَ... بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾.

﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ۝١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ۝١٥﴾

إشارات:

- «الساعة» من أسماء يوم القيامة[1].

التعاليم:

١ ـ الأنبياء عليهم السلام مُعيَّنون من قبل الله وليس من قبل الناس، ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾.

٢ ـ لا بد من أن نستمع إلى كلام الوحي ونتوجه إليه بكل كياننا، ووجودنا، وروحنا، وقلبنا، ﴿فَٱسۡتَمِعۡ﴾؛ ولم يقل «فاسمع».

٣ ـ من آداب الكلام والمحاورة أن نعرّف عن أنفسنا، ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾.

---

(١) استعملت كلمة «الساعة» في التعبير عن يوم القيامة أكثر من أربعين مرة في القرآن الكريم (تفسير الفرقان).

٤ ـ في النظام الإلهيّ، المعرفة أساس العمل، ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ... فَٱعْبُدْنِي﴾.

٥ ـ معرفة أصول الدين مقدمة للقيام بفروع الدين، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾، التوحيد النظري مقدم على التوحيد العملي، ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ... فَٱعْبُدْنِي﴾.

٦ ـ لا بد في العبادة من الإخلاص، فقيمة العبادة بميزان خلوصها، ﴿فَٱعْبُدْنِي﴾.

٧ ـ التوحيد رأس كل العقائد، والصلاة رأس كل العبادات، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠، فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

٨ ـ الصلاة أول تكليف عملي للأنبياء عليهم السلام، ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

٩ ـ الصلاة كانت مشرَّعة أيضاً عند الأديان الأخرى، ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

١٠ ـ ليس الهدف من الصلاة رعاية قالبها؛ بل التوجه إلى قلبها، أي الإحساس بالحضور والخشوع، ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾.

١١ ـ الالتفات إلى القيامة يسبب إقامة الصلاة، ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ... إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾؛ ففي يوم القيامة يُسأل الإنسان عن الصلاة.

١٢ ـ إقامة الصلاة لأجل ذكر الله، ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾؛ وذكر الله يوجب اطمئنان القلوب، ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[1]، كما إن ذكرنا لله يوجب ذكر الله لنا، ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[2].

١٣ ـ التوحيد والمعاد أول خطاب إلهي للبشر، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠... إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾.

١٤ ـ لا أحد يعلم زمان حدوث القيامة إلا الله تعالى، ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾.

١٥ ـ وقوع القيامة حتمي، ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾؛ إلّا أن زمانها مخفي، ﴿أُخْفِيهَا﴾.

١٦ ـ ليس كل علم ومعرفة مفيدان، ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾؛ فعدم معرفة زمان وقوع القيامة فيه حِكم وألطاف، فمثلاً سيبقى الإنسان حراً في أعماله ولن يبتلى بالاضطراب والخوف، فحاله كحال من لا يعرف ساعة حضور الضيوف فإنه سيبقى متأهباً دائماً.

---

(١) سورة الرعد: الآية ٢٨.
(٢) سورة البقرة: الآية١٥٢.

١٧ ـ العقاب والثواب الدنيويين ليسا كاملين، ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ... لِتُجۡزَىٰ﴾.

١٨ ـ يوم القيامة هو اليوم الذي سيطبق فيه القانون الإلٰهيّ، والثواب، والعقاب على كل الناس، ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ﴾.

١٩ ـ الثواب سيكون على أساس السعي للعمل سواء تم أم لم يتم، ﴿لِتُجۡزَىٰ... بِمَا تَسۡعَىٰ﴾.

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ١٦﴾

التعاليم:

١ ـ لا يكفي مجرد الاعتقاد بالأصول والعمل بالفروع، بل لا بد أيضاً من الصلابة أمام المخالفين، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠... فَٱعۡبُدۡنِي... فَلَا يَصُدَّنَّكَ﴾.

٢ ـ غير المؤمنين في صدد أن يصدوكم عن طريق الحق؛ لذا لا ينبغي أن تؤدّي فتنتهم ومؤامراتهم إلى خلل في سيركم وسلوككم، ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ﴾.

٣ ـ منشأ إنكار المعاد اتّباع هوى النفس[1]، ﴿مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾.

٤ ـ الإيمان بالمعاد أفضل عامل لكبح عبادة الهوى، ﴿مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾.

٥ ـ نتيجة عبادة الهوى واتّباعه هي السقوط، حتى لو صدر من نبيّ ولن يصدر، ﴿فَتَرۡدَىٰ﴾.

٦ ـ موافقة الكافرين وغير المؤمنين سبب للهلاك، ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ... فَتَرۡدَىٰ﴾.

٧ ـ الكافرون وعباد الهوى يسعون لصد المؤمنين عن الصلاة، ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ... فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا﴾.

---

(١) «لعل الإتيان في قوله ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ بصيغة الماضي مع كون المعطوف عليه ﴿لَّا يُؤۡمِنُ﴾ بصيغة المضارع للتلويح إلى علّيّة اتّباع الهوى لعدم الإيمان» (تفسير الميزان).

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾

إشارات:

❑ إن الناس، وبشكل طبيعي، يخافون من أي شيء مسبب للخطر عليهم، أو يلحق الضرر والشر بهم، وبالتالي فإنهم يتجنبون كل ما يسبب ذلك، ومن البديهي أن موسى عليه السلام، كإنسان، يخاف ولكن لا يمكن أن يكون تأثره واضطرابه من غير رضا الله تعالى وإلا سيكون مورداً للذم والانتقاد، مع أن ذلك بالأصل مخالف للشجاعة ومن الصفات الرذيلة، وحتماً موسى عليه السلام كان بعيداً كل البعد عن ذلك.

وفي الأساس فإن هذا الخوف نفسه دليل بنفسه على كون ما حصل معه معجزة، وإلا فإن الساحر الذي يعلم بأن سحره لا واقعية له لا يخاف من سحره.

❑ إن الله تعالى في كل لحظة يهب الروح للملايين ممن لا روح لهم، وفي المقابل يسلب أرواح الملايين من الأحياء.

وها هنا فإن العصا التي لا روح لها يهبها الروح ومن ثم يسلبها منها لتصبح عصا مرة أخرى[١]. وهنا نسأل: ألا يمكن لهذا الإله أن يميت الإنسان الحي ومن ثم يعيده مجدداً على صورته الأولى؟

وفي الحقيقة إذا أدت نظرة من الله إلى أن تتحوّل العصا إلى أفعى، فكيف إذا نظر إلينا نظرة لطف ورحمة ماذا سيحل بنا حينئذ؟! وإذا كانت نتيجة نظرته قد التقفت سحر كل الساحرين ألا يمكن لنظرته ـ هو نفسه ـ على قلوبنا أن تلقف كل الوساوس منها؟!

❑ في بداية أمر موسى عليه السلام وقعت له معجزتان: الأولى: تحولت العصا إلى أفعى

(١) تفسير في ظلال القرآن.

﴿فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾، والثانية إعادة الأفعى إلى صورة العصا الأولى: ﴿سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾.

التعاليم:

١ ـ إن الله تعالى، ولإظهار قدرته يستفيد من أقرب الأمور وأبسطها، ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾.

٢ ـ مع الاستفادة من الوسائل التي لها نواح متعدّدة للاستعمال يمكن الاستفادة من الأحجام الصغيرة لأشياء كبيرة، ﴿قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا﴾.

٣ ـ الاتكاء على العصا والوسائل المادّية لا يتنافى مع التوكل على الله تعالى، ﴿أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا﴾.

٤ ـ الرعي كان عمل أكثر الأنبياء، ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى﴾.

٥ ـ كان من الضروري التمرين، والتجربة، والاستعداد قبل الدعوة، فالنبي موسى عليه السلام الذي كان سيذهب إلى فرعون ليلقي عصاه فتصبح أفعى، لا بد من أن يكون نفسه قد رأى هذه الواقعة من قبل، ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾.

﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾

إشارات:

❑ المعجزة الثانية للنبي موسى عليه السلام كانت «اليد البيضاء» وقد وردت في القرآن بثلاث تعابير: أولها: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ﴾[١]، والثانية: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ﴾[٢]، والثالثة: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾، وبالإمكان الجمع بينها كلها بأن نقول: ادخل يدك إلى جيبك وأوصلها إلى تحت إبطك.

ورد في التوراة أن موسى عليه السلام ابتُلي بالبرص فابيضت يده (الآن ضع يدك

---

(١) سورة القصص: الآية ٣٢. (٢) سورة النمل: الآية ١٢.

إلى جنبك فوضع يده إلى جنبها وأخرجها فإذا يده مبروصة كالثلج)[1]. إلّا أن القرآن ذكر أنها خرجت ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ ليقول لنا إن بياض اليد كان نوراً وليس مرضاً وهذا يدل على التحريف في التوراة.

التعاليم:

١ ـ يد القدرة الإلٰهيّة مبسوطة ومتى ما شاء فإنه يظهر قدرته في أي لحظة وبأي وسيلة، ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ﴾.

٢ ـ كلما كان المخاطب متكبراً ومعانداً احتاج إلى معجزات عدّة، ﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ (لا بد للفراعنة والمتفرعنين من معاجز عدّة).

٣ ـ من كان مهيأ لدعوة الطاغوت إلى الحق لا بد من أن يكون هو نفسه قد رأى آثار الحق، ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾.

٤ ـ معجزات الأنبياء عليهم السلام جانب من آيات الله الكبرى، ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾.

٥ ـ أول مهمة للأنبياء عليهم السلام مواجهة الطواغيت، ﴿ٱذْهَبْ﴾.

٦ ـ لا ينبغي دائماً انتظار مجيء الناس؛ بل أحياناً يجب ـ حتى على الأنبياء عليهم السلام أنفسهم ـ الذهاب إلى الحكام لهدايتهم، ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾.

٧ ـ من أجل إصلاح المجتمع لا بد من أن نذهب إلى مصدر الفتنة والفساد، ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾.

٨ ـ الدين لا ينفك عن السياسة فالنبي موسى عليه السلام نهض لإصلاح الحكومة، ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾.

٩ ـ محاربة الطاغوت تكليف إلهي وليست عرضاً سياسياً، ﴿ٱذْهَبْ﴾.

١٠ ـ منشأ كل إنكار وفساد هو الطغيان والعصيان في مقابل الحق، ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾. إن طغيان فرعون بادعاء الربوبيّة أدى إلى القهر، والوحشة، والتفرقة، واستعباد الناس.

---

(١) التوراة، سفر الخروج، الفصل الرابع، الجملة ٦، تفسير الأمثل.

١١ ـ الذين يتمكنون من مواجهة الطاغوت أو بإمكانهم ذلك، كانوا قد هيأوا أنفسهم من خلال الإيمان والعبادة وصلابة الموقف على مواجهته، ﴿فَاعْبُدْنِي... أَقِمِ الصَّلَوٰةَ... فَلَا يَصُدَّنَّكَ... اذْهَبْ إِلَىٰ...﴾.

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾

إشارات:

- عندما كلف موسى عليه السلام بتبليغ الرسالة الإلٰهيّة طلب من الله تعالى أربعة مطالب:
  ١ ـ سعة الصدر، ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾.
  ٢ ـ تيسير الأمور، ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾.
  ٣ ـ سلاسة البيان، ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾.
  ٤ ـ الوزير، ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا﴾.
- لما كان موسى عليه السلام مأموراً بالعديد من المسائل: العبادية، السياسية، الثورية، الاجتماعية، الأخلاقية، الفردية والجماعية وبالطبع فإن اشتغال الإنسان بأحدها قد يؤدّي إلى الغفلة عن سائرها لذا كان من الضروري وجود سعة الصدر لأداء كل هذه المسائل(١).
- سعة الصدر مطلوبة لنفس الإنسان وكذلك أيضاً للقيام بالمسؤولية والمهمات، وكلمة «لي» ترمز إلى أن استقبال الوحي بحاجة إلى وعاء كبير واستعداد كبير أيضاً كما جاء في مورد النبي محمد صلى الله عليه وآله في سورة الانشراح حيث قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ... إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

خصائص قلب المؤمن وقلب الكافر

- قلب المؤمن مستودع أمور عدة، وقلب الكافر محل لأضدادها:

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي.

أ ـ قلب المؤمن:

١ ـ الحياة، ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾[(١)].

٢ ـ الشفاء، ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾[(٢)].

٣ ـ الطهارة، ﴿ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[(٣)].

٤ ـ سعة الصدر، ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾[(٤)].

٥ ـ الهداية، ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾[(٥)].

٦ ـ الإيمان، ﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾[(٦)].

٧ ـ السكينة، ﴿ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٧)].

٨ ـ الإلفة، ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾[(٨)].

ب: قلب الكافر:

١ ـ المرض، ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾[(٩)].

٢ ـ القسوة، ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾[(١٠)].

٣ ـ الزيغ (عدم القبول)، ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[(١١)].

٤ ـ الطبع، ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[(١٢)].

٥ ـ الرين (إحاطة الظلمات)، ﴿رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾[(١٣)].

٦ ـ الحجاب، ﴿جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾[(١٤)].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢٢.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٤.

(٣) سورة الحجرات: الآية ٣.

(٤) سورة طه: الآية ٢٥.

(٥) سورة التغابن: الآية ١١.

(٦) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

(٧) سورة الفتح: الآية ٤.

(٨) سورة الأنفال: الآية ٦٣.

(٩) سورة البقرة: الآية ١٠.

(١٠) سورة المائدة: الآية ١٣.

(١١) سورة الصف: الآية ٥.

(١٢) سورة النحل: الآية ١٠٨.

(١٣) سورة المطففين: الآية ١٤.

(١٤) سورة الكهف: الآية ٥٧.

٧ ـ الإقفال، ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[١].

٨ ـ الختم، ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[٢]

التعاليم:

١ ـ سعة الصدر أول شرط للنجاح في أي عمل، ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾.

٢ ـ بدل الخوف والهرب من المسؤوليات، علينا أن نطلب الإمكانات والمقدمات والوسائل اللازمة لها من الله تعالى، ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾.

٣ ـ الدعاء قبل أي عمل رمز التوكل، وهو يدفع الأخطار وآفات الطريق، وهو في نفسه عبادة وإعلام بالحاجة أيضاً، ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾.

٤ ـ إرشاد الناس وتربيتهم، والمواجهة مع الطواغيت ترتبط ارتباطاً تاماً بمدى صبر المجاهد والمربي وتحمله، ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾.

٥ ـ تبليغ الرسالة لا يتلاءم مع الشدة والخشونة، فالعمل العظيم يحتاج إلى روح كبيرة وعظيمة أي إلى سعة صدر كبيرة، ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾. (في إحدى النزاعات ضرب موسى عليه السلام بيده رجلاً فقتله ولهذا طلب من الله أن يشرح صدره).

٦ ـ دعاء الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم يبدأ بكلمة: ﴿رَبِّ﴾.

٧ ـ استقبال الألطاف الإلٰهيّة يتطلب روحاً كبيرة وصدراً مشروحاً، ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾.

٨ ـ مع سعة الصدر تصبح الأمور سهلة ميسرة، ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾.

٩ ـ بساطة الكلام وسلاسة البيان هما كمال، ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى﴾.

١٠ ـ في مقام هداية الناس، وتعبئتهم، وإثارة الحماس في قلوب المقاتلين، وإرعاب العدو، وتضعيف روحية الطواغيت... فإن للسان البليغ دوراً هاماً جداً، ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى﴾.

---

(١) سورة محمد: الآية ٢٤. (٢) سورة البقرة: الآية ٧.

١١ ـ الأساس تفهيم الناس لا مجرد إلقاء المصطلحات الرنانة والجميلة، ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾؛ فشرط النجاح في التبليغ أن يفهم الناس كلام المبلغ وخطابه.

١٣ ـ لا بد في التبليغ من الاستفادة من أي وسيلة تساهم في ترسيخ المعرفة عند الناس، ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾.

﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤)﴾

إشارات:

- «الوزير» من «الوزر» بمعنى الثقل، وإنما سمي الوزير وزيراً؛ لأنه يتحمل ثقل المسؤولية عن الأمير والملك. و«أزري» بمعنى «ظهري».
- ورد في التفاسير أن نبي الإسلام الأكرم ﷺ كان يكرر هذه الآيات مراراً ويقول: «**اللهم إن أخي موسى سألك فقال: رب اشرح لي صدري... واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي... اللهم وأنا نبيك وصفيك اللهم فاشرح صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً اشدد به ظهري**»[١].
- إن النبي موسى عليه السلام لم يكن عنده أي مشكلة في تلقي الوحي وإنما طلب الوزير من الله لأجل تَحَمُّل مسؤولية الرسالة وصعوبة تبليغها.
- كان هارون أكبر من موسى بثلاث سنين. ومات قبله بثلاث سنين أيضاً[٢]. وكان الأنبياء اللّاحقون كلهم من نسل هارون عليه السلام أجمعين.
- ذكر العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان أن حديث المنزلة الذي قال فيه النبي الأكرم ﷺ للإمام علي عليه السلام: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**» قد نقل عبر مئة طريق من طرق أهل السنّة وسبعين طريقاً من طرق الشيعة.

---

(١) تفسير الدر المنثور، وتفسير نور الثقلين. (٢) تفسير مجمع البيان.

□ طلب النصرة من الناس لا يتنافى مع التوكل على الله والاستعانة به وليس شركاً، ففي القرآن الكريم أشير مراراً إلى مسألة التعاون كما في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[1]، كما ورد على لسان عيسى عليه السلام أيضاً قوله: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[2]، أو كما في جواب الله تعالى لنبيه ﷺ إذ يقول له: ﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، أو كما في طلب ذي القرنين من الناس أن يعينوه في بناء السد إذ قال: ﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ﴾[4]، وفي هذا المقام أيضاً فإن موسى عليه السلام يطلب من الله إنساناً مناسباً ليعينه في أمره في تبليغ الدين.

التعاليم:

١ ـ لا يمكن لموسى عليه السلام أن يواجه وحده طاغوتاً كفرعون، ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا﴾.

٢ ـ كلما كان الأمر أكثر أهميّة فإن اختيار الوزير والمعين سيكون أكثر حساسية؛ لذا فإن الوزير الذي اقترحه موسى لا بد من طلبه من الله تعالى، ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا﴾.

٣ ـ إذا كان المساعد للإنسان من أهل بيته فهو أفضل[5]، ﴿مِّنْ أَهْلِى﴾.

٤ ـ القيادة أو الإدارة لا بد من أن تتمركز في شخص واحد، وأما الآخرون فيعينونه في أمره، ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى﴾.

٥ ـ التعاون أساس النجاح في ما إذا كان قائماً على أساس المشاركة في الفكر والإعانة وليس على أساس المقابلة، ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾.

٦ ـ التسبيح الواقعي يكون أثناء المواجهة مع الطاغوت، ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ... كَىْ نُسَبِّحَكَ﴾.

٧ ـ فلسفة الحكومة والسلطة إحياء المعنويات في المجتمع ونشرها، ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٢.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٥٢.
(٣) سورة الأنفال: الآية ٦٤.
(٤) سورة الكهف: الآية ٩٥.
(٥) بشرط أن تتوفّر الأهلية المطلوبة؛ ولذلك علّل موسى اختيار أخيه بقوله: ﴿...هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى﴾.

٨ ـ وظيفة الأنبياء ﷺ تنزيه الله عن الشرك والأوهام والخرافات، ﴿نُسَبِّحَكَ﴾.

٩ ـ المسؤولية الكبيرة تحتاج إلى تسبيح كثير، ﴿نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾.

١٠ ـ الصحيح هو البدء بتنزيه الله تعالى من كل عيب ونقص ومن ثم نذكره ونشكره، ﴿نُسَبِّحَكَ، وَنَذْكُرَكَ﴾.

١١ ـ ما له القيمة الكبيرة هو الذكر الكثير، وإلا فإن كل إنسان عند حلول الخطر والبلاء يذكر الله تعالى، ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾.

﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾

التعاليم:

١ ـ الأنبياء ﷺ يرون أنفسهم دائماً في محضر الله تعالى ويرضون بإرادته وما يختاره لهم، ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾.

٢ ـ وعلى الرغم من أن الله تعالى عالم ومحيط بكل شيء إلا أنه، ومع ذلك، لا بد من الدعاء والطلب منه، ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ... إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾.

٣ ـ إذا كان الطلب صحيحاً وفي موقعه وكان الدعاء خالصاً فالاستجابة قطعية بإذن الله، ﴿قَدْ أُوتِيتَ﴾.

٤ ـ عطاء الله يقوم على الحكمة وعلى أساس البصيرة، ﴿بِنَا بَصِيرًا... أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾.

٥ ـ عندما نكلِّف شخصاً ما بأي مهمة، فلا بد من أن نؤمن له كل ما يلزمه وما يريده، ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ... رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى... وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى... قَدْ أُوتِيتَ﴾.

٦ ـ النعم الإلٰهيّة كلها من باب الامتنان لا الاستحقاق، ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا﴾.

٧ ـ علينا ألا ننسى ونغفل عن ألطاف الله أبداً، ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾.

﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾

إشارات:

❑ المراد من الوحي ها هنا هو الإلهام والإلقاء في القلب وليس الوحي المصطلح

المختص بالأنبياء عليهم السلام؛ لأن الرسالة مختصة بالرجال كما ورد في قوله تعالى في سورة يوسف الآية (١٠٩): ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم﴾.

- «التابوت»[١] يعني الصندوق، و«اليم» البحر، وقد استعملت كلمة «اليم» في القرآن في ثمانية مواضع كلها في قصة النبي موسى عليه السلام.

- خلافاً لما هو المتعارف في أيامنا هذه من إطلاق «الصناعة» على صناعة البضائع والسلع المادّية، فإن القرآن الكريم، ومضافاً إلى مثل قوله: ﴿ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ﴾ استعمل الصناعة أيضاً في مورد تربية الإنسان: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾.

- إذا أراد الله أمراً هيّأ جميع مقدماته أيضاً: ففي هذا المقام، ومن أجل حفظ موسى عليه السلام ألهم أمه أن تقذفه في البحر، وأمر البحر بأن يلقي بالصندوق الحامل لهذا الطفل إلى الساحل، وألقى في قلب عدوه بأن يأخذه ويحبه حباً كبيراً.

- عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال « ...**وكان موسى لا يراه أحد إلا أحبه**»[٢].

- سر الوصول إلى الكمالات قطع القلب عن التعلقات والمحبوبات، ﴿ٱقۡذِفِيهِ﴾.

أ ـ قطع تعلق القلب بالنفس، النبي إبراهيم عليه السلام كان مستعدّاً لإلقاء نفسه في النار.

ب ـ قطع تعلق القلب بالزوجة؛ النبي إبراهيم عليه السلام أيضاً ترك زوجته في مكة حيث لا ماء ولا زرع.

ج ـ قطع تعلق القلب بالطفل؛ قذفت أم موسى ولدها في الماء.

د ـ قطع تعلق القلب بالولد الشاب؛ النبي إبراهيم عليه السلام كان مستعداً أيضاً لأن يضحي بابنه إسماعيل.

---

(١) المراد من التابوت في قصة طالوت وجالوت في الآية (٢٤٨) من سورة البقرة هو صندوق النبي موسى عليه السلام نفسه: ﴿أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾.

(٢) تفسير الأمثل.

هـ ـ قطع تعلق القلب بالشهوة؛ النبي يوسف عليه السلام لم يقبل مراودة زوجة عزيز مصر عن نفسها.

و ـ قطع تعلق القلب بالنوم؛ ثواب الصلاة في جوف الليل لا يعلمها إلا الله تعالى، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[1].

التعاليم:

١ ـ أحياناً يشمل الوالدين ـ بسبب أبنائهم ـ عنايةٌ ولطفٌ خاص من الله، ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾.

٢ ـ يمكن للمرأة أن تصل إلى مقام يسمح لها بتلقي الوحي والإلهام الإلٰهيين، ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ (مع أن هذا الوحي لا يعد من وحي الرسالة، إلا أنه أيضاً لا يعد إلهاماً بسيطاً بل هو إلهام إلهي ولهذا أسلمت أم موسى بتسليم ابنها لأمواج المياه).

٣ ـ لعبت النساء أيضاً دوراً هاماً في حركة الأنبياء عليهم السلام ونهضتهم، ﴿أُمِّكَ﴾.

٤ ـ البحر، وكما هو حال كل الوجود، تحت ظل الأمر الإلٰهيّ، ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾.

٥ ـ تكرار كلمة «عدو» يشير إلى عمق عداوة الطاغوت لرسل الله تعالى، ﴿عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾.

٦ ـ العدو قد يكون سبباً للخير إذا شاء الله تعالى، ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾.

٧ ـ المحبوبية من ألطاف الله تعالى، عندما تكون القلوب منه فإن المحبة أيضاً منه، ﴿مَحَبَّةً مِّنِّى﴾.

٨ ـ أولياء الله تعالى تحت نظر الله وفي ظل تربية خاصة منه تعالى، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾.

---

(١) سورة السجدة: الآية ١٧.

﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

إشارات:

- عندما أخذ فرعون الصندوق من الماء عزم ابتداء على قتل الطفل، إلّا أن زوجته صدته عن ذلك وأرسلت وراء المرضعات من أجل إرضاع الطفل، ولكنّ موسى لم يقبل ثدي أي واحدة منهن، وبالتالي عجز النظام الفرعوني عن تغذية الطفل، وكانت أخت موسى عليه السلام آثار تتقصّى أخيها، فتقدمت، وبكل حالتها العادية، وقالت لهم: أنا أعرّفكم على من يتقبل هذا الطفل ثديها!

  ومن خلال هذا الطريق أُرجع موسى إلى أحضان أمه.

- لعبت نساء عدة أدواراً هامة في حياة موسى وتاريخه ومبارزاته ومنهن: أم موسى، أخت موسى، زوجة موسى، وزوجة فرعون.

- أحياناً تتشابه حوادث حياة الأنبياء في ما بينها، وكمثال على ذلك فإن ما جرى مع النبي موسى عليه السلام يشبه حياة النبي يوسف عليه السلام من جهات عدة، ومن ذلك:

  أ ـ كلا النبيين عاشا مدة من الزمن في القصر.

  ب ـ الحياة في القصر لم تكن باختيار أي واحد منها.

  ج ـ ابتُلي والدا كلا النبيَّين بفراق ابنيهما.

  د ـ وفي الختام رجع كلا الولدين إلى والديهما.

  هـ ـ ابتلي كلا النبيين بفتنة الآخَرين، فالنبي يوسف عليه السلام ابتلى بفتنة أخوته وأما النبي موسى عليه السلام فإنه ابتلي بفتنة فرعون.

  و ـ في حياة كليهما كان لامرأة القصر دور معهما، إلّا أن دور زوجة عزيز مصر كان سلبياً، وأما دور زوجة فرعون فكان إيجابيّاً.

التعاليم:

١ ـ في نظام حاكمية الطاغوت لا بد لكل أنصار الحق، سواء أكانوا من الرجال أم من النساء، أن يقوموا بدورهم في المبارزة مع الطاغوت على أحسن وجه، ﴿تَمْشِىٓ أُخْتُكَ﴾.

٢ ـ لا بد من الحركة والسعي لأجل تلقي الألطاف الإلٰهيّة، ﴿أَوْحَيْنَآ... تَمْشِىٓ أُخْتُكَ﴾.

٣ ـ علينا أن نطرح مقترحاتنا الحقة والمنطقية بكل لين ولطف، ﴿هَلْ﴾.

٤ ـ علينا ألا نفشي الأسرار، ﴿مَن يَكْفُلُهُۥ﴾. ولم تقل «إلى أمه».

٥ ـ إرضاع الطفل فقط لا يكفي، بل المهم هو التكفل الكامل له، ﴿يَكْفُلُهُۥ﴾.

٦ ـ إن الله تعالى وفيٌّ بوعوده[1]، ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ... فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾.

٧ ـ حضانة الأم لولدها أفضل الوسائل والأساليب لنموه ورشده، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ... فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾.

٨ ـ لرضى الأم مكانة خاصة عند الله تعالى، ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾.

٩ ـ القلق هو من ردود الأفعال الطبيعية ولا يتنافى مع الإخلاص والعصمة، ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾. (كان موسى عليه السلام قد قَتَل قبطياً من غير عمد، ومع أنه لم يكن مذنباً في ذلك إلا أنه كان قلقاً ومغتماً لذلك).

١٠ ـ أولياء الله معرضون لابتلاءات صعبة، ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾. لا بد للأنبياء أيضاً من أن يتجرعوا مرارة الأحداث الصعبة والأليمة؛ لذا فإنه، وبعد حياة مديدة في القصر، يشرع موسى بالرعي في الصحراء، ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾.

١١ ـ تجاوز المراحل الصعبة في الحياة يُعدُّ مقدمة لبلوغ المقامات الإلٰهيّة والمعنوية، ﴿وَفَتَنَّٰكَ... ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾.

---

(١) عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال في جواب من سأله: كم مكث موسى غائباً عن أمه حتى رده الله عليها؟ قال: ثلاثة أيام». (تفسير نور الثقلين، ج٣، ص ٣٨٠).

١٢ ـ المسؤوليات والتوفيقات والألطاف الإلٰهيّة لها أجمع زمانها المقدر والمحسوب بدقة، ﴿جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ﴾.

﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾

إشارات:

- «الخشية» هي الخوف الناشئ من المعرفة والإحساس بعظمة الطرف المقابل.
- خص الله تعالى موسى عليه السلام ببعض التعبيرات الخاصة به:

أ ـ ﴿وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا﴾[١].

ب ـ ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾[٢].

ج ـ ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾[٣].

د ـ ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾.

- في الآيات السابقة ورد ذكر معجزتين للنبي موسى: تبديل العصا إلى أفعى واليد البيضاء، وفي هذه الآية يقول تعالى ﴿بِـَٔايَـٰتِى﴾ أي أننا سنعطيك معاجز أخرى.
- في الآية (٢٤) من هذه السورة قال الله تعالى لموسى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾، ولكن لما طلب موسى عليه السلام المعين له من الله تعالى واستجيب طلبه فإن الله تعالى يقول في هذه الآية: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾.
- عن عدي بن حاتم، وكان مع أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه، أن أمير المؤمنين عليه السلام قال في يوم التقى معاوية بصفين ورفع بها صوته ليسمع أصحابه: **والله لأقتلن معاوية وأصحابه** ثم يقول في آخر قوله: **إن شاء الله**، يخفض بها

---

(١) سورة مريم: الآية ٥٢.

(٢) سورة طه: الآية ١٣.

(٣) سورة طه: الآية ٣٩.

صوته وكنت قريباً منه فقلت: يا أمير المؤمنين إنك حلفت على فعلة ثم استثنيت فما أردت بذلك؟ فقال لي: «**إن الحرب خدعة وأنا عند المؤمنين غير كذوب؛ فأردت أن أحرض أصحابي عليهم كيلا يفشلوا وكي يطمعوا فيهم، فأفقههم ينتفع بها بعد اليوم إن شاء الله، وأعلم أن الله جل ثناؤه قال لموسى عليه السلام حيث أرسله إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ وقد علم أنه لا يتذكر ولا يخشى؛ ولكن ليكون ذلك أحرص لموسى على الذهاب**»[(١)].

التعاليم:

١ ـ من أجل الأهداف الكبرى لا بد من تربية بعض الأفراد لذلك، ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾.

٢ ـ أعد الله تعالى للأنبياء عليهم السلام برامج خاصة، ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾.

٣ ـ يجب إعداد النفس أولاً ومن ثم إعداد المجتمع، ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ... ٱذْهَبْ﴾.

٤ ـ إذا كان الواحد منا مديراً مثلاً وأراد أن يرسل شخصاً ما في مهمة فعليه أن يملأ روحه بعشق المسؤولية والإحساس بالفخر والحماس، ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى... ٱذْهَبْ﴾.

٥ ـ أحياناً يجب إحضار الآخرين إلينا، ﴿وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾[(٢)]، ولكن في أحيان أخرى لا بد لنا من الذهاب إليهم، ﴿ٱذْهَبَآ﴾.

٦ ـ في بعض المراحل والأوقات لا ينبغي أن يكون المرسل وحامل الخطاب رجلاً واحداً، ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ﴾.

٧ ـ ينبغي للمبلغ أن يكون مجهزاً بوسائل الإرشاد، ﴿بِـَٔايَٰتِى﴾.

٨ ـ يجب على المبلغ أن يكون شجاعاً، حازماً، وغير قابل للاختراق، ﴿وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾؛ تَغُرّه القصور، والسلطة، وهيبة الطاغوت، فيصده ذلك عن القيام

---

(١) الكافي، ج٧، ص ٤٦٠. (٢) سورة النمل: الآية ٣١.

بمهمته، ويغفل عن ذكر الله، ويتخلّى الصراحة اللازمة في الخطاب.

٩ ـ رمز نجاح الإنسان التوجه الكامل والدائم نحو الله تعالى، ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾.

١٠ ـ التبليغ، والإرشاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، كلها ذكر وتذكير بالله تعالى، ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾.

١١ ـ من أكبر أهداف الأنبياء ووظائفهم مواجهة الطاغوت ورفع الموانع عن طريق عبادة الله تعالى، ﴿اذْهَبَ... إِنَّهُ طَغَىٰ﴾.

١٢ ـ الخطوة الأولى في مقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي القول اللين والبيان اللطيف، ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾.

١٣ ـ كل الآمال في اللين واللطف ولا يُنتظر أي شيء من الخشونة والقسوة، ﴿قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ...﴾.

١٤ ـ الشروع في التربية والإرشاد يجب أن يكون عبر طريق المكالمة الودية[1]، ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾؛ وحتى مع أكثر الناس طغياناً لا بد من الكلام معه ابتداء باللين واللطافة.

١٥ ـ علينا ألا نيأس أبداً من إمكان هداية الآخرين، ﴿لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ...﴾.

١٦ ـ من واجبات النبي عليه السلام التذكير والإرشاد، ﴿يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾.

﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾
قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾

إشارات:

□ «يفرط» من مادة «فرط» أي السبق والعجلة، كان موسى وهارون قلقين من أن هذا الرجل القوي المتغطرس المستكبر الذي عمَّ رعبُه وخشونتُه كل مكان قد

---

(١) يقول الله تعالى أيضاً مخاطباً نبيه الكريم ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (سورة آل عمران: الآية ١٥٩).

يقدم على عمل قبل أن يبلغ موسى وهارون عليهما السلام الدعوة ويهلكهما لذلك قالا: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾(١).

□ المذموم في حق الأنبياء عليهم السلام هو الخشية والخوف القلبيَّين من غير الله، وإلا فإن الخوف الطبيعي لازم إنسانيّة هذين النبيين العظيمين، وبالتالي فإنهما من الناس وكل إنسان يخاف من الأخطار المحدقة به.

التعاليم:

١ ـ تحليل المشكلات والموانع المحتملة والخوف من المستقبل والفشل ودراستها، كل ذلك لا يتنافى مع الإخلاص ومقام النبوة، ﴿إِنَّنَا نَخَافُ...﴾.

٢ ـ نشر الشائعات من أساليب الطغاة والظالمين؛ إذ إنهم ينشرون سمومهم ويتهمون أولياء الله لإبعاد الناس عنهم، أو أنهم بعد سماعهم الحق منهم يعمدون إلى إثارة الفتن والمشاكل لئلا يؤثر كلامهم الحق في الناس، ﴿يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾.

٣ ـ الإيمان بالحضور في محضر الله واليقين بالنصرة الإلٰهيّة يزيدان في شجاعة المؤمنين وشحذ هممهم، ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾.

٤ ـ إذا كلَّفتم أي شخص بأي مهمة، فلا بد لكم من تأمين كل ما يلزمه وتشجيعه على ذلك، ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾.

٥ ـ على الرغم من أن كل الناس تحت نظر الله ورحمته إلا أنه أكثر لطفاً في حق الأنبياء عليهم السلام، ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾.

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾

إشارات:

□ حيث إن إرشاد رؤوس الظلم والتبليغ فيهم والعمل على هدايتهم من الأعمال

---

(١) تفسير الأمثل.

الصعبة جداً والهامة كذلك؛ لذا فإن الله تعالى كرر الأمر بالتحرك نحو فرعون والذهاب إليه: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ، ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ، ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ، فَأْتِيَاهُ﴾.

- أشير في هذه الآيات إلى الأصول العقدية الثلاثة؛ أي التوحيد والنبوة والمعاد: ﴿رَبِّكَ، أُوحِيَ إِلَيْنَآ، أَنَّ ٱلْعَذَابَ﴾.

- نظم الله تعالى البرنامج العملي لمهمة النبي موسى وخليفته هارون عليهما السلام ضمن خمسة مراحل:

أ ـ الذهاب، ﴿فَأْتِيَاهُ﴾.

ب ـ الخطاب، ﴿فَقُولَآ﴾.

ج ـ البينة، ﴿جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ﴾.

د ـ الترغيب، ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾.

هـ ـ الترهيب، ﴿أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾.

التعاليم:

١ ـ يجب أن تكون الأعمال الإرشادية والتبليغية إبداعية وتأسيسية، فاعلة لا منفعلة وردة فعل، ﴿فَأْتِيَاهُ﴾.

٢ ـ رسالة الأنبياء من شؤون ربوبيّة الله تعالى، ﴿رَسُولَا رَبِّكَ﴾.

٣ ـ حطموا غرور المستكبرين، ﴿رَبِّكَ﴾؛ في مقابل من يقول: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[1].

٤ ـ لا يتنافى الكلام الليّن واللطف مع الحزم والصراحة، ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾.

٥ ـ تحرير بني الإنسان من ظلم الطاغوت والعبودية كان على رأس سلم وظائف الأنبياء عليهم السلام، ﴿أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾. (نعم إن الدين لا ينفك عن السياسة فمواجهة الطواغيت وتحرير الناس من الأوامر الإلٰهيّة).

---

(١) سورة النازعات: الآية ٢٤.

٦ ـ الهجرة من محيط الظلم والذنوب مقدمة للنجاة.

٧ ـ مواجهة الطواغيت وتحرير الناس إنما يكونان ذوي قيمة كبيرة ومن كل النواحي فيما إذا كانا في خط الأنبياء، ﴿أَرْسِلْ مَعَنَا﴾.

٨ ـ ممنوع أذية الناس وتعذيبهم، ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾.

٩ ـ أعمال المأمورين تسجل على حساب آمرهم، ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾؛ إذ إن فرعون لم يكن هو نفسه في الخارج المعذب لكل فرد من بني إسرائيل.

١٠ ـ السلام ممنوع على الطواغيت، والظالمين، والمنحازين عن طريق الهداية، ﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾.

١١ ـ المهم إنما هو اتّباع الحق، ﴿اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾.

١٢ ـ السلام في نهاية الخطاب من آداب الكلام، ﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ...﴾.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ (٥١)﴾

إشارات:

□ «البال» في الأصل بمعنى «الفكر» ويستعمل بمعنى «الحال».

□ ما كان يدّعيه فرعون هو الربوبيّة وليس الخالقية، وهو نفسه كان يدّعي الإيمان بآلهة، ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾[1]، كذلك فإن سائر الكفار يعتقدون بأن «الله» هو الخالق، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ... لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[2].

وبناء عليه فإن فرعون ادعى لنفسه القيادة والحاكمية المطلقة ولهذا فإن موسى عليه السلام قال في جوابه: إن الخالق والمدبر والحاكم لهذا الوجود هو واحد.

□ كل الأنبياء عليهم السلام دعوا الناس إلى التوحيد واعتقدوا أن الطريق الأوحد للكمال والهداية هو من قبل الله تعالى، فالنبي إبراهيم عليه السلام قال: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٢٧. (٢) سورة العنكبوت: الآية ٦١.

﴿يَهۡدِينِ﴾[1]، وقال النبي موسى عليه السلام: ﴿أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[2]، وقال النبي محمد صلى الله عليه وآله: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[3].

□ قيادة الحركة والمواجهة كانت بيد موسى عليه السلام، ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾، فعلى الرغم من أن موسى وهارون عليهما السلام قد ذهبا إلى فرعون وقد سألهما ابتداء «من ربكما»، إلّا أن موسى لما كان هو القائد فإن فرعون، بلا فصل، أضاف قائلاً «يا موسى».

التعاليم:

١ ـ مورد الدعوى والنزاع إنما كان في ربوبيّة الله وليس الخالقية، ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا﴾.

٢ ـ النَفَس الاستكباريُّ والغرور الطاغوتي ظاهران حتى في كلام فرعون وأسلوب تساؤله؛ إذ إنه، وبدل أن يقول «من ربي»، قال لهما: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا﴾.

٣ ـ ليس لنا على الله شيء، بل إن كل ما هو موجود إنما هو من عطائه، ﴿أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ﴾.

٤ ـ الإله واحد، فهو الخالق وهو الذي بيده الهداية التكوينية، ﴿أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ (نعم إن الله تعالى بعد أن خلق المخلوقات أودع في كل شيء خَلَقَهُ ما يُديمُ حياته ويصل به إلى كماله، ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾).

٥ ـ إن الله تعالى أعطى كل موجود الخلقة الكاملة له والخصائص المتناسبة معها، ﴿خَلۡقَهُۥ﴾.

٦ ـ هداية الله تعالى من لوازم الربوبيّة الإلٰهيّة، ﴿رَبُّنَا... ثُمَّ هَدَىٰ﴾.

٧ ـ الربوبيّة حق من كان هو الخالق ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ﴾.

٨ ـ كل الموجودات مشمولة بالهداية الإلٰهيّة؛ إذ إن تمام القوانين الحاكمة على عالم الوجود والغرائز المودعة في بني الإنسان والحيوانات تعد كلها من الهداية الإلٰهيّة، ﴿خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾.

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٧٨.

(٢) سورة طه: الآية ٥٠.

(٣) سورة الأعلى: الآيتان ٢ و٣.

٩ ـ أمام المنطق لا ينبغي الاستناد إلى سيرة الآباء والأسلاف، ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾، فالنبي موسى عليه السلام تكلم كلاماً منطقياً استدلالياً ولكن فرعون حرف مسير البحث والمناورة إلى التاريخ ساعياً من وراء ذلك إلى إثارة عواطف الناس، ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾.

﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾

إشارات:

□ عندما سأل فرعون عن حال الأقوام السالفين والأموات، فإن النبي موسى وعلى الرغم من استطاعته أن يجيبه بالتفصيل على ما سأله، إلا أنه كان يعلم مدى تحسس الناس وغيرتهم تجاه آبائهم وأسلافهم؛ لذا فإنه في الجواب تكلم بنحو عام ومجملٍ، محيلاً علمَ ذلك إلى الله تعالى وليكون بذلك أيضاً قد عمل بمقتضى التوجيه الإلٰهيّ، ﴿قَوْلًا لَّيِّنًا﴾؛ ولكي لا يعطيهم أي ذريعة للرد والإشكال عليه.

التعاليم:

١ ـ إن الأنبياء عليهم السلام لا يعلمون كل شيء أو أنهم لا يرون المصلحة في قول ما يعلمونه؛ لذا فإنهم ينسبون علمهم إلى الله تعالى، ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾.
٢ ـ يجب أن يكون المربي كَيِّساً فطناً يجيب أحياناً بنحو كلّيّ أو يختار السكوت وعدم الجواب؛ لئلا ينحرف البحث والحوار عن مسيره أو يصبح مستمسكاً عند العدو ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾.
٣ ـ في النظام الإلٰهيّ لكل شيء حساب ولكل شيء كتاب، ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾.
٤ ـ كتاب الله عظيم وكبير جداً. «كتاب» ورد بصيغة النكرة.
٥ ـ لا سبيل للخطأ إلى علم الله تعالى، ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾؛ (السهو والخطأ إنما يصحان في مورد الذين لا علم لهم بالواقعيات، وأما في مورد الإله الذي يعلم ظاهر كل شيء وباطنه كما هو فلا مجال لاحتمال وجود الخطأ أبداً).

٦ ـ لعلم الإنسان آفتان: إما أن يفهم بشكل مشتبه ابتداء فيضيع الحقيقة، وإما أن ينسى بعد أن يفهم، وأما علم الله تعالى فمنزه عن مثل هذه الآفات، ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾.

٧ ـ من له حق الربوبيّة هو من لا سبيل للانحراف والنسيان إليه، ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾﴾

إشارات:

□ جملة «سلك لكم» يمكن تفسيرها على نحوين:

أ ـ جعل الله لكم في الأرض طرقاً وسبلاً لتسلكوها.

ب ـ جعل لكم سبل كسب الرزق[١].

□ قال النبي موسى عليه السلام لفرعون معرفاً إلهه: إن ربي الذي خلق كل شيء ومن ثم هداه، وفي هذه الآيات أشار إلى نماذج من الهداية الإلٰهيّة في الطبيعة: جعل الأرض مهداً لراحة الإنسان، جعل السبل الأرضية لارتباط المناطق المختلفة واتصالها في ما بينها، وإنزال المطر وإخراج النبات بناء على قانون الزوجية.

□ بالإمكان معرفة النعم الإلٰهيّة بشكل أفضل عندما نفرض خلافها: مثلاً لو كانت هذه الأرض ذات حركة بطيئة أو أسرع مما هي عليه الآن، ولو لم ينزل المطر أو لم تقدر الأرض على جذبه، ولو لم يكن فيها مجاري وينابيع، ولو... فهل ستكون مثل هذه الأرض حينها «مهداً»؟!

التعاليم:

١ ـ الله سبحنه أقر الإنسان في الأرض يحيا فيها حياة أرضية ليتخذ منها زاداً

---

(١) تفسير راهنما.

لحياته العلوية السماوية، كالصبي يقر في المهد ويُربَّى لحياة هي أشرف وأرقى[(١)]، ﴿مَهْدًا﴾.

٢ ـ الأرض مهد الإنسان تؤمن له كل ما يحتاجه وتحمله حياً وميتاً وهي مسخرة له بأمر من الله تعالى، ﴿مَهْدًا﴾.

٣ ـ خلق الأرض ضمن شرائط محددة ذو أهداف ولخدمة الإنسان، ﴿جَعَلَ لَكُمُ... وَسَلَكَ لَكُمْ﴾.

٤ ـ نظام الخلق قائم على أصل العلّيّة والسبب والمسبب، ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾.

٥ ـ قانون الزوجية في النباتات من المعاجز العلمية المذكورة في القرآن الكريم[(٢)]، ﴿أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ...﴾.

﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾

إشارات:

❑ «النهى» جمع «نُهْية» بالضم ثم السكون وهو العقل، وهي مشتقة في الأصل من مادة «نهى» بمعنى الامتناع و«أولي النهى» تعني أصحاب العقول، وسمى العقل «النهى» لنهيه عن اتّباع الهوى[(٣)].

❑ سئل النبي الأكرم ﷺ عن «أولي النهى» من هم؟

فقال في الجواب: **«هم أولو الأخلاق الحسنة، والأحلام الرزينة، وصلة الأرحام، والبررة بالأمهات والآباء، والمتعاهدون للفقراء، والجيران، واليتامى، ويطعمون الطعام، ويفشون السلام في العالم، ويصلون والناس نيام غافلون»**[(٤)].

❑ عن أمير المؤمنين عليه السلام أن سر السجدتين في الصلاة فيه إشارة إلى هذه الآية؛

---

(١) تفسير الميزان.
(٢) تفسير الميزان.
(٣) تفسير الميزان.
(٤) تفسير نور الثقلين.

إذ ورد في رواية أن رجلاً سأله: «ما معنى السجدة الأولى؟ فقال عليه السلام: **تأويلها اللهمّ إنك منها خلقتني يعني من الأرض. ورفع رأسك: ومنها أخرجتني، والسجدة الثانية: وإليها تعيدنا ورفع رأسك من الثانية: ومنها تخرجنا تارة أخرى**»[1].

التعاليم:

١ ـ خلق النباتات له علل وأهداف أيضاً، ﴿نَبَاتٍ شَتَّىٰ، كُلُوا وَارْعَوْا﴾.

٢ ـ التنوع في النباتات إنما هو لتنوع الحاجات إليها، ﴿نَبَاتٍ شَتَّىٰ، كُلُوا وَارْعَوْا﴾.

٣ ـ خلق الله الدواب لأجل الإنسان، ﴿أَنْعَامَكُمْ﴾.

٤ ـ الاستفادة من المادّيات ينبغي أن لا تغفلكم عن ذكر الله، ﴿كُلُوا...﴾.

٥ ـ الأرض هي منشأ وجود الإنسان وأصل خلقته، ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾.

٦ ـ التفكر في الطبيعة أحد طرق معرفة الله، ﴿لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ﴾.

٧ ـ وجود العقل مهمّ والأهم منه الاستفادة منه واتباعه، ﴿لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ﴾.

٨ ـ يجب دفن الإنسان في الأرض، ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾.

٩ ـ المعاد جسماني، ﴿نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾
قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٥٧﴾﴾

التعاليم:

١ ـ إن الله تعالى أتمّ الحجة أيضاً حتى على فرعون وأمثاله، ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا﴾.

٢ ـ بعض المنكرين كان يكفيهم معجزة واحدة، وأما بالنسبة إلى طاغوت كفرعون، فلا بد من أن يُرى معاجز متعدّدة، ﴿أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا﴾.

---

(١) بحار الأنوار، ج٨٥، ص ١٣٢.

٣ ـ عندما يصبح الإنسان مريض القلب والروح فلا يمكن لأي دليل أن يقنعه، ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾. كما يقول الله تعالى عن الشيطان في الآية (٣٤) من سورة البقرة: ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾.

٥ ـ يُسيء الطواغيت، عند شعورهم بالعجز، الاستفادة من عواطف الناس وعاطفة حب الوطن لإثارة عواطفهم ومشاعرهم، ﴿لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾.

٦ ـ تهمة أولياء الله وإيجاد سوء الظن بهم من جملة وسائل الاستكبار والمستكبرين، ﴿لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾.

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾﴾

إشارات:

□ من أهم إنجازات النبي موسى عليه السلام أنه استطاع تحويل يوم عيد وطني إلى يوم اجتماع هادف وعظيم، وقام بعمل عظيم أدى إلى أن يغير جميع السحرة فكرهم وعقيدتهم عند رؤيتهم للمعجزة.

التعاليم:

١ ـ التحقير والاستهزاء والاتهام وتبسيط الحوادث الهامة والكبرى من أساليب الطغاة، ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾.

٢ ـ أحياناً، وعلى الرغم من إحساس بعض بالفراغ والعجز باطناً، إلا أنهم يتظاهرون بالحزم والقدرة والقوة، ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ...﴾.

٣ ـ إذا وعدنا حتى عدونا فيجب علينا الوفاء بوعودنا، ﴿مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ﴾.

٤ ـ العدالة والإنصاف حتى مع عدونا من الأمور الحسنة، ﴿مَكَانًا سُوًى﴾. (كانت المسافة إلى مكان ذلك الموعد واحدة لكلا الطرفين ولم يتميز أحدهما عن الآخر بشيء).

٥ ـ علينا الاستفادة من أيام الفراغ (التعطيل) بأفضل وجه ممكن، ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾.

٦ ـ إذا كان الإرشاد مصاحباً للجمال والزينة والسرور فسيكون أكثر تأثيراً، ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾.

٧ ـ قضيّة العيد والزينة لهما سابقة تاريخية قديمة، ﴿يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾.

٨ ـ البحوث المنطقية والحرة يجب أن تكون في حضور الناس، ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾.

٩ ـ علينا ألا نغفل عن دور عنصري الزمان والمكان في التبليغ، ﴿يَوْمُ ٱلزِّينَةِ...﴾.

(جمعت أمور عدة في تبليغ النبي موسى عليه السلام في ذلك الموعد؛ فمضافاً إلى يوم عطلة الناس ﴿يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾، وإمكان وصولهم إليه ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ كذلك وجود الضوء ولطافة الهواء ﴿ضُحًى﴾).

١٠ ـ إن أعداء الحق يسعون لاستغلال أول فرصة ممكنة من أجل القضاء على الحق وطمسه، ﴿فَتَوَلَّىٰ... فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾﴾

التعاليم:

١ ـ الاعتقاد بكون المعجزة سحراً افتراء على الله تعالى، ﴿لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

٢ ـ قبل الإتيان بالمعجزة لا بد من إنذار الناس وتنبيههم فالنبي موسى عليه السلام قال أمام الملأ من الناس: ﴿لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

٣ ـ المفتري على الله، مضافاً إلى خسرانه وخيبته في الدنيا فإنه في الآخرة سيجازى ويعذب، ﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾.

٤ ـ بالكذب والافتراء لن نصل أبداً إلى أي نتيجة، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾.

٥ ـ من صارع الحق صرعه[١]، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٥٨.

٦ ـ عليكم أن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر، ولو لم يؤثر ذلك في بعض الناس فإنه سيزرع الشك عند الآخرين على الأقل، ﴿لَا تَفْتَرُوا... فَتَنَازَعُوٓا أَمْرَهُم...﴾.

٧ ـ الأعداء يخفون خلافاتهم في ما بينهم، ﴿فَتَنَازَعُوٓا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ﴾.

﴿قَالُوٓا إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾

إشارات:

- إن للحكام وللمسؤولين دوراً هاماً في اعتقادات الناس وأفكارهم، فكما إن فرعون نفسه في الآية (٥٧) قال لموسى إنك تريد أن تخرجنا من أرضنا بسحرك، كذلك فإن أنصاره وأتباعه قالوا في هذه الآية مقالته نفسها.
- في منطق رجال الله فإن النصر والفلاح للمتقين، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾[1]، وأما شعار ذوي السلطة والهيمنة والاستعلاء على الآخرين فقد كان: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ﴾.

التعاليم:

١ ـ إن الطواغيت، ومن أجل إثارة الناس ضد رجال الله، فإنهم يصفونهم بأنهم عناصر دخيلة على المجتمع ومخالفة للتقاليد الوطنية، ﴿يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم... وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ﴾.

٢ ـ المالكية إرادة طبيعية، والناس يواجهون كل من يتجاوزها، ﴿يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم﴾. (حب الأوطان أمر فطري ومراد كل الناس).

٣ ـ الاتحاد سر القوة والنصر، والاختلاف سر السقوط والهلاك، ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾. استدعى أنصار فرعون كل أتباعهم والمشاركين لهم في الفكر والعقيدة إلى الاستفادة من كل حيلة ووسيلة.

---

(١) سورة الأعلى: الآية ١٤.

٤ ـ النظم يبعث على الهيبة في قلوب الأعداء، ﴿صَفًّا﴾.

٥ ـ إن الأعداء يوحدون أهدافهم وينسقون تحركاتهم في سبيل القضاء على الحق ﴿أَجْمِعُوا...﴾.

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾

إشارات:

- «الحبال» جمع حبل، و«العصي» جمع «عصا».
- «أوجس» مشتقة من «وجس» بمعنى الصوت الخاف، و«الإيجاس» يطلق على ما يخفى من الباطن.
- فسَّر الإمام علي عليه السلام في الخطبة السادسة من نهج البلاغة قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً﴾ بأن موسى عليه السلام لم يوجس خيفة على نفسه، بل أشفق من غلبة الجهال ودول الضلال (أي أن خوف موسى كان من تأثر الناس الجاهلين بالسحر).

التعاليم:

١ ـ علينا إعطاء المخالفين الحرّية في العمل ومن ثم نرد عليهم بأجوبة محكمة ومنطقية، ﴿أَلْقُوا﴾.

٢ ـ الإجازة بإلقاء الشبهات من أجل الرد عليها ورفع الإشكالات لا مانع منها ﴿أَلْقُوا﴾.

٣ ـ السحر لا يغير حقيقة الأشياء؛ بل هو أوهام تؤثّر في إدراك الإنسان، ﴿يُخَيَّلُ﴾.

٤ ـ لا ينبغي بالقائد أن يظهر قلقه أمام عدوه، ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ﴾.

٥ ـ الأنبياء، كسائر الناس، لديهم حالات ونفسيات متفاوتة، ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ﴾.

﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٦٨ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۝٧٠﴾

إشارات:

- ما إن علم السحرة أن ما قام به موسى عليه السلام ليس سحراً وقعوا سجداً لله... وكانوا أول النهار سحرة وفي آخره شهداء بررة... وإنما قالوا، : ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ ولم يقصروا على قولهم «رب العالمين»؛ لأن فرعون ادعى الربوبيّة والألوهيّة، فلو قالوا ذلك فحَسْب، لقال فرعون: آمنوا بي، وإنما لم يقتصروا على ذكر موسى بل ذكروا هارون وقدموه عليه خوفاً من هذه الشبهة أيضاً؛ إذ إن فرعون كان يدعي ربوبيته لموسى لأنه رباه في صغره...[١].
- وعد الله تعالى نبيه بأنه الأعلى دون شرط فقال له ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، ولكنه اشترط على المؤمنين الوفاء بشرط الإيمان في وعده لهم بأنهم الأعلون إذ قال: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٢]، والسبب في ذلك أن الأنبياء أوفياء لله وأما المؤمنون فمن الممكن أن لا يفوا بشرطهم؛ ولذا فإن الله تعالى قال لهم أنتم الأعلون إن وفيتم بشرط الإيمان.

التعاليم:

١ ـ كلما كان القلق كبيراً فإنه يتطلب مزيداً من التأييد والتأكيد، ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[٣].

٢ ـ التلقين باعث على تقوية الروحية، ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

٣ ـ يجب أن يكون الجواب متطابقاً مع كلام المُجادل؛ ولذا يجب أن نتكلم بلسانه ومقولته، قال فرعون: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

---

(١) تفسير المراغي. (٢) سورة آل عمران: الآية ١٣٩.

(٣) الآيتان بحرف التأكيد «أن»، وتكرار ضمير الخطاب المتصل والمنفصل «ك وأنت»، مضافاً إلى كلمة العلو في قالب «الأعلى»، والجملة الاسمية، كل ذلك تأييد في مقابل كل ذلك القلق.

٤ ـ الحق يزهق الباطل، ﴿...تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا﴾؛ ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[1].

٥ ـ لم يفلح السحرة في زمن موسى وليس هم وحدهم فحسب، بل إن كل السحرة في التاريخ لا يفلحون، ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ﴾[2].

٦ ـ الإنسان السليم وغير المعاند عندما يتضح له الحق يسلِّم به فوراً، ﴿فَأُلْقِىَ﴾؛ (وكأنهم أجبروا من باطنهم على السجود).

٧ ـ الإنسان موجود بإمكانه في لحظة واحدة أن يقوم بالتصميم على تغيير عقيدته ورؤيته، ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ﴾.

٨ ـ باب التوبة مفتوح أمام الجميع، التوبة من الشرك إيمان بالله، ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ﴾. ينبغي علينا ألا نحكم بالسوء على كل إنسان منحرف فربما يتوب إلى الله.

٩ ـ الناس أحرار في اختيار معتقدهم وليسوا مجبرين على ما في بيئتهم، ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ﴾.

١٠ ـ السجود من آثار اليقين فلا إيمان دون سجود، ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾.

١١ ـ أظهر السحرة في جملة واحدة إيمانهم بالتوحيد والنبوة، ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ (لا يعرف الذهب إلا الصائغ ولا يعرف قيمة الجوهرة إلا الجواهري).

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾

إشارات:

□ تقدم في الآية (٦١) تهديد موسى للفرعونيين بالعذاب، ﴿لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾، وفي هذه الآية فإن فرعون نفسه يقول لهم: ستعلمون أيُّنا أشد عذاباً.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٨١.

(٢) الألف واللام في كلمة «الساحر» تفيد العموم.

التعاليم:

١ ـ إذا شاء الله يصبح العدو سبباً للخير، ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ﴾. لقد جمع فرعون كل السحرة من أجل إزهاق الحق إلا أنهم اهتدوا جميعاً على يد موسى عليه السلام.

٢ ـ في النظام الطاغوتي يسود التسلط ويُحرَم الناس حتى من حرّية المعتقد، ﴿ءَامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾.

٣ ـ التهديد والتهمة أسلوب عمل الطواغيت، ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ﴾.

٤ ـ الأنبياء عليهم السلام يعملون على روح الإنسان وأما الطواغيت فينتقمون من الأجسام، ﴿لَأُقَطِّعَنَّ﴾، وهم غافلون عن أن القتل والتعذيب لا يمكنهما أن يغيرا عقائد الناس.

٥ ـ الظالمون المغرورون يظنون أنفسهم خالدين، ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾.

﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾

إشارات:

- «الخطايا» جمع «خطيئة» وهي الذنب على عمد[١].
- المراد من قولهم: ﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾ أننا نستغفر الله على الخطايا التي أجبرتنا عليها وعلى ما أكرهتنا من السحر والمراد بالإكراه على السحر هو إحضار السحرة ليقوموا بالسحر خدمة له[٢].
- إن من يضحي بنفسه في سبيل الهدف الإلٰهيّ يرشد في كل لحظة أكثر فأكثر من ذي قبل: فالسحرة، في هذه الآيات، عبروا بثلاث تعابير عن الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾، ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّنَا﴾، و﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾.

---

(١) لسان العرب.

(٢) إذا كان الإكراه بنحو يسلب معه اختيار الإنسان فلا مورد فيه للعذر والاستغفار، وبناء عليه فإن استغفار السحرة مما أكرهوا عليه يشير إلى أنّ إكراه فرعون لهم لم يكن بالحد السالب للاختيار.

□ في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**وَمَنْ ذَهَبَ يَرَى أَنَّ لَهُ عَلَى الْآخَرِ فَضْلًا فَهُوَ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِين**»[1].

فقلت له: إنما يرى أن له عليه فضلاً بالعافية إذا رآه مرتكباً للمعاصي؟ فقال: «**هيهات هيهات فلعله أن يكون قد غفر له ما أتى وأنت موقوف محاسب. أما تلوت قصة سحرة موسى عليه السلام**» ثم قال: «**كم من مغرور بما قد أنعم الله عليه، وكم من مستدرج بستر الله، وكم من مفتون بثناء الناس عليه...**»[2].

التعاليم:

١ ـ الناس أحرار في العقيدة والإيمان ولهم حق الاختيار ولا يمكن تغيير معتقداتهم بالتهديد والترهيب والترغيب، ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ... وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ... لَن نُّؤْثِرَكَ﴾.

٢ ـ علينا أن نؤيس الأعداء منا، ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ﴾.

٣ ـ الإيمان يهب الإنسان قوة وجرأة، فالسحرة بعد إيمانهم قالوا لفرعون: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ﴾.

٤ ـ الإيمان إنما يكون ذا قيمة إذا كان على أساس المنطق والبصيرة، ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾.

٥ ـ المستكبرون في نظر أهل الإيمان الواقعيين حقراء لا قيمة لهم، ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ﴾.

٦ ـ علامة الإيمان الواقعي الاستعداد للتضحية بالنفس وبكل شيء في سبيل الدفاع عن القيم الإلهيّة، ﴿مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ... فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾.

٧ ـ من لا إيمان له يغتر ويخدع بهدايا الطاغوت، ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾؛ وأما المؤمن فإنه يرى كل شيء غير الله صغيراً ولا قيمة له، ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾.

٨ ـ أول خطوة لتحصيل عفو الله ومغفرته الإيمان به، ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا﴾.

٩ ـ السحر خطيئة يجب التوبة منها، ﴿لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا... مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾.

١٠ ـ الطواغيت يسيئون الاستفادة من اختصاصات الناس، ﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾.

---

(١) الكافي، ج ٨، ص ١٢٨.
(٢) الكافي، ج٨، ص ١٢٨.

١١ ـ عاملوا عدوكم بمثل ما يعاملكم به، قال فرعون: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾؛ وقال السحرة له بعد إيمانهم: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾.

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾

إشارات:

- بعد أن آمن السحرة بالله قالوا لفرعون: إن عذابك وقتلك ليس إلا في أيام معدودات من هذه الدنيا، وأما عذاب الله أو لطفه فهما دائمان أبداً، فأهل النار هم في النار أبداً، ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾، وأهل الجنّة في الجنّة خالدون فيها أبداً، ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ... خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾.
- حتى لو دخل المؤمن في الجنّة، إلّا أن لها درجات، وكسب هذه الدرجات يرتبط بمقدار تزكيته للنفس؛ فلا بد له من السعي وتطهير نفسه وتزكيتها من جميع النواحي ومن كل الملوثات التي تلوثت بها، كتزكية الروح من العقائد المنحرفة، وتزكية الأخلاق من الرذائل الأخلاقية، وتزكية الجسم من الخبائث، وتزكية الأعمال والسلوك من القبائح.

التعاليم:

١ ـ من لا يتوب إلى الله فسيحشر مجرماً، ﴿مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾. (قال السحرة: نحن آمنا بالله ليتوب علينا وليغفر لنا، ومن ثم قالوا إن كل من يأتي إلى ربه مجرماً أي دون إيمان وتوبة عما فعل في سالف أيامه فإن جهنم مقامه).

٢ ـ الأسوأ من الذنب الموت عليه، ﴿يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾.

٣ ـ يجب على الإنسان أن يحافظ على إيمانه إلى آخر عمره، ﴿يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا﴾.

٤ ـ الإنسان حر مختار في عقيدته، ﴿مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا... وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا﴾.

٥ ـ لا ينفك الإيمان عن العمل الصالح، ﴿مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

٦ ـ المؤمن الواقعي هو الفاعل لكل عمل صالح، ﴿عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

٧ ـ للجنة عدد من المراتب والدرجات، ﴿ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾.

٨ ـ التزكية مفتاح الجنّة، ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾.

٩ ـ المؤمن من أهل السير والسلوك والتزكية، ﴿مُؤْمِنًا... لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ... جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾

إشارات:

□ عندما آمن السحرة وأهل مصر بموسى عليه السلام ولم يخافوا تهديدات فرعون فتح أمامهم طريق المدد الإلٰهيّ، ولهذا خوطب موسى عليه السلام أن أخرج الناس ليلاً من مصر فقد أيبسنا لك طريق البحر وأبعدنا عنك شر فرعون[1].

□ «الإسراء» يعني الحركة ليلاً. «اليبس» يطلق على المكان الذي كان يغمره الماء (رطباً) أصبح يابساً. و«الدرك» يعني الخسائر التي تحل بالإنسان[2]. والمراد من «عبادي» بني إسرائيل.

التعاليم:

١ ـ تحركات الأنبياء وأسلوب مواجهتهم نابعان من الوحي الإلٰهيّ، ﴿أَوْحَيْنَآ﴾.

٢ ـ الهجرة من الوطن مع العزة أفضل من العيش فيه مع الذلة، ﴿أَسْرِ بِعِبَادِى﴾.

---

(١) تفسير في ظلال القرآن.

(٢) وقيل إنه اسم مصدر بمعنى الإدراك أي لا يدركك فرعون وجنوده (المترجم).

٣ ـ إذا لم نستطع التأثير في المحيط الذي نعيش فيه، فعلى الأقل لا بد لنا من تركه والهجرة عنه، ﴿أَسْرِ بِعِبَادِى﴾.

٤ ـ من أهداف الأنبياء إنقاذ الناس من شر الطغاة، ﴿أَسْرِ بِعِبَادِى﴾.

٥ ـ أولى الخطوات ضد الظالم إبعاد الناس من حوله، ﴿أَسْرِ بِعِبَادِى﴾.

٦ ـ الله ناصر المحرومين، ﴿أَسْرِ بِعِبَادِى﴾

٧ ـ هداية الناس وإدارة شؤونهم بيد القادة الإلهيّين، ﴿أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ﴾.

٨ ـ إن معجزة موسى عليه السلام كانت عظيمة إلى حد أنها هزت كيان المجتمع، وأدت إلى قيامه وتحركه، وأجبرت فرعون نفسه على اللحاق بهم، ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ﴾.

٩ ـ البحر، وكما هو حال كل الطبيعة، مأمور لقهر الله أو رحمته، ﴿فَغَشِيَهُم﴾.

١٠ ـ قادة المجتمع وحكامه لهم دور كبير في هداية الناس أو ضلالهم، ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾.

١١ ـ يجب علينا ألا نترك الشعارات المنحرفة دون جواب، فقد كان فرعون يقول: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[1]، وأما الله تعالى فإنه يقول: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾.

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ (٨٠)﴾

إشارات:

❑ تكرر في القرآن الكريم ذكر بني اسرائيل، ونجاتهم من فرعون، وإنزال المن والسلوى عليهم بينما كانوا تائهين في الصحراء.

❑ «المن» ظاهراً هو العسل والترنجبين. و«السلوى» هو طير لذيذ محلل الأكل وهو السماني.

---

(١) سورة غافر: الآية ٢٩.

□ قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ إشارة إلى ذهاب موسى مع جمع من بني إسرائيل إلى الميعاد في الطور، وهناك أُنزلت ألواح التوراة على النبي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

التعاليم:

١ ـ التذكير بالنعم الإلٰهيّة من وظائف الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وتبعث أيضاً على رشد الإنسان وشكره لله، ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم...﴾.

٢ ـ الحرّية والأمان من أكبر النعم الإلٰهيّة وممهدتان للاستفادة من سائر النعم، ﴿أَنجَيۡنَٰكُم﴾.

٣ ـ بعد سقوط الطاغوت وتشكيل الحكومة، فإن أهم ما يُحتاج إليه هو القانون، ﴿أَنجَيۡنَٰكُم...﴾. (وعدُ الله لهم كان إعطاء التوراة والقانون الإلٰهيّ).

٤ ـ كل الألطاف إنما هي من قبل الله تعالى، ﴿أَنجَيۡنَا... وَٰعَدۡنَا... نَزَّلۡنَا﴾.

٥ ـ النعم المعنوية مقدَّمة على النعم المادّية، فالله تعالى قال ابتداء: ﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ﴾ المرتبط بنزول التوراة، ومن ثم قال: ﴿ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾ اللذان هما غذاء الجسم.

﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ٨١﴾

التعاليم:

١ ـ الأصل في الأشياء الطيِّبَة والطاهرة إباحةُ الاستفادة منها، ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ﴾؛ لذا ممنوع عليكم تحريم الطيبات.

٢ ـ الأديان الإلٰهيّة تُعنى بأهميّة صحة الغذاء، ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ﴾.

٣ ـ الطبع الإنسانيّ السليم أحد معايير معرفة الحلال، ﴿طَيِّبَٰتِ﴾ (الطيب يطلق على ما يطابق الطبع والذوق السليم).

٤ ـ عدم مراعاة أحكام الأطعمة يعدّ من مصاديق الطغيان ومواطنه، ﴿كُلُوا... وَلَا تَطْغَوْا﴾.

٥ ـ الأمم الناجية من الظلم معرَّضة للطغيان، ﴿أَنجَيْنَٰكُم... كُلُوا... وَلَا تَطْغَوْا﴾.

٦ ـ لا تستعملوا ما أحله الله لكم في طريق الحرام، ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾.

٧ ـ الإسراف (أي استهلاك ما هو أكثر من مورد الحاجة) طغيان على حكم الله، ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾.

٨ ـ تهديد الطغاة بحلول العذاب الإلٰهيّ عليهم تهديد جدي، ﴿فَيَحِلَّ﴾.

٩ ـ الطغيان في الصرف (الإسراف) من الذنوب الكبيرة إذ توعد فيه بنزول العذاب الإلٰهيّ، ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾.

١٠ ـ السقوط الواقعي إنما يكون عند الابتلاء بالغضب الإلٰهيّ وليس الإفلاس السياسيّ والاقتصادي وأمثال ذلك، ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ (٨٢)﴾

إشارات:

❑ تعقيباً للآية السابقة التي انتهت بالتهديد والوعيد جاءت هذه الآية وفيها بشارة إلٰهيّة، وهذا الأسلوب يُرى في كل القرآن الكريم.

❑ التوبة من أي ذنب ومخالفة لا بد من أن تكون متناسبة مع حجم الذنب وحجم المخالفة، ومثالاً على ذلك فإن توبة الشخص الذي لم يصلّ تكون في قضاء الصلاة، والتوبة من أذى الناس تكون في الاعتذار منهم، والتوبة عن كتمان الحقائق تكون في بيانها، والتوبة من الشرك تكون في الإيمان بالله تعالى، والتوبة من أكل المال الحرام تكون في رد الأموال إلى أصحابها...

❑ على الرغم من أن هذه الآية تتكلم عن المغفرة عن التائبين، إلا أننا نقرأ في آية أخرى أن الذين يؤمنون ثم يكفرون ثم يزدادون كفراً، فإنه لن تقبل توبتهم

أبداً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ﴾[1].

□ إن أنبياء الله أيضاً يطلبون المغفرة من الله تعالى:

- النبي آدم عليه السلام، ﴿وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا﴾[2]،
- النبي نوح عليه السلام، ﴿وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ﴾[3]،
- النبي إبراهيم عليه السلام، ﴿أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي﴾[4]،
- النبي موسى عليه السلام، ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي﴾[5]،
- النبي عيسى عليه السلام، ﴿وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾[6]،
- والنبي محمد صلى الله عليه وآله، ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾[7].

□ ذكر في الروايات أن المراد من قوله تعالى «اهتدى» أي الاهتداء إلى ولاية أهل البيت عليهم السلام[8].

التعاليم:

١ ـ باب التوبة مفتوح حتى للذين شملهم الغضب الإلٰهيّ، ﴿فَقَدۡ هَوَىٰ... وَإِنِّي لَغَفَّارٞ﴾.

٢ ـ الرجوع الواقعي للإنسان مغفرة، ولهذه المغفرة آثار عظيمة من قبل الله تعالى ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ﴾.

٣ ـ التوبة تقبل بشروط:

أ ـ الرجوع، ﴿تَابَ﴾؛

ب ـ الإيمان، ﴿وَءَامَنَ﴾؛

ج ـ العمل الصالح، ﴿عَمِلَ صَٰلِحٗا﴾؛

د ـ الاهتداء، ﴿ٱهۡتَدَىٰ﴾.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٩٠.
(٢) سورة الأعراف: الآية ٢٣.
(٣) سورة هود: الآية ٤٧.
(٤) سورة الشعراء: الآية ٨٢.
(٥) سورة الأعراف: الآية ١٥١.
(٦) سورة المائدة: الآية ١١٨.
(٧) سورة النصر: الآية ٤.
(٨) الكافي، ج٨، ص ٣٩٣.

٤ ـ الإيمان والعمل الصالح دون الاهتداء إلى الهداة الإلٰهيّين لا يكفيان، ﴿وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾؛ (نعم لو كان الإيمان والعمل الصالح موجودين ولم يكن صاحبهما في خط هداية الهداة الإلٰهيّين، فإنه سيكون صيداً لأمثال السامري وبلعم بن باعوراء).

٥ ـ أن تكون مؤمناً مهم وأن تصبح مؤمناً مهم كذلك؛ ولكن الأهم من كل ذلك أن تبقى مؤمناً، ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾.

﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾﴾

إشارات:

□ عن الإمام الصادق عليه السلام وفي ذيل هذه الآيات يبين صورة الإنسان العاشق وملامحه على النحو الآتي: «المشتاق لا ينتهم طعاماً، ولا يلتذ شراباً، ولا يستطيب رقاداً، ولا يأنس حميماً، ولا يأوي داراً، ولا يسكن عمراناً، ولا يلبس لباساً، ولا يقر قراراً، ويعبد الله ليلاً ونهاراً راجياً بأن يصل إلى ما يشتاق إليه، ويناجيه بلسان شوقه معبراً عما في سريرته، كما أخبر الله عن موسى بن عمران عليه السلام في ميعاد ربه بقول: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾»[1].

التعاليم:

١ ـ ينبغي على القائد أن يتقدم الأمة حتى تسير الأمة ورائه وتتبع أثره، ﴿أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾.

٢ ـ كان موسى عليه السلام عاشقاً لله وعاشقاً لاستماع الكلام الإلٰهيّ، ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ﴾.

٣ ـ لا مانع من العجلة في مورد الأعمال الحسنة ومن أجل تحصيل مرضاة الله تعالى، ﴿وَعَجِلْتُ... لِتَرْضَىٰ﴾.

---

(١) التفسير الصافي.

٤ ـ أكبر هدف للأنبياء والمقصد النهائي لهم هو تحصيل رضا الله تعالى، ﴿لِتَرْضَىٰ﴾.

٥ ـ إذا حضر القائد في وسط المجتمع فلن يقوم الأعداء بأمر يذكر، وأما مع غيبته فإن المنحرفين يستغلون الفرصة لسوء مآربهم، ﴿مِنۢ بَعْدِكَ﴾.

٦ ـ في غيبة الأئمة تتعرض الأمم للابتلاء، والامتحان، والفتن، ﴿فَتَنَّا...﴾.

٧ ـ إن دور الفن أو الفنان المنحرف غير الملتزم ليس أقل من قدرة الطاغوت على تخريب المعتقدات الدينيّة للناس وانحرافهم.

٨ ـ الارتداد خطر وتهديد جدي لمن هم حديثو العهد بالإيمان، ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾.

٩ ـ صحبة النبي لا تكفي بل المطلوب حسن العاقبة والثبات على الدين، ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾. (إن الله تعالى أنجى بني إسرائيل ورزقهم من الطيبات ومع ذلك كانت عاقبتهم سيئة).

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾﴾

إشارات:

□ أُشير في هذه الآية إلى وعدين: أحدهما الوعد من قبل الله بإنزال التوراة، ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ﴾، والثاني من قبل نبي الله موسى عليه السلام لمّا تواعد مع القوم أن يطيعوا أخاه هارون أثناء غيبته، إلا أنهم تجاهلوا ذلك بعبادتهم للعجل.

وأثناء توبيخ النبي موسى عليه السلام لهم، سألهم عن علّة انحرافهم: «أفَطَالَ عليكم الزمان فنسيتم وعدكم إياي بالثبات على ديني إلى أن أرجع من الميقات؟ أم تعمدتم فعل ما يكون سبباً لحلول غضب ربكم عليكم بعبادتكم للعجل وكفركم به؟

وخلاصة ذلك: أفَطَالَ عليكم العهد فنسيتم أم تعمدتم المعصية فأخلفتم؟»[١].

□ تتحدّث هذه الآية وكما هو الحال في الآية (٨١)، عن حلول الغضب الإلٰهيّ، إلّا أن السبب هناك كان الطغيان وأما هنا فهو نقض العهد من قبل الناس، وهذان هما سر سقوط بني إسرائيل.

التعاليم:

١ ـ عندما تعلمون بحصول الانحراف فلا بد من أن تبادروا إلى العمل ورد الفعل، ﴿فَرَجَعَ﴾. (حرف الفاء في قوله ﴿فَرَجَعَ﴾ يدل على الفورية).

٢ ـ الغيرة على الدين من أهم الصفات البارزة عند أولياء الله، ﴿غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾؛ (يتجرع قادة الدين وأولياء الله غصص انحراف الناس).

٣ ـ الغضب لله ومن أجل تحصيل مرضاته غير مذموم، ﴿غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾؛ (إن غضب أولياء الله وتأسفهم إنما كان لارتداد الناس وانحرافهم المعنوي).

٤ ـ لا بد من تأنيب المخطئين في الموقع المناسب، ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ﴾.

٥ ـ إن عدم حضور القائد أو إن حصول بعض التغييرات الجزئية في برنامج ما لا ينبغي أن يؤدّي إلى الانحراف والارتداد، ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾.

٦ ـ الرجعة، والارتداد، ونقض العهد تؤدّي إلى حلول غضب الله، ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾.

٧ ـ الغضب من لوازم التربية والربوبيّة، ﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

٨ ـ نقض العهد مع الأنبياء سبب لحلول غضب الله، ﴿يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ...﴾؛ (يوجد بين الأنبياء والناس عهود، ومواثيق، ومقررات تشمل السيرة والأحكام، وكذلك الوفاء لمن يمثلونهم وينوبون عنهم بين الناس، وها هنا فإن وعد موسى كان التبعية لأخيه هارون أثناء غيبته).

---

(١) تفسير المراغي، ج٦، ص ١٤٠.

٩ ـ التخلف عن وصي النبي ونائبه تخلف عن النبي نفسه، ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾. (التخلف عن اتّباع هارون كان تخلفاً عن موسى نفسه)[١].

﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾﴾

التعاليم:

١ ـ إن المذنبين، ولأجل الفرار من العقوبة والمجازاة، يتذرعون بشتى الأعذار كالإجبار، والإكراه، والضغوط الخارجيّة عليهم، ﴿مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾.

٢ ـ المال الحرام يصرف في فعل الحرام، ﴿مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾. (إن السامري ألقى كل أدوات زينة الفراعنة وحليّهم التي كانوا قد حصلوا عليها عن طريق الظلم والمعصية في النار فأخرج لهم جسداً له خوار)[٢].

٣ ـ كثيراً ما كانت مظاهر الدنيا وجواهرها، وأموالها وزراً ووبالاً على الإنسان، ﴿أَوْزَارًا﴾.

٤ ـ المجتمع ضعيف الإيمان والذليل بمجردِ خدعةٍ فنيةٍ يخسر كل إنجازاته وكل ما لديه، ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ﴾.

٥ ـ إن خداع المنحرفين، وتظاهرهم، ومناوراتهم لا تبقى دون أثر في المجتمع، ﴿أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ﴾.

٦ ـ أكبر الضربات التي يمكن أن نتعرض لها تتم على يد القوى الداخليّة المنحرفة، ﴿ٱلسَّامِرِىُّ﴾.

---

(١) تفسير مجمع البيان.
(٢) تفسير الأمثل.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾

إشارات:

- من جملة ما تفنن به السامري أنه لم يُرِ الناس كيفية صنعه العجلَ وبالتالي فإن الناس فجأة رأوا جسد عجل له خوار، ﴿فَأَخْرَجَ﴾.
- ألم يفكر بنو إسرائيل أنه إذا كان العجل قابلاً للعبادة فالأولى أن يعبدوا صانعه أي السامري؟!

التعاليم:

١ ـ إذا كان الفن منسجماً مع علم الاجتماع وعلم النفس فإنه سيكون حينئذٍ أكثر تأثيراً، ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا﴾. (السبب الباهر والسريع لنجاح السامري في جلب أنظار بني إسرائيل معرفته بسوابق عبادتهم للأصنام والبقر واستغلاله فرصة عدم وجود القائد بينهم).

٢ ـ إذا كان الفن في خدمة الناس المنحرفين وتحت تصرفهم فسيكون بمثابة السيف في يد السكران يؤدي إلى الخطر والهلاك، كما هو حال عجل السامري، ﴿أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ﴾.

٣ ـ التجسيم وصنع التماثيل بإذابة المعادن وصبّها، له سابقة تاريخية قديمة، ﴿عِجْلًا جَسَدًا﴾.

٤ ـ أكبر خطر يواجه الأمه ويهدد ثورتها وقيامها هو الرجعة، والارتداد، والانحراف الثقافيّ والعقديّ، ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ﴾.

٥ ـ كل الناس مفطورون على عبادة الله، والأنبياء عليهم السلام يهدون الناس إلى الطريق الصحيح والمعبود الواقعي لهم، وأما السامري وأمثال السامري فهم ضالّون، منحرفون، ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ﴾.

٦ ـ إذا أدت التهمة إلى خراب كبار القوم وقادته فإن الطريق سيكون حينئذٍ سهلاً لتخريب الآخرين، ﴿وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾.

٧ ـ عاقبة نسيان الأحكام والمقررات الإلٰهيّة والانفصال عن القادة الدينيين لن تكون سوى الانحراف وسوء العاقبة، ﴿فَنَسِيَ﴾. (يقال: إن السامري كان من أصحاب موسى عليه السلام إلا أنه نسي كل ما تعهد به له عليه السلام)[1].

٨ ـ طريقة الأنبياء وديدنهم هو الاستدلال والمنطق، ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ...﴾. (العقل يحكم بأن معبود الإنسان لا بد من أن يجلب له المنفعة ويدفع عنه الضر والشرور).

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾

التعاليم:

١ ـ إن بعض الناس خسروا خسراناً لم يكن معه العقل حاكماً عليهم، ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾، ولا النبي هادياً لهم، ﴿قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ﴾.

٢ ـ لقد كان انحراف بني إسرائيل وارتدادهم عن علم وعن عمد، ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ...﴾.

٣ ـ وظيفة القائد وأعوانه عند ظهور البدع إظهار القول وإتمام الحجة، ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ﴾.

٤ ـ الأنبياء مشفقون على الناس، ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ... يَٰقَوْمِ﴾.

٥ ـ ابتلاء الناس سنة إلٰهيّة قطعية إلّا أن وسائلها متفاوتة، ﴿إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾.

٦ ـ التذكير بلطف الله ورحمته يمكن أن يمهد الأرضية اللازمة لإرشاد الإنسان وتوبته، ﴿رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾.

٧ ـ طاعة وصي النبي واجبة، ﴿فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾.

٨ ـ اتّباع القادة الإلٰهيّين يحمي من الفتن، ﴿فُتِنتُم... وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾.

٩ ـ دعوة الأنبياء للمعاندين لا أثر لها، ﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ﴾.

---

(١) تفسير الأمثل.

١٠ ـ إن بني إسرائيل، وبدل الفكر، والتفكر اختاروا الشخصنة، ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾.

﴿قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾﴾

إشارات:

- عندما رجع النبي موسى عليه السلام من جبل الطور ورأى انحراف قومه قام بمساءلة ثلاث طوائف:

أ ـ الناس، ﴿يَـٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ﴾.

ب ـ هارون عليه السلام، ﴿يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ...﴾.

ج ـ السامري، ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِىُّ﴾.

- على حد قول تفسير «أطيب البيان»، هارون عليه السلام كان معصوماً وقد عمل بتكليفه في النهي عن المنكر، من هنا يمكن القول إن مؤاخذة النبي موسى عليه السلام له كانت بمثابة صياغة كنائية من باب: «يخاطب الباب ليسمع الحائط»، فهو تكلم مع هارون ليعيد الناس النظر في حسابهم.

- ذكر في تفسير الصافي، نقلاً عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال عندما سئل عن سبب أخذ موسى برأس هارون يجره بلحيته، ولم يكن لهذا الأخير في اتخاذهم العجل وعبادتهم ذنب، فقال عليه السلام: إنما فعل ذلك لأنه لم يفارقهم لما فعلوا ذلك ولم يلحق بموسى عليه السلام.

- من أساليب التبليغ أنه قد يضطر أحياناً إلى ابتكار أسلوب جديد من أجل تحريك أفكار الناس وهز البدن الميت للمجتمع، وذلك كما فعل النبي موسى عليه السلام من خلال التصرف القاسي مع أخيه ونائبه، أو كما فعل الإمام علي عليه السلام عندما ضرب على وجهه أثناء خطابه في الناس من أجل لفت انتباههم.

التعاليم:

١ ـ على القائد أن يعرف سبب انحراف الناس، ﴿يَنَهَرُونُ مَا مَنَعَكَ﴾.

٢ ـ سكوت المسؤولين وقلة مبالاتهم يستدعي المطالبة، ﴿مَا مَنَعَكَ﴾.

٣ ـ سوء العاقبة زلة للمتدينين، ﴿رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ﴾.

٤ ـ من الممكن أن يكون النبي مأموراً من نبي آخر، ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾.

٥ ـ لا بد من أن يحكم المجتمع بإدارة مدير واحد، ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾.

٦ ـ لإطفاء غضب الآخرين علينا الاستفادة من الكلمات العاطفية، ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾.

٧ ـ الدين والتدين أهم من العائلية، ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى﴾.

٨ ـ الغيرة والتعصب للدين من لوازم النبوة، ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى﴾.

٩ ـ علينا إعطاء المتهم فرصة للدفاع عن نفسه، ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى﴾.

١٠ ـ إطالة الشعر واتخاذ الضفائر للرجل جائز، ﴿وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾.

١١ ـ خطر تفرقة الأمة أخاف النبي هارون ﷺ، ﴿إِنِّى خَشِيتُ﴾.

١٢ ـ المحافظة على الوحدة أهم من نجاة طائفة فقط، ﴿إِنِّى خَشِيتُ... فَرَّقْتَ﴾.

١٣ ـ عند اتخاذ القرارات لا بد من أن نلتفت إلى التزاحم بين المهم والأهم، ﴿إِنِّى خَشِيتُ﴾.

١٤ ـ أثناء رد الفعل الثوري لا بد من أن نلتفت إلى الآثار الجانبية لأي أمر نقوم به، ولا ينبغي لنا أن ننظر من طرف واحد فقط، ﴿إِنِّى خَشِيتُ﴾.

١٥ ـ خطر التفرقة أهم من خطر السكوت عن الانحراف، ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ...﴾.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾﴾

إشارات:

□ جملة «بصرت بـ» تستعمل عادة في «البصيرة» بمعنى الفهم، وجمعها «بصائر»،

وليس في «البصر» بمعنى العين وجمعها «أبصار»[١].

□ ورد في كتاب الاحتجاج أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام لما فتح البصرة أحاط الناس به وكان من بينهم الحسن البصري، وقد جلبوا معهم ألواحاً يكتبون فيها ما يقوله أمير المؤمنين علي عليه السلام، فقال لهم أمير المؤمنين بأعلى صوته ما تصنعون؟ قال: نكتب آثاركم لنحدث بها بعدكم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **أما إن لكل قوم سامرياً وهذا سامري هذه الأمة إلا أنه لا يقول لا مساس؛ ولكنه يقول: لا قتال**[٢].

□ طبقاً لما ورد في تفاسير الميزان، والفرقان، والأمثل فإن مراد السامري من قوله ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ أي أنني آمنت بداية الأمر بِقِسْمٍ من آثار النبي موسى عليه السلام (أي تعاليمه) ثم شككت فيها فألقيتها بعيداً وملتُ إلى عبادة الأصنام (العجل)، وجملة ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ﴾ تعني أنني وفقت للقيام بما غفل الآخرون عن القيام به وهذا المعنى أنسب مع الحديث السابق.

التعاليم:

١ ـ لأجل إزالة الانحراف لا بد أولاً من دراسة جذوره وأسبابه، ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾.

٢ ـ يجب مواجهة المنحرفين والمفسدين المثقفين، ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾.

٣ ـ في أي ثورة لا يمكن لأهلها أن يتغيروا من تلقاء أنفسهم؛ ولكن يوجد بعض الأفراد كأمثال السامري يستغلون الفرص، ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾.

٤ ـ أحياناً يدرك بعض المنحرفين أموراً يغفل عنها المتدينون، ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ﴾.

٥ ـ المصممون للانحراف يستفيدون في هذا المجال من جعل الناس لا يبصرون، ﴿بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ﴾.

---

(١) مفردات الراغب.
(٢) تفسير الأمثل.

٦ ـ رؤوس أهل الباطل يحاولون الاستفادة حتى من المقدّسات من أجل إضلال الناس وحرفهم، ﴿مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾. (سياسة الضالين ضد الدين).

٧ ـ من أكبر الأخطار أن يتصاحب الفن مع هوى النفس، ﴿سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾.

٨ ـ إن الإنسان نفسه إذا لم ينخدع بنفسه الأمارة، فلن يمكنه أن يخدع الآخرين، ﴿سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾.

﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾

إشارات:

- ورد في تفسيري مجمع البيان والصافي أن النبي موسى عليه السلام همَّ بقتل السامري، فأوحى الله إليه: لا تقتله يا موسى فإنه سخي. ولهذا السبب فإن موسى بقوله له: ﴿فَٱذْهَبْ﴾ طرده من بين بني إسرائيل.
- كلمة «لا مساس» بمعنى الابتلاء بمرض لا يمكن معه لأي أحد أن يقترب منه ويمسه، وكانت عاقبة السامري أن أصيب بمرض نفسي ابتعد فيه عن الناس وكلما اقترب منه شخص ما، كان عليه أن يقول له: لا مساس لا مساس[1].
- عاقب النبي موسى عليه السلام السامري بعدة عقوبات:

أ ـ الطرد، ﴿فَٱذْهَبْ﴾.

ب ـ اللعنة، ﴿لَا مِسَاسَ﴾.

ج ـ التهديد بعذاب الآخرة، ﴿لَكَ مَوْعِدًا﴾.

د ـ إحراق العجل، ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾.

---

(١) تفسير الأمثل.

التعاليم:

١ ـ بعد ثبوت الجرم لا بد من معاقبة المجرم، ﴿سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي... فَٱذْهَبْ﴾.

٢ ـ إحدى مراحل النهي عن المنكر طرد المجرمين والكافرين ونفيهم، ﴿فَٱذْهَبْ﴾.

٣ ـ يجب طرد المفسدين المثقفين من وسط المجتمع: الحرّية الفكرية لا تعني بسط يد المنحرفين في إضلال الناس، ﴿فَٱذْهَبْ﴾.

٤ ـ إن الأنبياء عليهم السلام ومن خلال علم الغيب يخبرون عن مصير بعض الناس، ﴿أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾.

٥ ـ بعض الأمراض غضب إلهي، ﴿لَا مِسَاسَ﴾.

٦ ـ العقوبة الدنيوية لمن يروج الأفكار الباطلة لا تعفيه من العقاب الأخروي، ﴿لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾.

٧ ـ ربما يفر الإنسان من العقاب الدنيوي؛ ولكن العذاب الأخروي وغضب الله في الآخرة لا فرار منه، ﴿لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾.

٨ ـ أسوأ الذنوب إصرار المذنب على ذنبه، ﴿ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾. (كان السامري نفسه يعبد العجل الذي صنعه).

٩ ـ لا بد من تدمير وسائل المذنبين وآثار الانحراف[1]، ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾.

١٠ ـ محو آثار الشرك والكفر يجب أن يتم أمام الملأ وحضور عموم الناس، ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ ولم يقل: «لأحرقنه».

١١ ـ المحافظة على أفكار الناس أوجب وأهم من المحافظة على الذهب، ولذا يجب التضحية أحياناً بالأشياء القيمة من أجل إيجاد الصدمة عند الناس لمواجهة المنكر، ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾.

---

(١) وهذا ما قام به رسول الله ﷺ، إذ أمر بإحراق مسجد ضرار ومن ثم أمر بهدمه وجعل مكانه مزبلة يرمي الناس فيه أوساخهم. (تفسير الأمثل).

١٢ ـ الغيرة الدينيّة والحزم في مواجهة الانحراف من خصائص القيادة ولوازمها، ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾. (إحراق العجل الذهبي ورميه في البحر كان تصميماً قطعياً من النبي موسى عليه السلام).

١٣ ـ كان لا بد من أن يَظْهَر أنّ ما يدمّر لا يستحق العبادة، ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾.

١٤ ـ كلما محوتم الباطل اذكروا الحق مكانه، ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ﴾.

١٥ ـ الإله الذي يستحق العبادة هو الإله الذي أحاط علماً بكل شيء، ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًا﴾.

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرًا ﴿٩٩﴾﴾

إشارات:

□ ذكر قصص الأنبياء وتاريخهم يشتمل على بركات كثيرة منها:

أ ـ زيادة العلم والمعرفة.

ب ـ اكتساب البصيرة وفتح طريق السعادة.

ج ـ تحذير الناس وتذكيرهم.

د ـ تبشير المؤمنين وتسلية قلوبهم.

التعاليم:

١ ـ الإخبار عما جرى في التاريخ من أساليب القرآن التربوية، ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ﴾.

٢ ـ قصص القرآن أحسن القصص وأصدقها؛ لأن القاصّ لها هو الله تعالى، والمخاطب بها هو النبي ﷺ، وأحداثها حقيقة قطعاً، ﴿نَقُصُّ عَلَيۡكَ﴾.

٣ ـ عند بيان ما جرى في التاريخ تحرزوا عن ذكر بعض الجزئيات والوقائع التي لا يؤثر معرفتها أو عدم معرفتها في تحقيق الهدف من عرضها، ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ﴾.

٤ ـ لا يستحق كل تاريخ أن يعرض ويبين، بل إن الأخبار الهامة هي التي تستحق النقل والسرد، ﴿أَنۢبَآءِ﴾[1].

٥ ـ التاريخ وسيلة للتذكر وليس للتسلية، ﴿أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَۚ... ذِكْرًا﴾.

٦ ـ القرآن ذكرى ومذكر هام («ذكراً» مع التنوين تشير إلى العظمة).

٧ ـ منبع التاريخ والقصص القرآنية هو الوحي الإلٰهيّ وليس قول هذا أو ذاك، ﴿لَّدُنَّآ﴾.

﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾﴾

إشارات:

- «الحمل» بكسر الحاء وفتحها واحد إلّا أن «الحِمل» بالكسر هو المحمول في الظاهر، و«الحَمل» بالفتح هو المحمول في الباطن كالولد المحمول في البطن.
- «الزرق» جمع أزرق وهو لون يتحصل باختلاط الأسود بالأبيض كاللون الرمادي. وربما يكون كناية عن العمى أو الخوف أو تغير لونهم.
- «الصور» إما بمعنى القرن (البوق) وإما جمع صورة والمراد حينئذٍ النفخ في صور الموتى فيحيون جميعاً.
- أشار القرآن الكريم إلى وجود نفختين: في النفخة الأولى يموت كل الموجودات، إلا من شاء الله، وفي النفخة الثانية: يحيا الناس للحساب ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[2]، وبناء عليه، فإن المراد من قوله: ﴿يُنفَخُ فِى

---

(١) «أنباء» جمع «نبأ» أي الخبر الهام والمفيد.

(٢) سورة الزمر: الآية ٦٨.

﴿ٱلصُّورِۚ﴾ في هذه الآية، وبقرينة قوله: ﴿وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ فالمراد هو النفخة الثانية ليوم القيامة.

التعاليم:

١ ـ الناس أحرار في اختيار الطريق فإما أن يختاروا طريق الحق وإما أن يعرضوا عنه، ﴿أَعۡرَضَ﴾.

٢ ـ عاقبة الإعراض عن ذكر الله لا تنحصر بمعيشة تعيسة في الحياة الدنيا: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾[1]، بل إنه له سوء العاقبة في الآخرة أيضاً: ﴿مَّنۡ أَعۡرَضَ... يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا﴾.

٣ ـ مقدار خطر الحمل والوزر وثقلهما في يوم القيامة غير معروفة لأحد ما. («وزراً» وردت بصيغة النكرة).

٤ ـ في يوم القيامة يحشر المجرم أعمى وبوجه أسود، أو أنه لشدة الخوف، والتعب، والوحشة، والقلق يبتلى بزرقة العين، ﴿زُرۡقٗا﴾.

٥ ـ مدة زمان الدنيا والبرزخ بالنسبة إلى الآخرة قليلة جداً وكأنها أيام عدة فقط، ﴿إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا﴾.

﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا ﴿١٠٤﴾﴾

إشارات:

❑ عظمة يوم القيامة كبيرة إلى حد أن الإنسان عندما يحضر فيها يحسب أن عمره في الدنيا كان يوماً أو نصف يوم وعلى أكثر تقدير عشرة أيام، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك على لسان بعض الناس أو الجماعات المختلفة ضمن البيان التالي:

أ ـ عشرة أيام، ﴿إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا﴾.

---

(١) سورة طه: الآية ١٢٤.

ب ـ يوم واحد، ﴿إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا﴾.

ج ـ بعض اليوم، ﴿لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا﴾[1]، ﴿لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾[2].

د ـ لحظات قصيرة، ﴿مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖ﴾[3].

هـ ـ زمان قليل جداً، ﴿إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[4].

ويظهر لنا أن اختلاف الآراء حول العمر في الدنيا يرجع إلى مقدار بصيرة الأفراد ودركهم؛ إذ إنه في هذه الآية يعبر القرآن عن بعض الناس بأنه «أمثلهم طريقة» وذكر أنه لبث في الدنيا يوماً واحداً، وأما في الآية السابقة فإن المذنبين قالوا إنهم لبثوا فيها عشرة أيام.

التعاليم:

١ ـ ليس كل المجرمين في يوم القيامة بمستوى واحد، ﴿أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً﴾.

٢ ـ من كان أعقل من غيره يرى الدنيا أصغر في عينه، ﴿يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا﴾.

﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ﴿١٠٧﴾﴾

إشارات:

□ «النسف» أي القلع، والتذرية، والتدمير. «القاع»: الأرض المستوية. «الصفصف» تعني الأرض المستوية كأنها على صف واحد في استوائها. وقوله «عوجاً» و«أمتا» بمعنى المنخفض والمرتفع.

---

(١) سورة النازعات: الآية ٤.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.
(٣) سورة الروم: الآية ٥٥.
(٤) سورة المؤمنون: الآية ١١٤.

التعاليم:

١ ـ للناس تساؤلات عن يوم القيامة ولا بد للنبي من أن يجيب عنها، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ... فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى﴾.

٢ ـ النظام الحاكم على الطبيعة لا دوام له، ﴿يَنسِفُهَا رَبِّى﴾.

٣ ـ نسف الجبال ومجيء يوم القيامة من مظاهر الربوبيّة الإلٰهيّة، ﴿يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾

التعاليم:

١ ـ من أعرض في هذه الدنيا عن الدعاة الإلٰهيّين فلا مناص له يوم القيامة من الاتباع والطاعة، ﴿يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾.

٢ ـ القيامة يوم تجلي رحمانية الله تعالى وظهورها، ورحمانيته أمل وملجأ كل الناس، ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾.

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾

إشارات:

- إنكار الشفاعة مخالف للقرآن والروايات وباعث على يأس المؤمنين المذنبين، وإن القبول بمبدأ الشفاعة دون قيد أو شرط يبعث على جرأة المذنبين والمخالفين ويخالف مبدأ العدالة الإلٰهيّة؛ لذا فإن القرآن الكريم تكلم عن الشفاعة واضعاً لها قيوداً ومقررات وشرائط.

بحسب القرآن الشفاعة نافذة أمل للمذنبين ووسيلة ارتباط تربطهم بأولياء الله.

كذلك فإن الشفاعة بإذن الله تعالى والمشفعون هم أولئك الذين كانوا يدورون في مدار التوحيد، ولهم منطق صحيح، واعتقادات حقة، ورضي لهم الرحمن قولاً، أي أن تشهّدهم بالشهادتين لم يكن موضعياً، ولا موسمياً، ولا بالإكراه،

ولم يكن سطحياً، وعلى أساس الاستهزاء والنفاق، وبناء عليه إذا كان لهؤلاء نقص في أعمالهم فإنهم سيحظون بنوع من العناية الخاصة بهم من خلال الشفاعة.

وعلى هذا الأساس أيضاً فإن القرآن الكريم اعتبر أن شفاعة الأصنام لعبادها باطلة لا أساس لها، وأن الشفاعة بمعنى تضحية عيسى عليه السلام لأجل تطهير ذنوب أتباعه، أو شهادة الإمام الحسين عليه السلام لأجل الشفاعة عن الشيعة لا يمكن القبول بها، وبالرغم من أن الإمام الحسين عليه السلام من أكبر الشفعاء في يوم القيامة؛ لكن لا بد من أن يُعلم أنّ الهدف من استشهاده لم يكن الشفاعة لأتباعه.

□ قال الإمام الباقر عليه السلام لرجل سأله عن قول الله عز وجل ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ قال: **لا ينال شفاعة محمد صلى الله عليه وآله يوم القيامة إلا من أذن له بطاعة آل محمد، ورضي له قولاً وعملاً فيهم، فحيي على مودتهم ومات عليها فرضي الله قوله وعمله فيهم**[(١)].

التعاليم:

١ ـ الشفاعة مقام عظيم لا يناله إلا أناس مخصوصون، ﴿مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾.

٢ ـ الشفاعة ليست تصرفاً في إرادة الله تعالى وليست مخالفة للحكمة، والعدالة، والحساب، والسنن الإلٰهيّة، بل إنها طبقاً لإرادة الله ومشيئته، ﴿أَذِنَ﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾
۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «العنت» مأخوذة من «العنوة» وهي الذلة في مقابل قهر القاهر وسلطته.

---

(١) تأويل الآيات، ص ٣٠٤.

و«القيوم» صفة تطلق على من كان قائماً بذاته وحافظاً لكل شيء والمقوم لكل من عداه. وكلمة «خاب» مأخوذة من «الخيبة» بمعنى فقدان المطلوب.

التعاليم:

١ ـ في يوم القيامة المحاسبة دقيقة جداً؛ لأن المحاسب يعلم كل شيء ولا مجال حينئذٍ لسوء الاستفادة من الشفاعة، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ...﴾.

٢ ـ الإحاطة العلمية لله تعالى بالنسبة إلى أعمال الناس المتقدمة والمتأخرة على حد سواء، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

٣ ـ لا يمكن للمحدود أبداً أن يحيط بما لا نهاية له، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ﴾؛ لا بذاته، ولا بصفاته، ولا بمخلوقاته، ولا بقدرته، ولا بأعماله وأفعاله.

٤ ـ الحالات الروحية للإنسان تظهر قبل كل شيء على وجهه ومحياه، ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾.

٥ ـ عاقبة الظلم الحرمان من رحمة الله تعالى، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾.

٦ ـ كثير من الظلم قد يجبر ويمحى في هذه الدنيا من خلال التوبة والاعتذار إلى الناس؛ ولكن الخائب كل الخيبة من يحمل معه ظلمه إلى يوم القيامة، ﴿خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾

إشارات:

□ «الهضم» بمعنى النقص، ويقال لجذب الغذاء إلى البدن «هضم» فلأن الغذاء يقل ظاهراً وتبقى فضلاته[1].

□ يتحصل في أيدينا من القرآن والروايات أن أعمال الإنسان وحالاته النفسية لهما

---

(١) تفسير الأمثل.

تأثير متبادل؛ لذا فإنه كلما صدر عمل حسن من شخص منافق أو مشرك مرائي أو... يمتلك روحية فاسدة فإنه لن يقبل منه، وكذلك الحال فيما لو أن كافراً ما قام بعمل هام وجيد كالاختراع والاكتشاف النافع للناس، إذ إنه مع إدراكه للحق بقي مصراً على الكفر لذا فإن عمله الحسن لا يقبل منه أيضاً، وحال هؤلاء كمن يهرق شراباً حلواً ولذيذاً في إناء وسخ فإنه بالطبع لن يقبل حينئذ.

□ «وردت الإشارة في الآيات العشرة الأخيرة إلى سلسلة من الحوادث التي تقع عند حلول القيامة وبعدها:

أ ـ رجوع الأموات إلى الحياة، ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾.

ب ـ جمع المجرمين وحشرهم، ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

ج ـ تلاشي جبال الأرض، ﴿يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾.

د ـ استماع الجميع لدعوة داعي الله وانقطاع جميع الأصوات، ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ﴾.

هـ ـ عدم تأثير الشفاعة في ذلك اليوم من دون إذن الله، ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾.

و ـ إعداد الله تعالى جميع خلقه للحساب بعلمه المطلق غير المتناهي، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ و...﴾.

ز ـ خضوع الجميع في مقابل حكمه، ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾.

ح ـ يأس الظالمين، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾.

ط ـ رجاء المؤمنين لطف الله ورحمته، ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾»[1].

التعاليم:

١ ـ مع أنه لا يمكن القيام بكل الأعمال الصالحة، إلا أنه لا بد من أن نعمل من

---

(١) تفسير الأمثل.

الصالحات قدر استطاعتنا وجهدنا[1]، ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

٢ ـ لا يثاب الإنسان على أعماله الكبيرة فحسب، بل إنه يثاب حتى على مقدار ذرة من العمل الصالح، ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

٣ ـ الإيمان بالله شرط لقبول العمل الصالح، ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾.

٤ ـ الإيمان لا ينفك عن العمل بل هو مصاحب له؛ إذ إن الإيمان بلا عمل كالشجر بلا ثمر والعمل بلا إيمان كالشجر بلا جذر، ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾.

٥ ـ السكينة والطمأنينة الروحيّان للمؤمنين في يوم القيامة نتاج أعمالهم الصالحة، ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ... فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾.

٦ ـ في يوم القيامة لا يزول أصل العمل وثوابه لئلا يظلم الإنسان، ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾، بل ولا ينقص أي شيء من ثوابه، ﴿وَلَا هَضْمًا﴾.

٧ ـ مع أن الثواب تفضل من الله تعالى وليس استحقاقاً للإنسان؛ إلّا أن الله تعالى لا يُقصّر في إعطاء الثواب لأحد ما؛ بل ولا ينقص من ثوابه، ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾

إشارات:

- «كذلك أنزلناه» أي أننا على ذلك النحو من بيان مشاهد يوم القيامة (في الآيات السابقة) والثواب والعقاب أنزلنا القرآن مذكراً للناس.
- كلمة «عرب» من حيث اللغة تدلّ على الوضوح. الواضح ويحتمل أن يكون المعنى المنسوب إلى اللغة العربية.

وكلمة «صرفنا» بمعنى البيانات المتعدّدة حول واقعة واحدة؛ أحياناً بالإشارة وأحياناً بالاستدلال، وأحياناً أخرى بالمثال والتمثيل، وأحياناً عبر نقل ما جرى في التاريخ.

---

(١) وكما يقال: «ما لا يدرك كله لا يترك جله» (المترجم).

التعاليم:

١ ـ قداسة قانون الوحي، ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾؛ ووضوح مقاصده، ﴿عَرَبِيًّا﴾؛ وتعدد البيانات فيه وتنوعها، ﴿وَصَرَّفْنَا﴾، وإنذاره، ﴿مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾؛ كل ذلك يمهد للتقوى، والتقيد، والتذكر، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾.

٢ ـ كل الناس بحاجة إلى الوحي إلا أنه لبعضهم من باب الإنذار ولبعضٍ آخر من باب التذكير، ﴿يَتَّقُونَ... ذِكْرًا﴾.

٣ ـ الإنذار لا يبقى بلا أثر فإما أن يؤثر تأثيراً عميقاً، ﴿يَتَّقُونَ﴾؛ وإما أنه بالحد الأقل مذكر، ﴿ذِكْرًا﴾؛ وإما أنه منتج، ﴿يَتَّقُونَ﴾؛ وإما أنه متتمم للحجة، ﴿ذِكْرًا﴾.

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾

إشارات:

- يستفاد من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾[1] أن النبي الأكرم ﷺ كان يعلم بمجموع آيات القرآن كلها وأنه كان يعجل بقراءة ما لم ينزل بعد، «وهذه الآية تؤيد ما ورد في الروايات من أن للقرآن نزولاً دفعة واحدة غير نزوله نجوماً على النبي ﷺ، فلولا علم ما منه بالقرآن قبل ذلك (الإنزال الدفعي على النبي ﷺ في ليلة القدر) لم يكن لعجلته بقراءة ما لم ينزل من بعد معنى»[2].

- يوجد اختلاف وتفاوت أساس وكبير بين التسرع والعجلة من جهةٍ، وبين السرعة والسبق ـ اللذان وردا في القرآن بقوله: ﴿وَسَارِعُوٓا﴾[3][4] واللذان ورد مدحهما فيه وأمر بهما ـ من جهةٍ أخرى، إذ إن حسن السرعة والسبق إنما هو

(١) ورد نظير هذه الآية في سورة القيامة: الآية ١٨، إذ قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾.
(٢) تفسير الميزان.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٣٣.
(٤) سورة الحديد: الآية ٢١.

في المسائل التي لم تُحسب وتنظَّم؛ لذا لا ينبغي إضاعة الوقت والفرصة في تحصيلها، وأما العجلة والتسرع فإنما يكونان في موضع لم يحن موعده وإما أنه بحاجة إلى إكمال وتمحيص أكثر؛ لذا ينبغي التمهل فيه وعدم التسرع.

- أحياناً قد تكون العجلة لدواع سلبية كقلة الصبر أو الغرور وحب إثبات الحضور أمام الآخرين، وحتماً فإن هذه الصفات مذمومة وتتنزه الذات النبوية المقدّسة عنها؛ ولكن أحياناً أخرى قد تكون لشدة العشق والشوق لتحصيل المعارف والتعلق الحار والملتهب بحفظ الشيء، وفي هذه الحال فإن العجلة تعد أمراً حسناً، ومن هذا الباب كان استعجال النبي ﷺ في أمر الوحي أي التلقي العشقي للوحي والهيجان والقلق من أجل حفظه والمحافظة عليه.
- إن الله تعالى وضع النبي موسى ﷺ عند النبي الخضر ﷺ من أجل التعلم، ولذا فإن موسى ﷺ استجاز الخضر في ذلك قائلاً له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[1]، وأما النبي الأعظم محمد ﷺ فقد تولت الذات المقدّسة الإلٰهيّة تعليمه وتربيته إذ يقول الله تعالى له: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.
- المعلم الأول هو الله تعالى العلام والعليم ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ﴾[2] ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾[3]؛ لذا ينبغي لنا أن نطلب العلم منه تعالى، ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.
- ورد في الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أتى عليَّ يوم لا ازداد فيه علماً يقربني إلى الله، فلا بارك الله لي في طلوع شمسه**»[4].

التعاليم:

١ ـ لم يخلق الله الخلق عبثاً، ولم يترك الإنسان هملا؛ لأن العبثية واللاهدفية ليستا من شأن الله تعالى، ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾.

---

(١) سورة الكهف: الآية ٦٦.
(٢) سورة البقرة: الآية ٣١.
(٣) سورة الرحمن: الآيات ١ ـ ٣.
(٤) تفسير نور الثقلين.

٢ ـ يجب أن ننظر إلى الذات الإلٰهيّة المقدّسة على أنها متعالية عن كل فكر وعلم مهما علا. وأن أفعاله تعالى طاهرة منزهة على كل أمر باطل وعبثي، ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾.

٣ ـ الحكومة الحكيمة والحقيقيّة والمطلقة والتي لا مثيل لها إنما هي لله تعالى، ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾.

٤ ـ كان نبي الإسلام محمد ﷺ عاشقاً متلهفاً لسماع الوحي وتلقيه، ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾.

٥ ـ تعلُّم أي شيء له آداب تناسبه، ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾.

٦ ـ النهي والعقاب الواردان في القرآن الكريم بحق النبي ﷺ يشيران إلى صدق النبي ﷺ، وإلا فلن يضع أي إنسان نفسه في مورد النهي والعقاب، ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾.

٧ ـ عند تبيان القوانين الإلٰهيّة لا بد من الالتفات إلى ظروف الزمان، ﴿وَلَا تَعْجَلْ... قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ﴾.

٨ ـ لنطلب العلم من العالم الحقيقي، ﴿رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾.

٩ ـ لا نهاية للعلم والمعرفة؛ لذا فإن ما يقال من أن فلاناً قد تخرَّج أو أنه أكمل علمه لا معنى له، ﴿زِدْنِى عِلْمًا﴾.

١٠ ـ العلم الحقيقي هو القرآن المجيد، ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ... وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾.

١١ ـ إذا نهينا أحداً عن أمر لا بد لنا في المقابل من أن ندله على الطريق الصحيح، ﴿وَلَا تَعْجَلْ... وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾.

١٢ ـ طلب الكمال والزيادة فيه، قيّم، ﴿رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾.

١٣ ـ العلم وسيلة للرشد والكمال، ﴿رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾.

١٤ ـ العلم القيّم والمعتبر هو ذلك العلم الذي يصاحب تعلمه ازدياد مستوى الإنسان ورشده، ﴿زِدْنِي عِلْمًا﴾ ولم يقل: «زد علمي».

١٥ ـ مع أنه بإمكان الله أن يلطف بعبده دون دعاء إلا أنه تعالى يطلب من نبيه أن يدعوه، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

١٦ ـ علينا استخدام كلمة «ربِّ» في الدعاء والتوجّه إلى ربوبيّة الله تعالى، ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

١٧ ـ باستثناء الله تعالى فإن علم كل موجود حتى النبي ﷺ محدود، ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

إشارات:

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾

إشارات:

- للمرة السادسة منذ بداية القرآن وحتى الآن نواجه قصة آدم وإبليس فقد أشير إلى ذلك من قبل في سور: البقرة، الأعراف، الحجر، الإسراء، والكهف[1].
- المراد من العهد هو ذاك الأمر بعدم الأكل من الشجرة، والمراد من النسيان عدم دقة آدم في القيام بالأمر، وإلا فإن النسيان المطلق لا يقع مورداً للعقاب والانتقاد.

والمراد من «العزم» هو الإرادة المحكمة القوية في مقابل وساوس إبليس.

- عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «**لما رأى رسول الله ﷺ تيماً وعدياً وبني أمية يركبون منبره أفظعه؛ فأنزل الله تبارك وتعالى قرآناً يتأسى به** ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي.

﴿ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾، ثم أوحى إليه: يا محمد إني أمرت فلم أُطع فلا تجزع أنت إذا أمرت فلم تطع في وحيك»[1].

التعاليم:

١ ـ إن الله تعالى لم يترك البشر وحدهم، ﴿عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾.

٢ ـ الإنسان موجود يتعرض بشكل طبيعي لخطر الإفراط أو التفريط إلا إذا شاء الله أن يحفظه، ﴿وَلَا تَعْجَلْ... فَنَسِيَ﴾.

٣ ـ لا بد من العزم على الإتيان بالتكاليف الإلٰهيّة، ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾.

٤ ـ من أهم أسباب انحراف الإنسان غفلته عن مقام التكريم ومقام الإنسانيّة هذا أولاً، وثانياً غفلته عن عدوه الباطني والخارجيّ والذي نبه القرآن منه مراراً وتكراراً، ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾.

٥ ـ سجود الملائكة لآدم كان بأمر من الله تكريماً لمقامه الرفيع ودلالة على تفضيله عليهم ولولا هذا لما قال إبليس: «أنا خير منه»، ﴿ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾.

٦ ـ لم يتأخر الملائكة لحظة واحدة في تطبيق الأمر الإلٰهيّ، ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾.

﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾

إشارات:

- على الرغم من تعريف الشيطان ها هنا بأنه عدو لآدم وحواء فقط، إلا أنه في مواضع أخرى عرف بأنه عدو لكل الناس، ﴿عَدُوًّا لَّكُمْ﴾[2].
- المراد من قوله «فتشقى» في هذا المقام هو مشقة الحياة الماديّة كما يستفاد من الآيات اللّاحقة لها، إذ ورد فيها: لا يوجد في الجنّة جوع ولا عري ولا عطش... يعني: إذا أُخرجت من الجنّة فسوف تبتلى بالمشقة خارجها.

---

(١) الكافي، ج١، ص ٤١٢.
(٢) سورة النساء: الآية ٩٢.

التعاليم:

١ ـ من أكبر ألطاف الله بعباده تعريفهم بخطر الشيطان، ﴿هَٰذَا عَدُوٌّ﴾.

٢ ـ الحرب والعداوة بين الحق والباطل وُجدا منذ ابتداء خلقة الإنسان، ﴿هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾.

٣ ـ الرجل والمرأة كلاهما معرضان لسهام دعاية العدو ووساوس الشيطان، ﴿عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾.

٤ ـ السنة الإلٰهيّة قائمة على إتمام الحجة على العباد، ﴿هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾.

٥ ـ الحياة في الدنيا مصاحبة للمشقة فيها، ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾.

٦ ـ الحاجات الأوّلية للإنسان تقوم في أربعة أمور:

الجوع والعطش وهما مشقتان باطنيتان، والعري وعدم المسكن وهما مشقتان خارجيتان، وقد أشير في الآيات السابقة إلى هذه الموارد الأربعة كلها، ﴿أَلَّا تَجُوعَ، وَلَا تَعْرَىٰ، لَا تَظْمَؤُا۟، وَلَا تَضْحَىٰ﴾.

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾

إشارات:

□ الشيطان هو الاسم الآخر لإبليس ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ... فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾.

□ وسوسة الشيطان لآدم كانت قبل وصوله إلى مقام النبوة[1].

□ قال السيّد ابن طاووس في بيان لطيف: إن الشيطان ابتداء توجه نحو آدم بحجة الإرشاد والدلالة فقال له: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ﴾، ومن ثم قام بالتدلية والوسوسة له ولزوجه: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾[2]، لذا فالويل لنا ولحالنا إذ إن الشيطان يقصدنا

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي. (٢) سورة الأعراف: الآية ٢٢.

ابتداء لإغوائنا وخداعنا، ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١].

❑ كلمة «غوى» من «الغي» في مقابل الرشد (والرشد هو أن يسلك الإنسان طريقاً يوصله إلى المقصد)، وأما الغي فهو عدم الوصول إلى المقصد.

عبر الله تعالى عن آدم عليه السلام بقوله «فغوى» وأما عن رسول الله ﷺ فقد عبر عنه بقوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾[٢].

❑ وسوسة الشيطان لا تسلب الإنسان حرّية الاختيار؛ ولذا فإنه بعد الوسوسة من الشيطان يلوم الإنسان نفسه ويلومه الآخرون أيضاً، وأما لو كانت الوسوسة سالبة لاختيار الإنسان فلن يقع حينئذٍ مورداً للانتقاد من أحد ما.

معصية النبي آدم عليه السلام

بالنسبة إلى قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ فقد ذكرت فيه احتمالات عدة منها:

أ ـ إن آدم عليه السلام لم يذنب ولم يرتكب المعصية؛ بل إنه ارتكب ترك الأولى، وبالتالي فإن قوله «فغوى» أي لم يرشد بل ضل.

بـ إن نهي آدم عن الشجرة الممنوعة كان نهياً إرشادياً وليس نهياً مولوياً[٣].

التعاليم:

١ ـ الطريق لنفوذ الشيطان هو الميول الإنسانيّة، ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾؛ (إن الشيطان كان مطلعاً على حاجات الإنسان وميوله ولذا فإنه استغفل آدم من باب ميله إلى الخلود. نعم إن طول الأمل يجر الإنسان إلى المعصية).

٢ ـ يستفيد الشياطين من أسماء براقة وعناوين جذابة وجميلة من أجل إضلال الناس وتحقيق مقاصدهم المشؤومة، ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾.

٣ ـ الكذب آلة الشيطان لخداع بني الإنسان، ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾.

---

(١) سورة ص: الآية ٨٢.
(٢) سورة النجم: الآية ٢.
(٣) تفسير الميزان.

٤ ـ إذا صدر أي زلل من أولياء الله فإنهم ينتبهون فوراً، ﴿فَبَدَتْ﴾.
٥ ـ ظهور السوأة كان أول أثر لمعصية آدم عليه السلام، ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا﴾.
٦ ـ الستر للإنسان كرامة وجمال وأما العري فرذالة وقبح، ﴿سَوْءَاتِهِمَا﴾.
٧ ـ اللقمة الحرام سبب لذهاب الحياء وظهور القبائح، ﴿فَأَكَلَا... فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾.
٨ ـ الستر وستر العورة بالخصوص، موجودان في فطرة كل إنسان، ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾.
٩ ـ مخالفة أمر الله مخالفة لرشد الإنسان نفسه وتربيته، ﴿وَعَصَىٰ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾.
١٠ ـ آثار الذنوب ليس على حد سواء لكل من ارتكبها، ﴿فَأَكَلَا... وَعَصَىٰ ءَادَمُ﴾ (على الرغم من أن كلاً من آدم وحواء قد خالفا أمر الله وأكلا من الشجرة الممنوعة إلّا أن المعصية نسبت إلى آدم فقط).
١١ ـ المعصية سبب لحرمان الإنسان، ﴿وَعَصَىٰ... فَغَوَىٰ﴾.

﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾

إشارات:

- «الاجتباء» من «الجباية» بمعنى الجمع والاختيار والاصطفاء.
- «تاب» إذا وردت مع «إلى» فالمراد منها توبة الإنسان كما في قولك «تبت إليك»، ولكن إذا وردت مع «على» فالمراد منها توبة الله كما هو الحال في الآية السالفة، والمعنى حينئذٍ أن الله رجع بلطفه على عبده.
- ذكرت أقوال عدة في المخاطب بقوله تعالى: «اهبطا» فقيل إنه آدم وحواء، أو الإنسان والشيطان أو آدم وذرّيته.
- روي في حديث عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «...**لو جُمع بكاء أهل الدنيا وبكاء داود وبكاء نوح عليهما السلام إلى بكاء آدم على خطيئته لكان بكاء آدم أكثر**»[1].

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي.

التعاليم:

١ ـ عند اختياركم للأفراد انظروا إلى طينتهم الطاهرة ولا تجعلوا صدور زلة أو زلتين من بعضهم ملاكاً لردهم وعدم اختيارهم، ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾.

٢ ـ للزمان دور في الاختيار، ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ﴾ («ثم» فيها إشارة إلى مضي زمان ما).

٣ ـ قبول التوبة من شؤون الربوبيّة الإلٰهيّة، ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾.

٤ ـ بدل أن نقوم بطرد القوى المخالفة، علينا أن نقوم باستقطابهم وهدايتهم من خلال العفو عنهم، ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾.

٥ ـ التوبة تمهد للهداية، ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾.

٦ ـ بإمكان ذنب واحد فقط أن يهبط جيلا بلا ذرية بأكملها، ﴿ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا﴾.

٧ ـ هبوط البشر سبب لظهور العداوة في ما بينهم، ﴿ٱهْبِطَا... بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾.

٨ ـ أول بشارة لآدم ورود الإرشادات الإلٰهيّة والتي إذا اتُّبِعَت فإنها ستفتح طريق السعادة والعودة إلى الجنّة، ﴿ٱهْبِطَا... فَمَنِ ٱتَّبَعَ...﴾.

٩ ـ إرسال الأنبياء ﷺ والهداية الإلٰهيّة قطعيان، (﴿يَأْتِيَنَّكُم﴾ فيها نون التاكيد).

١٠ ـ في مجال الإدارة والتربية، لو اضطررنا، بناء على بعض المصالح، إلى إصدار مذكرة بعقاب شخصٍ ما فلا بد لنا كذلك من أن نعود ونهيئ له وسيلة لرشده وإصلاحه مجدداً، ﴿ٱهْبِطَا... يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى...﴾.

١١ ـ لا يمكن لأحد سوى الله أن يكون هادياً ومرشداً للإنسان، ﴿يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾.

١٢ ـ من المقطوع به في عالم المادّيات بروز التضاد والتزاحم في ما بينها، ولكن المهم في هذا المجال هو أن لا يضيع الإنسان الخط الإلٰهيّ، ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ...﴾.

١٣ ـ الناس أحرار في اختيارهم، ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ﴾.

١٤ ـ سعادة الإنسان ونجاته تكمنان في ظل اتّباعه لأوامر الله تعالى، ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾

إشارات:

- الآية السابقة كانت مبشرة لأتباع الحق؛ ولكن هذه الآية تحذر وتنذر كل من أعرض عن الحق، والغرض من ذلك وضع الرجاء إلى جانب الخوف، ليكونا مؤثرين.
- ورد في الروايات أن ترك خط الولاية لأهل البيت عليهم السلام وكذلك ترك فريضة الحج يعد من مصاديق الإعراض عن ذكر الله[١].
- «قد يكون ضيق العيش ناتجاً أحياناً عن قلة المورد وقد يكون المرء كثير المال موفور الثراء؛ إلّا أن البخل والحرص والطمع يضيق عليه معاشه...»[٢].
- **سؤال**: كيف يمكن الجمع بين القول بكون المجرمين عمياً وبين قوله تعالى في الآية: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾[٣] والتي يحتاج فيها إلى العين لقراءة صحيفة الأعمال؟

الجواب: إن ذلك باعتبار أن للقيامة مواقف ومراحل عدّة، فمن الممكن أن يكون المجرم أعمى في موقف منها وبصيراً في موقف آخر.

- ذكر في العديد من الروايات أن المراد من العمى في يوم القيامة هو عدم رؤية طريق الحق وطريق الخير[٤].
- عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال بعد تلاوته للآية: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾: **«والله إن القبر لروضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النار»**[٥]، وبناء على هذه الرواية فإن نطاق المعيشة الضنكى يمتد إلى البرزخ أيضاً.

التعاليم:

١ ـ الناس أحرارٌ في الاختيار، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين.
(٢) تفسير الأمثل.
(٣) سورة الإسراء: الآية ١٤.
(٤) من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص ٤٤٧.
(٥) بحار الأنوار، ج٧، ص ١٠٥.

٢ ـ الإنسان مفطور على عبادة الله، غاية الأمر أن الأنبياء والأديان السماوية يذكران الإنسان فقط بذلك، ﴿عَن ذِكۡرِي﴾[1].

٣ ـ الإعراض عن ذكر الله يسبب الاضطراب والقلق والحيرة والحسرة حتى ولو كان الإنسان موفور الثراء، ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ﴾.

٤ ـ الحياة الساكنة والجميلة لا تكون إلا في ظل ذكر الله، ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي﴾.

٥ ـ الأمور المعنوية لها دور هام في الحياة المادّية أيضاً، ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾.

٥ ـ من أغمض روحه في هذه الدنيا عن الحقائق فإنه سيحشر يوم القيامة أعمى، ﴿مَنۡ أَعۡرَضَ... يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾.

٧ ـ عدم الإيمان بالله يوجب المشقة في الحياة الدنيا وكذلك الحرمان من رؤية النعم في الآخرة، ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ... مَعِيشَةٗ ضَنكٗا... يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ (١٢٦) وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ (١٢٧)﴾

إشارات:

❑ من أبرز مصاديق ذكر الله إقامة الصلاة، يقول الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[2]، ومن البديهي أن من يذكر الله فإن الله سيذكره أيضاً، وهذا وعد إلهي: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾[3]، وفي مقابل ذلك من المحتوم أن من نسي الله فإن الله أيضاً سيعرض عنه: ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾.

❑ عن رسول الله ﷺ: **«ومن قرأ القرآن ولم يعمل به حشره الله يوم القيامة أعمى فيقول يا رب:** ﴿لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ

---

(١) «الذكر» هو استحضار الإنسان لشيء ما بعد نسيانه.

(٢) سورة طه: الآية ١٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٥٢.

﴿ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ فيؤمر به إلى النار...»(١).

□ عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ قال: **الآيات الأئمة عليهم السلام ﴿فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ يعني تركتها، وكذلك اليوم تترك في النار كما تركت الأئمة عليهم السلام فلم تطع أمرهم ولم تسمع قولهم...»**(٢).

التعاليم:

١ ـ الجزاء الإلٰهيّ عدل، ﴿كَذَٰلِكَ... فَنَسِيتَهَا... تُنسَىٰ﴾.

٢ ـ إذ كان منشأ النسيان هو التهاون فسيعاقب عليه، وإلا فإن النسيان إذا كان دون اختيار فإنه لا يؤاخذ عليه، ﴿فَنَسِيتَهَا﴾.

٣ ـ إن الله يتم الحجة على الناس أولاً ومن ثم إذا لم يطيعوا فالقهر والعذاب، ﴿أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا... ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾.

٤ ـ الإسراف والاستفادة غير المناسبة من النعم تمهد للكفر، ﴿أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ﴾.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾

إشارات:

□ «النُهى» جمع «النُّهية» أي الشيء الذي ينهى الإنسان عن القبائح، ومن هذه الجهة يقال للعقل «النُهى» لأنه ينهى الإنسان عن الهوى والقبائح، وبناء على ذلك فإن العقل الواقعي، ومضافاً إلى أنه سبب للفهم والإدراك، فإنه أيضاً سبب للابتعاد عن الأخطار والسيئات والقبائح.

□ «القرن» القوم المقترنون في زمن واحد، ويطلق أحياناً على الزمان نفسه(٣).

«اللزام» أي الأمر الملازم والحتمي(٤).

---

(١) وسائل الشيعة، ج٦، ص ١٨٤.

(٢) الكافي، ج١، ص ٤٣٦.

(٣) القرن يطلق على مجموع المائة سنة (المترجم).

(٤) قيل أيضاً إن «اللزام» هو الهلاك (المترجم).

□ المراد من قوله ﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ هو ما قاله الله تعالى للنبي آدم عليه السلام عند الأمر بهبوطه[١]، إذ قال له ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[٢].

□ كان أهل مكة يمرون في أسفارهم على مساكن قوم عاد وثمود فيرون ما تبقى من آثارهم وخرابهم، وها هنا فإن الله تعالى يحذرهم في هذه الآيات بأن لا ينسوا مصير أولئك القوم بل ليتفكروا ويتدبروا في ذلك وليعتبروا بهم[٣].

التعاليم:

١ ـ التاريخ أفضل معلّم وأصدق واعظ، ومن لم يعتبر به يستحق الملامة والتوبيخ، ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ...﴾.

٢ ـ لا بد لنا من أن نحمل التهديدات الإلٰهيّة على محمل الجد، ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا...﴾.

٣ ـ التحوّلات التاريخية بيد الله تعالى، ﴿أَهْلَكْنَا﴾.

٤ ـ العلم فقط لا يكفي، بل لا بد من الاعتبار، فقد كان أولئك القوم يمرون على تلك المساكن جيئة وذهاباً ويرون ما حل بهم إلا أنهم كانوا غافلين، ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾.

٥ ـ الأماكن الخربة والتي نزل بها العذاب لا بد من أن تبعث كل صاحب عقل على التأمّل والتفكر، ﴿لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ﴾.

٦ ـ عند زيارة الآثار التاريخية لا بد من أن لا نكتفي فيها بالجانب السياحي والترويح عن النفس فقط، ﴿لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ﴾؛ من لم يعتبر فلا عقل له.

٧ ـ ليس لكل إنسان عين معتبرة وبصيرة، أخذ العبرة يختص بأولئك الذين حصنوا أنفسهم عن التلوث بالقذارات، ﴿لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ﴾.

٨ ـ للتاريخ فلسفة تقوم على أساس قانون العلة والمعلول، ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا... لَآيَاتٍ

---

(١) تفسير الميزان.

(٢) سورة البقرة: الآية ٣٦.

(٣) تفسيري الميزان والتبيان.

﴿لِأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾، فهلاك الأمم السابقة كان لأسباب ودلائل ولو تحققت هذه الأسباب في أيامنا هذه لحل ذلك الهلاك نفسه بنا أيضاً.

٩ ـ السنن الإلٰهيّة منظّمة وفق برنامج دقيق ومؤقت، ولولا ذلك لحل الهلاك فوراً بكل المجرمين، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ...﴾ (لكل أمة زمانها الخاص بها).

١٠ ـ لا يغترّنّ الظالمون الذين لا إيمان لهم بتأخر العذاب الإلٰهيّ، ﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾.

١١ ـ يعذّب الله المجرمين بعد إتمام الحجة عليهم، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾.

١٢ ـ أعمار الناس منظّمة وفق برنامج وزمان معيّنين، ﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾.

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾

إشارات:

- الله تعالى النبي ﷺ في القرآن الكريم بالصبر في تسعة عشر مورداً.
- هذه الآية، وكما هو حال الآية القرآنية ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾، تدعو النبي ﷺ إلى الصبر والتحمل والحمد وتعظيم الله تعالى، ومع أن المخاطب بهذه الآية ظاهراً هو النبي محمد ﷺ إلّا أنّها تعُمُّ الناس بالبداهة.
- ورد في بعض الروايات[١] وآراء بعض المفسرين تفسير هذه الآية بالصلاة اليومية ليلاً ونهاراً، والمراد من الصلاة في أطراف النهار النوافل اليومية.

التعاليم:

١ ـ الالتفات إلى تدبير الله وتقنينه للجزاء والعذاب وكذا الالتفات إلى السنن الإلٰهيّة كل ذلك يعد مقدمة للصبر والتسبيح والتحميد، ﴿فَاصْبِرْ﴾ (بالنظر إلى الآيات السابقة).

---

(١) الكافي، ج٣، ص٤٤٤.

٢ ـ يجب أن يكون الصبر على الأمور بمقدار المشكلات، (أي أن الصبر على كل شيء بحسبه)، ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾.

٣ ـ حمد الله وتسبيحه وسائل لشدّ العزيمة في مقابل اللجاج والعناد ودعاية الأعداء، ﴿فَٱصۡبِرۡ... وَسَبِّحۡ﴾.

٤ ـ تنزيه الله يتم عبر تعظيمه وتسبيحه وحمده، ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ﴾.

٥ ـ التخلية من الرذائل مقدمة على التحلية بالفضائل، التسبيح مقدم على التحميد، ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ﴾.

٦ ـ استفاد القرآن الكريم من الوسائل والمعايير الطبيعية لتحديد أوقات الإتيان بالتكاليف، ﴿قَبۡلَ طُلُوعِ... وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ﴾.

٧ ـ تسبيح الله وحمده قبل طلوع الشمس وقبل غروبها لهما آثار خاصة، ﴿قَبۡلَ طُلُوعِ... وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ﴾.

٨ ـ لِنَمْلأْ أوقاتنا بذكر الله تعالى لئلا يبقى مجال لسائر الأفكار الباطلة، ﴿قَبۡلَ طُلُوعِ... وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ... ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ... وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾.

٩ ـ الليل ليس للنوم والاستراحة فقط بل لا بد من أن نخصص وقتاً منه للعبادة، ﴿وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ﴾.

١٠ ـ إذا قمنا بذكر الله بشرطه وشروطه فسيكون منتجاً وذا أثر، ﴿لَعَلَّكَ﴾[١].

١١ ـ مقام «الرضا» أعلى درجات التكامل، ﴿لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ﴾؛ (للتكامل درجات: أولها: الصبر ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾، وثانيها: تنزيه الله ﴿وَسَبِّحۡ... فَسَبِّحۡ﴾، وثالثها: الشكر لله وتحميده ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾، ورابعها: الرضا بقضاء الله ﴿لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ﴾).

---

(١) قوله «لعلك» معناه أن الوصول إلى هذا المقام ليس محتوماً وقطعياً، بل ربما يحصل لك ذلك (أي أن النسبة ليست مئة في المائة (١٠٠٪) بل هي بعض النسبة المئوية)؛ والسبب في ذلك أن ذكر الله وحده لا يكفي بل لا بد من شرائط أخرى كالسعي، والوحدة، والإخلاص، وغيرها من الشروط التي لا بد من أن يُضَّمَ بعضها إلى بعضها الآخر لنحصل على نتيجة ١٠٠٪.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾

إشارات:

□ نقل عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: **«لما نزلت هذه الآية استوى رسول الله ﷺ جالساً ثم قال: من لم يتعزَّ بعزاء الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات، ومن اتَّبعَ بصرُه ما في أيدي الناس طال همه ولم يشف غيظه...»**[١].

□ على الرغم من أن القرآن الكريم قد اعتبر مال الدنيا خيراً[٢] وفضلاً[٣] وزينةً[٤] وأن الاستفادة منه محللة وجائزة، إلا أنه ذم بشدة التعلق به؛ لأن الحياة الدنيا ليست إلا كزهرة عمرها قصير وتزول بهبَّة من نسيم.

التعاليم:

١ ـ الوصول إلى مقام الرضا عن الله إنما يتم مع عدم التعلق والنظر إلى زخارف الدنيا وزبرجها (نعم إن من ينجذب إلى المظاهر المادّية سيشعر بالنقص، والحاجة، والتمييز، ولذا لن يرضى عن الله) ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ، لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾.

٢ ـ للإنسان ميل طبيعي نحو المادّيات لكن لا بد له من كبح جماحه، ﴿لَا تَمُدَّنَّ﴾.

٣ ـ النظرة مقدِّمة للجذب والتعلق، ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾.

وعلى حد قول الشاعر الإيراني:

(آهٍ من هذه العين والقلب كلاهما يناديان كل ما تراه العين يهواه القلب).

٤ ـ لا ينبغي لقائد الأمة: أن يمد عينيه إلى مال الآخرين، وأن يهتم بالمادّيات، وأن ينبهر بزخارف دنيا الآخرين وزبرجها، ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾.

---

(١) تفسير الميزان.

(٢) ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾، (سورة البقرة: الآية ١٨٠).

(٣) ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾، (سورة الجمعة: الآية ١٠).

(٤) ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (سورة الكهف: الآية ٤٦).

٥ ـ المظاهر المادّية خَطِرةٌ حتى على الأنبياء عليهم السلام، ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾.

٦ ـ لا يُعدُّ كل متاع الدنيا ووسائلها النادرة نعمة إلٰهيّة، ﴿مَتَّعْنَا﴾؛ ولم يقل: «أنعمنا».

٧ ـ ليس كل الكافرين محظوظين، ﴿أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾.

٨ ـ مظاهر الحياة الدنيوية زهرة لا تنعقد ورداً أو ثمراً بالضرورة، ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

٩ ـ مظاهر الحياة الدنيا وسائل لاختبار الإنسان، ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾.

١٠ ـ لنفكر بما في أيدينا وليس بما نراه في أيدي غيرنا، ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾.

١١ ـ إعطاء الرزق من شؤون الربوبيّة الإلٰهيّة، ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾.

١٢ ـ ليس كل ما يملكه الإنسان يعد رزقاً له؛ إذ ما أكثر الذين يمتلكون كثيراً من الأشياء إلّا أن استفادتهم منها قليل جداً، ﴿لَا تَمُدَّنَّ... مَتَّعْنَا... وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾.

١٣ ـ معيار القيمة في كل شيء أمران: أولها: كونه خيراً؛ وثانيهما: كونه دائماً باقياً: ، ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ (١٣٢)﴾

إشارات:

□ ورد في العديد من الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعد نزول هذه الآية كان يمر على باب علي وفاطمة عليهما السلام لأشهر عدة عند كل صلاة فيقول: «**الصلاة رحمكم الله** ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾»[١].

□ كان النبي صلى الله عليه وآله إذا نزلت بأهله شدة أو ضيق أمرهم بالصلاة وتل: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ...﴾[٢].

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي، تفسير الدر المنثور، تفسير مجمع البيان.

(٢) تفسير الميزان.

□ «اصطبر عليها» أي اصطبر عليها سواء من حيث إقامتها أم من حيث الأمر بها والتأكيد عليها.

التعاليم:

١ ـ الأمر بالمعروف إنما يؤثر أكثر إذا صدر من الذين لم يتعلقوا بالأمور المادّية، ﴿لَا تَمُدَّنَّ... وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾.

٢ ـ لا ينبغي لقائد المجتمع الإسلامي أن يغفل عن عائلته، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ﴾.

٣ ـ الرجل مسؤول أيضاً عن عاقبة عائلته الفكرية والعقدية ولا يكفي فقط اعتناؤه بأمورهم المادّية، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾.

٤ ـ من أهم مواطن الأمر بالمعروف العائلة والأقربون للإنسان، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾؛ (نطاق الأهل لا ينحصر بالزوجة والأولاد بل يشمل كل أفراد العائلة الكبرى).

٥ ـ ينبغي على المبلغ أن يبدأ بالتبليغ أولاً في وسط عائلته، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾.

٦ ـ أولى مراحل التربية تتم في محيط العائلة، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾.

٧ ـ الأمر بإقامة الصلاة خاصة ـ من بين كل الواجبات ـ يدلّ على أنها سر الأمان لأفراد العائلة، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ﴾.

٨ ـ إذا أردنا عدم التعلق بزخارف الدنيا ومظاهرها فلنلتجئ إلى الصلاة، ﴿لَا تَمُدَّنَّ... وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ﴾.

٩ ـ الصلاة من أهم المصاديق البينة والرفيعة للمعروف، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ﴾.

١٠ ـ موضوع إقامة الصلاة في العائلة له أهميّة خاصة؛ لذا يجب على الوالدين أن يصرّا على إقامتها[1].

---

(١) ظهر من خلال بعض الأبحاث والإحصاءات التي أجريت وسط مجموعات من التلامذة والفتية والشباب أن نسبة كبيرة منهم عللت اهتمامها بالصلاة وإقامتها باهتمام أسرهم بها.

١١ ـ لا بد في الأمر بالمعروف من المداومة عليه والثبات فيه، ﴿وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾.

١٢ ـ لا ينال الله تعالى شيء من عباداتنا بل إن ثمرتها تعود إلينا أنفسنا، ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾.

١٣ ـ الإتيان بالصالحات ينبغي أن يكون جدياً ومصاحباً لذكر آثاره القيمة، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ... وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.

١٤ ـ الصلاة ممهدة لطهارة النفس والتقوى، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ... وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.

١٥ ـ حسن العاقبة إنما يكون في ظل التقوى وليس في ظل الأمور المادّية، ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾﴾

إشارات:

- كان المشركون يتوقعون من النبي ﷺ أن يأتيهم بمعجزة كمعجزة عصا موسى ومعجزة شق البحر له، إلّا أن الله تعالى قال لهم: ألا تعلمون أن معجزة القرآن أكبر من كل المعجزات السابقة، ومع ذلك فهل آمن من قبلكم عندما شاهدوا تلك المعجزات؟!
- المراد من «الصحف الأولى» التوراة والإنجيل والزبور.

التعاليم:

١ ـ لا ينبغي الالتفات والاهتمام بالمطالب التي تتضمن العلل والمعاذير، ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ... وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا...﴾؛ (وهذا ما يمتاز به الناس المعاندون والمتكبرون؛ إذ إنهم تركوا المعجزات الموجودة بين أيديهم والدلائل الواضحة أمامهم (القرآن الكريم) وطلبوا عناداً دليلاً آخر وآية أخرى).

٢ ـ لا يهم نوع المعجزة؛ بل المهم وجود القابلية للقبول والاقتناع، ﴿لَوْلَا يَأْتِينَا... أَوَلَمْ تَأْتِهِم﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾

إشارات:

١ ـ إنما بُعث الأنبياء عليهم السلام لتتميم الحجة على الناس ولئلا يدّعوا عدم المعرفة فيحتجوا على الله بذلك، ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ...﴾.

٢ ـ ما لم تبلغ القوانين فلن يكون العقاب عادلاً، ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ﴾.

٣ ـ تبليغ الدين واجب سواء قبل الناس به أم لم يقبلوا، ولو كان الأمر خلاف ذلك لكان لهؤلاء الناس حق الاعتراض حينئذٍ، ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ...﴾.

٤ ـ اتّباع الأنبياء عليهم السلام مفتاح العزة والكرامة، ﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾.

﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾

إشارات:

- «أصحاب الصراط السوي» هم الأئمة المعصومين عليهم السلام، وأما ﴿مَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ فهم أتباعهم[1].

- عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «**سألت أبي عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾، قال: الصراط السوي، هو القائم عليه السلام والهدى من اهتدى إلى طاعته**»[2].

التعاليم:

١ ـ النبي صلى الله عليه وآله مأمور بالإنذار والتحذير، ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾.

٢ ـ مع مرور الزمان وانقضاء التاريخ سيتبين كل شيء بوضوح، ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾.

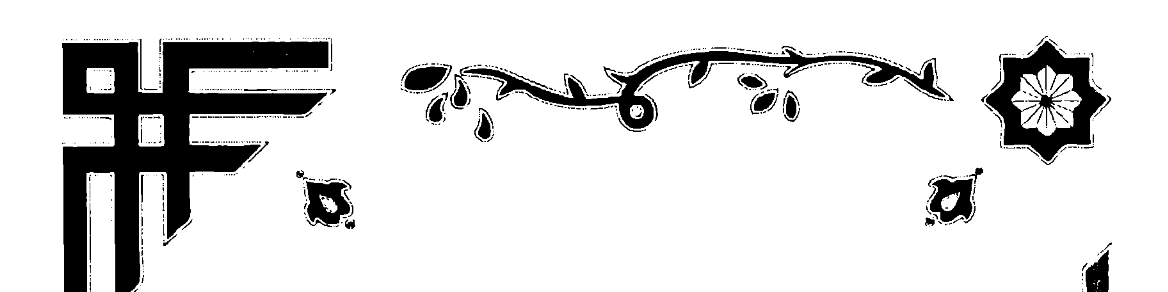
---

(١) تفسير القرآن. (٢) تأويل الآيات، ص ٣١٧.

٣ ـ الكفار يظنون أنفسهم بأنهم مهتدين، ﴿فَسَتَعْلَمُونَ... وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾.

٤ ـ الإسلام دين الاعتدال والمسلمون هم المهتدون، ﴿مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾.

«الحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ الأَنبيَاءِ

السورة: ٢١ الجزء: ١٧

عدد الآيات: ١١٢



ملامح سورة الأنبياء

سورة الأنبياء مكية وعدد آياتها مئة واثنتا عشرة آية أشير في هذه السورة إلى قصص ستة عشر نبياً من الأنبياء الذين حظوا بعناية من الله تعالى.

ومضافاً إلى ذلك، فإن هذه السورة استخدمت الوعيد والإنذار قبل الوعود والبشارات.

وقد ذكرت بركات كثيرة لتلاوة هذه السورة منها، أن من قرأها حاسبه الله حساباً يسيراً يوم القيامة، وصافحه وسلّم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن، شرط أن تكون تلاوتها حباً لها ومقدمة للإيمان والعمل[١].



(١) تفسير الأمثل.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ ﴾

إشارات:

□ **سؤال:** بالنظر إلى أن معنى «الغفلة» هو عدم التنبه إلى شيء، وأن معنى «الإعراض» هو التنبه للشيء وعدم الاهتمام به؛ لذا كيف أمكن ذكر الغفلة إلى جانب الإعراض في هذه الآية؟

الجواب: إن الغفلة على نحوين:

أ ـ الغفلة التي يوقَظُ الإنسان منها بالتحذير والإنذار.

بـ الغفلة التي تكون مقدمة للإعراض؛ أي إن الشخص الغافل لا يريد أن يستيقظ من غفلته كحال من يتظاهر بالنوم، فإنه على الرغم من سماعه للصوت، لا يفتح عينيه.

□ حيث إن أغلب الناس غافلون عن المعاد والحساب لذا فإن الله تعالى نسب الغفلة إليهم جميعاً، وإلا فإن بعض الناس مستثنون من هذا التعميم.

وقد أشير في الآية (٩٧) من هذه السورة إلى إقرار الناس بالغفلة بلسانهم أنفسهم: ﴿يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾.

لمحة عن الحساب يوم القيامة

□ يتحصل بأيدينا من مجموع الآيات ما يلي:

١ ـ سيُسأل كلّ إنسان يوم القيامة، ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[1].

٢ ـ سيحاسَب الإنسان على أعماله كلّها، ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2].

(١) سورة الأعراف: الآية ١٦.

(٢) سورة النحل: الآية ٩٣.

٣ ـ يحاسب الإنسان على أحواله وحالاته كلها، ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾[1].

٤ ـ الإنسان مسؤول عن أعضاء بدنه كلّها، ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ... كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[2].

٥ ـ سيسأل الإنسان عن النعم الإلهيّة، ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[3].

٦ ـ ستحضر كل الأعمال يوم القيامة، أينما كانت ومهما كان مقدارها، ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾[4].

وأوّل ما يُسأل عنه الإنسان يوم القيامة الصلاة. وسيحاسب على جملة من الأمور العامة كالشباب، والعمر، ومصدر ماله، وفي ما أنفقه، وعن ولاية الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وحبهم، ويكفينا فقط أن الله نفسه هو من سيحاسبنا، ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[5].

التعاليم:

١ ـ محاسبة الناس قطعية، ﴿ٱقْتَرَبَ﴾. (يشير استعمال الماضي بدل المضارع إلى كونه قطعي الحصول).

٢ ـ لا نظنن أن القيامة والحساب بعيدان، ﴿ٱقْتَرَبَ﴾.

٣ ـ يطال الحساب الناس قاطبة، ﴿لِلنَّاسِ﴾.

٤ ـ النظم والمحاسبة من لوازم الحياة الكاملة، ﴿حِسَابُهُمْ﴾. (وجود الإنسان ليس محض صدفة، بل وجد لأهداف، وضمن حساب دقيق).

٥ ـ أحياناً ولأجل لفت الانتباه يجب البدء بالكلام الصاعق المحذر والمنذر، وهذا ما شرعت به هذه السورة المباركة، ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٤.
(٢) سورة الإسراء: الآية ٣٦.
(٣) سورة النحل: الآية ٩٣.
(٤) سورة لقمان: الآية ١٦.
(٥) سورة الأنبياء: الآية ٤٧.

٦ ـ الحساب هو الذي يقترب من الناس على الرغم من أنهم غافلون عنه أو هاربون منه. قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾، ولم يقل: «اقترب الناس إلى حسابهم».

٧ ـ تصبح الغفلة أمراً خطيراً إذا صاحبها الإهمال، ﴿غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾.

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾

التعاليم:

١ ـ التذكير الإلهيّ دائم ومستمر ومتكرر، ﴿مَا يَأْتِيهِم﴾ (فعل مضارع).

٢ ـ التذكير والتربية أمران متلازمان، ﴿ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم﴾.

٣ ـ القرآن الكريم ذِكرٌ ومذكِّر، ﴿ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم﴾.

٤ ـ التجديد في التذكير وأسلوبه أمر قيّم وهام، ﴿ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾.

٥ ـ الاستماع والفهم لا يكفيان بل المطلوب القبول والعمل، ﴿ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

٦ ـ منبع اللهو واللعب هو الغفلة والإعراض، ﴿فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ... يَلْعَبُونَ﴾.

٧ ـ ليست الحياة البعيدة عن الوحي وذكر الله سوى لهو ولعب، ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾

التعاليم:

١ ـ الالتهاء بأمور لا قيمة لها تجعل الإنسان غافلاً عن الالتفات إلى المسائل الجوهريّة، كالحساب والقيامة، ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ... لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾.

٢ ـ يعلل الأفراد المنحرفون انحرافهم، ﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾.

٣ ـ لمّا لم يغفل القلة عن الله فلن يتخذ الإنسان آيات الله هزواً ولعباً، ﴿يَلْعَبُونَ ... لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾.

٤ ـ كان المخالفون للأنبياء يتواطأون عليهم سراً، ويصفون معجزاتهم بالسحر، ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى... أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ﴾.

٥ ـ ظلم الكفار، من خلال إخفاء الحقائق، أنفسهم وظلموا غيرهم كذلك، ﴿ظَلَمُوا﴾.

٦ ـ يدل اتهام الظالمين للأنبياء على أن دين الأنبياء رافض للظلم، ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا ... هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ﴾.

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾﴾

التعاليم:

١ ـ إن الأنبياء عليهم السلام يتوكلون على الله في مقابل الفتن والتهم والمؤامرات، ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾.

٢ ـ على الرغم من أن الأعداء يخفون تواطؤهم ونجواهم، ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾؛ فإنَّ الله يعلم كل شيء، وظاهرُه وباطنُه وسرُّه وعلنُه بالنسبة إليه سواء، ﴿يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾.

٣ ـ الالتفات إلى علم الله يسبب الابتعاد عن الدسائس والنجوى، ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى... رَبِّي يَعْلَمُ...﴾.

﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «أضغاث» جمع «ضِغث» أي القبضة والمجموعة، و«أحلام» جمع «حلم» بمعنى الرؤيا وبناء عليه فإن «أضغاث أحلام» معناها مجموعة من الرؤى المتفرقة.

□ طَلَبَ الكفار من نبي الإسلام صلى الله عليه وآله أن يأتيهم بمعجزات كمعجزات موسى

وعيسى عليه السلام، إلّا أن هدفهم كان التعلل والتعجيز، لأن اختيار نوع المعجزة يرتبط بالحكمة الإلهيّة لا بما يهواه الناس.

التعاليم:

١ ـ يشير تناقض أقوال الكفار إلى عدم تحليهم بالمنطق السليم، ﴿بَلْ... بَلْ... بَلْ...﴾.

٢ ـ العدو لا يكتفي ولا يقنع بافتراء تهمة واحدة، ﴿بَلْ... بَلْ... بَلْ...﴾، (فهو يضرب من كل جهة ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى... هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ... بَلْ هُوَ شَاعِرٌ...﴾؛ ولذا فإن الغزو الإعلامي والاتهامات المتواصلة هما أساس عمل الأعداء).

٣ ـ على الرغم من كل التهم التي افتراها الأعداء، فإنّهم كانوا في داخلهم مترددين في ذلك[1]، ﴿بَلْ... بَلْ... بَلْ... فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ﴾.

٤ ـ كان المشركون أيضاً يعلمون أن من لوازم النبوة الإتيان بالمعجزة، ﴿فَلْيَأْتِنَا﴾.

٥ ـ يطلب الناس المعاجز الحسّيّة، ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ﴾.

﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾

إشارات:

- في الآيات السابقة كان الكفار يقولون: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾؟ وفي هذه الآية فإن الله تعالى يقول: لم يكن النبي صلى الله عليه وآله بشراً فحسب، بل كان كل الأنبياء السابقين بشراً يوحى إليهم، فكونهم بشراً لا يتنافى مع النبوة.
- لما كان المشركون على ارتباط وثيق مع أهل الكتاب، فإن الله يخاطبهم قائلاً: أيها المشركون اسألوا أهل الكتاب (اليهود والنصارى).
- إن سؤال أهل الذكر وأهل الخبرة يعتبر مبدأ عقلائياً، وفي هذه الآية فإن المراد

(١) تفسير الميزان.

من أهل الذكر هم علماء اليهود والنصارى، وقد أوصت الروايات أنه كلما تحيرتم فاسألوا أهل بيت النبي ﷺ؛ إذ إن هؤلاء العظماء هم المصداق الأكمل لأهل الذكر.

□ عن رسول الله ﷺ: «**لا ينبغي للعالم أن يسكت عن علمه ولا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله، وقد قال الله تعالى: ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾**»[1].

التعاليم:

١ ـ سنة الله قائمة على أنه متى ما وجد الكفر، واللجاج، والعناد فسيحل قهر الله وغضبه عليهم، ﴿مَآ ءَامَنَتْ... أَهْلَكْنَٰهَآ﴾. (الإيمان سبب لحفظ المجتمع البشريّ وبقائه).

٢ ـ فلننظر نظرة اعتبار إلى التاريخ، ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾.

٣ ـ كان الأنبياء ﷺ كلّهم رجالاً، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾.

٤ ـ كل الأنبياء قد أُوحيَ إليهم وما علمُهم إلا من ذلك المنبع، ﴿نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾.

٥ ـ السؤال والتساؤل مما أوحى به الدين، ﴿فَسْئَلُوٓاْ﴾.

٦ ـ ينبغي أن يكون السؤال لأجل طلب الفهم لا لشيء آخر (كالتعنّت)، ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

٧ ـ لن نصل إلى أي علم ما لم نسأل أهله، ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾.

٨ ـ لا بد من البحث والتحقيق في المسائل العقديّة والدينيّة حتى نصل إلى العلم بها، ﴿فَسْئَلُوٓاْ﴾.

٩ ـ يجب أن يكون العالِم في متناول اليد حتى يتمكن من سؤاله، ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾.

١٠ ـ لا يكفي أن نكون من أهل العلم، بل الأهم وذو القيمة الأكبر هو الانتماء

---

(١) تفسير الدر المنثور.

إلى أهل الذكر، «فما أكثر العلماء الغافلين عن الله»، ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾.

١١ ـ لا بد في كل شأن من وجود أهل له، ولذا من غير المجدي امتلاك المعلومات السطحية والتقليدية العابرة، ﴿أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾.

١٢ ـ يجب على أهل الذكر إرشاد الناس، وإلا لكان الأمر بسؤالهم لغواً وعبثاً، ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾.

﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾﴾

إشارات:

□ من أسرار نجاح أيّ قائد أن يكون في أموره الحياتية إلى جانب الناس، معايشاً لهم، حتى يتأسوا برؤيته، وطريقة تعامله، ومعيشته بينهم.

التعاليم:

١ ـ ما من فرق بين الأنبياء ﷺ من ناحية البعد المادّي والاحتياجات الإنسانيّة وبين سائر الناس، ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ... لَّا يَأْكُلُونَ﴾.

٢ ـ توقع أن يكون الأنبياء والمصلحون والمربون ملائكة هو توقع في غير محله، ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ﴾.

٣ ـ ترك الطعام ليس مراد الله ولا سائر الأديان السماوية، ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ... لَّا يَأْكُلُونَ﴾.

٤ ـ الموت عام لكل الناس وحتى الأنبياء أيضاً لا يخلّدون، ﴿وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ﴾.

﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾﴾

إشارات:

□ هذه الآية في مقام تسلية النبي الأكرم ﷺ، إذ تقول له: نحن نفي بوعدنا بنجاة المؤمنين.

التعاليم:

١ ـ وعد النصر الذي وعد الله تعالى أنبياءه حتمي، ﴿ثُمَّ صَدَقْنَـٰهُمُ﴾.

٢ ـ وعد الله تعالى للأنبياء كان نجاة لهم وهلاك المخالفين لهم، ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُمْ... وَأَهْلَكْنَا﴾.

٣ ـ إنما العقوبات الإلٰهيّة نتيجة أعمالنا أنفسنا، ﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

٤ ـ الإسراف سبب الهلاك، والهلاك مصير المسرفين، ﴿ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَـٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾

إشارات:

- كلمة «ذكركم» إما أنها بمعنى وسيلة للذكر والتذكير، وإما أنها بمعنى القرآن، ففيه عزتكم ورفع اسمكم كلمة «الذكر» لغةً، بمعنى الشرف والشهرة أيضاً[١].
- عن الإمام الكاظم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَـٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، قال: **الطاعة للإمام عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله**[٢].

التعاليم:

١ ـ إنما الكتاب والقانون اللذان هما سببان للرشد واليقظة هما من قبل الله تعالى، ﴿أَنزَلْنَا... فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾.

٢ ـ للقرآن مكانة عالية ومنزلة رفيعة، ﴿كِتَـٰبًا﴾[٣].

٣ ـ إحدى أهداف نزول الكتب السماوية التذكير، ومنح الناس كرامة وعزة، ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾.

---

(١) القاموس المحيط.

(٢) تأويل الآيات، ص ٣١٩.

(٣) التنوين في كلمة «كتاباً» يشير إلى العظمة والرفعة.

٤ ـ ذكر تاريخ الإنسان السالف ومستقبله ومصيره في القرآن الكريم، ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾.

٥ ـ أصبح العرب وأرض الحجاز ببركة القرآن الكريم عزيزين مشهورين، ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾.

٦ ـ لو كان الناس يعقلون لمدُّوا أيديهم حتماً نحو الوحي والكتاب السماويين، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

٧ ـ علينا الاستعانة بميول الناس الفطرية من أجل إرشادهم (لكل إنسان ميل إلى أن يُذكرَ اسمُه بنحو حسن في التاريخ وأن يكون عزيزاً ذا كرامة، وكأنّه تعالى يقول في هذه الآية: «أرسلنا إليكم كتابا ليبقى فيه اسمكم»، ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾.

٨ ـ تكذيب الأنبياء عليهم السلام فيه قلة تعقل؛ ذلك أنّ معارف القرآن منسجمة مع العقل، ﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا... أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾﴾

التعاليم:

١ ـ الهلاك بعد الظلم سنة إلهية، ﴿وَكَمْ﴾.

٢ ـ كل من يكسر القانون الإلٰهيّ يُكسر، ﴿قَصَمْنَا﴾؛ (كلمة «القصم» بمعنى الكسر الشديد)[١].

٣ ـ يقرّر الناس أنفسهم مصائرهم، ﴿قَصَمْنَا... ظَالِمَةً﴾.

٤ ـ إذا أصبح الظلم سيرة وأسلوباً ونهجاً فسيحل حينئذٍ الهلاك والقهر الإلٰهيّين ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾، وأما إذا لم يستمر الظلم والتفت الإنسان إلى ظلمه وتاب إلى الله فلن يحل غضب الله عليه.

٥ ـ الإفناء والإيجاد كلاهما يسير على الله، ﴿قَصَمْنَا... أَنشَأْنَا﴾.

---

(١) القصم في الأصل بمعنى الكسر وهي هنا بمعنى الهلاك (المترجم).

﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ۝١٢ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ۝١٣ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝١٤ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ۝١٥﴾

إشارات:

□ «الحصيد» بمعنى المحصود أي المقطوع، و«الخامد» بمعنى المنطفئ.

□ المراد من قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾، أي لكي تسألوا عن أعمالكم وعن تنعمكم في الحياة الدنيا بغير حق، وعما استحققتم به العذاب[1].

التعاليم:

١ ـ العذاب النازل على المجتمعات الظالمة لا ينزل دفعة واحدة، بل هو تدريجي، ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ﴾؛ (الإحساس في مورد رؤية آثار القهر والعذاب يحصل تدريجياً).

٢ ـ ليس لأحد القدرة على مواجهة غضب الله، ﴿يَرْكُضُونَ﴾؛ (إن المغرورين أثناء حلول الخطر يتركون الساحات ويهربون).

٣ ـ لا يمكن الفرار من العذاب الإلٰهيّ، ﴿لَا تَرْكُضُواْ﴾.

٤ ـ ربما يؤدي الترف إلى الظلم والطغيان، ﴿مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾.

٥ ـ لا بد من تنفيذ العقوبة في موقع الجريمة، فلربما يُسأل عنها من يجب عليه تنفيذها، ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾.

٦ ـ عاقبة الظالمين أنهم سيسألون عن أعمالهم، ﴿تُسْـَٔلُونَ﴾.

٧ ـ الندم عاقبة الظلم، ﴿يَٰوَيْلَنَآ﴾.

٨ ـ في نهاية المطاف ستعود الضمائر الميتة إلى الحياة، ويقر المنكرون بالحقائق، ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

(١) مجمع البيان.

٩ ـ عند نزول البلاء لا ينفع الويل والثبور، ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾.

١٠ ـ عاقبة الكره والظلم للإنسان كعاقبة النبات المحصود الميت، ﴿حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾.

١١ ـ كلّ الصراخ والضجيج الإعلاميان، والتبجيل والتملق، والتهديد والترهيب، من محكوم بالخمود والانطفاء في محضر الله، ﴿خَٰمِدِينَ﴾.

١٢ ـ يؤدي استمرار الظلم إلى نزول العذاب الإلٰهيّ، ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ... حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾

إشارات:

□ تستعمل كلمة «لو» في اللغة العربيّة في الأمور المحالة، وإذ إن اللهو محال على الله تعالى لذا استفيد من كلمة «لو» في هذا المقام.

□ يقول الله تعالى في هذه الآيات ابتداءً: نحن لسنا ﴿لَٰعِبِينَ﴾، ومن ثم في تتمة الكلام يقول: ﴿أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾، بدلاً من أن يقول «لو أردنا أن نتخذ لعباً»، وبناء على ذلك يعلم أن حقيقة اللعب واللهو واحدة، ولذا نقرأ في تفسير **الميزان** قوله: اللعب هو الفعل المنتظم الذي له غاية خيالية غير واقعية، كملاعب الصبيان التي لا أثر لها إلا مفاهيم خيالية من تقدم وتأخر، وربح وخسارة، ونفع وضرر كلها بحسب الفرض والتوهم، وإذا كان اللعب بما تنجذب النفس إليه يصرفها عن الأمور الواقعية فهو من مصاديق اللهو. وبناء عليه فكلا المعنيين باطلين في حق الله تعالى ولا معنى لهما.

□ أُكِّدَ في القرآن الكريم مراراً وتكراراً على أن عالم الوجود لم يخلق عبثاً ولعباً، بل خلق لحكمة وهدف محدّدين. ومن الآيات ما ورد في الآية (١٢) من سورة الطلاق؛ إذ اعتبرت الهدف من ذلك هو إيمان الناس بقدرة الخالق. يقول الله

تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ... لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾. وحتماً لا يتحقق هذا الهدف إلا بالتفكر في عالم الوجود، وأخذ العبر والدروس، والإقرار بذلك.

□ ورد معنيان حول قوله تعالى ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾:

أولاً: إن خلق الوجود لو فرض أنه كان للهو فهو فعله وليس فعل الأصنام.

ثانياً: لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذنا لهواً مما هو عندنا من الملائكة والمقربين إلى ساحتنا، وتركنا عالم المادّيات والطبيعة.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سئل عن اللهو في غير النكاح فأنكره وتلا قول الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[1].

التعاليم:

١ ـ للوجود أهداف، ﴿وَمَا خَلَقْنَا... لَاعِبِينَ﴾؛ (إذا لم يكن الخلق لحكمة فلن يكون الموت حينئذٍ فناء كل شيء ونهايته).

٢ ـ من كان هدفه اللعب يصنع ألعاباً ولا يصنع عالماً لا نهاية له، فذرة واحدة منه فقط دفعت عصوراً وأجيالاً للبحث حولها، ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾.

٣ ـ لو فرضنا محالاً أن الله تعالى أراد أن يتخذ لهواً ولعباً، لوجب أن يتخذ ما يليق بحضرته وذاته من الروحانيات وليس من الأجسام والمادّيات[2].

٤ ـ لو فرضنا فرضاً محالاً أن هدف الله هو اللعب فلن يكون حينئذٍ له شأن بخلق الإنسان، ولم يكن ليضع هؤلاء الأنبياء جميعاً في مشقة وعناء، ولم يكن ليأمر أو لينهى، ولم يكن ليقرر ثواباً وعقاباً، ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا﴾.

---

(١) دعائم الإسلام، ج٢، ص ٢٠٦. (٢) تفسير الصافي.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾

إشارات:

- «القذف» هو الرمي البعيد مع السرعة والقوة.
- و«الدفع» أي الضربة تكسر الرأس فتؤثر في الدماغ.
- «الويل» بمعنى العذاب والهلاك، وتستعمل أحياناً في من يستحق الهلاك[١].

التعاليم:

١ ـ انتصار الحق هو إرادة الله ومشيئته، ومظهر من مظاهر هدفية نظام الخلق، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾.

٢ ـ ينبغي أن تكون مواجهة الحق للباطل هجومية لا دفاعية، ﴿نَقْذِفُ﴾.

٣ ـ سنة الله قائمة على فناء الباطل ومحوه، ﴿نَقْذِفُ... فَيَدْمَغُهُ﴾.

٤ ـ الحق غالب للباطل، ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾.

٥ ـ محو الباطل لا يتحقق إلا بحضور الحق في المعركة، ﴿نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾.

٦ ـ أثناء مواجهة الباطل لا بد من مراعاة السرعة، والقوة، ودقة التهديد، ﴿نَقْذِفُ... فَيَدْمَغُهُ﴾.

٧ ـ لا بد للباطل من أن يُزهَق ويُدمَّر كلياً لا أن يبقى فيه رمق من الحياة، ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾.

٨ ـ تقوم حكومة الباطل الآنية على أساس سنَّة الإمهال الإلٰهيّة والعاقبة للمتقين ولأهل الحق، ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾.

٩ ـ الويل لكل من وصف الخلق باللعب واللهو، ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾.

---

(١) لسان العرب.

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ٢١﴾

إشارات:

- «السنّة الجارية بين الموالي وعبيدهم في الملك الاعتباري أن العبد كلما زاد تقرباً من مولاه خفَّفَ عنه بالإغماض عن كثير من الواجبات والرسوم الجارية على عامة العبيد، وكان معفواً من الحساب والمؤاخذة... وهذا بخلاف ملكه تعالى لعبيده، فإنه ملك حقيقي: مالكه في غنى مطلق عن مملوكه، ومملوكه في حاجة مطلقة إلى مالكه، ولا يختلف فيه الحال بالقرب، والبعد، وعلو المقام ودنوه، بل كلما زاد العبد فيه قرباً كانت العظمة، والكبرياء، والعزة، والبهاء، عنده أظهر، والإحساس بذلّة نفسه ومسكنتها وحاجتها أكثر، فيلزمها الإمعان في خشوع العبودية وخضوع العبادة»[1]، ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾.
- ورد في الخطبة الأولى من نهج البلاغة كلام للإمام علي عليه السلام يصف فيه الملائكة إذ يقول: «**ومسبحون لا يسأمون ولا يغشاهم نوم العيون، ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان، ولا غفلة النسيان**».

التعاليم:

١ ـ الملكية الحقيقيّة لعالم الوجود إنما هي لله تعالى، ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾؛ (لذا ما دمنا الآن مملوكون له فلا بد لنا من أن نعمل بمقتضى وظيفة العبودية).

٢ ـ لا ينحصر كلّ من العبادة والعبودية بالإنسان فحسب، ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾.

٣ ـ في السموات موجودات حية ذات شعور أيضاً. (كلمة «من» في قوله: ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، وردت مقابل كلمة «من» في قوله: ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾ وهذا يشير إلى وجود موجودات حية ذات شعور غير الملائكة أيضاً).

---

(١) تفسير الميزان.

٤ ـ بعض مخلوقات الله تعالى تصل إلى مقام القرب الإلهيّ، ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾.

٥ ـ أساس ترك العبادة هو التكبر، ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾.

٦ ـ العبادة تقرن الإنسان بالملائكة، ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾.

٧ ـ النشاط، أساسٌ قيّمٌ للعبادة، ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾.

٨ ـ الملائكة لا ينامون، ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾.

٩ ـ دوام العبادة يزيدها عظمة وقيمة، ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ... لَا يَفْتُرُونَ﴾.

١٠ ـ علينا أن نضع العقائد الباطلة تحت مجهر السؤال والتساؤل، ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾

إشارات:

□ لو نظرنا نظرة دقيقة إلى كتاب ما ألفه مؤلّفين عدة لرأينا بشكل واضح الاختلاف بين جمله وسياقه ومحتواه في كل قسم من أقسامه بالنظر في ما بينها، ومن البديهي أنه كلما كان الكتاب أكبر وأكثر تفصيلاً لكان الاختلاف أكبر وأكثر ظهوراً؛ لأنه لو فرضنا وجود تناسق بالصدفة في كتابة جملة أو سطر أو صفحة إلا أنه في كتاب الوجود الكبير من المحال وجود هذا التناسق والانسجام والنظم من دون وجود الخالق الواحد الأحد.

□ **سؤال**: إذا كان الله تعالى هو وحده مصدر الأمور ومدبرها فلماذا إذاً يوجد تضاد في ما بينها؟

الجواب: إذا صح تسمية ذلك بالتضاد فيجب القول إنه تضادٌّ ذو حدين، أو أنه ككفّتي ميزان كلاهما تحت تدبير واحد ولتحقيق هدف واحد، أو أنه مثل الحركة المتضادة لكلا الكفين عند الإنسان للضغط على قطعة من القماش من أجل إخراج الماء منها.

□ عن هشام بن الحكم، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما الدليل على أن الله

واحد؟ قال: **اتصال التدبير وتمام الصنع كما قال الله ﷻ**: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[١].

□ هذه الآية جواب ورد على من قال إن لكل شيء ولكل أمر رب ومدبر وإله؛ ولذا قال الله تعالى لهم: ﴿رَبِّ ٱلْعَرْشِ﴾، أي أن الله تعالى هو رب الوجود كله وخالقه.

التعاليم:

١ ـ تعدد الآلهة محال، ﴿لَوْ كَانَ﴾ (كلمة «لو» تستعمل في موضع يدل على عدم إمكان القيام به، أي امتناع حصوله).

٢ ـ إله السموات والأرض واحد، ﴿فِيهِمَا﴾، خلافاً لما يقوله المشركون بوجود إله للسماء وإله للأرض. وقد اعتبر القرآن الكريم أن إله الجميع واحد، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[٢].

٣ ـ يستلزم التعدد في الربوبيّة الاختلال والفساد، ﴿ءَالِهَةٌ... لَفَسَدَتَا﴾.

٤ ـ عند ذكر أي كلام باطل لا بد من تنزيه الله تعالى، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ... فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾.

٥ ـ لا بد من أن يكون تسبيح الله ناتج عن المعرفة، وعلى أساس الاستدلال والمنطق، وليس بنحو أعمى ولقلقة لسان فحسب، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ... فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾. (استدل أولاً بأن تعدد الآلهة يستلزم الفساد في الوجود، ومن ثم ورد القول بتسبيح الله تعالى ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾).

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

إشارات:

□ تكررت في القرآن الكريم الإشارة إلى أن الإنسان مسؤول ولا بد له من الإجابة

---

(١) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص ٢٥٠.
(٢) سورة الزخرف: الآية ٨٤.

عما قام به من أعمال في الدنيا، ومن جملة ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[(١)]، وكذلك ما ورد في موضع آخر إذ يقول سبحانه: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾[(٢)].

وعلى أي حال فإن الإنسان سيسأل يوم القيامة عن أفكاره ونواياه، وعن شبابه وعمره، وعن ماله من أين اكتسبه وأين أنفقه، وعن اختياره لإمامه، والطاعة للأئمة العظام.

□ **سؤال:** حينئذٍ كيف نفسر ما ورد في آية أخرى بأنه لن يُسأل أحد لا من الجن ولا من الإنس عما قام به، ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾[(٣)].

الجواب:

١ ـ للقيامة مشاهد مختلفة ولكل مشهد منها شرائطه الخاصة به، ومثالٌ على ذلك عندما يسأل الإنسان، وهو في أحد المواقف، فبإمكانه أن يجيب بلسانه، ولكنه في موقف آخر سيختم على فمه وستشهد على أعماله سائرُ أعضائه وجوارحه.

٢ ـ ذكر بعضهم أن المجرم نفسه يُسأل عن ذنبه ولا يسأل غيره عن ذنبه لا من الإنس ولا من الجن.

□ قال الإمام الرضا ﷺ: **«قال الله تعالى: يا ابن آدم بمشيئتي كنتَ أنتَ الذي تشاء ما تشاء»**[(٤)].

التعاليم:

١ ـ الله تعالى هو المالك الحقيقي والمطلق لكل الوجود، والمالك لا يؤاخذ على التصرف في مملوكه وحكمه، ﴿رَبِّ ٱلْعَرْشِ... لَا يُسْـَٔلُ﴾.

٢ ـ إنما يمتلك حق السؤال من كان له طلب أو حق، والحال أنه ما من أحد

---

(١) سورة الحجر: الآية ٩٢.
(٢) سورة الصافات: الآية ٢٤.
(٣) سورة الرحمن: الآية ٣٩.
(٤) التفسير الصافي.

على الإطلاق له طلب أو حق على الله تعالى، ﴿لَا يُسْئَلُ﴾.

٣ ـ إنما يمكن لموجودٍ ما أن يسأل الله في ما إذا كان له الفوقية والغلبة على الله، ومثل هذا الموجود غير موجود، ﴿لَا يُسْئَلُ﴾.

٤ ـ الناس مسؤولون عن أفعالهم وأعمالهم، ﴿وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾.

٥ ـ السؤال والمؤاخذة والمحاسبة أهم دليل على تحمل المسؤولية وأهم علامة على حرّية الإنسان واختياره، ﴿وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾. (نعم إن الإنسان المجبور لا يؤاخذ أو يحاسب؛ لأن مؤاخذة الإنسان المجبر الفاقد للاختيار ومحاسبته ومساءلته لا تجوزان عقلاً).

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾

إشارات:

□ عن الإمام علي عليه السلام: «**إن النبي ﷺ أوتي (بنزول القرآن عليه) علم النبيين، وعلم الوصيين وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، ثم تلا هذه الآية:** ﴿هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى...﴾»[1]. (وبناء عليه فإن القرآن يحوي علم ما كان وعلم ما يكون).

التعاليم:

١ ـ من ابتعد عن حضرة الإله الواحد وقع في فخ الآلهة المتعدّدة، ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾.

٢ ـ لا بد للنبي ﷺ من أن يواجه الناس بالاستدلال وأن يطلب منهم البرهان، ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ﴾.

---

(١) تفسير فرات الكوفي، ص ٢٦١.

٣ ـ للتوحيد دليل، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ...﴾، أما الشرك فليس له أي دليل[1]، ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾.

٤ ـ لا يجوز التقليد في الأصول العقدية، ﴿هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾.

٥ ـ التوحيد خطاب كل الكتب السماوية، ﴿ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾.

٦ ـ تبعث الكتب السماوية على إحياء الفطرة الهامدة وتذكر بالمعارف المنسية، ﴿ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾.

٧ ـ في فضاء الجهل لا قيمة لإقبال الأكثريّة ولا لإعراضهم، ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾

□ على الرغم من أن الله تعالى قد صرح في الآية (٤٠) من سورة الأحزاب بمسألة خاتمية نبوة نبي الإسلام محمد ﷺ، إذ يقول: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّـۧنَ﴾، وعلى الرغم من الإشارة إليه بطرق مختلفة في أكثر من ثلاثين مورداً وبعبارات مختلفة فإنه ذكر فيها قوله: ﴿مِن قَبْلِكَ﴾، فإنّه لم يذكر حتى في مورد واحد قوله «من بعدك».

التعاليم:

١ ـ الرسالة مصاحبة لاستقبال الوحي، ﴿مَآ أَرْسَلْنَا... مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ﴾.

٢ ـ التوحيد كان على رأس مهام الأنبياء الإلٰهيّين كلّهم ودعوتهم، ﴿مَآ أَرْسَلْنَا... إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾.

٣ ـ يجب أن يرتكز العمل على أساس العقائد، فالقاعدة أولاً والبناء ثانياً. (التوحيد في الألوهيّة ابتداءً ومن ثم التوحيد في العبودية)، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَاعْبُدُونِ﴾.

٤ ـ حصرية طلب الحق في مقابل الباطل شعار إلهي، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾.

---

(١) نقرأ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ﴾ (سورة المؤمنون: الآية ١١٧).

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾

إشارات:

- شاع بين المشركين الاعتقاد بأنَّ الملائكة أبناء الله، وقد شاع هذا الاعتقاد بين اليهود والنصارى كذلك[1].
- إطلاق كلمة «مكرمون» على الملائكة باعتبار أنهم عباد الله أولاً، ولأن عبادتهم مقترنة بالإخلاص ثانياً.
- كلمة «الرحمن» كانت اسماً معروفاً لله تعالى عند المشركين، ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ﴾.
- تؤثر الشرائط الحاكمة على الإنسان على معتقداته وأحكامه، وإذ إن لأفراد البشر أجسام، ويرون أنفسهم محتاجين للولد فقد نسبوا ذلك إلى الله تعالى كذلك، وهو المنزه عن الجسمية والاحتياج.

التعاليم:

١ ـ أثناء نقل كلام الآخرين المشتمل على الكفر لا بد لنا من أن ننزه الله تعالى ﴿وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾.

٢ ـ كلما تعرضنا لذكر انحراف الآخرين لا بد لنا من بيان طريق الحق كذلك، ﴿وَقَالُوا... بَلْ﴾

٣ ـ التسليم لأمر الله سر كرامة العباد، ﴿مُّكْرَمُونَ... لَا يَسْبِقُونَهُ﴾. نعم، من أصبح من المكرمين لا يسبق أمر الله بقول ولا بعمل، ﴿مُّكْرَمُونَ... لَا يَسْبِقُونَهُ﴾.

٤ ـ الملائكة مأمورون لله تعالى لا يعملون إلا بأمره، ولا يسبقون أوامره أبداً، ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ... بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) تفسير الفرقان.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾

إشارات:

- «الخوف» هو الخوف من الذنب، لكن «الخشية» تعني الخوف من عظمة الله، أي خوفاً يلازم التعظيم والاحترام.
- ورد في الروايات أن المراد من قوله تعالى: ﴿لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾، أي من ارتضى الله دينه حتى ولو كان مذنباً؛ لأن المؤمن عندما يتوب من ذنبه يلطف الله به ويشمل بالشفاعة[1].

التعاليم:

١ ـ التسليم المطلق في مقابل إله يعلم كل شيء له قيمة وعظمة، ﴿بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ، يَعْلَمُ﴾. (فالالتفات إلى معرفة الله بكل شيء يؤدي إلى التسليم له والخشية منه).

٢ ـ علم الله تعالى بالماضي والمستقبل على حد سواء بخلاف علم الإنسان المرتبط بالماضي فحسب، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

٣ ـ العبودية والتسليم لله تعالى سبب لنيل مقام الشفاعة، ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ، لَا يَسْبِقُونَهُۥ، يَشْفَعُونَ﴾.

٤ ـ الملائكة من أهل الشفاعة أيضاً، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾.

٥ ـ الشفاعة لا تليق إلا بأهلها، والذين يُشمَلون بالشفاعة هم الذين ارتضى الله تعالى دينهم، ﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾.

٦ ـ كلما كبرت المعرفة بالله زادت الخشية منه، ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾. (مقام العصمة غير مانع من خشية الله).

---

(١) تفسير الصافي وتفسير نور الثقلين، التوحيد للصدوق، ص ٤٠٨.

﴿۞وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾

إشارات:

□ ربما تكون هذه الآية من باب «تكلم مع الباب ليسمع الحائط»، أي اعلموا أيها الناس أن كل موجود، حتى ولو كان من الملائكة المكرمين (ومع أن هذا التصور محال في حقهم)، يدعو الآخرين إلى الشرك بالله فسيكون جزاؤه نار جهنم.

التعاليم:

١ ـ ادعاء الشرك غير قابل للقبول من أي موجود وغير قابل للعفو والتسامح، ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ...﴾.

٢ ـ كل من يدّعي العلم في مقابل الله تعالى ويطرح نفسه كشريك له وسواء اتبعه الناس أم لم يتبعه أحد ما فإن جزائه نار جهنم، ﴿إِنِّيٓ إِلَٰهٞ... نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ﴾.

٣ ـ تقوم العقوبات الإلٰهيّة على سنة وقانون دائم، ﴿كَذَٰلِكَ﴾.

٤ ـ المشرك ظالم وعقوبة الظلم ليست إلا النار، ﴿نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠﴾

إشارات:

□ ذكرت أقوال عدة في المراد من كون السموات والأرض ﴿رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ﴾:

أ ـ إن رتق السماء والأرض إشارة إلى بداية الخلقة؛ إذ يرى العلماء أن كل هذا العالم كان كتلة واحدة عظيمة من البخار المحترق وتجزأ تدريجياً نتيجة الانفجارات الداخليّة والحركة.

ب ـ المراد من الرتق هو كون مواد العالم متحدة بحيث تداخلت في ما بينها وكانت تبدو وكأنها مادة واحدة، إلا أنها انفصلت بعضها عن بعضها الآخر بمرور الزمان.

ج ـ إن المراد من رتق السماء هو أنها لم تكن تمطر في البداية. والمراد من رتق الأرض أنها لم تكن تنبت النبات في ذلك الزمان، إلّا أن الله سبحانه فتق الاثنين فأنزل من السماء المطر وأخرج من الأرض أنواع النباتات[١].

□ مصدر وجود الإنسان والحيوانات هو الماء. يشكل الماء ٧٠٪ من أجسام الناس والحيوانات كذلك فإن حياة النباتات ترتبط بوجود الماء.

التعاليم:

١ ـ التأمّل الهادف في الطبيعة مفتاح لكسب الإيمان، ﴿أَوَلَمْ يَرَ... أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٢ ـ مرَّ عالم الطبيعة في مراحل مختلفة، ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾.

٣ ـ لا خير في الجمود والرتق، في الفتق منشأ الحياة، ﴿رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾.

٤ ـ الماء عنصر حياتي للكائنات الحية، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾

إشارات:

□ «الرواسي» جمع «راسية» بمعنى الثابتة، والمراد منها في هذه الآية الجبال الثابتة و«تميد» مأخوذة من «الميد» بمعنى اضطراب الأشياء الكبيرة.

وكلمة «فجاج» تطلق على الطرق الواسعة بين جبلين؛ وأما الطرق الضيقة بينهما فتسمّى «شعب»[٢].

□ ذكر العلماء للجبال فوائد كثيرة ومنها: أنها تحافظ على الثلج، وتخزن المياه

---

(١) تفسير الأمثل.

(٢) القاموس.

من أجل فصل الصيف، وأنّها تمنع الأعاصير الناشئة عن انتقال الهواء، وتؤمّن المحيط المناسب لنمو النباتات والحيوانات، كذلك فإنها مصدر لأنواع عدة من الصخور تستخدم في البناء، وغير ذلك.

- كيف يعقل أن الله الحكيم قد جعل في الأرض جبالاً ثابتة لتمنع من اضطرابها وتزلزلها، ولم يجعل في الأرض أولياء وأئمة صابرين أقوياء لمنع الإنسان من الزلل أمام الحوادث المختلفة؟!

التعاليم:

١ ـ لم تخلق الجبال صدفة، بل خلقت على أساس التدبير الإلٰهيّ، ﴿جَعَلْنَا﴾.

٢ ـ الجبال عامل تسكين الأرض؛ فالأرض من دون وجود الجبل معرضة لاهتزازات شديدة بسبب الغازات الداخليّة والمواد المذابة في باطنها، ﴿رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾.

٣ ـ في خضم الموانع الكبرى لا بد من وجود طرق للنجاة، ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا﴾.

٤ ـ الطرق المجعولة بين الجبال، مضافاً إلى كونها وسيلة للوصول إلى مناطق أخرى، فإنها أيضاً وسيلة هداية إلى الحكمة الإلٰهيّة، ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾

إشارات:

- للأرض دفاعان، أحدهما من داخلها والآخر من خارجها؛ أما الأول: فهو بواسطة الجبال، إذ تحفظ الأرض من التحركات ومن ضغوط الغازات الداخليّة التي تسبّب الزلازل والهزات، وأما الثاني: فبواسطة الهواء السماوي، وطبقات الجو المحيطة بها والتي تحفظ الأرض من رجم الشهب ليلاً ونهاراً، وكذلك من أشعة الشمس القاتلة والإشعاعات الخطيرة من سائر الأجرام والمجرات والتي تهدد الأرض بشكل خطير دائماً.

□ ربما يكون المراد من كون السماء محفوظة أنها محفوظة من ذهاب الشياطين وإيابهم كما يقول تعالى في موضع آخر من القرآن الكريم: ﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾[١].

التعاليم:

١ ـ السماء مخلوقة وفق حساب دقيق وهدف محدد، ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾.

٢ ـ ليست الأرض محفوظة فحسب بل السماوات أيضاً، ﴿مَّحْفُوظًا﴾، (تحفظ من أن تسقط على بني الإنسان).

٣ ـ السماوات حافظة، ﴿سَقْفًا﴾، وكذلك محفوظة، ﴿مَّحْفُوظًا﴾.

٤ ـ السماء علامة على قدرة الله وحكمته، ﴿ءَايَٰتِهَا﴾.

٥ ـ على الرغم من تأكيد الله تعالى مراراً على أخذ العبرة من الآيات والاهتداء بها وأنها علامات على قدرته المطلقة، فإن الإنسان الغافل والمغرور مع ذلك يعرض عنها، ﴿عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾

إشارات:

□ الليل كما النهار مخلوقان ومجعولان من قبل الله تعالى، من قبيل قوله ﷻ في الآية الشريفة ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾[٢]، أي أن الموت كما الحياة لهما وجود مخلوق من قبل الله تعالى.

□ ذكرت احتمالات عدة في كلمة «كل» في هذه الآية:

أ ـ ليست الشمس والقمر في حركة فحسب؛ بل كل الأجرام السماوية متحركة أيضاً.

---

(١) سورة الحجر: الآية ١٧. (٢) سورة الملك: الآية ٢.

ب ـ كل طلوع للشمس والقمر يختلف موقعه عن غيره من الطلوعات[١].

ج ـ الليل والنهار في حركة أيضاً كما هو حال الشمس والقمر؛ لأن الليل، وهو الظل المخروطي للأرض، له مدار خاص فإذا نظر إليه الإنسان من بعيد، من خارج الكرة الأرضية، فسيرى أن هذا الظل المخروطي في حركة مستمرة حول الأرض، وسيرى نور الشمس الذي يشع على الأرض مشكلاً النهار كالأسطوانة التي تنتقل دائماً حول هذه الكرة، وبناء على هذا فإن لكل من الليل والنهار مداراً خاصاً به[٢].

التعاليم:

١ ـ أفضل طريق لمعرفة الله التفكر في مخلوقاته، ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ...﴾؛ لأن الطبيعة في مرأى كل الناس واختيارهم.

٢ ـ لكل من الكواكب والنجوم فلك يتحرك ويسبح فيه، ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ﴾.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾

إشارات:

□ عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: «**إن الله يقول:** ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾، **فالخير: الصحة والغنى، والشر: المرض والفقر، ابتلاءً واختباراً وشدة تعبد**»[٣].

الموت في القرآن والروايات

١ ـ الاستعداد للموت صفة أولياء الله، ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾[٤].

---

(١) تفسير اللاهيجي.
(٢) تفسير الميزان وتفسير الأمثل.
(٣) بحار الأنوار، ج٨، ص ٢٠٩.
(٤) سورة الجمعة: الآية ٦.

٢ ـ مكانة الموت في حياة الإنسان كحال القلادة على صدر الفتاة: **«خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة»**[١].

٣ ـ الموت ليس نهاية الطريق، بل هو بمنزلة تغيير في الحياة وأسلوبها، (تنقلون من دار إلى دار)، وهو كنزع الثوب واستبداله[٢].

٤ ـ كل إنسان ينقل من هذه الدنيا بنحو ما، فبعض الناس يموت بأشد الحالات والأوصاف، وبعضٌ آخر يموت كما يشم أطيب وردة وريح[٣].

٥ ـ خوف الإنسان من الموت كخوف السائق إما من قلة الوقود، **«آه من قلة الزاد وطول الطريق»**[٤]، وإما لحمله بضائع مهربة وممنوعة، (المذنب)، وإما لأنه لا يعرف قيادة السيارة، وإلا فلماذا يخاف ولِمَ الخوف؟!

التعاليم:

١ ـ سنة الله قائمة على عدم خلود الإنسان في هذه الدنيا، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ... ٱلْخُلْدَ﴾.

٢ ـ لو فرض أن إنساناً ما سيخلد في هذه الدنيا لكان هذا الإنسان هو النبي محمد ﷺ، ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾.

٣ ـ على الرغم من أن الشر والخير كلاهما وسيلة للابتلاء فإنَّ الابتلاء بالشرور أنسب، ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾، (تقدُّم ذكر الشر على الخير ربما يشير إلى هذه الأنسبية).

٤ ـ الابتلاء الإلٰهيّ صعب ومهمّ أيضاً، ﴿وَنَبْلُوكُم... فِتْنَةً﴾.

٥ ـ لن نُفنى بالموت فالموت ليس فناء، ﴿إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.

---

(١) ورد هذا التشبيه الرائع عن الإمام الحسين عليه السلام قبيل سفره إلى كربلاء.

(٢) بحار الأنوار، ج٦، ص ١٥٤.

(٣) بحار الأنوار، ج٦، ص ١٥٢.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٧٧.

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

إشارات:

- يؤدي الكفر بالإنسان إلى الاستهزاء والسخرية بالمنطق القوي والسليم وأقوال المعصوم عليه السلام، ولكن المعصوم غير مستعد لأن يظهر أقل احترام وأدب تجاه الحجارة والأخشاب (الأصنام)، ولهذا فإنهم قالوا: ﴿يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ فقط، مع أن مرادهم «يذكر آلهتكم بسوء».
- إذا كان في حوض أو مستنقع من الماء جثة متعفنة ذات رائحة كريهة، فإذا تساقط عليها المطر ازداد تعفنها وازدادت رائحتها الكريهة، وحال الكفر كحال الجثة الميتة مع روح الإنسان، إذ إنها عندما ترى النبي ﷺ تزداد عناداً ولجاجة.

التعاليم:

١ ـ الكفار لا يملكون إلا السخرية والاستهزاء، ولا يملكون أي سلاح علمي ومنطقي، ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ...﴾؛ (الاستهزاء صفة العاجز عن الاستدلال).

٢ ـ يُهيِّج الكافرون عواطف الناس ضد النبي ﷺ، ﴿ءَالِهَتَكُمْ﴾.

٣ ـ من ابتلي بالخبائث الباطنية فإنه كلما ازداد من رؤية القادة الإلٰهيّين فإنه يزداد انقلاباً على عقبيه، ﴿رَءَاكَ... يَتَّخِذُونَكَ﴾.

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾

التعاليم:

١ ـ استعجال الإنسان في ما يريد لا أثر له في مشيئة الله وحكمته، ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾.

٢ ـ الإنسان قادر على كبح جماح غرائزه والسيطرة عليها، ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ... فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣٨﴾

التعاليم:

١ ـ تبعث خصلة العجلة في الإنسان الكافرين إلى التساؤل عن زمان تحقق الوعود الإلٰهيّة، ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ... وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾.

﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٣٩﴾

إشارات:

❑ أشير في هذه الآية إلى مورد من موارد عجلة الإنسان؛ ألا وهو سؤال الكافرين المتكرر للنبي ﷺ: متى تأتي القيامة الموعودة والتي سنعذب فيها بسبب كفرنا؟ وكان ذلك يزعج النبي ﷺ، لذا فإن الله يسلي نبيه قائلاً له: لو يعلم هؤلاء الكافرون بذلك اليوم الذي ستحيط بهم النار من أمامهم، ومن خلفهم، ومن كل جهة ولن يجدوا مفراً منها، فسوف لن يستعجلوا مجيئه أبداً.

التعاليم:

١ ـ تسَرّع الإنسان واستعجاله سببه جهل الإنسان، ﴿لَوْ يَعْلَمُ﴾؛ (لو كانوا يعلمون لما استعجلوا).

٢ ـ العلم بأخطار القيامة مانع من رفض الحق، ﴿لَوْ يَعْلَمُ...﴾.

٣ ـ الكفر مانع من الشفاعة، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

٤ ـ المعبودات الأخرى، (أي غير الله)، فاقدة لأي تأثير وفائدة ترجى، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

٥ ـ لا يستطيع الكفار في يوم القيامة أن يدفعوا النار عنهم، ولا يُنصرون من قبل أصنامهم وطواغيتهم، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾

التعاليم:

١ ـ عندما يختل الفكر تختل الإرادة والقدرة أيضاً. (البهت الفكري يسلب القدرة ويشلها)، ﴿فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾.

٢ ـ إمهال الكافرين سُنة إلٰهيّة في الدنيا لا في الآخرة، ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾

التعاليم:

١ ـ كان للبشر أنبياء على مر التاريخ، ﴿بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾.

٢ ـ اعتمد الكفار على مر التاريخ أسلوب الاستهزاء والسخرية، ﴿سَخِرُوا مِنْهُم﴾.

٣ ـ يخفف الاطلاع على آلام الآخرين من آلام الإنسان، ﴿اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾.

٤ ـ لا ينبغي للأفعال الحكيمة أن تُعطّل بسبب سخرية بعضٍ واستهزائهم. (على الرغم من أن الأنبياء قد تعرضوا للسخرية بهم إلّا أن إرسالهم لم يتوقف)، ﴿اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾.

٥ ـ الاستهزاء سبب للابتلاء، ﴿سَخِرُوا... فَحَاقَ...﴾.

٦ ـ الجزاء يسانخ الذنب، ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا... مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾

التعاليم:

١ ـ لا يمكن لأي قوة وقدرة أن تحمي الإنسان من الأخطار، ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم...﴾.

٢ ـ الإنسان بحاجة إلى حماية الله وحفظه دائماً، ﴿مَن يَكْلَؤُكُم...﴾.

٣ ـ من الأساليب الناجحة في التبليغ مخاطبة وجدان الناس، ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم﴾.

٤ ـ محافظة الله دائمة وتعم الناس جميعاً حتى الكافرين منهم، ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم﴾.

٥ ـ تصل أعمالنا إلى حد تُغضب منبع الرحمة كلها، ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾. (حفظ الله يقوم على أساس عطفه ورحمته)، ﴿يَكْلَؤُكُم... مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾.

٦ ـ الحفظ من شؤون ربوبيّة الله تعالى: ﴿يَكْلَؤُكُم... رَبِّهِم﴾ (ابتداء من حفظ السماوات، ووصولاً إلى ترويض الحيوانات، ومن ثم دفاع البدن أمام الميكروبات والجراثيم التي تهاجم جسم الإنسان، وغيرها من مئات أنواع الحفظ التي تحيط بوجود الإنسان).

٧ ـ إذا أعرض الناس عن ذكر الله فإنه أيضاً سيعرض عنهم، فالله ابتداءً خاطب الكافرين بصيغة المخاطب، ﴿يَكْلَؤُكُم﴾؛ ولكنه من بعد ذلك كأنه أعرض عنهم، (لإعراضهم عنه)، فأشار إليهم بصيغة الغائب، ﴿بَلْ هُمْ﴾.

٨ ـ لا بد للإنسان من أن يذكر المربي الواقعي له، ولو لم يفعل ذلك فإنه يستحق التوبيخ، ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾.

﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾

التعاليم:

١ ـ لا يستطيع غير الله تعالى الدفاع عن نفسه (باطناً)، ولا يستطيع الدفاع عن غيره ونصرته (خارجاً)، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ...﴾.

٢ ـ كيف يمكن للعاجز المحتاج أن يُعبَد، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾.

٣ ـ كيف يمكن لمن لاحظّ له من الوجود أن يهب الوجود، ﴿ءَالِهَةٌ... لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾.

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾

إشارات:

□ ذكرت معان مختلفة في المراد من إنقاص الأرض، من أطرافها في قوله تعالى: ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾، منها:

أ ـ المراد منها موت العلماء وفقدهم[١].

ب ـ المقصود هو انقراض الأمم التي تسكن الأرض[٢].

ج ـ قيل أرض الكفرة ننقصها من أطراف الأرض، أي بتسليط المسلمين عليها[٣].

د ـ قيل إن حجم الكرة الأرضية يميل إلى النقصان من الناحية الجغرافية.

التعاليم:

١ ـ إن طول العمر والإمتاع إنما هو بإرادة الله تعالى، ولا دور في ذلك لأي معبود سوى الله، ﴿مَتَّعْنَا﴾.

٢ ـ ليس كل إمتاع للناس أو لأسلافهم يدل على أنه لطف من الله، ﴿بَلْ مَتَّعْنَا﴾. (لا يغفلنكم طول العمر وإمتاع أسلافكم).

٣ ـ لا عجلة لله تعالى في معاقبة الكافرين، ﴿مَتَّعْنَا﴾.

٤ ـ لا ينبغي الأنس بطول العمر، ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾. يطيل الله تعالى عمر الكافرين إمهالاً لهم في زيادة إثمهم، ﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾[٤].

٥ ـ الاطلاع على تاريخ الأمم والحضارات وأخذ العبرة منهم ممدوح، ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ...﴾.

---

(١) التفسير الصافي.

(٢) تفسير الميزان.

(٣) التفسير الصافي.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٧٨.

٦ ـ على الرغم من مشاهدة الانقراض المتوالي للأمم، فهل يظن الكفار مجدداً أنهم سيغلبون؟ ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾

التعاليم:

١ ـ لم يقم إنذار الأنبياء وتبشيرهم على أساس الآراء الشخصيّة، والحدس، والظن، والخيالات، بل قام على أساس الوحي الإلٰهيّ القطعي، ﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾.

٢ ـ من لم يستفد استفادةً صحيحة من نعم الله تعالى فكأنه محروم من هذه النعم، ﴿ٱلصُّمُّ﴾، فإذا كان للإنسان أذن في الظاهر؛ ولكنه لا يسمع الحق بها، أو كان له عين ولا يرى الحقائق فيها، فهو في الواقع أصم وأعمى.

٣ ـ أحياناً لا يؤدي التبليغ غرضه ليس بسبب نقص في المبلغ أو خلل في أسلوب تبليغه، بل لعدم امتلاك الناس القابلية اللازمة له، ﴿أُنذِرُكُم... لَا يَسْمَعُ﴾.

٤ ـ بعض الناس لا قابلية لهم للهداية، بل لا أمل بهدايتهم، ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ...﴾.

(ما نفع الوعظ لمن اسودّ قلبه فمسمار الحديد لا يخترق الصخر)

﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾

التعاليم:

١ ـ الذين لم يستيقظوا من غفلتهم بإنذار الأنبياء ﷺ يستيقظون عندما يضربون بأسواط العذاب، فعند حلول أبسط الأخطار يتداعى الغرور الكاذب وتستيقظ الضمائر الميتة، ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾.

٢ ـ سيعترف الظالمون يوماً ما بظلمهم، ﴿لَيَقُولُنَّ﴾.

٣ ـ الذين لا يعتنون بإنذار الأنبياء لهم، ولا يهتمون بذلك، هم ظالمون، ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ... إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾

إشارات:

□ هذه الآية بشارة للمحسنين وإنذار للمذنبين بأنكم تعاقبون على أعمالكم أو تُثابون عليها، دون أي نقصان فيها، وكما يقول الفيض الكاشاني رحمه الله:

احذر ففي كل ذرّة حساب؛ احذر فهنا ديوان الحساب والكتاب.

□ «الخردل» اسم نبات له حبوب سوداء صغيرة جداً يضرب بها المثل لدقتها وصغرها وحقارتها.

□ «الميزان» بمعنى آلة الوزن، وذكر مراراً في القرآن الكريم، وأكّد عليه من قبل الله تعالى. ومما يجدر ذكره أنّه لا بد من وزن كلّ شيء بميزان يتناسب مع حاله، فمثلاً لقياس درجة حرارة الهواء نستعمل ميزان الحرارة، ولمعرفة الطول نستعمل المتر، ولمعرفة وزن الأشياء نستعمل الكيلوغرام، وهكذا. فمن البديهي إذاً في مورد وزن قِيَمَ وأعمال الإنسان، أن توجد وسيلة وميزان يتناسبان مع هذه العناوين، وقد ورد في الروايات أن الأئمة المعصومين والأنبياء والأوصياء عليهم السلام هم الموازين القسط[1]، وكذلك نقرأ في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام «**السلام على ميزان الأعمال**»[2].

□ **سؤال:** إذا كان حساب الله دقيقاً، في الواقع، إلى هذا الحد، فكيف نفسر حينئذٍ عفو الله وكرمه؟

(١) الكافي، ج١، ص ٤٦٩، معاني الأخبار، ص ٣١.
(٢) تفسير الأمثل.

الجواب: المحاسبة أصل مستقل، واللطف والتسامح أصل مستقل آخر، ولكل منهما موضعه الخاص به، ولا يتنافى أحدهما مع الآخر.

❑ **سؤال**: ورد في بعض الآيات القرآنية أن الله تعالى لا يقيم وزناً لبعض الناس، ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾، فهل الميزان يومئذ لبعض الناس خاصة؟

الجواب: لا، فالميزان سيقام ويوضع لكل الناس، ولكن حيث إن الميزان إنما هو لمحاسبة الأعمال، وحيث إن بعض المجرمين لا يوجد عندهم شيء يقدموه، أنهم من أهل جهنم، فلا حاجة حينئذٍ لوضع ميزان لهم، إذ لا معنى له[1].

التعاليم:

١ ـ كل شيء، وكل شخص، وكل عمل، لديه القابلية للقياس والموازنة فسيكون ميزاناً في حد نفسه، ﴿ٱلْمَوَٰزِينَ﴾.

٢ ـ حساب الله تعالى دقيق جداً، ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾.

٣ ـ لن تمحى أعمالنا في هذه الدنيا بل سنواجه بها في يوم القيامة، ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾.

٤ ـ الله تعالى عالم، ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾، وعادل أيضاً، ﴿ٱلْقِسْطَ﴾، وكذلك محاسب، ﴿حَٰسِبِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

إشارات:

❑ كما إن الهدف الكلّي للأنبياء واحد، كذلك فإن صفات كتبهم السماوية واحدة أيضاً، فالصفات التي ذكرت في هذه الآية للتوراة وصف بها القرآن الكريم أيضاً في آيات أخرى:

---

(١) التفسير الصافي، وتفسير نور الثقلين.

أ ـ الفرقان، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾[١]. (الفرقان يطلق على الشيء الذي يعرف بواسطته الحق من الباطل).

ب ـ الضياء والنور، ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[٢].

ج ـ الذكر، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾[٣].

التعاليم:

١ ـ لا يجب أن يكون لكل نبي كتاب مستقل. فمع أن موسى وهارون عليهما السلام كانا نبيّين، فإنَّ كتابهما كان واحداً، وهو التوراة، ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ...﴾.

٢ ـ من أجل التوفيق في أي أمر أو تحرك من أجل الوصول إلى الهدف، لا بد للإنسان من أمور عدة:

أ ـ معرفة الطريق الصحيح عند مفترق الطرق، ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾.

ب ـ الضياء والنور ليتحرك في ذلك الطريق ويسير فيه، ﴿ضِيَآءً﴾.

ج ـ الوعي والاعتناء بالهدف لئلا ينحرف عن مسيره الصحيح[٤]، ﴿ذِكْرًا﴾.

٣ ـ للاستفادة من هداية الأنبياء عليهم السلام لا بد من التجهز بروحية التقوى، ﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

٤ ـ علامة التقوى، الخوف من الله والقلق من يوم القيامة، ﴿لِّلْمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم... مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾.

﴿وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَـٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

إشارات:

□ يكفي لكون القرآن مباركاً أنه استطاع في فترة وجيزة أن ينقل كثيراً من الناس

---

(١) سورة الفرقان: الآية ١.
(٢) سورة النساء: الآية ١٧٤.
(٣) سورة الحجر: الآية ٩.
(٤) تفسير الأمثل.

من الشرك إلى التوحيد، ومن التفرقة إلى الوحدة، ومن الجهل إلى العلم، ومن التوحش إلى المدينة، ومن الأسر إلى الإمارة، ومن القذارة إلى النظافة، ومن الفقر إلى الغنى، ومن الركود إلى الحركة، ومن التّرهات إلى الحقائق، ومن الذلة إلى العزة، ومن اتّباع الطاغوت إلى إطاعة المعصوم، ومن الغفلة إلى اليقظة، ومن التزلزل إلى الثبات، ومن الكفر إلى الإيمان، وبعبارة موجزة: من الظلمات إلى النور.

□ استُعملت في الآية السابقة، في مورد التوراة، كلمة «ذكراً» فحسب، ولكنه في هذه الآية وصف القرآن بأنه ﴿ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾، وحتماً فقد ورد توصيف القرآن بالفرقان والنور في آيات أخرى.

التعاليم:

١ ـ القرآن الكريم كتاب يمكن لتذكراته أن تجذب إليه ملايين القلوب على مدى العصور والأجيال، ﴿ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾.

٢ ـ لا تقبل بَرَكَةُ القرآن الإنكار، ﴿أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾.

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾

إشارات:

□ في الآيات السابقة كان الكلام عن التوراة والقرآن الكريم، وأما في هذه الآية فإن الله تعالى يقول: إن إرسال الأنبياء والكتب السماوية لم يكن أمراً طارئاً؛ بل إننا من قبل في زمن إبراهيم عليه السلام كان لدينا برنامجاً لدعوة المنحرفين والضالين.

□ إذا ألقينا نظرة على تاريخ عبادة الأصنام نخلص إلى أن صنع المجسمات ابتداء

كان تخليداً لذكرى الكبار والعظماء، وبالتدريج بدأ يأخذ منحى القداسة، وصولاً إلى عبادتها[1].

□ كلمة «التماثيل» جمع «تمثال»، بمعنى مجسم لا روح له.

التعاليم:

١ ـ كان الأنبياء عليهم السلام قبل بعثتهم كان مورد التفات وعناية من الله تعالى، ﴿مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾.

٢ ـ الرشد الواقعي هو الموصل للإنسان إلى عبادة الإله الواحد، ﴿رُشْدَهُۥ... إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ...﴾.

٣ ـ كان إبراهيم نفسه لديه قابلية تلقّي الرشد، ﴿رُشْدَهُۥ﴾؛ ولم يقل «رشداً» لأن الاستعداد والقابليات الوجودية عند الناس لتلقي الرشد متفاوتة.

٤ ـ في مقام النهي عن المنكر لا وجود لشروط عمرية محددة، ﴿قَالَ لِأَبِيهِ﴾.

٥ ـ لنشرع في النهي عن المنكر بدءاً من أقاربنا، ﴿قَالَ لِأَبِيهِ﴾.

٦ ـ في مقام النهي عن المنكر ليس العدد ملاكاً ولا معياراً، فأحياناً يجب أن يقف رجل واحد أمام جماعة كبيرة، ﴿قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾.

٧ ـ في مقام النهي عن المنكر لا بد ابتداءً من النهي عن أكبر المنكرات، ﴿قَالَ... مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾.

٨ ـ أحد الأساليب الناجحة في النهي عن المنكر هو مخاطبة وجدان الناس، ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾.

٩ ـ لا بد لنا من تحقير المنكرات ومظاهر الباطل، ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾.

١٠ ـ في مقام النهي عن المنكر لا بد من تذكير الناس بشخصيتهم وكرامتهم الإنسانيّة، ﴿أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾، ولم يقل «تعكفونها».

١١ ـ الرشد يظهر في مواجهة الخرافات وتركها، ﴿رُشْدَهُۥ... إِذْ قَالَ﴾.

---

(١) تفسير الأمثل.

١٢ ـ الآباء يمهدون لانحراف نسلهم اللّاحق، ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾.

١٣ ـ سلوك الآباء مؤثّر في تربية الأبناء حتى ولو لم يوصوهم بذلك، ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾.

١٤ ـ التقليد الأعمى للآباء والتعصب الأعمى لسيرتهم ممنوع ومذموم، ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا... أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ﴾.

١٥ ـ في مقام النهي عن المنكر لا مكان للخجل، والكناية في الكلام والتملق، ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

١٦ ـ لا الأقدمية ولا الكثرة دليل على الحقانية، ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

١٧ ـ في مجال الاعتقاد لا بد من الاستناد إلى الاستدلال لا إلى سيرة الآباء والأسلاف، ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا... وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

١٨ ـ الضلال ذو درجات ومراتب، ﴿ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «الحق» في مقابل «اللاعب» بمعنى «الجد» أي هل أنت جاد في قولك أم أنك مازح فيه؟

التعاليم:

١ ـ ليس يسيراً على من انحرف نسلاً بعد نسل إثر تقليد الأسلاف الأعمى أن يقبل الحق دفعة واحدة، ﴿أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ...﴾.

٢ ـ لا تختص ربوبيّة الخالق بالإنسان فحسب، بل إنها تشمل الوجود كلّه، ﴿رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

٣ ـ رب كل الوجود واحد، ﴿رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾. (خلافاً لمن اعتقد بأن لكل من السماء والأرض والإنسان إله ورب يخصه).

٤ ـ إن أولياء الله ليسوا وحدهم فحسب في معتقدهم الحق، بل هم يرون أنفسهم متصلين بكل الموحدين عبر التاريخ وبملائكة الله تعالى، ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ۝٥٧﴾

إشارات:

□ اختلفت آراء المفسرين حول كيفية صدور مثل هذا الكلام الحازم والتهديدي من قبل النبي إبراهيم عليه السلام، فذهب بعضهم كصاحب التفسير الأصفى وصاحب تفسير الميزان إلى أن هذا الكلام لم يصدر منه علناً وإنما صدر منه سراً، وذهبا إلى أن مثل هذه الدعوى الصريحة في مواجهة الآلهة الصغيرة والكبيرة لأمة كبيرة، وفي اليوم الأول لدعوته، وحال كونه وحيداً، مخالف للاحتياط.

إلا أنه يبدو لنا خلاف ما ذهبا إليه؛ إذ إن تفكير أولياء الله وحساباتهم تختلف عن حسابات الناس العادية؛ فلا يمكن لأي شيء أن يقف مانعاً أمام نهجهم الواضح ورسالتهم الإلٰهيّة، ألم نقرأ في الآيات السابقة أن إبراهيم عليه السلام قد قال للناس بصراحة أنكم ﴿أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾، وكذلك ألم تخاطب السيدة زينب عليها السلام يزيداً وهي أسيرة في الشام قائلة له: «إني استصغرك»، ومن ثم قامت بتقريعه وتقريع من حوله.

ألم يخاطب الإمام الخمينيّ، قدّس سرّه، الشاه وقد كان في أوج سلطانه الجائر، والمسلح من رأسه إلى أخمص قدميه، والمساند من قبل القوى الداخليّة والحماية الخارجيّة، قائلاً له وللجميع: «على الشاه أن يرحل»؛ ألم يقل الإمام الخمينيّ، قدّس سرّه، لخليفة الشاه كذلك «سأصفع وجه هذه الدولة». وألم يقل لأميركا رأس الاستكبار والطغيان العالمي: «لا يمكن لأميركا أن ترتكب أي حماقة». وفي الحقيقة لا تتلاءم هذه الأقوال مع أي ملاحظات سياسيّة أو احتياطات عادية.

□ يذهب بعضٌ إلى الاعتقاد بأنه لا بد من مواجهة مظاهر الفساد وأسبابه عبر المقاومة السلبية، فقد صرح أحد الكبار حول دور السينما أثناء حكم

الطاغوت، أي الشاه، والتي كانت وسيلة هامة لانحراف جيل الشباب قائلاً: إذا امتنع الناس عن الذهاب إلى السينما فإنها ستُعطل بنفسها، إلّا أن الآية السابقة تدين مثل هذا التفكير وتصر على قلع مادة الفساد من أساسها، كما فعل النبي موسى عندما أحرق العجل الذهبي ونفسه، وكما فعل النبي محمد ﷺ عندما قام بتهديم مسجد ضرار الذي كان قاعدة للمنافقين.

التعاليم:

١ ـ يمنح الإيمان بالهدف واليقين بصحة النهج الإنسان القوة والعزم، ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ﴾.

٢ ـ تحتاج الأعمال الهامة والكبرى إلى تخطيط هام ودقيق، ﴿لَأَكِيدَنَّ﴾، كلمة ﴿لَأَكِيدَنَّ﴾ مأخوذة من «الكيد»، بمعنى التدبير الخفي والتخطيط.

٣ ـ الحزم صفة ملازمة للقائد الناجح، ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ﴾، القَسم بقول، ﴿تَاللَّهِ﴾ أشد من القَسم بقول «بالله»[1].

٤ ـ إن الأنبياء ﷺ، ومن خلال اتصالهم بمنبع الوحي، قادرون بمفردهم على اتخاذ التدبير اللازم، ﴿لَأَكِيدَنَّ﴾.

٥ ـ مواجهة النبي إبراهيم ﷺ للأصنام كانت جدية بشكل كامل، ولم تكن بقصد التخوين وإثارة الرعب، ﴿لَأَكِيدَنَّ﴾. (ذكر «اللام» و«النون المشددة» يشير إلى التأكيد والحتميّة).

٦ ـ لم تمنع كثرة الأصنام وتعددها عزم إبراهيم وتصميمه على هدمها، ﴿أَصْنَامَكُم﴾.

٧ ـ لولا حضور عبَّاد الأصنام كلهم لكانت الأصنام كلها عاجزة أمام فأس واحد، ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾، في الواقع كان عبَّاد الأصنام هم المحافظون عليها، ولم تكن الأصنام هي التي تحفظهم وتحميهم.

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي.

٨ ـ أحياناً وأثناء تنفيذ الأهداف الكبرى لا بد من حضور الناس، ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾، ولكن في أحيان أخرى يشترط عدم حضورهم، ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ﴾.

٩ ـ ما دامت الأصنام موجودة فستبقى عبادتها موجودة أيضاً؛ لذا يجب القضاء على الأصنام كلها، ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

إشارات:

- عندما خرج الناس في يوم عيد لهم إلى خارج المدينة خرج النبي إبراهيم عليه السلام معهم أيضاً، وفي وسط الطريق تعلل بعذر للرجوع إلى المدينة. فرجع إليها، وعندما حانت الفرصة المناسبة له قام بتنفيذ ما هدف إليه بشكل عملي.
- كلمة «جذاذاً» من «الجد»، بمعنى كسر الشيء وتفتيته قطعة قطعة.
- لربما لو كسر النبي إبراهيم عليه السلام كبير الأصنام فإنه ومع جَرحه لإحساسات الناس بشكل كامل، لم يكن ليصل إلى هدفه، بل ربما كان لعمله حينئذٍ نتيجة معكوسة، ولَسَلَبَهم التفكر والتدبر بشكل كلّيّ، ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾.

التعاليم:

١ ـ تعدّ محاربة الأصنام من أهم واجبات الأنبياء، ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾.

٢ ـ إذا لم ينفع الوعظ والاستدلال يصل الأمر إلى المواجهة الثورية، ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾.

٣ ـ القوة الجسمية والجرأة من الكمالات، وأما الضعف والذلة والهوان فإنها نقائص، ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾.

٤ ـ من أجل إيقاظ الفكر الإنسانيّ ومحو الشرك، لا بد أحياناً من إتلاف بعض الأشياء والأموال. (فللأصنام التي كانت في زمن النبي إبراهيم عليه السلام وللعجل السامري كذلك قيمة كبيرة)، ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾.

٥ ـ لا حرمة للصنم ولا تُحترم ملكيته؛ لذا فإن كسره جائز، ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾.

٦ ـ كانت الأصنام الكبيرة كبيرة في نظر عبَّادها ولم تكن كذلك في نظر الموحدين، ﴿كَبِيرًا لَّهُمْ﴾.

٧ ـ كان تكسير الأصنام مقدمة لتحرير الفكر من الجمود، وممهداً للسؤال والجواب، ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾.

٨ ـ تلجئ العقائد المنحرفة الإنسان إلى القضايا المنحرفة، ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾. (أحياناً يسقط الإنسان إلى حد يعتبر فيه أكبر الظلم [الشرك] حقاً، ويزعم فيه أن أوضح الحقائق [التوحيد] ظلماً).

٩ ـ قام الكفار ابتداءً بتعريف النبي إبراهيم عليه السلام بأنه ظالم ليتمكنوا من محاكمته بكل سهولة، ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

١٠ ـ وصل نداء مقاومة إبراهيم عليه السلام ورفضه للظالم إلى الأرجاء كلّها، ﴿سَمِعْنَا﴾.

١١ ـ بإمكان الفتية والشباب أيضاً أن يتركوا أثراً في سبيل الحق، ﴿سَمِعْنَا فَتًى﴾.

١٢ ـ استطاع النبي إبراهيم عليه السلام، وقبل البدء بعملية التخريب من خلال دعايته ودعوته، أن يهيئ الأرضية المناسبة للثورة على الأصنام، ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾.

﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

إشارات:

- إحضار النبي إبراهيم عليه السلام أمام الناس والطلب منهم بالشهادة ضده كان نوعاً من تأليب الناس ضده، وتمهيداً لقتله، ﴿فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ﴾.
- **سؤال**: ألم يكن قول النبي إبراهيم عليه السلام ﴿فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ كذباً؟ وإذا كان كذلك، فكيف يمكن ذلك، وخصوصاً أن إبراهيم كان نبياً معصوماً، ولا يمكن أن يكذب أبداً؟

الجواب: وردت تفاسير عدة لهذه الجملة، وقدمت آراء مختلفة حولها، وسنشير هنا إلى بعض منها:

أ ـ إن النبي إبراهيم ﷺ لم يكذب، ومع أنه نسب العمل إلى كبير الأصنام قطعاً، إلّا أن كل القرائن تشهد أنه لم يكن جاداً في قصده، بل كان يريد أن يزعزع عقائد الوثنيين الخرافية الواهية، ويفندها أمامهم، ويُفهم هؤلاء أنّ هذه الأحجار والأخشاب التي لا حياة فيها ذليلة وعاجزة، إلى الحد الذي لا تستطيع أن تتكلم بجملة واحدة لتستنجد بعبَّادها؛ فكيف يريدون منها أن تحل معضلاتهم، ونظير هذا التعبير كثير في محادثاتنا اليومية. فنحن إذا أردنا إبطال أقوال الطرف المقابل نضع أمامه مسلماته على هيئة الأمر، أو الأخبار، أو الاستفهام، وهذا ليس كذباً أبداً، بل الكذب هو القول الذي لا يوجد قرينة معه[١].

ومن هذا الباب أيضاً لو قيل عند ورود إنسان جاهل أحمق: «جاء أبو علي سينا»، لن يعد مثل هذا الكلام كذباً.

ب ـ لم يكذب النبي إبراهيم ﷺ بل قام «بالتورية» اصطلاحاً، ومراده من «كبيرهم» هو الله.

ج ـ إن النبي إبراهيم ﷺ كذب، والكذب جائز في بعض الموارد كإصلاح ذات البين مثلاً، وحكمه تابع حينئذٍ للمصالح والمفاسد، وأي مصلحة أعظم من أن يؤدي كلامه، سلام الله عليه، إلى تحريك الفكر الجامد عند الناس وهزّه[٢].

د ـ إن هذا الخبر مشروط بنطق الأصنام، أي إذا نطقت هذه الأصنام فكبيرهم فعل، وإن لم ينطقوا فلم يفعل شيئاً، فما نطقوا وما كذب إبراهيم ﷺ. وهذا نظير قول العجوز: أنا طفل الآن إذا لم يكن على وجه الأرض أي نبات، ولكن النبات موجود فعلاً فإذاً أنا لست طفلاً[٣].

---

(١) تفسير الأمثل.

(٢) الكافي، ج٢، ص ٣٤٢، تفسير نور الثقلين.

(٣) تفسير نور الثقلين.

التعاليم:

١ ـ أراد عبّاد الأصنام، ومن أجل التيقن بالجرم وتكميل ملف القضيّة من أجل الحكم النهائي، الاعتماد على مسألة شهادة الناس، ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾.

٢ ـ وصلت عظمة فعل إبراهيم عليه السلام إلى الحد الذي دفعت عبّاد الأصنام اضطراراً إلى تعظيمه؛ ولذا فإنهم وبدل قولهم كما ورد في الآية السابقة، ﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ والذي يعبر عن التجاهل والتحقير، فإنهم في هذه الآية خاطبوه باسمه وفيه حينئذٍ دلالة على تعظيمه ومعرفته، ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾.

٣ ـ الاستهزاء بالخرافات ضروري في بعض الأحيان، ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾.

٤ ـ إن صناعة الأفلام، وعرض المسرحيات والتمثيل، وإقامة المعارض، ذلك كله إذا كان لأجل إيقاظ أذهان الناس ونموهم الفكري فهو حسن وجائز، ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا... بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾.

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾

التعاليم:

١ ـ من أهم أهداف الأنبياء عليهم السلام إيقاظ الوجدان، ومعرفة النفس، والرجوع إلى الذات، والالتفات إلى الفطرة، ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ... فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾.

٢ ـ الابتعاد عن الشرك، والاعتقاد بالتوحيد، رجوع إلى الذات، ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾.

٣ ـ عند إيقاظ الأفكار، فإن كل مخالف ومقصر يلقي بتقصيره على أعناق الآخرين، ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾. (وكذلك هو الحال في يوم القيامة، فيومئذ

يقول المجرمون والمذنبون بعضهم لبعضهم الآخر: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾[(١)].

٤ ـ التاريخ، والفطرة، والوجدان، من العوامل المبينة للحقائق، ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ... أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، فالذين كانوا بالأمس يعتبرون إبراهيم عليه السلام ظالماً، ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ها هم اليوم وبالرجوع إلى أنفسهم ووجدانهم يعتبرون أنفسهم الظالمين، ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

إشارات:

- يتابع رجال الله السير لتحقيق أهدافهم المقدّسة مهما كانت الظروف، ولذا فهم لا يهدأون ولو للحظة واحدة حتى ولو اتخذ سعيهم أشكالاً وأنحاءً متفاوتة، فالنبي إبراهيم عليه السلام في مسير رسالته الإلٰهيّة قام ابتداءً بالذهاب إلى عمه وقومه ودعاهم إلى التوحيد وعبادة الإله الواحد، ولمّا لم يحصل على أي نتيجة توجه في المرحلة الثانية نحو الأصنام وحطّمها قطعة قطعة، ومن ثم خاطب فطرة القوم وسعى إلى إيقاظهم من الغفلة، وفي الختام وبعد الوعظ والتوبيخ دعاهم إلى العقل، والتفكير، والمعرفة.

- ذُكر العديد من المطالب في التفاسير المختلفة حول قضيّة إلقاء النبي إبراهيم عليه السلام في النار، ومن ذلك أن المشركين، وبمعونة من الشيطان، صنعوا المنجنيق لذلك، ولكن النبي إبراهيم عليه السلام وبتوكله، الذي لا نظير له، على الله تعالى لم يطلب العون من أحد من الملائكة، حتى من جبرائيل نفسه، وفي

(١) سورة سبأ: الآية ٣١.

تلك الأثناء اشتغل بالمناجاة مع الله، والدعاء له، والتوسل بمحمد وآل محمد عليهم السلام.

□ كلمة «الأخسرين» تطلق في القرآن الكريم على الذين يفعلون السيئات، إلا أنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، لذا فإنهم لا يدركون مقدار خسارتهم ليقوموا بعد ذلك بجبرانها.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: **«عندما أمر الله تعالى النار بأن ﴿كُونِي بَرْدًا﴾، اضطربت أسنان إبراهيم عليه السلام من البرد في وسط نار النمرود وأصحابه، حتى قال الله عز وجل: «وسلاماً» على إبراهيم»**[1].

التعاليم:

١ ـ من الأساليب لدعوة الناس إلى الدين تعريفهم بضرر عدم التديّن، ﴿لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾.

٢ ـ الداعي والباعث إلى العبادة إنما هو تحصيل الخير والنجاة من الشر، والأصنام غير قادرة على أي منهما، ﴿لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾.

٣ ـ إذا تهيأت الأرضية المناسبة لليقظة من الغفلة فلا بد من تحقير المنحرفين وتوبيخهم، ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾.

٤ ـ يجب أن تكون العواطف تحت أشعة الدين، ﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾، نظراً إلى أن عم النبي إبراهيم عليه السلام كان من عبّاد الأصنام كذلك.

٥ ـ لا تتوافق عبادة الأصنام مع العقل، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، (الأفراد الجاهلون المعاندون يستحقون التوبيخ واللوم) ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

٦ ـ التوحيد تفكر عقلاني، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

٧ ـ لا عقل ولا منطق لمن يتوسّل بالقوة والترهيب ﴿حَرِّقُوهُ﴾.

---

(١) الكافي، ج٨، ص ٣١٨.

٨ ـ رجال الله ثابتون على أهدافهم حتى الموت، ﴿حَرِّقُوهُ﴾، (مع أن الإحراق أشد أنواع القتل ولكن إبراهيم ثبت على هدفه).

٩ ـ يدفع التعصب الأعمى بالإنسان إلى حد إحراق النبي عليه السلام، ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾.

١٠ ـ يسعى العدو من أجل تحريك الجماعات الغافلة والجاهلة وإثارتها إلى التوسل بالمقدّسات، ﴿وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾، ويتمسك بالغيرة والحمية، ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾.

١١ ـ الله تعالى فاعل الأسباب ومعطلها أيضاً، ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾، فهو فاعل الأسباب إذ جعل النبي عيسى عليه السلام نفسه سبباً لإحياء الموتى، وهو معطل الأسباب أيضاً؛ إذ سلب خاصية الإحراق من النار وجعلها برداً وسلاماً على النبي إبراهيم عليه السلام.

١٢ ـ الوجود ذو شعور، ويمكن مخاطبته، ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾، ولم يقل: «فجعلنا النار برداً وسلاماً».

١٣ ـ آثار الموجودات وتأثيرها إنما هو بمشيئة الله وإرادته، ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾.

١٤ ـ نور الحق لا يُطفأ بنار الكفر، ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ... قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا﴾.

١٥ ـ بإمكان قدرة الله تعالى إحباط المؤامرات كلّها، ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾.

١٦ ـ عاقبة الحق النصر ولو بعد حين، ﴿أَرَادُوا... فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾.

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (٧٢)﴾

إشارات:

□ لقد أراد العدو القضاء على إبراهيم عليه السلام وقتله، ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾. وأما نحن

(أي الله تعالى) لم ننجه فحسب، ﴿نَجَّيْنَٰهُ﴾؛ بل ﴿وَهَبْنَا لَهُۥ﴾، نسلاً مباركاً، وجعلناهم أجمعين من الصالحين والمصطفين، ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾.

□ ربّما ذكر اسم إسحاق عليه السلام في هذه الآية وعدم ذكر اسم إسماعيل عليه السلام وهو الولد البكر للنبي إبراهيم عليه السلام، مرده إلى الولادة العجيبة والخارقة للعادة للنبي إسحاق عليه السلام؛ إذ إنه ولد بإرادة الله من أم عاقر، وهي سارة على الرغم من كونها عجوزاً طاعنة في السن أيضاً.

التعاليم:

١ ـ لا يتخلى الله تعالى عن أوليائه، ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا﴾.

٢ ـ من لم يخش جبال النار وبحار العدو يصل إلى المكان المبارك، ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا﴾.

٣ ـ يدور الإنجاء الإلٰهيّ مدار السعي وهجرة الإنسان، ﴿نَجَّيْنَٰهُ... إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾.

٤ ـ الأحفاد عطاء إلهي، فيعقوب حفيد النبي إبراهيم، ﴿وَهَبْنَا لَهُۥ﴾.

٥ ـ ليست الأراضي كلّها على حد سواء، ﴿ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا﴾، فأحياناً تكون قطعة أرض واحدة بركة لكل العالمين، ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾. (ذهب بعضهم إلى الاعتقاد بأن بعض الأراضي إنما بوركت لسكن أولياء الله فيها، ولكن هذه الآية تنسب البركة إلى الأرض نفسها).

٦ ـ البركة بيد الله تعالى، ﴿بَٰرَكْنَا﴾.

٧ ـ الإيمان والعمل الصالح مضافاً إلى أثرهما على الشخص نفسه؛ فإنهما يؤثران أيضاً في نسله اللّاحق له، ﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ... وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾.

٨ ـ ينبغي أن يكون الأفراد المباركون ونسلهم المبارك في أرض مباركة، ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا... وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾.

٩ ـ الولد عطية إلٰهيّة، ﴿وَهَبْنَا﴾، ولكن ما هو الأهم من وجود الولد هو أن يكون صالحاً، ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾.

١٠ ـ الصلاح شرط أساس للقيادة والنبوة، ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾

التعاليم:

١ ـ الإمامة كالنبوة، يجب أن تكون بجعلٍ واختيارٍ من الله تعالى، ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾.

٢ ـ إن الأنبياء الكبار، ومضافاً إلى إعطائهم مقام الرسالة، (إيصال خطاب الوحي)، فإنهم جُعلوا أئمة وقادة للمجتمع أيضاً، ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾.

٣ ـ إذا تحصلت الإمامة بالقوة والغلبة فإنها تدعو إلى النار، ﴿أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ﴾، وأما إذا كانت بعناية من الله فإنها مباركة وستكون في نهج الحق، ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾.

٤ ـ لم تكن هداية الأنبياء عليهم السلام من تلقاء أنفسهم وميلهم الشخصي، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾[1]، بل كانت بأمر من الله، ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾.

٥ ـ الميل إلى القيام بفعل الخيرات لطف من الألطاف الإلٰهيّة الخاصة، ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾.

٦ ـ للصلاة والزكاة مكانة خاصة من بين كل أفعال الخير، ﴿فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ﴾.

٧ ـ الصلاة والزكاة ركنان أساسان عند الأديان السماوية كلّها، ﴿فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ﴾.

٨ ـ لن يصل الإنسان إلى درجة العبودية لله دون الصلاة والزكاة، ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾.

٩ ـ القادة الإلٰهيّون عباد مخلصون لله تعالى، ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾.

١٠ ـ لا ينبغي للنعم الإلٰهيّة أن تغفلنّكم عن عبادة الله، ﴿وَهَبْنَا لَهُۥ... وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ الأنبياء عليهم السلام وعلى الرغم من نيلهم مقام القيادة والإمامة، ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ

---

(١) سورة النجم: الآية ٣.

أَيِمَّةً﴾، فإنّهم ظلوا مع ذلك عباداً لله تعالى، ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ﴾.

١١ ـ لا ينفصل الدين عن السياسة، ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا... وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ﴾.

١٢ ـ لا بد للقائد نفسه من أن يكون عاملاً بما يهدي به الآخرين، ﴿أَيِمَّةً يَهْدُونَ... وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ﴾.

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾

إشارات:

- كان لوط ﷺ نبياً في زمن النبي إبراهيم، ولكن القيادة والإمامة كانت للنبي إبراهيم ﷺ، وربما لهذا السبب مرّ في الآية السابقة أن إسحاق ويعقوب كانا إمامين، ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَيِمَّةً﴾، أما لوط فلم يذكر اسمه في الآية، بل ذُكر في هذه الآية بشكل مستقل؛ لأن الإمامة كانت لإبراهيم ﷺ، ولم تشمل لوطاً ﷺ.
- أشار الله تعالى في هذه الآية إلى أربعة نعم هامة منّ بها على النبي لوط ﷺ، وهي: الحكم، والعلم، والنجاة، والدخول في رحمة الله.
- ربما يكون المراد من «الحكم» في هذه الآية هو مقام النبوة كما ورد هذا المعنى أيضاً حول النبي يحيى ﷺ، ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[(١)].
- إنجاء الله لا يتنافى مع سعي الإنسان وحركته، فعلى الرغم من أن نجاة النبي لوط ﷺ كانت بأمر الله وهدايته، فإنّها حصلت بإرادة لوط ﷺ، وسعيه، وحركته، ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾[(٢)].
- المراد من «الفاسقين» هاهنا هم الكفار كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾[(٣)].

---

(١) سورة مريم: الآية ١٢.

(٢) سورة هود: الآية ٨٣.

(٣) سورة السجدة: الآية ١٨.

التعاليم:

١ ـ يُنجّي الله تعالى أولياءه، ﴿نَجَّيْنَٰهُ﴾.

٢ ـ لا تبقوا في مواطن الذنوب، ﴿نَجَّيْنَٰهُ﴾.

٣ ـ قد يؤدي ارتكاب ذنب أحياناً إلى ارتكاب ذنوب أخرى، ﴿ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾.

٤ ـ الذنب سيئ، والأسوأ منه الاستمرار والإصرار عليه، ﴿كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾.

٥ ـ الإصرار على الذنوب ثمرة الكفر وسبب لسوء العاقبة، ﴿تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ، إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾.

٦ ـ البيئة والمجتمع لا يُلجئان إلى الشرّ، ﴿كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ... وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾.

٧ ـ سيدخلنا الله تعالى في رحمته إذا كنّا من عباده الصالحين، ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾

إشارات:

- ربما يكون المراد من دعاء النبي نوح عليه السلام ونداءه ﴿نَادَىٰ﴾ هو ذلك الدعاء نفسه الوارد في الآية (٢٧) من سورة نوح، إذ دعا على قومه قائلاً: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾.

ويحتمل أن هذا اللعن والدعاء عليهم كان بعد يأسه من إيمان قومه، ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾[١].

ولهذا السبب فإنه بعد ٩٥٠ سنة من التبليغ بينهم، وكل ذلك الصبر والتحمل، وصل في نهاية المطاف إلى أن يرفع يديه بالدعاء قائلاً: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾[٢].

---

(١) سورة هود: الآية ٣٨.　　(٢) سورة القمر: الآية ١٠.

التعاليم:

١ ـ معرفة تاريخ الآخرين، وما جرى معهم، والنظر إلى مصائبهم ومشاكلهم، يصبّر الإنسان، ﴿وَنُوحًا إِذ...﴾.

٢ ـ دعاء الأنبياء عليهم السلام مستجاب، ﴿نَادَىٰ... فَٱسْتَجَبْنَا﴾. (كان للدعاء دور في التحوّلات التاريخية)، ﴿نَادَىٰ... أَغْرَقْنَا﴾.

٣ ـ إذا لم تملكوا القدرة على تغيير المجتمع الفاسد، عندها فكروا في نجاة أنفسكم من بينهم، ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ...﴾.

٤ ـ الحياة وسط مجتمع ملوث بالكفر بلاء عظيم، ﴿ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

٥ ـ العاقبة المحتومة هي انتصار أهل الحق وهلاك أهل الباطل، ﴿وَنَصَرْنَٰهُ... أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾.

٦ ـ البلاء نتاج أفكار الإنسان نفسه وأعماله، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ﴾.

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾

إشارات:

- يستفاد من الروايات والتفاسير حول القضيّة المذكورة في هذه الآية ما يلي: دخل قطيع من الأغنام إلى بستان أحدهم ليلاً فأكل منه وأتلفه، فاشتكى صاحب أشجار العنب إلى داود عليه السلام، فحكم داود بأن تعطى كل الأغنام لصاحب البستان تعويضاً لخسارته الفادحة، إلّا أن ابنه سليمان عليه السلام اقترح على الأب حلاً آخر مفاده أن تودع الأغنام عند صاحب البستان ليستفيد من منافعها، ولبنها، وصوفها، وأن يودع البستان عند صاحب الأغنام ليسعى في إصلاحه، ومن ثم، وبعد جبران الخسارة، يعود أصل كل مال إلى صاحبه[1].

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص ٥٧.

ومن البديهي أن كلا النبيين كان يسعى إلى جبر الخسارة، لكن الأب، (داود عليه السلام)، رأى الحل في إعطاء الأغنام، وأما الابن، (سليمان عليه السلام)، فرأى أن يتدارك الخسران بمنافعها.

- يقول الله تعالى: على الرغم من أننا آتينا كلاً من سليمان وداود علماً وحكماً، إلّا أن حكم سليمان في هذه القضيّة كان أفضل من حكم أبيه.
- عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إن داود عليه السلام خرج يقرأ الزبور، وكان إذا قرأ الزبور لا يبقى جبل، ولا حجر، ولا طائر، إلا جاوبه**»[1].

التعاليم:

١ ـ يجب احترام الأب حتى في ذكر اسمه قبل اسم ابنه، ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾.

٢ ـ القضاء أحد مهام الأنبياء عليهم السلام، ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ﴾.

٣ ـ الأنبياء عليهم السلام هم المرجع الأصل والواقعي لاختلافات الناس كلها، ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ﴾.

٤ ـ جبران الضرر والخسارة لا اختصاص له بمورد العمد، ﴿نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾.

٥ ـ لا بد للقاضي من أن يعلم بأن الله شاهد على حكمه وقضائه، ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾.

٦ ـ الفهم والإدراك الصحيحان لا يتيسران من دون عناية إلٰهيّة، ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا﴾.

٧ ـ أحياناً قد يعطي الله الولد من الخير ما لم يعط الأب، ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾.

٨ ـ تسبيح الجبال لم يكن صدى لصوت المسبِّح؛ بل كان تسبيحها تسبيحاً واقعياً وحقيقياً، ﴿مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾.

٩ ـ للموجودات كلّها، ومنها الجبال والطير، حظ من الشعور، وهي مشغولة بتسبيح الله تعالى، ﴿يُسَبِّحْنَ﴾.

---

(١) التفسير الصافي وتفسير نور الثقلين.

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ۝٨٠ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ۝٨١﴾

إشارات:

- على الرغم من الإشارة في هذه الآية إلى الريح العاصفة التي تهب في الأرض المباركة (الشامات)، إلا أنه، وكما يظهر من الآية (٣٦) من سورة «ص»، كان النبي سليمان عليه السلام مسلطاً في سائر المناطق على الريح الهادئة أيضاً، ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾.
- ذكر في الآية (١٢) من سورة سبأ زمن هبوب الريح والمسافة التي كان يطويها سليمان عليه السلام بها، إذ يقول تعالى ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾، أي أن سليمان كان يتحرك صباحاً بالريح مسافة شهر وفي الغروب أيضاً مسافة شهر.

التعاليم:

١ ـ الاختراعات إلهامات إلٰهيّة، ﴿عَلَّمْنَاهُ﴾.
٢ ـ النبي داود عليه السلام مبتكر صناعة الدروع، ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾.
٣ ـ كان الأنبياء عليهم السلام أيضاً أهل عمل، وفن، وحرفة، ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾.
٤ ـ يحافظ الأنبياء عليهم السلام على الناس بالطرق الطبيعية والشائعة عند البشر أيضاً، ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾.
٥ ـ يجب أن تكون الصناعة في خدمة الناس، وليس لتسلط المستكبرين من البشر على البشر، ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾.
٦ ـ إعداد العدة والمقدمات الدفاعية أمر لازم وضروري، ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾.
٧ ـ نعمة الأمان موجبة للشكر، ﴿لِتُحْصِنَكُم... شَاكِرُونَ﴾، (الأمن والأمان إنما يتمان في ظل الصناعة)، ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم﴾.
٨ ـ يجب على الجميع (سواء المخترع نفسه أم سائر الناس)، أن يشكروا الله تعالى لاستفادتهم من الاختراعات والصناعات، ﴿شَاكِرُونَ﴾.
٩ ـ بإمكان أولياء الله التصرف في الطبيعة بإذن من الله، ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ۝٨٢﴾

إشارات:

□ المراد من الشياطين هاهنا هم «الجن»، وهم موجودات ذات شعور، وحياة، ومكلفون كما الإنسان، وكان النبي سليمان ﷺ، مضافاً إلى حكمه على الناس حاكماً عليهم أيضاً وله جنود منهم: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾[١].

□ كان الغوص إحدى الأعمال التي يقوم بها الجن لسليمان ﷺ، ﴿يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾، إلّا أن فنون الجن لا تنحصر بالغوص فحسب؛ بل كانوا: ﴿وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾، وقد أشير في آيات أخرى إلى بعض أعمالهم فقد كانوا أيضاً: ﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ﴾[٢].

التعاليم:

١ ـ الفن والحرفة موجودان عند الجن أيضاً، ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾.

٢ ـ يمكن أن يكون الجن في خدمة البشر، ﴿يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾.

٣ ـ لولا السلطة والرقابة لكان للفساد مجال حتى في حكومة سليمان التي لا نظير لها، ﴿وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ﴾.

﴿۞وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ۝٨٤﴾

إشارات:

□ النبي أيوب ﷺ شُرِّف في القرآن المجيد بتقليده وسام الصبر، ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾[٣].

---

(١) سورة النمل: الآية ١٧.

(٢) سورة سبأ: الآية.

(٣) سورة ص: الآية ٤٤.

□ على الرغم من ابتلاء النبي أيوب عليه السلام بمشاكل كثيرة وأمراض صعبة إلا أنه، وخلافاً لما ورد في بعض الكتب، لم يبعث ذلك الناس إلى النفور منه؛ لأنه، ومضافاً إلى أن ذلك مخالف لقاعدة اللطف، لا يتلاءم مع ما ورد في الروايات والتفاسير كتفسير الميزان، والتفسير الكبير للفخر الرازي، وتفسير أطيب البيان، وتفسير أبي الفتوح، وتفسير الأمثل، وغيرها من التفاسير.

□ عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾، قلت: ولده كيف أوتي مثلهم؟ قال: **«أحيا له من أولاده الذين كانوا ماتوا قبل ذلك بآجالهم مثل الذين هلكوا يومئذ»**[1].

التعاليم:

١ ـ التذكير والاطلاع على تاريخ حياة العظماء أفضل وسيلة لتسكين النفس، والصبر، والإرشاد، والهداية، ﴿وَأَيُّوبَ﴾.

٢ ـ إن الأنبياء في حياتهم العادية والطبيعية حالهم كحال سائر الناس أيضاً في تعرضهم للابتلاء، والأمراض، والمصائب، ﴿مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾.

٣ ـ على الرغم من أن أكثر المصائب والابتلاءات قد تبدو كضرر في الظاهر، فإنَّها في الباطن وفي أكثر المواقع تعد لطفاً خفياً ورحمة من الله، ﴿مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

٤ ـ ليس كل بلاء ومصيبة عقوبة وتحذير؛ بل يكون البلاء أحياناً للامتحان ونيل الدرجات، ﴿مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾. (بالنظر إلى كون الأنبياء عليهم السلام معصومين فإن ابتلاءهم لم يكن بسبب ارتكاب الذنوب ولا تأديباً).

٥ ـ الأنبياء عليهم السلام مثال الأدب، ﴿مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾، فالنبي أيوب عليه السلام لم يقل في دعائه: رب ارفع عني الضرر، بل إنه دعا الله تعالى بنحو وكأنه يقول له إلهي أنت عالم بحالي.

---

(١) الكافي، ج٨، ص ٢٥٢.

٦ ـ في مقام الدعاء ينبغي أن ندعو الله بصفاته المناسبة لحاجاتنا، ﴿أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

٧ ـ دعاء الأنبياء مستجاب، ﴿فَاسْتَجَبْنَا﴾.

٨ ـ اللطف الإلٰهيّ أكبر من الطلب ومما يدعو به الإنسان، ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ﴾. (النبي أيوب عليه السلام طلب من الله تعالى «كشف الضر» إلّا أن الله تعالى، ومضافاً إلى استجابة دعائه، فإنه أرجع إليه أهله أيضاً).

٩ ـ الولد عناية إلٰهيّة ورحمة من الله تعالى، ﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾.

١٠ ـ الله تعالى أهل الجود كما إنه أهل الجبروت، ﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾. نحن نقرأ في قنوت صلاة عيد الفطر والأضحى هذا الدعاء «اللهم أهل الكبرياء والعظمة وأهل الجود والجبروت»، وفي هذا المقام أرجع الله تعالى إلى النبي أيوب كل ما أخذه منه، مضافاً إلى ذلك ضاعف له العطاء؛ إذ جبر له ما مضى وجاد عليه بكرمه للمستقبل.

١١ ـ يوجد ارتباط خاص بين الدعاء من جهة، وبين الربوبيّة ونزول الرحمة الإلٰهيّة من جهة أخرى، ﴿نَادَىٰ، رَبَّهُ، رَحْمَةً﴾.

١٢ ـ إن استجابة دعاء الأنبياء ليس على أساس الاستحقاق الشخصي لكل منهم، إنما هو على أساس الفضل والرحمة الإلٰهيين، ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾.

١٣ ـ للبلاء أبعاد متعدّدة فتارة يكون للامتحان، وطوراً لبلوغ الرشد الفكري والعلمي، وأخرى عبرة للآخرين وتذكيراً لهم، ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾.

١٤ ـ العبادة مهد الموعظة والذكرى، ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾.

١٥ ـ كل الناس يحتاجون إلى الذكرى حتى العابدين، ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾.

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾

إشارات:

- النبي إسماعيل عليه السلام هو الابن العظيم للنبي إبراهيم عليه السلام، والجد المعظم لرسول الإسلام الأعظم محمد صلى الله عليه وآله. وهو الذي قدّم أروع حماسة في إطاعة أمر الحق تعالى، وفي الصبر على أمره في قضيّة الرؤيا الصادقة بذبحه على يد أبيه.
- النبي إدريس عليه السلام هو جد النبي نوح عليه السلام، وهو أول من وضع علم النجوم وعلّمه، وأول من عَلّم الناس صنعة الثياب، وأول من خط بالقلم وعلّم الناس الكتابة، وقيل إنه أنزل عليه ثلاثين صحيفة.
- ذو الكفل عليه السلام واحد من أنبياء الله تعالى، عاش بعد النبي سليمان وقبل النبي عيسى عليه السلام[1]، وكما هو المشهور فإن قبره على الطريق بين كربلاء والنجف الأشرف.
- ونقرأ في تفسير **التبيان**: أن هذا النبي الإلٰهيّ عاهد نفسه على أن يصوم النهار، ويقوم الليل، وألا يغضب، ويقضي بالحق، فوفى لله بذلك فأثنى الله عليه، ولهذا سمي «ذو الكفل» أي صاحب العهد.

وذهب بعضٌ كالفخر الرازي إلى الاعتقاد بأن «ذا الكفل» هو لقب النبي إلياس عليه السلام، وأنه اشتهر بذلك الاسم وكان من الصالحين.

إلا أننا، وبالاستناد إلى الرواية التي نقلها في مجمع البيان عن عبد العظيم الحسني عن الإمام الجواد عليه السلام، والتي ورد فيها أنّ الله بعث مئة وأربعة وعشرين ألف نبي، المرسلون منهم ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً وإنّ ذا الكفل منهم فإننا نعتقد بأنّ ذا الكفل لم يكن لقب النبي إلياس بل كان أحد الأنبياء والمرسلين.

---

(١) تفسير أطيب البيان.

❑ صبر النبي إسماعيل ﷺ على أمر الله بذبحه على يد أبيه النبي إبراهيم ﷺ، وأما النّبي إدريس فإنه دعا الناس إلى دين الحق طيلة ثلاث مئة وخمس وستين سنة، إلا أنّ أحداً منهم لم يؤمن به(١).

التعاليم:

١ ـ يجب المحافظة على أسماء العظماء، وإحياء ذكرهم، والتحدث عن كمالاتهم أمام الآخرين، ﴿وَإِسْمَـٰعِيلَ و...﴾.

٢ ـ الصبر خصلة حميدة قيّمة، وقد مدح الله تعالى المتّصفين بها، ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾.

٣ ـ الصبر يمهد لورود الإنسان في الرحمة الإلٰهيّة، ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَأَدْخَلْنَـٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ﴾.

٤ ـ اكتساب الدرجات والمقامات يتم بعد النجاح في الامتحان الإلٰهيّ، ﴿ٱلصَّـٰبِرِينَ... وَأَدْخَلْنَـٰهُمْ﴾.

٥ ـ يدور التمتع بالرحمة الإلٰهيّة مدار العمل الصالح، ﴿وَأَدْخَلْنَـٰهُمْ... مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾.

٦ ـ الصبر والصلاح من صفات الأنبياء، وكل من يتصف بهما ففيه صفة ووسام من الأنبياء، ﴿وَإِسْمَـٰعِيلَ و...مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ... مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾

إشارات:

❑ المذكور في التفاسير حول قصة نبي الله يونس ﷺ، أنه دعا الناس إلى عبادة الله سنين طويلة فلم يؤمن منهم إلا رجلين، أحدهما عالم والآخر عابد،

(١) تفسير أطيب البيان.

وعندما استمرت الأوضاع على هذه الحال اقترح العابد على النبي يونس عليه السلام أن يدعو على قومه، وحيث إنه قد بلغ من عناد قومه ولجاجهم ما قد بلغ، أقدم على ذلك الأمر فدعا عليهم، وما إن رأى آثار البلاء ومن دون أن يستأذن الله تعالى، خرج مغاضباً من تلك الأرض وهو يظن أنه قد ارتاح من قومه؛ ولكنه لم يعلم أن الله سيضيق عليه بسبب ما قام به.

وعندما خرج من قومه توجه نحو البحر وركب السفينة قاصداً السفر إلى أرض أخرى، وفي أثناء الطريق اضطربت السفينة أثناء مواجهتها لحوت كبير وكاد أهل السفينة أن يغرقوا جميعاً.

وهنا قرّر أصحاب السفينة للخلاص من هذا البلاء أن يلقوا بأحد ركاب السفينة إلى البحر للنجاة من هذه المصيبة، فاقترعوا بينهم، فخرجت القرعة باسم يونس عليه السلام، فألقوه في البحر فابتلعه الحوت وغاص في البحر، إلا أنّ الحوت مُنع بأمر الله تعالى من أكل يونس وهضمه فبقي حياً في بطنه.

التفت يونس وهو في ظلمات بطن الحوت في أعماق المياه إلى ظلمه بخروجه على تلك الحالة من بين قومه، فتوجه إلى الله واعترف بتقصيره، فاستجاب الله دعائه وأنجاه من ذلك المكان وذلك الحال، ولُقّب يونس من بعد ذلك بـ«ذي النون» أي صاحب الحوت، وقد ورد في الآيتين (١٤٣ و١٤٤) من سورة الصافات قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

التعاليم:

١ ـ عند التعرض لأحداث التاريخ يجب علينا عدم الاكتفاء بذكر الأحداث الجميلة والنجاحات؛ بل لا بد أحياناً من الإشارة إلى الحوادث المريرة، والانكسارات، والهزائم، ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾.

٢ ـ لا ينبغي علينا أبداً أن نعتبر أن رسالتنا الإلٰهيّة قد انتهت، فنتركها ونمضي، ﴿إِذ ذَّهَبَ﴾.

٣ ـ ربما تؤدي أحياناً العجلة في أمر ما، من دون التفكير بعواقبه، ومن دون أخذ الإجازة والإذن، إلى تحمل عقوبة شديدة وقاسية، ﴿إِذ ذَّهَبَ... فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾.

٤ ـ الله تعالى عالم بما يدور في خيالنا، وأفكارنا، وظنوننا، ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾.

٥ ـ لا يعلم الأنبياء أحياناً ما سيجرى عليهم في المستقبل، ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾.

٦ ـ قد يؤدي غضبٌ في غير موقعه، إلى ابتلاء نبي من أنبياء الله أيضاً، ﴿مُغَٰضِبًا... فَنَادَىٰ﴾.

٧ ـ قد يؤول عدم اللياقة في عمل واحد أحياناً إلى الوقوع في الظلمات، ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾.

٨ ـ عند تحليل البلاءات ينبغي علينا أن ننزه الله تعالى عنها، وأن نبحث عن منبعها ومصدرها في أعمالنا نفسها، ﴿سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ﴾.

٩ ـ إذا لم يكن أي تحرك، وأي حب، وأي بغض بأمر من الله ومن أجل تحصيل رضاه، فلن ينتج أي نتيجة مرضية ومطلوبة، ﴿ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا... إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

١٠ ـ الإقرار بالذنب في محضر الله تعالى كمالٌ في حد نفسه، ومن آداب الدعاء أيضاً، ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

١١ ـ الدعاء المتضمن للإقرار بالتوحيد، وتنزيه الله تعالى، والاعتراف بالخطأ، مستجاب، ﴿سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ... فَٱسْتَجَبْنَا﴾.

١٢ ـ تنزيه الله تعالى والإقرار بالذنب سرُّ النجاة من المصائب والعقوبات، ﴿سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ... فَٱسْتَجَبْنَا﴾.

١٣ ـ لا سبيل للنجاة إلا بمشيئة الله وإرادته، ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ﴾.

١٤ ـ إن قصص القرآن ليست أحداثاً حدثت وانتهت بل هي جارية وسنة دائمة على مر الزمان، ﴿كَذَٰلِكَ﴾.

١٥ ـ نجاة أهل الإيمان سنة وقانون إلهيين، ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

١٦ ـ كل من ذكر هذا الذكر، على تلك الحال يكتب له النجاة، ﴿إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ فَٱسْتَجَبْنَا... وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾

إشارات:

- يتوجَّه الأنبياء عليهم السلام عند حدوث أي مشكلة إلى ساحة الله تعالى، ويطلبون من ربهم الفرج، وقد مر في الآيات السابقة نماذج من أدعيتهم ومطالبهم[1].
- ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله عندما بارز الإمام علي عليه السلام عمرواً في واقعة الخندق، توجه نحو الله تعالى ورفع يديه بالدعاء قائلاً: اللهم إنك أخذت مني عبيدة بن الحارث يوم بدر، وحمزة يوم أحد، فاحفظ عليَّ اليوم علياً، ومن ثم قرأ قوله تعالى: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[2].
- روي عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى ﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ أنه قال: **ذكر الرغبة وأبرز باطن راحتيه إلى السماء، وهكذا الرهبة وجعل ظهر كفيه إلى السماء**[3].

التعاليم:

١ ـ لا نيأسنَّ أبداً من رحمة الله تعالى، ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ﴾. (الله تعالى قادر على إعطاء الولد لإنسان عجوز كزكريا عليه السلام ومن امرأة عاقر وهي زوجه).

---

(١) مر في الآيات السابقة دعاء النبي نوح والنبي أيوب والنبي يونس عليهم السلام.

(٢) بحار الأنوار، ج٣٨، ص ٣٠٩. (٣) الكافي، ج٢، ص ٤٩٧.

٢ ـ يقرن ذكر كلمة «رب» في الدعاء وتكرارها الدعاء بالإجابة، ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي﴾.

٣ ـ في أثناء الدعاء لا بد من أن ندعوا الله بصفاته المتناسبة مع حاجاتنا وطلباتنا، ﴿لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾.

٤ ـ الإيمان بكون الله «خير الوارثين» لا يتنافى مع الأمنيات الطبيعية كطلب الولد من الله تعالى والتعلق به، ﴿لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾.

٥ ـ دعاء الأنبياء عليهم السلام مستجاب، ﴿فَٱسْتَجَبْنَا﴾.

٦ ـ الولد عطية إلٰهيّة، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾.

٧ ـ لله تعالى عناية خاصة بأوليائه، ففي هذه الآية تكررت كلمة «له» ثلاث مرات، ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ... وَوَهَبْنَا لَهُۥ... وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ﴾.

٨ ـ يد الله ليست مغلولة وبإمكانه أن يجعل امرأةً عاقراً قابلة للحمل والولادة، ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾.

٩ ـ يمكن للإنسان معالجة العقم من خلال الدعاء، ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ﴾.

١٠ ـ تتحقق السعادة الكاملة في وقت يساهم فيه كل أفراد العائلة في فعل الخيرات، ويشارك بعضُهم بعضَهم الآخر مع انسجام في الفكر والتعاون في ما بينهم، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾.

١١ ـ المسارعة إلى فعل الخيرات والنشاط في القيام بها، يزيدها قيمة وحسناً، ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾.

١٢ ـ الخوف من الله ورجاؤه به عنصران قيّمان حتى عند الأنبياء عليهم السلام، ﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾.

١٣ ـ في أثناء الدعاء لا بد لنا من دعاء الله في حالة الخوف والرجاء، ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾.

١٤ ـ أولياء الله لا يحنون رؤوسهم تعظيماً وخشوعاً إلا لله تعالى، ﴿لَنَا خَٰشِعِينَ﴾، (لم يقل تعالى: «خاشعين لنا»؛ فتقديم «لنا» يدل على الحصر).

١٥ ـ إنما تكسب الكمالات الإنسانيّة قيمتها إذا كانت دائمة مستمرة، لا سريعة الزوال وموقّتة، ﴿كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ، وَيَدْعُونَنَا، وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾.

١٦ ـ للمسارعة في الخير والخوف والرجاء تأثير في استجابة الدعاء، ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ... كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا﴾.

﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾

التعاليم:

١ ـ المحور الأساس في بيان المطالب القرآنية هو تقديم الأسوة وبيان الكمالات الإنسانية، ولا فرق في ذلك بين الرجل والمرأة، ﴿ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾.

٢ ـ تنزل الألطاف الإلٰهيّة عندما تتحقق القابلية اللازمة لها، ﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا... فَنَفَخْنَا﴾.

٣ ـ الطهارة والعفة من أعظم كمالات المرأة، ﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾.

٤ ـ وجود كمالٍ ما عند الإنسان يصاحبه ويعقبه بركات كثيرة، ﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا، فَنَفَخْنَا، رُّوحِنَا، وَجَعَلْنَٰهَا، ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

٥ ـ بإمكان عفة الأم إن توصلها هي وأبناءها إلى أعلى المقامات، ﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

٦ ـ بإمكان المرأة أن تصل إلى مقام يعظمها الله كما يعظم الأنبياء، ويجعلها آية له في العالمين، ﴿ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾

التعاليم:

١ ـ تتحد الأديان السماوية كلها في المقصد والهدف، ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾.

٢ ـ التوحيد ووحدة الكلمة أساس عمل الأديان الإلٰهيّة، ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾.

٣ ـ تقتضي الربوبيّة العبودية، ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾.

٤ ـ منشأ التفرقة بين الأديان الإلٰهيّة ودين الإسلام هم الناس أنفسهم، ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم﴾.

٥ ـ يجب على المفرقين أن يهيئوا أنفسهم للاستجواب أمام الحضرة الإلٰهيّة، ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم، كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾

إشارات:

□ أشير إلى الوعد بالأجر والثواب في القرآن الكريم بتعابير عدّة؛ فتارة يقول: ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[١]، وفي موضع آخر يقول: ﴿كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾[٢] و﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾، وفي موضع ثالث يقول أيضاً: ﴿لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾[٣] (بمعنى أنّه لا ينقص ذرة واحدة من ثوابكم)، و﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾[٤].

التعاليم:

١ ـ الإسلام دين القيم والكمالات، وهو يعظم ويقدر كل عمل قيّم من أي شخص وفي أي زمان، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

٢ ـ إذا لم توفقوا إلى القيام بكل أفعال الخير فقوموا على الأقل بما يمكنكم القيام به، ﴿يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾. ولم يقل، ﴿يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

٣ ـ تزيد الدواعي والأهداف الإلٰهيّة الأعمال قيمة، ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾.

٤ ـ في الرؤية الإلٰهيّة والمقياس الإلٰهيّ لا يبقى أي عمل إيجابيّ لأي شخص من

---

(١) سورة يوسف: الآية ٥٦.
(٢) سورة الإسراء: الآية ١٩.
(٣) سورة الحجرات: الآية ١٤.
(٤) سورة الزلزال: الآية ٧.

دون جواب ونتيجة، ﴿فَلَا كُفْرَانَ﴾ (نحن أيضاً ينبغي علينا ألا نتجاهل أعمال الناس الحسنة).

٥ ـ المهم هو السعي والتحرك بغية القيام بالأعمال الصالحة والحسنة حتى ولو لم تتحقق عملياً، ﴿لِسَعْيِهِۦ﴾.

٦ ـ تكتب أعمال الإنسان له، والثواب يومئذ سيكون على أساس الحساب والكتاب، ﴿كَٰتِبُونَ﴾.

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

إشارات:

❑ نُقل عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في خصوص المراد من عدم رجوع الكافرين: «**كل قرية أهلك الله أهلها بالعذاب ومحضوا الكفر محضاً لا يرجعون في الرجعة، وأما في القيامة فيرجعون، وأما غيرهم ممن لم يهلكوا بالعذاب ومحضوا الكفر محضاً يرجعون**»[(١)].

وبناء على ذلك فإن المراد من عدم رجوعهم هو عدم رجوعهم إلى الدنيا، إذ إنه من البديهي رجوعهم أجمعين في الآخرة.

❑ كما تقدم معنا في الآيات (٩٣ إلى ٩٨) من سورة الكهف فإن يأجوج ومأجوج كانوا أقواماً أوقعوا الفساد، والخراب، والدمار في الأرض بسبب حملاتهم المتكررة على من جاورهم، إلى أن قام ذو القرنين ببناء سد عظيم حال دون نفوذهم مرة أخرى إلى بقيّة المناطق.

ولكن ذكر أن من علامات القيامة وانتهاء عمر الأرض خراب السد وهجوم هؤلاء الأقوام مجدداً على غيرهم، ولذا وكما قال تعالى هناك: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾[(٢)]، فإنه سيقول ههنا في الآية اللّاحقة: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾.

---

(١) تفسير أطيب البيان، تفسير القمي، ج١، ص ٢٤.

(٢) الكهف: الآية ٩٨.

وعلى أي حال فإن هذه الآيات إخبار غيبي عن هجوم المعتدين بكثرة ومن كل ناحية إلى مناطق الأرض كلّها.

التعاليم:

١ ـ لن تتحقق الرجعة وأمنية رجوع القوم الهالكين إلا في زمن ظهور يأجوج ومأجوج، ﴿لَا يَرْجِعُونَ حَتَّىٰ﴾.

٢ ـ ستصبح الدنيا حينئذٍ ميداناً للطغاة، ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ﴾.

٣ ـ في مستقبل التاريخ أيضاً سيجول ويصول المفسدون في الأرض، ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾.

﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَاخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾

إشارات:

□ «شاخصة» من «الشخوص» وهو في الأصل بمعنى الخروج من مكان إلى مكان آخر، ولمّا كانت العين عند التعجب والدهشة كأنها تريد الخروج من الحدقة، فقد قيل لذلك «شخوص».

□ على الرغم من أن القيامة تبدو لنا بعيدة في الظاهر إلا أنها قريبة في الحقيقة والواقع، ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ﴾، وقد أكد هذا الاقتراب في آيات أخرى أيضاً، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ...﴾[1]، وكذلك قوله ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾[2].

التعاليم:

١ ـ هجوم المُفْتِنَيْن (يأجوج ومأجوج) علامة على انتهاء عمر الدنيا واقتراب القيامة، ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ... وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾.

---

(١) سورة القمر: الآية ١.

(٢) سورة المعارج: الآيتان ٧ و ٨.

٢ ـ وقوع القيامة قطعي وحتمي، ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾.

٣ ـ القيامة وحوادثها يأتيان بغتة، ﴿فَإِذَا هِيَ﴾.

٤ ـ القيامة يوم البهت والحيرة، ﴿شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ...﴾.

٥ ـ القيامة يوم اليقظة ويوم تأسف الضمائر الغافلة، ﴿يَٰوَيۡلَنَا﴾.

٦ ـ الغفلة عن القيامة من أبرز علامات الكفر والكافرين، ﴿كَفَرُواْ... كُنَّا فِي غَفۡلَةٍ﴾.

٧ ـ الغفلة أساس كل الانحرافات والمصائب، ﴿كُنَّا فِي غَفۡلَةٍ﴾.

٨ ـ الغفلة عن القيامة ظلم للنفس وللآخرين، ﴿كُنَّا فِي غَفۡلَةٍ... كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

٩ ـ القيامة يوم الإقرار والاعتراف، ﴿كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝٩٨﴾

إشارات:

□ **سؤال**: ورد في هذه الآية أن عبّاد الأصنام ومعبودهم سيكونون حطباً ووقوداً لنار جهنّم، فهل أنّ بعض الأفراد كالنبي عيسى عليه السلام الذي كان معبوداً عند بعض، مشمول بهذه القاعدة أم أنه مستثنى منها؟

الجواب: أمثال هذه المعبودات مستثناة عن القاعدة لأسباب عدّة:

أولاً: لقد عبر القرآن عن تلك المعبودات بقوله ﴿وَمَا تَعۡبُدُونَ﴾، ولوجود كلمة «ما» في هذه الجملة فإنها إشارة إلى الموجودات غير العاقلة[1].

---

(١) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَيَّ بِكَلَامِ الْعَرَبِ وَالْمُتَعَارَفُ فِي لُغَتِهَا أَنَّ مَا لِمَا لَا يَعْقِلُ وَمَنْ لِمَنْ يَعْقِلُ وَالَّذِي يَصْلُحُ لَهُمَا جَمِيعاً فَإِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَرَبِ فَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ هَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ يُرِيدُ الْأَصْنَامَ الَّتِي عَبَدُوهَا وَهِيَ لَا تَعْقِلُ وَالْمَسِيحُ عليه السلام لَا يَدْخُلُ فِي جُمْلَتِهَا فَإِنَّهُ يَعْقِلُ وَلَوْ كَانَ قَالَ إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ لَدَخَلَ الْمَسِيحُ فِي الْجُمْلَةِ فَقَالَ الْقَوْمُ صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ». (بحار الأنوار، ج ٩، ص ٢٨٢).

ثانياً: المخاطبون بهذه الآية هم عبَّاد الأصنام في مكة، وقد كانوا يعبدون أصناماً من الحجارة، والخشب، وغير ذلك.

ثالثاً: سيأتي في الآيات اللّاحقة من هذه السورة أن الذين سبقت لهم منا، (أي من طرف الله)، الحسنى كالنبي عيسى عليه السلام، فإنهم مبعدون عن النار.

التعاليم:

١ ـ تجر عبادة غير الله تعالى العابد والمعبود إلى النار، ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾.

٢ ـ وقود جهنم هم الكافرون ومعبوداتهم الخيالية، ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ...﴾.

﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

إشارات:

- غالباً ما تذكر الأصوات بلغة العرب على وزن فعيل، مثل: زفير، شهيق، زئير وهرير، وإلى غير ذلك. وتطلق كلمة «زفير» على الصوت الذي يرافق إخراج النفس.
- ليس المراد من قوله ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ أن أهل جهنم لا يسمعون فيها أي صوت، بل المراد منه أنهم مهما صرخوا فيها فلن يسمعوا الكلام الذي ينجيهم ويسرهم، وفي القرآن آيات تدل على سماع أهل جهنم، إذ يطلبون المهلة من المأمور بتعذيبهم، وكذلك عندما يطلبون من الله أن ينجيهم، وكذلك عندما يسألون فيجيبون.

التعاليم:

١ ـ لا نعقدن آمالنا على غير الله، ولا نربطن مصيرنا بآلهة كاذبة عاجزة، ﴿لَوْ كَانَ... مَّا وَرَدُوهَا﴾.

٢ ـ العجز والمحكومية لا يتلاءمان مع مقام الألوهيّة، ﴿لَوْ كَانَ... مَّا وَرَدُوهَا﴾.

٣ ـ عذاب الشرك عذابٌ أبدي، ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

٤ ـ النار مقام المستغيثين الذين لا يجابون، ﴿فِيهَا زَفِيرٌ... لَا يَسْمَعُونَ﴾.

٥ ـ عدم إجابة الاستغاثة والصراخ في حد نفسه عذاب آخر لأهل النار، ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾

إشارات:

□ ورد في الروايات أن قوماً سألوا رسول الله ﷺ: إذا كان القرآن ينصّ على: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾[1]، فقد عبدوا المسيح عليه السلام ومريم عليها السلام فهل هم معهم في النار، وأجابهم رسول الله ﷺ وتلا عليهم هذه الآية الشريفة.

التعاليم:

١ ـ إن الله تعالى يفي بالوعود التي وعدها لأهل الإيمان والتقوى، ﴿سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.

٢ ـ من يدخل الجنّة فلن يدخل بعدها إلى جهنم أبداً، ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

إشارات:

□ إن الإنسان في الدنيا حتى ولو كان يعيش حالة من الرفاه والترف قد يصل إلى أسماعه أحياناً، سواء بإرادته أم بغير إرادته، بعض الأخبار المزعجة، والحوادث الأليمة والمريرة، فتنغص عليه ملذاته وتسلب منه هناء معيشته، وأما في القيامة فإن أهل الجنّة في منأى عن سماع أي خبر سيء، وأي جلبة مزعجة، وأي استغاثة وصراخ من أهل البلاء والعذاب، بل وهم مشغولون بشكل كامل ودائم بما يمتعون به.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٩٨.

□ يقول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في الخطبة (١٨٣) من نهج البلاغة: **«فبادروا بأعمالكم تكونوا مع جيران الله في داره... أكرَمَ أسماعهم أن تسمع حسيس جهنم أبداً»**[١].

□ في القرآن الكريم آيات متنوّعة تبين نعم الجنّة الكثيرة كماً وكيفاً، ففي إحدى الآيات يقول: ﴿مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾[٢]، وفي هذه الآية يقول: ﴿وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾، وفي موضع آخر منه يوصف ذلك بمثل هذا التعبير، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم﴾[٣].

□ في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال عن كيفية نعم الجنّة: **«وفيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»**[٤].

التعاليم:

١ ـ إن أهل الجنّة يوم القيامة في منأى عن آلام وتأوهات أهل العذاب، وهم يتمتّعون في ما يشتهون، ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾.

٢ ـ الإشباع الكامل للرغبات والغرائز إلا في الجنة، ﴿مَا ٱشْتَهَتْ﴾.

٣ ـ لا محدودية للنعم في الجنّة، ﴿فِي مَا ٱشْتَهَتْ﴾، ولا محدودية لزمان الاستفادة منها، ﴿خَٰلِدُونَ﴾.

﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

إشارات:

□ بالاستناد إلى الروايات فإن المخاطب بهذه الآية هم أولئك الذين يمتلكون عقائد صحيحة ويسيرون في خط الأئمة الذين عينوا من قبل الله ورسوله صلى الله عليه وآله[٥].

---

(١) تفسير الأمثل.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٧١.

(٣) سورة السجدة: الآية ١٧.

(٤) من لا يحضره الفقيه، ج١، ص ٢٩٥.

(٥) تفسير الميزان.

التعاليم:

١ ـ دفع الشر، (المفسدة)، أهم من جلب المنفعة، لذا الكلام أولاً عن البعد عن الغموم، ومن ثم تلقي البشارات، ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾.

٢ ـ إن مصائب الدنيا، مهما كبرت، ليست بشيء يذكر أمام مصائب الآخرة، ﴿ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾.

٣ ـ تتكلم الملائكة في يوم القيامة مع الناس، ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾.

٤ ـ استقبال المؤمنين وملاقاتهم عمل ملائكي، ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾.

٥ ـ إذا كانت الدنيا في هذه الأيام تحت سلطة الطغاة فلا يحزننا ذلك؛ لأنه سيأتي ذلك اليوم الذي يكون يوم عزّ المؤمنين، ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ﴾.

٦ ـ الوعد الإلٰهيّ حتمي، ﴿كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

إشارات:

□ تطلق كلمة «السجل» في الأصل على قطعة من الحجر يكتب فيه، ومن ثم سمي كل ما يكتب فيه سجلاً.

□ أشير في القرآن الكريم مراراً إلى التشابه بين حدوث القيامة وبين الخلق الابتدائي للعالم، ففي آية منه يقول: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[1]، وفي آية أخرى يقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[2].

□ المراد من السماء في هذه الآية السماوات كلها، إذ يقول تعالى في موضع آخر: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ...﴾[3].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٦.
(٢) سورة الروم: الآية ٢٧.
(٣) سورة الزمر: الآية ٦٧.

□ قال الإمام علي عليه السلام: **«فجاؤوها كما فارقوها، حفاة عراة، قد ظعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة والدار الباقية كما قال سبحانه: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾»**[1].

التعاليم:

١ ـ إن نظام الوجود أزلي، ولكنه ليس أبدياً إذ إنه سيطرأ عليه التغيير والتحوّلات في نهاية المطاف، ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ... كَمَا بَدَأْنَآ﴾.

٢ ـ قدرة الله تعالى على طي السماوات سهلة كطي الكتب، ﴿كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ﴾.

٣ ـ التمثيل أفضل وأنفع وسيلة للفهم والإفهام، ﴿كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ﴾.

٤ ـ كما إن طي السجل لا يعني محو ما فيه من كتابة، كذلك فإن طي السماوات لا يعني فناء المخلوقات، ﴿كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾.

٥ ـ أي تغيير وتحول في السموات إنما هو بمشيئة الله وإرادته، ﴿نَطْوِى... بَدَأْنَآ... نُّعِيدُهُۥ﴾.

٦ ـ سيعيد الله تعالى خلق المخلوقات المطوية كما بدأ أول خلق، ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾.

٧ ـ الوعد الإلٰهيّ حتمي الوقوع فعلاً، ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «الزبور» في اللغة العربيّة بمعنى الكتابة والكتاب، ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ﴾[2]، ولكن بقرينة الآية الشريفة ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[3]، يظهر أن المراد من الزبور هو خصوص الكتاب المنزل على داود عليه السلام، والذي كان يشتمل على مجموعة من الأدعية والمناجاة والمواعظ، وقد أنزل هذا الكتاب

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١١١.
(٢) سورة القمر: الآية ٥٢.
(٣) سورة النساء: الآية ٦٣؛ وسورة الإسراء: الآية ٥٥.

بعد التوراة، والمراد بالذكر في هذه الآية هو التوراة نفسه، كما تقدم معنا في هذه السورة أيضاً في الآية (٣٨) أن التوراة هي الذكر إذ يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

- ذهب بعضهم إلى القول إنّ المراد من «الزبور» في هذه الآية هو الكتب السماوية كلّها، وإنَّ المراد من «الذكر» هو القرآن المجيد، وأن كلمة «من بعد» تعني «مضافاً إلى»، وعليه يكون معنى الآية حينئذٍ ما يلي: لقد كتبنا في الكتب السماوية كلّها، مضافاً إلى القرآن الكريم، أن الأرض سيرثها عبادي الصالحون.
- سئل الإمام الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾، ما الزبور وما الذكر؟ قال: «**الذكر عند الله، والزبور الذي أنزل على داود عليه السلام، وكل كتاب نزل فهو عند أهل العلم ونحن أهل البيت هم**»[1].
- مما يلفت النظر أنه يلاحظ في كتاب مزامير داود، والذي هو اليوم جزء من كتاب العهد القديم، أن التعبير الذي ورد في الآية الآنفة الذكر، ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ ورد نفسه أو ما يشبهه في مواضع عدة[2].
- ورد في روايات عدّة أن العباد الصالحين الذين سيرثون الأرض هم أنصار الإمام المهدي عليه السلام وأصحابه[3].
- ورد في بعض الروايات أن أهل بيت نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وآله سيملكون الأرض، ويرجعون إلى الدنيا، ويقتلون أعدائهم[4].

التعاليم:

١ ـ السنة الإلٰهيّة قائمة على أن العباد الصالحين سيكونون حكام الأرض والوارثين لهذا العالم، ﴿كَتَبْنَا﴾.

٢ ـ الإخبارات الغيبية للقرآن قطعية الوقوع، ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ...﴾.

---

(١) الكافي، ج١، ص ٢٥٥.
(٢) تفسير الأمثل.
(٣) تفسير نور الثقلين.
(٤) تفسير القمي، ج٢، ص ٢٩٧.

٣ ـ يخبر القرآن عن المستقبل أيضاً، ﴿يَرِثُهَا...﴾.
٤ ـ المستقبل للصالحين، ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.
٥ ـ لا ينفك الدين عن السياسة، ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.
٦ ـ العبادة وحدها لا تكفي، بل لا بد أيضاً من الصلاح والعمل الصالح، ﴿عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.
٧ ـ وراثة الأرض وحكومة العالم لهما شرطان: العبودية لله، والقيام بالأعمال الصالحة، ﴿عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.

﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

الإشارات:

□ مرّ معنا في الآية السابقة أن وراثة الأرض وحكومة الصالحين عليها يتحقق بشرطين: أحدهما العبودية الخالصة لله تعالى، والتي وردت في الآية بقوله ﴿عِبَادِيَ﴾، والآخر هو كسب الصلاح، ﴿الصَّالِحُونَ﴾. ويؤكد الله تعالى في هذه الآية مجدداً على أنّ العباد يجب أن يتلقوا هذا البلاغ، ومفاده أنّه يجب عليهم الإخلاص في العبادة، وأن ينتقلوا من مرحلة العبودية الكلية والعامة، «عابدين»، إلى مرحلة العبودية الخاصة، «عبادي»، وكذلك أن يسعوا إلى التحلي بالصلاح، «الصالحون».
□ عن الإمام علي عليه السلام: **«الله الله في القرآن لا يسبقنكم في العمل به غيركم»**[١].

التعاليم:

١ ـ ينبغي على عباد الله أن يسعوا إلى كسب الصلاح واللياقة اللازمة حتى يرثوا الأرض، ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾.
٢ ـ ينبغي على عباد الله الصالحين أن يتلقوا البلاغات الإلهيّة قبل أي أحد آخر، ﴿لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾.

---

(١) الكافي، ج ٧، ص ٥١.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾

التعاليم:

١ ـ تبلور حكومة العباد الصالحين على الأرض اللطف والرحمة المتحصلين في ظل الرسالة، كذلك فإن كل ما يحصل عليه الأفراد من الرحمة النبوية ﷺ في الدنيا والآخرة إنما هو شعاع من الرحمة الإلٰهيّة، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ﴾.

٢ ـ إن كل الأحكام والمقررات والقوانين التي جاء بها نبي الإسلام ﷺ وحتى الجهاد، والحدود، والقصاص، وسائر العقوبات والقوانين الجزائية، جميعها رحمة للمجتمع البشريّ، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ﴾.

٣ ـ الله تعالى «رب العالمين» ورسوله الكريم ﷺ «رحمة للعالمين» أي إن التربية الواقعية ممكنة في ظل هداية الأنبياء ﷺ، ﴿رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾.

٤ ـ إن نبي الإسلام محمد ﷺ رحمة للناس قاطبة، في العصور كلّها وفي كل مكان، ولا حاجة إلى أي نبي آخر، ﴿رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾.

٥ ـ رسول الإسلام المعظم ﷺ رحمة أيضاً حتى للملائكة المقربين، ﴿رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾، إذ ورد في بعض الأحاديث أن جبرائيل يظهر للنبي محمد ﷺ أن رحمته قد أصابته وشملته[1].

٦ ـ تشمل أحكام الإسلام العالمين كلهم، ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾.

٧ ـ يمكن لإنسان واحد بإرادة الله تعالى أن يؤثر في كل الوجود، ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾.

﴿قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٨﴾

الإشارات:

❑ ذكر الإمام الرضا ﷺ، وأمام آلاف المريدين له في نيسابور، وبناء على طلب الناس، الحديث القدسي المعروف بحديث السلسلة الذهبية، والذي ورد فيه أن

---

(١) تفسير مجمع البيان.

التوحيد حصن وقلعة إلهيين يحصن ويؤمن كل من دخل إليه، ومن ثم ذكر أن شرط التوحيد هو القبول بالإمام الحي والتبعية له: «**كلمة لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي... وأنا من شروطها**»[١].

التعاليم:

١ ـ الدعوة إلى التوحيد مظهر من مظاهر الرحمة الإلهيّة، ﴿رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾، ﴿قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ...﴾.

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٖۖ وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ ١٠٩﴾

الإشارات:

□ **سؤال**: يستفاد من كثير من الآيات والروايات أن نبي الإسلام ﷺ كان يعلم علماً واسعاً وكبيراً بالغيب، وكما نقرأ في دعاء الندبة إذ يقول: «**وَأَوْدَعْتَهُ عِلْمَ مَا كَانَ وَ مَا يَكُونُ إِلَى انْقِضَاءِ خَلْقِك**»[٢]، إلا أنه وفي آيات أخرى نظير الآية السالفة، وردت عبارات كأنها تشير إلى عدم علم النبي ﷺ بكل شيء، فهل هذه الآيات والروايات متناقضة في ما بينها أم أن ثمة وجه للجمع بينها؟

الجواب: علم الغيب على نحوين، بعضه مختص بالذات الأحدية ولا سبيل لأحد إليه، ومن جملة ذلك زمان وقوع القيامة كما نقرأ في الدعاء أيضاً: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ**»[٣]. وأما بعضه الآخر فقد خص الله تعالى به الأنبياء والأولياء ومن شاء من خلقه كما ورد في هذه الآية ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ﴾[٤]، وكذلك فإن كثيراً من مسائل القرآن تعد أموراً غيبية.

□ الوعود الإلهيّة التي وعد بها الكفار، مضافاً إلى الهزيمة والفناء في الحروب، كذلك فإنهم وعدوا بالهلاك والقهر والعذاب في يوم القيامة، ﴿مَّا تُوعَدُونَ﴾.

---

(١) بحار الأنوار، ج٣، ص ٧.
(٢) مفتاح الجنان، ص ٣٠٤.
(٣) الكافي، ج ٢، ص ٥٦١.
(٤) سورة آل عمران: الآية: ٤٤.

التعاليم:

١ ـ يُعرض بعض الناس المعاندين ويتولون حتى عمن هو «رحمة للعالمين»، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ... فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾.

٢ ـ الإنسان مختار وليس بمجبر ولذا بإمكانه عدم الانصياع إلى دعوة الأنبياء وأوامرهم والإعراض عنهم، ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾.

٣ ـ لا ينبغي لنا أن نتوقع قبول كل الناس لدعوة الحق لأن هذا الهدف لم يتحقق حتى للأنبياء عليهم السلام، ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾.

٤ ـ لا ينبغي لنا التخلي عن مسؤولياتنا أمام إعراض الناس وعنادهم، ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ﴾.

٥ ـ أنذر الأنبياء عليهم السلام الناس جميعاً على حد سواء، ففي هذا المجال لا فرق لجنس أو لعرق أو للسان، ﴿ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٖ﴾، (نعم، في مقام التبليغ يجب أن ننظر نظرة واحدة إلى كل الناس)، ﴿عَلَىٰ سَوَآءٖ﴾.

٦ ـ فلنفصح عن عدم معرفتنا بالشيء صراحة إذا كنّا لا نعمله حقّ العمل، ﴿إِنۡ أَدۡرِيٓ﴾.

٧ ـ بعض العلوم مختص علمها بالذات المقدّسة الإلٰهيّة ﴿إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ﴾.

﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ ﴿١١٠﴾
وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿١١١﴾﴾

الإشارات:

❑ إذا رؤي أحياناً تأخير ما في تحقق بعض الوعود الإلٰهيّة فإن هذا لا يعني عدم اطلاع الله أو غفلته عن ذلك؛ إذ إن الله، وطبقاً لصريح آيات القرآن الكريم، يعلم كل شيء، ومحيط بكل شيء، ولذا قد يكون التأخير لأسباب مختلفة من جملتها:

أ ـ إعطاء المهلة الكافية للمذنب ليستوفي ذنوبه ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ﴾[1].

ب ـ إعطاء المهلة للمذنب لعله يوفق للتوبة.

ج ـ إعطاء المهلة للمذنب لاستهلاك أعماله الحسنة لئلا يبقى له شيءٌ في الآخرة.

التعاليم:

١ ـ لا فرق بين الغيب والشهادة عند الله تعالى، ﴿يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ... وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾.

٢ ـ يعلم الله تعالى كل مكتوم، فلماذا حينئذٍ التواطؤ والنفاق، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾.

٣ ـ علم الأنبياء عليهم السلام محدود بالنسبة إلى علم الله تعالى، ﴿إِنْ أَدْرِيٓ﴾.

٤ ـ تأخير القهر والعذاب الإلٰهيين إما لأجل الامتحان وإما لأجل إتمام المهلة، ﴿فِتْنَةٌ... وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

٥ ـ متاع الدنيا وملذاتها موقتان، ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾.

﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾

الإشارات:

❑ ما ورد في القرآن الكريم من موارد الافتراء على الله إنما هي أوصاف خيالية من قبل الناس أنفسهم، وليست وصفاً حقيقياً لله نفسه، ولذا نقرأ في القرآن قوله تعالى ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[2]، وكذلك قوله في موضع آخر ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْۚ﴾[3]، وأيضاً ما ورد في هذه الآية إذ يقول عزّ من قائل: ﴿ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٧٨.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٨.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٣٩.

التعاليم:

١ ـ أحياناً تصل اللجاجة والعناد إلى حد يدفع النبي الذي هو «رحمة للعالمين» إلى الدعاء على الظالمين، ﴿رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ... قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم﴾.

٢ ـ أمام لجاجة الأعداء لنطلب المعونة من الله تعالى، ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾.

٣ ـ لنبدأ الدعاء بكلمة «رب»، ﴿رَبِّ ٱحْكُم﴾.

٤ ـ يوجد بين الربوبيّة والقضاء رابطة قريبة جداً، ﴿رَبِّ ٱحْكُم﴾.

٥ ـ العالم الذي يعلم بكل شيء ويحكم بالحق دائماً وأبداً، ﴿يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ... وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ... رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾.

٦ ـ حتى مع أعدائنا، لا ينبغي لنا التجاوز عن الحق، ولا ينبغي لنا المطالبة بعقاب أكثر من الحق، ﴿رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾. (من المحتوم به أن قضاء الله والأحكام الإلٰهيّة تقوم على الحق دائماً وإنما نحن الذين يجب علينا أن نرضى بمقدار الحق).

٧ ـ لا بد لنا حتى في أثناء اللعن والدعاء والمطالبة بالعقاب ألا ننسى الرحمة أيضاً لتبقى نافذة أمل ورجاء مفتوحة أمام الجميع وبشكل دائم، ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾.

٨ ـ لن تبقى التهم والافتراءات بلا جواب، ﴿ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾، وينبغي لنا أن نتذكر دائماً أن لكل شيء حساب وكتاب، ولذا ينبغي لنا التدقيق أكثر في كل مدحنا وانتقادنا، ﴿ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

«اللهم صلى على محمد وآل محمد»

الفهرس